دانيال بايمَنْ

القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية

ما يحتاج الجميع إلى معرفته

ترجمة

مركز الرافدين للحوار

مراجعة

حسن ناظم



القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية
ما يحتاج الجميع إلى معرفته

القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية

ما يحتاج الجميع إلى معرفته

دانيال بايمَنْ

ترجمة: مركز الرافدين للحوار

مراجعة: حسن ناظم

الطبعة الأولى، بيروت/ لبنان، 2021

First Edition, Beirut/Lebanon, 2021



تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77472 - 040 - 0

دانيال بايمَنْ

القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية

ما يحتاج الجميع إلى معرفته

ترجمة:

مركز الرافدين للحوار

مراجعة:

حسن ناظم



مقدمة المركز

يشرح كتاب «القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية: ما يحتاج الجميع إلى معرفته» الظاهرة الجهادية التي قدمها تنظيم القاعدة والدولة الاسلامية في العراق وسوريا (داعش)، محللا كمّاً هائلا من المعلومات، البيانات والآراء التي عرضها المؤلف دانيال بايمَنْ الذي عمل خلال الثمانينات محللا لدى وكالة الاستخبارات الامريكية وفي مركز راند وأستاذا للدراسات الأمنية في جامعة جورج تاون، ومدير البحوث في مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط، موظفاً خبرته السابقة، ومتابعته المستمرة للتنظيمات الجهادية منذ نشوئها، في تقديم تحليل معمق للتنظيميين. ولعله هنا يحلل المحطات التاريخية المهمة، والعمليات التي شكلت سمعة تنظيم القاعدة، ومزيج الدوافع الشخصية والاستراتيجية والايديولوجية والمالية التي أدت الى انشاء التنظيم وتطوره.

يبيّن الكاتب تحوّل تركيز القاعدة نحو الولايات المتحدة الامريكية في الوقت الذي أسهمت فيه مرحلة احتضان السودان للتنظيمات الاسلامية المتطرفة في تعزيز اواصر التعاون فيما بينها، ودفعت اسامة بن لادن الى حسم تردده تجاه العمل الجهادي واتخاذ امريكا عدوا أوحد للتنظيم، وتكوين التنظيم العالمي للقاعدة، ومن ثم يصف كيفية قيام التنظيم بتنفيذ هجمات 11 سبتمبر 2001. وكيف أن احتلال العراق جاء بفوائد كبيرة للتنظيم على مستوى العمليات وتوفيره بيئة خصبة لجذب المزيد من الانصار غير الجهاديين، والمرحلة الزرقاوية للتنظيم في العراق الذي وان خرج من رحم التنظيم الام ـ القاعدة ـ الا انه اختط منهجا مختلفا، ربما يعود ذلك الى اختلاف ميدان المعركة واختلاف الرؤى لاستراتيجيات المعركة.

ويتحول الكاتب الى عرض كيفية انفصال تنظيم «الدولة الإسلامية» التي تُعد الى حد ما منافسا للقاعدة في العراق وسوريا حيث اعلنت الانفصال عن تنظيم القاعدة في عام 2014 واقامة الخلافة، في الوقت الذي رفض قادة تنظيم القاعدة هذا الاعلان، مدّعين أن أبا بكر البغدادي، يفتقر إلى المؤهلات الدينية لتنصيبه «خليفة» وأن القيام بذلك سابق

لأوانه. والكيفية التي واجهت الادارة الامريكية بقيادة باراك اوباما التحولات التي شهدتها العراق وسوريا بعد زيادة سطوة التنظيم فيهما، شارحا النهج الذي ينبغي تبنيه في مواجهة القاعدة والتنظيمات المتطرفة.

مقدمة الترجمة

تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية

لم تَعُد هذه الأسماء مُبهمة أو غريبة في عصرنا الحالي، بل أصبحت متداولة وبشكل أكثر مما كانت عليه في السنوات السابقة. باتت هذه الأسماء الناشط الأول واللاعب الرئيس في كل مكان تنتشر فيه الفوضى أو تظهر فيه بوادر وجود أزمةٍ ما. لقد استغلّت هذه التنظيمات الحروب وانهيار الدول والاضطرابات الجيوسياسية ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، واكتسبت أكثر من موطئ قدم في إفريقيا، وباتت تُهدّد العالم بأسره.

كان للعراق وسوريا الحصّة الأكبر من إرهاب هاتين المُنظّمتين، وبصفتي سوريّ الجنسيّة، كان لتأثير هذا الإرهاب جرحٌ عميق دمّر وطني وسلب منّي العديد من الأصدقاء الذين ارتقوا إلى جوار ربّهم مدافعين عن أرضهم وعرضهم وشرفهم عسى الله أن يتّقبلهم من الشهداء في الفردوس الأعلى. كما لاحظت أثناء عملي في العراق الأثر المدمّر الذي خلّقته تلك التنظيمات من شرخ طائفيّ وسياسي واجتماعي حوّل العراق من بلد الخيرات والحضارات والثقافة إلى بلدٍ يستعدّ للانطلاق من نقطة الصفر آملاً أن تنقشع غمامة الإرهاب هذه ويعود العراق مزدهراً شامخاً كما كان. كل التحيّة والتقدير للجيشين السوري والعراقي على بطولاتهم وتضحياتهم في محاربة هذا الإرهاب غير المسبوق.

هذه التفاصيل وغيرها يضعها أمامنا البروفسور دانيال بايمَنْ، أستاذ الدراسات الأمنية في جامعة جورج تاون، ومدير البحوث في مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط. يقدّم بايمَنْ شرحاً تفصيلياً عن جذور الإرهاب وبداية العمليات الجهادية، ويوفّر معلومات قيّمة عن نشأة كلتا المنظمتين فكرياً ولوجستياً. يمكنني القول إن هذا العمل يقدّم نظرة شاملة ووافية عن الإرهاب في التاريخ المعاصر كما يُقدّم مقترحات مفيدة وهامة في مجال مكافحة الإرهاب.

ملاحظة: إنّ جميع الآراء والمُعتقدات السياسية والدينية والطائفيّة الواردة في هذا الكتاب تّمت ترجمتها كما جاءت، وتمثّل آراء المؤلّف والأشخاص المنسوبة لهم، ولا يجب تفسير أي جزء أو فكرة من هذا الكتاب على أنّه يمثّل وجهة نظر أو اعتقادات أو ميول الترجمة.

شكر وتقدير

قد تكون لائحة الأشخاص الذين أودُّ شكرهم طويلةً نوعاً ما بالنسبةِ إلى كتاب كهذا، حيث ساهم عدد من الباحثين الشباب وبشكلٍ ملحوظ في إنجاز هذا العمل وهم: جيسيكا اغوستينيلي، سارة كولنز، جيمي غيلر، جوانا لوين، ولورين ميلينغير. ويعود الشكر والامتنان الأكبر إلى جينيفر ويليامز التي كانت مساعدتها لي بمثابة مساعدة المعلم لتلميذه. تُعدُّ معرفة جينيفر بالقضايا المتعلقة بالإرهاب معرفةً مهيبة بالنسبة إلى باحثٍ في مقتبل العمر بالإضافة لكونها مُحرِّرة بارعة ومتمكّنة، وتحمِل كل مقالةٍ لمسةً خاصة منها تضيف المزيد من الجودة إلى هذا الكتاب. وأتوجه بالشكر أيضاً الى أصدقائي وزملائي ممن ساعدتني قراءاتهم للكتاب في تفادي الأخطاء وتعزيز المنحى التحليلي وهم: جوناثان براون، مايك دوران، ك. كريستين فير، ويليام ماك كانتس، مايكل أوهانلون، كينيث بولاك، بينجامين ويتيس، وجيرمي شابيرو.

أودُّ أن أتقدم بالشكر كذلك إلى برنامج الدراسات الأمنية وقسم الخدمات الخارجية في جامعة جورج تاون، ومركز دراسات سياسة الشرق الأوسط في بروكنغز. لقد جعل كلٌّ من بروس هوفمان، وجويل هيلمان، وجيمس رياردون جامعة جورج تاون مكاناً رائعاً لكل باحث. وكان لكل من مارتن إينديك، وبروس جونز، ومايكل أوهانتون الدور الأكبر في جعل مؤسسة بروكنغز ـ حيث اختُبرت أفكاري وشُحذت ـ مكاناً ذا بيئة بحثية تنبض بالنشاط الفكري. وأتوجه بشكر خاص للسيدة تمارا كوفمان ويتس على إدارتها الرائعة والمميزة لمركز أبحاث الشرق الأوسط. أتوجه بالشكر الجزيل إلى ديفيد ماكبرايد في دار نشر جامعة أوكسفورد لدعمه المتواصل. وأودّ أن أشكر كلّاً من سارة روسينثال وسوفيش سوبرامانيان لتقديمهم العون اللازم. ولم يكن نشر هذا العمل ممكناً دون جهود وكيلي لاري ويسمان. ختاماً، أتوجه بالشكر لمن لهم المكانة الأولى في قلبي: أبنائي جوش، وبِنْ، وزوجتي فيكي، فحينما أسأل نفسي «ما الذي أحتاج معرفته»؟، فإن الجواب يبدأ وينتهي بوجودهم.

إن جميع ما يتضمنه هذا الكتاب من آراء، عرض وقائع وتحليلات هي تمثل الكاتب فقط ولا تعكس آراء أو مواقف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أو أي مؤسسة حكومية أمريكية أخرى. لا يجب تفسير أي شيء من محتوى الكتاب على أنه يؤكد أو يشير إلى مصادقة الحكومة أو المؤسسات الرسمية الأمريكية على وجهة نظر الكاتب وآرائه. وراجعت وكالة الاستخبارات المركزية هذا العمل لضمان عدم إفشاء أي معلومات سرية أو ما شابه.

مقدمة

لقد أصبح مصطلح «تنظيم القاعدة» اسماً مألوفاً منذ صباح الحادي عشر من أيلول في عام2011. لكن هذا التنظيم الإرهابي الذي فاجأ العالم برمته، وكان السبب بإطلاق العنان لمجموعة من الإجراءات الاحترازية ضد الإرهاب، فضلاً عن كونه المسبب لاثنتين من الحروب الكبرى، قد كان متواجداً في الساحة العالمية قبل فترةٍ طويلة من حدوث هذا اليوم الدامي. لم أتوقع حدوث هجوم الحادي عشر من أيلول أو أي شيء آخر بمقدار هذا الهول، ولكن ربما كان عليّ توقع ذلك لأنني، وبعكس أغلب المواطنين الأمريكيين، قد درست لوقتٍ طويل نشاطات تنظيم القاعدة ومناصريه من الجهاديين.

تعود نشأة تنظيم القاعدة إلى الصراع ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان خلال ثمانينات القرن الماضي، لكن الحركة الجهادية الرئيسة كانت متواجدة قبل هذا التاريخ بفترة كبيرة، وقد لاحظت وجود أشكال من هذه الحركة تقريباً في كل مكان خلال التسعينات. ولكوني أعمل محللاً لدى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في مجال منطقة الشرق الأوسط خلال هذا العقد، قمت بمتابعة بعض الأشخاص الذين قاتلوا في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي، أولئك الذين شكلوا عند عودتهم لأوطانهم النواة الرئيسة للجماعات الجهادية المحلية. ولكوني قد عملت أيضاً محللاً في مركز راند للأبحاث والتطوير RAND، وهي مركز أبحاث متخصص في أمور الدفاع، فقد تابعت تطور الحركة الجهادية في السعودية فضلاً عن إجراءات الولايات المتحدة الأمريكية في مكافحة الإرهاب عقب قيام تنظيم القاعدة بتفجير سفارتين للولايات المتحدة في عام 1998 والخطر المحدِق بالحكومة الجديدة في أفغانستان التي يمثلها تنظيم طالبان.

لقد أسهمت هجمات الحادي عشر من أيلول بتحويل تنظيم القاعدة من شيء ذي مكانة ثانوية بالنسبة لبعض المحللين والباحثين وصنّاع القرار السياسي إلى القضية المركزية بالنسبة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة. استمرّ موضوع استجابة الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة باستحواذه على اهتمامي، وخلال عملي ضمن لجنة أحداث الحادي عشر من أيلول

في مؤسسة بروكنغز البحثية وجامعة جورج تاون درستُ كيف تمكن تنظيم القاعدة من التكيّف مع الحملات الضارية التي قامت بها الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب لكنه تعثر بعد المبالغة في قدراته أو بسبب بعض الأخطاء التافهة. والذي جذبني على وجه الخصوص هو الأسلوب السياسي ضمن الحركة الجهادية العامة حيث شاهدت كيف يتم التوجيه السياسي من قبل تنظيم القاعدة والتنظيمات التي نافستها لاحقاً كتنظيم الدولة الإسلامية.

إنه لمن غير الممكن اتخاذ إعجابي وانبهاري في هذه القضايا سبباً يبرر منطقية هذا الكتاب، كما أنني لست معتادًا على السير على خطى كُتّاب آخرين كتبوا بشكل مثير للإعجاب عن تنظيم القاعدة من ضمنهم العديد من الفائزين بجائزة بوليتزر. ومع ذلك، ظللتُ خائب الأمل لأنه بعد مرور أكثر من عقد على هجمات الحادي عشر من أيلول، ما تزال العديد من التساؤلات الرئيسة حول تنظيم القاعدة بلا إجابة في كتاب بسيط وشامل كهذا. وعلى الرغم من أن المؤلفين من قَبلي قد قدموا إجابات عن كثير من الأسئلة الأساسية حول تنظيم القاعدة، فقد تغيرت الإجابات وحتى التساؤلات بمرور الوقت حيث أن العديد من الكتب والتي تعَدّ الأفضل في هذا المجال كانت تدور حول فترة ما قبل الحادي عشر من أيلول، ولكن كما قد تتوقعون، لم يعد تنظيم القاعدة اليوم هو ذلك الشيء المرعب الذي كان عليه سابقاً.

وما زال الارتباك يسود على اثنين من أكثر الأسئلة إثارة للاهتمام، ولكن الأكثر صعوبة: من أين تبدأ القاعدة وتنتهي، وكيف ينبغي أن ننظر للمفكرين والمقاتلين الجهاديين الآخرين والجماعات التي ليست تحت حكم أسامة بن لادن (أو أيمن الظواهري في وقتنا الحالي). اغتال الجهاديون السفير ج. كريستوفر ستيفنز وثلاثة أمريكيين آخرين في بنغازي، ليبيا، في الحادي عشر من أيلول عام 2012، واستخدم الأَخَوان تسارنايف قنبلة محلية الصنع في ماراثون بوسطن 2013، مما أسفر عن مقتل ثلاثة. بالرغم من أن تلك الهجمات لم يتم شنّها من قِبل تنظيم القاعدة ولم يكن لها أيّ صلة مباشرة بالتنظيم، لكنها كانت جزءًا من الحراك والعقلية التي تسعى القاعدة إلى غرسها.

شكّلت هذه الأهداف والإحباطات الهيكل التنظيمي لهذا الكتاب حيث لم أرغب فقط في تقديم قراءة بارعة وعقلانية بفهم تاريخ القاعدة وتنظيمها وأهدافها وتكتيكاتها وغيرها من المعلومات الأساسية، بل رغبتُ أيضًا بوضع التنظيم في نطاق الحركة الجهادية الأوسع. ولكي نفهم الخطر الذي نواجهه اليوم، نحتاج أيضًا إلى إدراك دور الجماعات الفرعية المهمة مثل تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وحركة الشباب إضافةً لظهور منظمات جديدة

مثل الدولة الإسلامية، وهي جماعة برزت خلال الحرب الأهلية السورية، هذه الجماعة وحشية لدرجة أنها مرفوضة حتى من تنظيم القاعدة لكنها ذات نفوذ كبير لدرجة أنها تنافس التنظيم الآن في قيادة المجتمع الجهادي العالمي. أخيرًا، إن فهم القاعدة يتطلب إدراك مدى استجابة الولايات المتحدة في إجراءاتها لمكافحة الإرهاب، الإمكانات المتاحة لهم، عمليات المبادلة، والخلافات التي أثارها هذا التنظيم.

الفصل الأول

كيف نشأ تنظيم القاعدة؟

ماذا كان تأثير الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي على الحركة الجهادية؟

عندما قام الاتحاد السوفييتي بغزو أفغانستان في عام 1979، أطلق سلسلة من الأحداث التي أسهمت تدريجياً في إنشاء تنظيم القاعدة. لقد شكل الاحتلال السوفييتي لأفغانستان ـ وهزيمته اللاحقة فيها ـ أساساً لأيديولوجية جماعة أسامة بن لادن واستراتيجيته وتنظيمه، ولا يزال هذا الاحتلال بمثابة نقطة اتصال هامة للحركة الجهادية بأكملها حتى يومنا هذا.

غزا السوفييت أفغانستان في كانون الأول 1979 لدعم النظام الشيوعي المحلي هناك. كانت السياسة الأفغانية مضطربة مسبقاً في أثناء تلك الفترة، وأسهم الغزو السوفييتي بإثارة انتفاضة واسعة حيث قامت بعض الجماعات الإسلامية والقبلية برفع السلاح في وجه المحتلين. كانت هذه الجماعات عبارة عن مجموعة متنوعة من المقاتلين يشار إليها مجتمعة باسم المجاهدين (المسلمون الذين يحملون السلاح باسم الإسلام). قاتل المجاهدون بشراسة وبالنسبة لأعداد الضحايا فهي في أحسن الأحوال تعتبر تقديرات تقريبية فقط، لكن السوفييت ربما فقدوا 15000 جندي، مع 50000 جريح إضافي بينما خسر المجاهدون أكثر من 75000 مقاتل وعلى أقل تقدير مثيلهم من الجرحى. لكن المدنيين الأفغان تحملوا الوطأة الأكبر من المعاناة، حيث قُتِلَ منهم ما يقارب مليون شخص بينما فرَّ خمسةُ ملايينٍ إلى المنفى عندما شن السوفييت حملة وحشية ضد هذا التمرد. أحرق السوفييت المحاصيل الزراعية وعاملوا المدنيين بوحشيّة في المناطق التي يشتبه في دعمها للمتمردين مما دفع الملايين إلى الفرار من البلاد. كانت باكستان تُعَدُّ أكبر ملاذٍ للاجئين لكنها أصبحت مركزاً هاماً للقتال ضد السوفييت.

كانت أفغانستان بلداً منعزلاً وغامضاً، وكان معظم المراقبين يعتقدون أن السوفييت سوف يقضون بسرعة على أي مقاومة قد تظهر هناك. ومع ذلك، وبسبب مقاومة المجاهدين بصلابة، استغلّت الولايات المتحدة (وبأسلوب الحرب الباردة) القتال المستمر كفرصة لاستنزاف الاتحاد السوفيتي وللتحقق مما قاله ويليام كيسي، مدير وكالة الاستخبارات المركزية آنذاك، حيث رأى الاتحاد السوفييتي تجسيداً لمفهوم «الإمبريالية الزاحفة».[1] وافق الرئيس جيمي كارتر وبالتعاون مع المملكة العربية السعودية المناهضة للشيوعية بشدة على طلبات من وكالة المخابرات المركزية وبعض أعضاء الكونغرس، وأشهرهم الممثل عن ولاية تكساس تشارلي ويلسون تتضمن تقديم المساعدة للمجاهدين. بدأت المساعدات السرية كالتمويل المحدود والأسلحة للقوات المعادية للشيوعية بالوصول حتى قبل أن يهجم السوفييت، ولكن نَمَت باطّراد في عهد الرئيس رونالد ريغان طوال الثمانينات وقدّمت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية في النهاية مليارات الدولارات كمساعدات للمجاهدين، بما في ذلك صواريخ ستينجر المحمولة من طراز (أرض ـ جو) المتطورة نسبياً.

حينما غدت أفغانستان بمثابة بيدق ضعيف على رقعة شطرنج الحرب الباردة، أصبحت أيضًا نقطة انطلاق للحركة الجهادية العالمية الحديثة. قام عبد الله عزام وهو عربي فلسطيني يعدُّ ناشطًا إسلاميًا مشهورًا، بالسفر إلى باكستان لدعم المجاهدين ودعا المسلمين في جميع أنحاء العالم إلى الالتفاف لدعم إخوانهم في أفغانستان. أصبح عزام المثال الأيديولوجي الرائد في الكفاح ضد السوفييت وأصدر فتوى في عام 1984 بعنوان «الدفاع عن أراضي المسلمين» زعَم بها بأن الكفار قد غزوا أراضي المسلمين وقهروا المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة، وأن القتال ضد السوفييت لم يكن مجرد واجب ديني للأفغان وحدهم بل كان واجبًا على كل المسلمين بشكل واجب جماعي (فرض كفاية) وواجب فردي (فرض عين).

شكّلَت وحشية الحملة السوفييتية دعاية مثالية لعزام، وقد غذّت المقاومة ضد الاتحاد السوفييتي هذه الفكرة المتنامية التي زُرِعت بذورها قبل الغزو في عام 1979 والتي تنصُّ على أن جميع المسلمين كانوا جزءًا من مجتمع واحد (الأمة). انصهرت مختلف المجموعات

---

(1) Quoted in S. Coll, Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001, New York, Penguin Press, 2004, p. 97.

القبلية والإسلامية المختلفة في بوتقة واحدة أثناء الاستعداد لمحاربة السوفييت حيث التقى الجهاديون المصريون بالمقاتلين السعوديين، واختلطوا بدورهم مع شخصيات باكستانية وليبية. ونتيجةً لذلك تحولت الأفكار والصراعات التي كانت في الماضي تقتصر على مجتمع واحد إلى مبادئ عامة تم تبنيها من قبل العديد من الشعوب. استغلّت الحكومة السعودية على وجه التحديد دعمها للمجاهدين لتعزيز شرعيتها ورحبت بالتحول في الميول الجهادية بعيداً عن محاربة ما يسمى بالأنظمة المرتدة إلى محاربة الغزاة السوفييت.

بالرغم من دعم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية للكفاح الأفغاني مالياً، لم تدعما تدفق المقاتلين العرب الدخلاء. ولأن الأفغان أنفسهم كانوا كثيرين في أعدادهم ولكنهم يفتقرون إلى المعدات والتجهيزات، فإن تشجيع المجندين الجدد الذين لا يتحدثون لغتهم للانضمام إلى المعركة كان عديم الفائدة. يناقش الباحث توماس هيغامر قائلاً: «لقد وافقت دول الخليج العربي والحكومات الغربية على تجنيد المقاتلين الأجانب، لكنهم لم ينظموا هذا التجنيد أو يموّلوه، إذ تم تمويل المقاتلين الأجانب من متبرعين من القطاع الخاص والقطاع الخيري الإسلامي غير الحكومي».[1] وكان كل ما قدَّمتهُ المملكة العربية السعودية هو دعم تذاكر الطيران إلى باكستان، لكن هذا الإجراء الذي من شأنه تسهيل أمور عمال الإغاثة كان قد ساعد في تدفق المزيد من المقاتلين الأجانب. على عكس الدعاية الجهادية السابقة، فإن تجميع المقاتلين الأجانب لم يحدث بين عشية وضحاها. مع انخفاض الوجود السوفييتي، زاد عدد «العرب الأفغان» أو كما أصبحوا معروفين باسم («الأفغان العرب»). لربما كان عدد المقاتلين العرب يقارب 100 مقاتل في عام 1985؛ لكن وبحلول عام 1989، وهو العام الذي غادر فيه السوفييت، ارتفع عدد المقاتلين الأجانب ما بين 5000 و20000 مقاتل جاء معظمهم من العالم العربي، ولكن جزءاً كبيراً منهم أيضاً جاء من باكستان.[2]

تعاونت جماعات المجاهدين الأفغانية مع بعضها البعض في بعض الأحيان، لكنها بقيت

---

(1) T. Hegghammer, «The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad,» International Security, vol. 35, no. 3, Winter 2010 2011,p.62,http://www.mitpressjournals.org.proxy.library.georgetown.edu/doi/ pdf/10.1162/ISEC_a_00023.

(2) P. Bergen, The Osama bin Laden I Know: An Oral History of al Qaeda's Leader, New York, Free Press, 2006, p. 41; Hegghammer, «The Rise of Muslim Foreign Fighters,» p. 61.

منقسمة أو حتى متعادية خلال معظم المعركة. كان العرب الأفغان منقسمون بالمثل: فبالرغم من أن معظمهم جاء لمحاربة السوفييت، لكنّ تباين مواقفهم تجاه حكوماتهم وتفسيراتهم للإسلام وعلاقاتهم مع المجموعات الأفغانية المختلفة شكّلَ اختلافاً جذرياً. أصبحت باكستان التي اتخذها معظم الأفغان العرب مقرًا لهم بمثابة مرتع للأفكار والشخصيات المتنافسة التي وبالرغم من انتمائها إلى نفس الحركة الجهادية الرئيسة إلّا أنها كانت منقسمة بشكل واضح في كثير من الأحيان.

شكّلت معركة جاجي عام 1987 حدثاً هاماً بالنسبة للعرب الأفغان بالرغم من أنها لم تكن حاسمة لكن المقاتلين العرب الدخلاء، بمن فيهم بن لادن، حاربوا بقوة وأصبحت قصة الصمود البطولي للمقاتلين العرب ضد الجيش السوفييتي العظيم نصرًا دعائيًا استغلوه لكسب أتباع جدد وبناء سمعتهم كمجاهدين محنّكين في القتال. ولكن هذه المآثر الشجاعة والموصوفة بشكل أسطوري كانت موضع تناقضٍ صارخ مع الهزائم التاريخية التي عانت منها الجيوش العربية على أيدي إسرائيل إضافةً إلى الركود السياسي والفساد اللذين بدا أن معظم العالم العربي قد غرق فيهما. قامت الصحافة العربية بتغطية المعركة على نطاق واسع، وروَّجت سمعة بن لادن على أنه المحارب العظيم الذي وقف بوجه قوة عظمى. في الواقع، إن الأفغان هم من حرروا أنفسهم بينما لم يفعل المتطوعون العرب ذوو التدريب الضعيف شيئاً سوى تقديم أرواحهم. ومع ذلك، وبالإضافة إلى إنشاء الهياكل التنظيمية والعلاقات طويلة الأمد التي ستستمر لفترة طويلة بعد انتهاء الصراع، خلقت المعركة ضد السوفييت أسطورة من شأنها أن تصبح ركيزة أساسية للالتفاف العالمي حول تنظيم القاعدة: وهي أن مجموعةً صغيرةً من المقاتلين الملتزمين، معززة بإيمانهم بالله، قادرين على مقاومة قوة عظمى وتغيير العالم. عندما انسحب السوفييت من أفغانستان ـ وبما يثير الدهشة أكثر، عندما انهار الاتحاد السوفييتي نفسه بعد ذلك بوقت قصير ـ ادعى الأفغان العرب الفضل في ذلك. في الواقع، لقد رأوا النضال ضد السوفييت كنموذج للعمل المستقبلي ينص على جرّ عدوٍ كافرٍ إلى ساحة قتال يتلاقى فيها مسلمو العالم ويطغون على العدو، معتمدين على استعدادهم للقتال والموت لهزيمة عدوٍ كان متفوقًا من الناحية التكنولوجية لكنه أدنى أخلاقياً. باستخدام هذا المنطق إضافةً إلى فكرة ربط المسلمين بعضهم ببعض وواجبهم في الدفاع عن بعضهم، سوف يحرّك كل مسلمي العالم للقتال في البوسنة والشيشان والعراق وسوريا وغيرها.

هل موّلت الولايات المتحدة بن لادن والقاعدة؟

على الرغم من أن الولايات المتحدة قدمت الأسلحة والمليارات من الدولارات للمجموعات الأفغانية التي تقاتل السوفييت، فإن بن لادن والأفغان العرب الذين يحملون الفكر نفسه «لم يتلقوا سوى مساعدة ضئيلة أو معدومة من الولايات المتحدة»، وفقًا للجنة 9/11.[1] ورأى بعض المراقبين هذا البيان بمثابة نذير لمحاولة تمويه الحقائق وتعتيمها. فشخص بمكانة روبن كوك، وزير الخارجية البريطاني السابق، كتب أن أسامة بن لادن في الثمانينيات «كان مدعوماً بالسلاح من وكالة المخابرات المركزية».[2] فضلًا عن ذلك، وصلت أموال الولايات المتحدة إلى أيدي مجاهدين مثل قلب الدين حكمتيار، الذي كان مقرّباً من المخابرات الباكستانية ولاحقاً من بن لادن. إن إلقاء نظرة أقرب على سياسة الولايات المتحدة وأهدافها يجعل استنتاج لجنة 9/11 بشأن نقص الدعم أكثر منطقية. وبالرغم من تزايد الحديث عنه، كان تأثير الأفغان العرب ضئيلاً في القتال ضد السوفييت. يصفُ عبد الله أنس، وهو عربي أفغاني قضى سنوات يقاتل السوفييت وكان مقربًا من بن لادن، دور الأفغان العرب على أنه «غيضٌ من فيض».[3] بالنسبة للمقاتلين المناهضين للسوفيت، لم تكن المشكلة تكمن في تعداد المقاتلين، إذ إن الكثير من الأفغان كانوا يعارضون السوفييت وكانوا متحمسين للقتال لكنهم يفتقرون إلى المعدات والتدريب. لم تكن واشنطن بحاجة إلى تشجيع المقاتلين الشباب غير المتمرّسين من العالم العربي للانضمام إلى المعركة. وعلى الرغم من أن بعض المقاتلين مثل بن لادن قدموا بتمويلهم الخاص، لكن معظمهم لم يعرفوا اللغة وكانوا في الغالب متعصّبين وغير متسامحين في معتقداتهم الدينية لذلك لم يكن لهذا الفعل أي مساهمة في دعم الحركة. وعلى الرغم من أن بن لادن وغيره من الأفغان العرب لم يكن تركيزهم موجه على الولايات المتحدة في هذه المرحلة، إلا أن معظمهم كانوا معارضين لأميركا بشدة ولم يكونوا توّاقين للتحالف معها. كما قدمت واشنطن الأموال لمحاربة السوفييت إلى باكستان التي بدورها

(1) «The 911/ Commission Report,» National Commission on Terrorist Attacks upon the United States, July 22, 2004, p. 56, http://www.9 11 ـcommission. gov/report/911Report.pdf.

(2) R. Cook, «The struggle against terrorism cannot be won by military means,» The Guardian, July 8, 2005, http://www.theguardian.com/uk/2005/jul/08/ july7.development.

(3) A. Anas, Wiladat «al ـ Afghan al ـ 'Arab»: Sirat Abdullah Anas bayn Mas'ud wa 'Abdullah 'Azzam [The Birth of the Arab Afghans: The Autobiography of Abdullah Anas between Masoud and Abdullah Azzam] (Arabic), London, Dar Al Saqi, 2002.

قامت بالكثير من أمور الدعم اليومية. أدلى المسؤولون الأمريكيون وقادة تنظيم القاعدة ومسؤولو الاستخبارات الباكستانية بتصريحات يُنكرون فيها تواجد أي علاقة فيما بينهم، وفي الواقع، كان هذا التوافق في نوع التصريحات مثيراً للشك نوعاً ما. يؤكد الباحث توماس هيغامر أنه بالرغم من دعم الحكومتين الأمريكية والسعودية للمجاهدين الأفغان، لم يساعدا بشكل مباشر حركة المقاتلين العرب الدخلاء.[1] لكن في بعض الأحيان يصبح تصديق نظرية المؤامرة التي تستحضر مفهومي الغطرسة والعقاب أسهل بكثير من تصديق الحقيقة. ويشير الخبير في شؤون القاعدة بيتر بيرغن قائلاً: «هذا أحد الأشياء التي لا يمكنك تجاهل ما سببته من الآلام. إن قصة بن لادن ووكالة المخابرات المركزية ـ أي أنّ وكالة المخابرات المركزية قامت بتمويل وتدريب بن لادن ـ هي محض خرافة. القصة الحقيقية تكمن في أن وكالة المخابرات المركزية لم تدرك حقيقة أسامة حتى عام 1996».[2]

لماذا تأسَّس تنظيم القاعدة؟

أعلنت موسكو في نيسان 1988 بأن قواتها ستغادر أفغانستان في الأشهر التسعة المقبلة لكن هذا الإعلان قد جعل الجهاديين العرب في حالةٍ من الغبطة والانقسام في نفس الوقت. تدفق المئات، بل الآلاف، من العرب إلى أفغانستان وباكستان طوال أواخر الثمانينيات لمحاربة الشيوعيين الملحدين، وبالنسبة للبعض (مثل المصريين والليبيين) فقد أرادوا أن يجدوا ملاذاً من الأنظمة العنيفة التي عارضوها في بلادهم. وبشكلٍ فجائي، كان الجهاد المعادي للسوفييت ينتهي بانتصار غير متوقع.

عاد بعض المقاتلين إلى أوطانهم ولم يقوموا بحمل السلاح مرة أخرى، بينما حَوّل آخرون غضبهم ضد حكوماتهم مما شكَّل ثورة عنيفة. استمر قلة منهم في القتال في الخارج كالقتال في أفغانستان ضد نظام ما بعد الاتحاد السوفييتي أو لصالح واحد أو أكثر من الفصائل الأفغانية المحلية المتنازعة، وانتشروا أيضاً وفي أراضي جديدة مثل البوسنة والشيشان وحيث بدا المسلمون تحت الحصار. شرع بن لادن والقاعدة في رحلتهم الفريدة تلك، التي ستلاقي في طريقها العديد من الجهاديين، ولكن سيكون لها في النهاية وجهة مختلفة تمامًا. بدا

(1) Hegghammer, «The Rise of Muslim Foreign Fighters,» p. 62.

(2) P. Bergen, «Bergen: Bin Laden, CIA Links Hogwash,» CNN, September 6, 2006, http://www.cnn.com/2006/WORLD/asiapcf/0815//bergen.answers/ index.html?section=cnn_latest.

النصر ضد السوفييت معجزة: فمجموعة قليلة من المقاتلين، مسلحين بالإيمان والقليل من المعدات، هزمت أحد أقوى الجيوش في التاريخ. ومن ثمّ سعى تنظيم القاعدة إلى الاستفادة من هذا الحماس والمبادئ والأسس التي تطورت على مر السنين لتسهيل الجهاد الأفغاني. أنشأ عبد الله عزام، وهو رمز العقيدة الرئيسة للجهاد المناهض للسوفييت، «مكتب الخدمات» بدعم مالي من بن لادن بغية حشد المقاتلين الأجانب ضد السوفييت. كان مكتب الخدمات بمثابة المكتب المركزي أو مركز التحكم والتوجيه المصمم لتسهيل نقل الأشخاص من وإلى ساحة المعركة وتموينهم، وجمع الأموال، وإصدار مواد الدعاية، والعديد من الأمور الأخرى. وأنشأ بن لادن أيضًا معسكرًا تدريبيًا في أفغانستان، يُطلق عليه اسم مسعدة الأنصار (عرين المؤيدين)، الذي كان مكرسًا لتدريب المقاتلين العرب. وحثّ أبو عبيدة البنشيري، الذي أصبح القائد العسكري للقاعدة قائلاً: «الآن وقد انتهى الجهاد، يجب ألا نضيع هذا الإنجاز ويجب أن نستثمر هؤلاء الشباب ونحشدهم تحت نهج بن لادن».[1] في الواقع، كان عدد متزايد من المجندين يتدفقون حتى بعد اندحار السوفييت، ففي عام 1984، كان هناك ما يقارب العشرين مقاتلاً من المجاهدين العرب. ولكن بحلول عام 1989، ارتفع هذا العدد إلى 500 مقاتل، إلى جانب الآلاف من الآخرين ممن قاموا بالأعمال الإغاثية والإنسانية.[2] ومع ذلك، فإن مسألة ما يجب على العرب الأفغان القيام به بالضبط أحدث انشقاقاً بين عزام وبن لادن. كان الاثنان من مناصري قادة أفغان مختلفين خلال الكفاح ضد السوفييت، وبينما شارك بن لادن في الصراع الأفغاني الذي أعقب ذلك، دعا عزام إلى الوحدة بين الجماعات الأفغانية واعتقد أنه ينبغي على العرب أن يبتعدوا عنها تمامًا. وبما يتعلق بالأمور خارج الصراع الأفغاني، لم يرغب عزام في تركيز النشاط على أنظمة الحكم المرتدّة أو التورط في أعمال عنف بين المسلمين أنفسهم ـ على عكس الظواهري والعديد من العرب الأفغان الآخرين الذين ما زال هدفهم إسقاط أنظمة الحكم في بلادهم. بدلاً من ذلك، دعا عزام إلى التركيز بشكل أساسي على أفغانستان ما بعد الاتحاد السوفيتي، حيث لا يزال النظام الشيوعي يحتفظ بالسلطة، وفور الانتصار بتلك الحرب يجب النظر بوضع فلسطين، فرأى فيها عزام استيلاء غير المسلمين على أرض إسلامية. كان الظواهري مناهضاً علنياً لسياسة عزام، حتى أنه حاول اتهامه بأنّه

(1) Quoted in Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 83.

(2) A. Strick Van Linschoten and F. Kuehn, An Enemy We Created: The Myth of the Taliban ـ Al Qaeda Merger in Afghanistan, New York, Oxford University Press, 2012, p. 51.

عميل لأميركا والسعودية.[1] وقد تكون الاتهامات بسوء إدارة مكتب الخدمات مالياً قد لعبت دوراً أيضاً في قرار بن لادن الابتعاد عن عزام.[2] كانت ثروة بن لادن الشخصية سبباً لزيادة تعقيد الوضع بين المجاهدين، فقد جعلته تلك الثروة فريداً بين العرب الذين توافدوا على أفغانستان كما وضَّح أحد قادة المجاهدين الأفغان للصحفي بيتر بيرغن قائلاً: «بصراحة، لم نهتم ببن لادن ولم نلاحظ وجودهُ كثيرًا. الشيء الوحيد الذي كان يمتلكه هو المال. كل ما في الأمر أنه كان غنيًا».[3]

أسهم المصريون، وخصوصاً الظواهري، جزئياً في إنشاء القاعدة لاستغلال ثروات بن لادن وعلاقاته من أجل تمويل كفاحهم ضد نظام مبارك؛ ولعله ليس من المستغرب إذاً أن يشغل المصريون في نهاية المطاف مناصب مسؤولين كبار في التنظيم بالإضافة لدور المرشدين في معسكرات تدريب القاعدة. وبغضّ النظر عن مزيج الدوافع الشخصية والاستراتيجية والإيديولوجية والمالية التي أدت إلى إنشاء تنظيم القاعدة، فقد كان تخطيط بن لادن مختلفاً منذ البداية للمضي في مسار مختلف عن ذاك الذي سلكهُ العرب الأفغان الآخرون. تم تأسيس تنظيم القاعدة رسميًا تحت قيادة بن لادن في اجتماع عقد في بيشاور في آب عام 1988. أراد بن لادن إنشاء حركة طليعية جهادية، وهو مفهوم نادى به المفكرون الجهاديون مثل سيد قطب، من شأنه دعم صراعات المسلمين في جميع أنحاء العالم بما في ذلك الانتفاضات ضد ما يسمى بالأنظمة المرتدة في العالم الإسلامي. باستخدام هذا المبدأ ستحقق القاعدة ثلاثة أهداف متصلة ومميزة: أولاً، ستعمل كمجموعة إرهابية بحد ذاتها؛ ثانياً، ستواصل دور مكتب الخدمات في المساعدة لتنظيم وتدريب وتوفير الخدمات اللوجستية للجهاديين المسلمين ـ ولكن هذه المرة لدعم الكفاح في جميع أنحاء العالم، وليس فقط في أفغانستان؛ وثالثاً، ستحاول توحيد وقيادة وإعادة توجيه الحركة الجهادية العالمية بطريقة تعطيها غرضاً وهدفاً أكبر.

تقدّم محاضر هذا الاجتماع والاجتماعات التمهيدية الأخرى نظرة ضمنيّة على ولادة

(1) Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 95.

(2) M. Al ـ Zayyat et al., The Road to Al Qaeda: The Story of Bin Laden's Right ـ Hand Man, London, Pluto Press, 2004, p. 70; R. K. Cragin, «Early History of Al ـ Qa'ida,» The Historical Journal, vol. 51, no. 4, 2008, p. 1055.

(3) Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 105.

المجموعة التي ستصبح ذات يوم البُعبُع المخيف لدول الغرب. ودعا الأعضاء إلى اختيار «الإخوة الأفضل» فقط ليتم اختيارهم بعد أن تم اختبارهم في معسكرات التدريب كما يوضّح أحد الأفغان العرب القدامى: «لقد كانوا حذرين للغاية في اختيار أو تجنيد أي شخص».[1] كان يتوجب على الأعضاء أن يكونوا على استعداد تام لتقديم التزام طويل الأمد، وأن يكونوا منضبطين ومطيعين ويتمتعوا بالأخلاق الحميدة. وعلى الرغم من أن القاعدة ستدعم مجموعات تضم الآلاف من المجندين وقضايا تجذب الملايين من المتعاطفين معها، ستبقى هذه المنظمة المركزيّة في الطليعة وسوف تكون محدودة الأعضاء دائمًا.

كان تنظيم القاعدة في البداية صغيراً وذا أهمية هامشيّة. أما بالنسبة لشخصيات مثل عمر عبد الرحمن، الملقب «الشيخ الأعمى» والمدان بجريمة شائنة، وهو يقضي حاليًا عقوبة بالسجن مدى الحياة في الولايات المتحدة بسبب تورطه في تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993 (بالإضافة إلى هجمات أخرى)، فقد كان لها سمعة أوسع نطاقًا واهتمام وتمييز بشكل خاص. وحافظ نشطاء مهمون مثل رمزي يوسف، العقل المدبر لهجوم عام 1993، على استقلالهم المتعلق بالعمليات الحربية عن القاعدة. ووضَّحت لجنة الحادي عشر من أيلول أنه من المضلل تطبيق التسمية «عمليات القاعدة» على العديد من الهجمات التي شنّتها المنظمات الجهادية في أوائل التسعينيات،[2] حيث أنه من خلال متابعة الوقائع يبدو جلياً أن تركيز القاعدة على الولايات المتحدة لم يأت إلا بعد عدة سنوات من تأسيسها. ومع ذلك، فإن طموحات مؤسسي القاعدة والإطار التنظيمي الذي تصوّروه ما زالا يشكلان روح التنظيم حتى يومنا هذا.

ماذا فعل تنظيم القاعدة في السودان؟

أطاح الفريق عمر حسن أحمد البشير بنظام الصادق المهدي في انقلاب عسكري بتاريخ 30 حزيران من عام 1989. كانت حكومة البشير الجديدة دكتاتورية عسكرية ذات طابع كلاسيكي، ولكن لتعزيز سلطته، تحالف البشير مع الإسلاميين السودانيين، وعلى وجه الخصوص مع حسن الترابي، وهو عالم إسلامي بارز مرتبط بحركة الإخوان المسلمين في السودان. كان الترابي هو الأيديولوجي المهيمن والشخصية السياسية الرئيسة في السودان

---

(1) Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 82.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 59.

حتى منتصف التسعينيات. لقد دعم فكرة أسلمة السودان واحتضن المتطرفين الإسلاميين السنّة من جميع أنحاء العالم.

دعا الترابي بن لادن إلى توسيع رقعة نشاطه في السودان عام 1990،[1] وانتقل هو والتنظيم إلى السودان في الفترة بين عامي 1991 ـ 1992، وهو الوقت الذي انحدر فيه الجهاد الأفغاني إلى مرحلة المشاحنات الداخلية إضافة لتزايد الضغط من الجانب الباكستاني على الجهاديين العرب لمغادرة البلاد. حافظ التنظيم على وجوده في باكستان واستمر في الإشراف على تدريب بعض المرتزقة هناك كما غادر الكثير من الجهاديين في ذلك الوقت إلى بلدانهم الأصلية أو إلى أجزاء أخرى من العالم. تبرّع بن لادن عقب وصوله إلى السودان بملايين الدولارات إلى الترابي وتنظيمه السياسي الذي يسمى» الجبهة الإسلامية الوطنية«. كما استثمر بن لادن الملايين في اقتصاد السودان مما ساعد جهود الحكومة الإسلامية في إخضاع الجنوب المسيحي إضافةً لجهود أخرى جعلتهُ يندمج بشكل وثيق في الحياة السياسية والاقتصادية السودانية. وعلى الرغم من أن بعض الشركات التي أنشأها بن لادن كانت تدرّ أرباحاً وتوفر الدعم المالي للخلايا القتالية المحلية، كان معظم هذه الشركات خاسرة.

لم تكن القاعدة هي المجموعة الوحيدة التي كانت تعمل في السودان خلال هذه الفترة حيث أن حماس وحزب الله وعدد من الجماعات الإرهابية الأخرى كانت نشطة هناك. كما قامت منظمة أيمن الظواهري أو كما تُعرف بمنظمة الجهاد الإسلامي المصرية بنقل نشاطها السودان في عام 1989. علاوةً على ذلك، كانت إيران ترسل باستمرار ممثلين إلى السودان لمحاولة العمل مع الإرهابيين هناك في أوائل التسعينيات. لم يكن مطلوبًا من العرب الحصول على تأشيرة لدخول السودان مما مكّن المتطرفين الذين تم احتجاز جوازات سفرهم من دخول البلاد بسهولة؛ كما أصدرت الخرطوم جوازات سفر سودانية لأعضاء من مختلف المجموعات العربية المقاتلة الذين ذهبوا إلى السودان.

كان السودان نفسه راعياً رئيساً للإرهاب في هذا الوقت نظراً لدعمه لمثل هذه المجموعات المتنوعة من الجماعات الإرهابية. اشترك مسؤولون سودانيون في التخطيط واللوجستيات لهجوم عام 1993 على مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك وقدموا الملاذ والتدريب

(1) L. Wright, The Looming Tower: Al ـ Qaeda and the Road to 911/, New York, Alfred A. Knopf, 2006, p. 163.

ووثائق السفر والأسلحة للعديد من المنظمات الإرهابية.[1] وفي العام نفسه، وضعت الولايات المتحدة السودان على قائمة الدول الراعية للإرهاب.

كان تركيز تنظيم القاعدة في البداية خلال فترة وجوده في السودان موجهاً نحو دعم الجهاديين في العالم الإسلامي بالتدريب والمال والمساعدة الميدانية. أسس بن لادن مجلس شورى الجيش الإسلامي لتنسيق مختلف الجماعات الإرهابية والمتمردة الجهادية، وضم شخصيات بارزة من تنظيم القاعدة مع زعماء الجماعات الأخرى من جميع أنحاء العالم. عمل التنظيم مع المقاتلين والجماعات في جميع أنحاء العالم العربي، بما في ذلك الجزائر ومصر والعراق والأردن ولبنان وليبيا والمغرب وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية وتونس واليمن. دعم بن لادن أيضًا المقاتلين والمرتزقة في العالم الإسلامي الأبعد، بما في ذلك البوسنة وبورما وتشاد وإريتريا وإندونيسيا والفلبين وطاجيكستان.[2] في الواقع، لم تكن هذه الجماعات جزءًا من تنظيم القاعدة بل كانت جزءًا من الشبكة الجهادية العالمية التي سعى التنظيم إلى تعزيزها وتقويتها.

كانت مصر بارزة بشكل خاص نظراً إلى التقدم الواضح الذي تم إحرازه هناك من قبل الجماعة الإسلامية المصرية وحركة الجماعة الإسلامية في نضالهما ضد الحكومة المصرية، إضافةً إلى أهمية مصر للحركة الإسلامية بشكل عام وقربها من السودان. كانت الحدود الكبيرة وغير الخاضعة للحراسة بين البلدين والتي كان يعبرها المهربون باستمرار بمثابة تسهيل للنشطاء ساعدهم بالانتقال من السودان إلى مصر. وكان الشيخ عمر عبد الرحمن الشخصية الدينية الجهادية المصرية الرائدة، يعيش في السودان في أوائل التسعينيات قبل مغادرته إلى الولايات المتحدة (حيث هو مسجون حاليًا). ووفقًا لتقدير أحد الباحثين، بحلول نهاية عام 1991، عاش ما يقارب ألف مقاتل مصري ممن ينتمون إلى الجماعة الإسلامية المصرية وحركة الجماعة الإسلامية في السودان؛ وكان الكثير منهم مقاتلين مصريين شاركوا في القتال في أفغانستان.[3] ومع ركود هذه الصراعات وتزايد غضب بن لادن من المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة، بدأت القاعدة في تحويل تركيزها نحو الولايات المتحدة.

(1) J. M. Barr and R. O. Collins, Revolutionary Sudan: Hasan al ـ Turabi and the Islamist State, 1989–2000, Leiden, Netherlands, Koninklijke Brill, 2003, p. 121.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 58.

(3) A. M. Lesch, «Osama bin Laden's 'Business' in Sudan,» Current History, vol. 101, no. 655, 2002, p. 203.

أثبت التفاعل بين الجهاديين في السودان أهمية استثنائية لمستقبل رؤية القاعدة للجهاد العالمي واختلطت هذه المجموعات ببعضها البعض حيث بدأت تعاليم وأفكار مجموعة معينة تجد مناصرين لها في الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، تدربت المجموعات وتعلمت كيفية التنظيم بطريقة سرية في السودان. شكَّل بن لادن في السودان أو بحسب تعبير أحد الباحثين: «احتضن» مجموعة من الشبكات أثبتت فيما بعد فعاليتها المبهرة للمنظمة الإرهابية.[1] بدأ دعم السودان للإرهاب في التغير تدريجياً وبشكل كبير في عام 1995. في يونيو من ذلك العام، لجأ الجهاديون المصريون إلى السودان، وحاولوا اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك بدعم من الحكومة السودانية عندما زار إثيوبيا. تصاعَد الضغط من المملكة العربية السعودية ومصر وليبيا والولايات المتحدة ودول أخرى عندما رفض السودان تسليم المجرمين، مما دفع الأمم المتحدة إلى فرض عقوبات في عام 1996. بمرور الوقت، دفع هذا الضغط الخرطوم إلى تخفيف احتضانها لمختلف الجماعات المتطرّفة. طرد السودان العديد من المقاتلين الليبيين بعد ضغوط من حكومة معمر القذافي، ومنع المقاتلين العرب من الدخول، وانتقل في نهاية المطاف للسيطرة على أو طرد الوجود العسكري المصري نهائياً في البلاد. لم تكن ثروات بن لادن ومكانته كافية لحماية أتباعه من الحملة المنسّقة لطردهم.

بدأ المسؤولون السودانيون مناقشات مع الولايات المتحدة حول سبل تخفيف الضغط الدولي، ودَعَت الولايات المتحدة لطرد بن لادن إلى المملكة العربية السعودية ووضع حد لدعم السودان للإرهاب بشكل عام. ومع ذلك، لم تكن المملكة العربية السعودية تريد وجود بن لادن ضمن أراضيها خوفًا من ردود أفعال العديد من مناصريه إذا قررت السعودية زجَّه في السجن. بدلاً من ذلك، طلب الترابي من بن لادن ومنظمته مغادرة البلاد، وعاد بن لادن وأعوانه مرة أخرى إلى أفغانستان في عام 1996. وبحسب ما ورد استولى السودان على جميع ممتلكات بن لادن وغيرها من مصادر الدخل داخل السودان والتي كانت بمثابة نكسة مالية كبيرة للمنظمة وقيَّدت قدرتها على توجيه الحركة الجهادية الأوسع في ذلك الوقت.

(1) M. Taylor and M. E. Elbushra, «Research Note: Hassan al ـ Turabi, Osama bin Laden, and Al Qaeda in Sudan,» Terrorism and Political Violence, vol. 3, no. 18, September 2006, pp. 449–464.

ماذا كانت الأهداف الأولية تنظيم القاعدة؟

أكّد تنظيم القاعدة أن «أجندتنا هي أجندة الحرب»، وبالتالي أعلن أنه لن يركز على المسائل الإنسانية، على عكس العديد من الجماعات الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، تعهَّد بأن يكون «العدو المستمر» لطغاة العالم بينما يدعم الجهاديين في أفغانستان. وتحقيقًا لهذه الغايات، سيعمل التنظيم على «تعزيز الوعي الجهادي» و«إعداد وتجهيز» الكوادر الجهادية، وتنسيقها لإنشاء «حركة جهاد دولية موحدة».[1] ومن الواضح أن التركيز بشكل رئيس على الولايات المتحدة غائبًا عن هذه الأهداف الأولية.

تعودُ نشأة تنظيم القاعدة في باكستان إلى الصراع ضد السوفييت في أفغانستان المجاورة خلال فترة الثمانينيات، واستمرّ التنظيم بالتركيز على أفغانستان وباكستان حتى بعد سقوط الاتحاد السوفييتي. كان أول عمل إرهابي لتنظيم القاعدة هو محاولة اغتيال فاشلة ضد ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه في روما عام 1991. وعلى الرغم من أن معظم القادة كانوا قد أجمعوا في البداية على أن التركيز يجب أن يكون على أفغانستان، إلا أنهم اختلفوا حول أي فصيل من بين هذه الفصائل المتنازعة المناهضة للسوفييت يجب على التنظيم أن يدعمه. ومع بدء الصراع في أفغانستان بالتحول من «الحرب المقدسة» إلى الاقتتال الداخلي بين مختلف المتنافسين المسلمين على السلطة، بدأ الاهتمام الجهادي الدولي في البلاد بالتلاشي. شهدت السنوات الأولى للقاعدة مناقشات مستمرة في الأوساط الجهادية حول هوية العدو الذي يجب أن يكون المحور الرئيس للحركة وحتى بن لادن نفسه بدا متزعزع الرأي متخبطاً من سبب إلى سبب ومن عدوٍ لآخر. رأى الكثيرون فلسطين هدفاً مقبلاً، إلّا أنه لم يتم فعل الكثير لتحقيق هذه الغاية. وبدورها طالبت الجماعات الباكستانية الجهاديين بالانضمام إلى الحرب ضد الهند. عاد بن لادن لفترة وجيزة إلى المملكة العربية السعودية من أفغانستان في عام 1989 وأصبح محتدّاً عندما دعت الحكومة السعودية 250 ألف جندي أمريكي وقوات غربية أخرى للدفاع عن الأرض المقدسة للمملكة ضد العراق بعد الغزو العراقي للكويت عام 1990. بعد أن وضعه المسؤولون السعوديون رهن الإقامة الجبرية، هرب بن لادن مجدداً إلى باكستان لكنه شَعَرَ بغضبٍ كبير من الحكومة السعودية ظهرَت نتائجهُ في السنوات اللاحقة.

(1) «Al Qa'ida's Structure and Bylaws [English translation],» internal Al Qaeda document, Harmony Project document #AFGP 600048 ـ 2002 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https://www.ctc.usma.edu/posts/al ـ qaida ـ bylaws ـ english ـ translation 2 ـ.

تمّ النظر إلى اليمن ـ وهي موطن أسلاف بن لادن ـ مرارًا وتكرارًا على أنها قاعدة محورية وتركيز جديد لَهُ، وبالفعل أصبح نشطًا في دعم الجهود المعادية للشيوعية هناك. وبحلول عام 1994، تم دحر الحركة الشيوعية. ولم يكن السكان المحليون يرحبون أو يتوقون إلى احتضان تنظيم القاعدة. في الواقع، وجد ممثلو القاعدة أنهم أصبحوا غارقين في السياسات القَبَليّة اليمنية المنقسمة بدلاً من جمع المسلمين تحت راية الجهاد.[1] وعندما اندلعت الحرب في البوسنة عام 1992، توافد العديد من الجهاديين على ذلك الصراع باعتباره الساحة التالية للجهاد.

تعود هذه الحيرة والتردد إلى الطبيعة الفريدة للتنظيم: حيث ولأنه كان يهدف إلى الدفاع عن المسلمين في كل مكان، لم يكن لتنظيم القاعدة أولوية واحدة. وعلى الرغم من أنه بدا نعمة للمنظمة المتعثرة عندما وجد بن لادن ملاذاً ملائماً في السودان، زاد هذا التطور الأمر سوءًا في النهاية. بدا بن لادن منشغلاً بالشركات التي كان يديرها هناك وغير متأكد من المكان الذي سينقل إليه المنظمة؛ في إحدى المراحل، وردت أنباء عن بن لادن أنه أخبر العديد من مساعديه قراره بالتخلي عن فكرة الجهاد تمامًا وأنه سيصبح مزارعاً. لسوء الحظ، لم تستمر رحلة الأفكار هذه طويلاً لكنّ بن لادن استمر في دعم الجهاد. ومع ذلك، استمرّت المنظمة بالتشتّت: وخلال هذه الفترة، زعمت تورطها في الهجمات على القوات الأمريكية في الصومال واليمن، وساعدت المقاتلين المصريين في صراعهم ضد حكومة مبارك، ودعمت المقاتلين في البوسنة وطاجيكستان والفلبين، والعديد من الأماكن أخرى.[2]

تأثَّرت الحركة في سنواتها الأولى بخلفيات قادتها الأساسيين. فعلى الرغم من أن كادر القادة المصريين كانوا قد منحوا كل مهاراتهم العملية والميدانية، إلّا أنهم قد ساعدوا أيضًا في دفع الحركة نحو التركيز على مختلف الأنظمة «المرتدة» في العالم الإسلامي، وبالطبع، أحد أسوأ تلك الحكومات المرتدين كانت في مصر. تغيَّر نهج بن لادن تجاه هؤلاء القادة المسلمين بمرور الوقت، وفي عام 1986، رفض بن لادن بشكل واضح الادعاءات بأن القادة المسلمين الحاليين كانوا مرتدين وأنّهُ يجب الإطاحة بهم. كان الجهاد في نظر بن لادن يهدف إلى محاربة الظالمين الكافرين (الاتحاد السوفيتي وإسرائيل والهند وما إلى ذلك)، وليس الأنظمة

(1) Wright, The Looming Tower, p. 154; Coll, Ghost Wars, pp. 221–222; Cragin, «Early History,» p. 1057.

(2) Cragin, «Early History,» p. 1059; Wright, The Looming Tower, pp. 167–169.

الإسلامية. وبالرغم من ذلك، غدت وجهات نظر بن لادن للأنظمة العربية مظلمة بشكل مطرد وخصوصاً تجاه آل سعود، وشكّل اعتقال مجموعة من الشيوخ السعوديين المعارضين الذين انتقدوا الملكية السعودية علناً لفشلها في الدفاع عن الإسلام في عام 1994الشرارة الأساسية التي دفعت بن لادن نحو التمرد المفتوح. وبحلول عام 1995، أعلن بن لادن أخيرًا أن الأنظمة العربية هي عبدة الأوثان، وبالتالي ليست من أتباع الله الحقيقيين. في عام 1996، أصدر فتوى علنية انتقد فيها السعودية بشدة و«العدو الأمريكي المحتل»، وربَط ما بين النضال المحلي والصراع ضد الولايات المتحدة بطريقة أصبحت تُعتبر السمة المميزة للقاعدة.

ما سبب تركيز التنظيم في نشاطه على الولايات المتحدة؟

لم يكن لدى بن لادن اهتمام كبير بمهاجمة الولايات المتحدة عندما انتقل إلى أفغانستان لأول مرة. لكن وبمرور الوقت، أصبح لدى بن لادن مزيج من الغضب تجاه الانتهاكات الأمريكية إضافةً إلى أيديولوجيته المتغيرة وتغييرات عامة في المشهد الاستراتيجي ساهمت في تغيير اهتماماته واهتمامات التنظيم ككل على حد سواء. على الرغم من أن بن لادن لم يكن مهووسًا بالولايات المتحدة في البدايات الأولى لتشكيل المنظمة، أسهم هذا الموضوع برسم تفكيره بوضوح. ويبيّن خبير الإرهاب بيتر بيرغن أنه في بدايات عام 1984، رفض بن لادن أكل أو شرب المنتجات الأمريكية بسبب دعم الولايات المتحدة لإسرائيل. وفي عام 1987، عند اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، حوّل بن لادن عاداته الخاصة إلى واجبات عامّة من خلال الدعوة إلى مقاطعة المنتجات الأمريكية.

زاد غضبُ بن لادن بشكلٍ أكبر عقب انتشار قوات الولايات المتحدة في المملكة العربية السعودية نتيجة الغزو العراقي للكويت في عام 1990 وكان لحرب الخليج ـ وما ارتبط بها من وجود قوات «كافرة» في شبه الجزيرة العربية ـ دوراً هاماً في إيقاد غضبه الدفين على الأمريكيين. في عام 1992، أصدرت القاعدة فتوى تحث على الجهاد لمحاربة الاحتلال الأمريكي للمملكة العربية السعودية وأراضٍ إسلامية أخرى.[1] أصدر ممدوح سالم، أحد أبرز العقائديين والفاعلين في تنظيم القاعدة، أحكاماً تدعو إلى شن ضربات ضد الولايات المتحدة بسبب استمرار وجودها العسكري في المملكة العربية السعودية وتدخلها في الصومال؛ وأقرَّ

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 59.

أيضًا أنّ موت المدنيين يعتبر أمراً مقبولاً في مثل هذه الهجمات.[1] وخلال هذه الفترة تقريبًا، بدأ التخطيط لتفجيرات سفارتي الولايات المتحدة شرق إفريقيا عام 1998 والتي تعتبر أحد أكبر هجمات القاعدة قبل 11 أيلول.

بعد أن تم طرده من السودان، ساهمت عودة بن لادن إلى أفغانستان بمساعدته على جعل أهدافه أكثر عمومية. في عام 1996، أصدر بن لادن فتوى عامة مطوَلة تدعو المسلمين إلى مقاطعة البضائع الأمريكية وطرد القوات الأمريكية من شبه الجزيرة العربية. أعلن بن لادن أن طرد الولايات المتحدة هي الأولوية القصوى بالنسبة للمسلمين بعد تأكيد إيمانهم بالله. ومجّد في هذا البيان أيضاً الهجمات المختلفة على الأمريكيين، مثل تفجير ثكنات المارينز عام 1983 في بيروت، لبنان؛ تفجير عام 1992 لفندق يُزعم أنه مستحوذ من قبل الجنود الأمريكيين في عدن، اليمن؛ حادثة «بلاك هوك داون» في الصومال عام 1993؛ وهجمات عامي 1995 و1996 على مجمعات تضم أعدادًا كبيرة من الأميركيين وسكّان الدول الغربية في المملكة العربية السعودية (يُرجَّح أنّ هجوم عام 1995 قام به مسلحون يفترض أنهم من مناصري بن لادن، وأن الهجوم الثاني عام 1996 شنّته إيران).[2]

على الرغم من تحرك التنظيم باتجاه الولايات المتحدة، إلّا أنه لم يتخل عن تركيزه على أنظمة المرتدين وطرد المحتلين الأجانب الآخرين. تتضمن فتوى عام 1996 مشروع قانون عقوبات ضد نظام آل سعود الحاكم، متهماً إياها بتعليق الشريعة الإسلامية، وتبديد ثروات البلاد النفطية، وتجاهل محنة الفلسطينيين، والسماح «للصليبيين» بالدخول إلى الأراضي المقدسة، إضافةً إلى جرائم أخرى. كما تشيد الفتوى بالنزاعات في الشيشان ضد الروس والصراع في البوسنة ضد الصرب. ومع ذلك، فإن بن لادن كان واضحاً أيضًا بخصوص الأميركيين واليهود واصفهم بأنهم «يمثلون رأس الحربة» وبالتالي يستحقون العقاب الأكبر.[3]

بصرف النظر عن الكراهية الحقيقية للولايات المتحدة وسياساتها، فإن التركيز على

(1) See the testimony of Jamal al ـ Fadl in United States of America v. Usama bin Laden et al., Indictment S(9) 98 Cr. 1023 LBS, pp. 267–269.

(2) Full text available at «Bin Laden's Fatwa,» PBS Newshour, August 23, 1996, http://www.pbs.org/newshour/updates/military ـ july ـ dec96 ـ fatwa_1996/.

(3) «Interview: Osama Bin Laden,» PBS Frontline, May 1998, http://www.pbs. org/wgbh/pages/frontline/shows/binladen/who/interview.html.

الولايات المتحدة كان وسيلة لتوحيد حركة كانت متضاربة منذ وقت طويل حول قرار تحديد الصراعات المحلية التي يجب التشديد عليها. وفقًا لمنطق بن لادن، فإن هزيمة أمريكا أو مايسميها بن لادن «رأس الأفعى»، كانت الخطوة الأولى للفوز بكل هذه الصراعات المحلية. عندما تشجب القاعدة ما تعتبره اضطهادًا إسرائيليًا للفلسطينيين أو اضطهاد الهند لشعب كشمير، فإن الولايات المتحدة تُصوَّر على أنها المحرك الأساسي لكل هذه الأفعال. نشر بن لادن تصريحاً بعنوان «رسالة إلى الشعب الأمريكي» عام 2002 قائلا: «إن قتالنا ضد هذه الحكومات ليس منفصلاً عن معركتنا ضدكم». اعتقَدَ الظواهري أيضًا أن المسلمين استوعبوا أهميّة محاربة إسرائيل وأمريكا وأن هذا سيكون له ترحيب على نطاق واسع أكثر من الأهداف الأخرى. في الواقع، وعلى الرغم من أن القاعدة تكره الاعتراف بذلك، إن تحول النشاط إلى الولايات المتحدة حدث أيضًا بسبب الإخفاقات في أماكن أخرى. بحلول عام 1996، بدا أن الجهاديين في الجزائر والبوسنة والشيشان ومصر وغيرها من ساحات الجهاد بدأوا بفقدان قوتهم؛ لذلك، كان التركيز على الولايات المتحدة وسيلة لإعادة إحياء الحركة من جديد. وعلى الرغم من ذلك، عارض العديد من الجهاديين هذا التحول. في الواقع، استغرقت إستراتيجية «العدو البعيد» التي دافع عنها بن لادن سنوات عديدة لتصبح شائعة بين عامة الشعوب. في الحقيقة، يرى البعض الولايات المتحدة على أنها عدوٌّ قوي للغاية لا يمكن مواجهته. ويوضّح أحد الجهاديين قائلاً «أمريكا تعرف كل شيء عنا. إنها تعرف حتى نوع ملابسنا الداخلية».[1] والأهم من ذلك أن معظم المقاتلين ظنوا (بشكل منطقي بما فيه الكفاية) أن مشكلتهم الحالية هي النظام المحلي الذي سجنهم وقمعهم وأن الولايات المتحدة كانت ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهم.

ماذا كان دور المقاتلين المصريين خلال سنوات تكوين القاعدة؟

شكلت صراعات الجهاديين المصريين وتجاربهم واهتماماتهم جوهر تنظيم القاعدة في سنواته التكوينية وما زالت تلعب دوراً هاماً في تنظيم القاعدة إلى يومنا هذا. وكانت القضية الجهادية في مصر تحكمها حركتان جهاديتان وهما: الجماعة الإسلامية ومنظمة الجهاد الإسلامي المصرية، أو كما تعرف باسم (الجهاد). كانت حركة الجماعة الإسلامية هي الحركة

(1) S. Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 31, no. 3, 2008, p. 216.

الأكبر والأهم في السياق المصري المحلي، لكن منظمة الجهاد الإسلامي المصرية متمثلة بقائدها أيمن الظواهري، كان لها الدور الأهم في تنظيم القاعدة. انبثقت منظمة الجهاد الإسلامي المصرية من أتباع محمد عبد السلام فرج، وهو من كانت منظمتهُ مسؤولة عن اغتيال الرئيس المصري أنور السادات. قام الظواهري بتنظيم مجموعة مخصصة للجهاد عندما كان يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا فقط. وفي أواخر سبعينيات القرن الماضي، تلاقت منظمة الظواهري بخلايا وأفراد آخرين مرتبطين بمحمد فرج، ووحّدت تلك المجموعات قواتها في نهاية المطاف. رحّب الظواهري بتركيز فرج على النظام المصري فضلاً عن أهداف أخرى محتملة ـ بشكل يختلف تمامًا عن تركيز القاعدة فيما بعد على الولايات المتحدة. كانت الحكومة المصرية منحدرة أخلاقياً وروحياً بالنسبة للظواهري وغيره، لأنها لم تطبق الشريعة الإسلامية في الداخل وأيضاً بسبب تعاونها مع إسرائيل والولايات المتحدة وغيرها من القوى الكافرة المعادية.

خلال حملة القمع الواسعة ضد الإسلاميين التي تلت اغتيال السادات عام 1981، تم اعتقال الآلاف ومن ضمنهم العديد ممن لم يشاركوا في الهجوم. لم يبدُ أن الظواهري كان متورطاً في اغتيال السادات شخصياً (على الرغم من أنه ما زال قيد الاعتقال)، فقد انتقد هذه العملية في وقت لاحق بوصفها سابقة لأوانها، ومن ثمّ تُعَدُّ خطأً تكتيكياً. بعد إطلاق سراح الجهاديين المصريين من السجن، فرَّ العديد منهم إلى باكستان وأفغانستان بسبب استمرار تعرضهم للقمع والمضايقات من السلطات المصرية.

فرّ الظواهري أيضًا وسعى إلى مواصلة نشاطه السري منتهياً به المطاف في باكستان. وهناك، تم إحياء منظمة الجهاد الإسلامي المصرية من جديد، فقام بتنظيم المقاتلين خلال وجودهم في المنفى في باكستان منذ عام 1986 إلى 1989. ويؤكّد فواز جرجس أنّه «بالنسبة للظواهري وأتباعه، كان الجهاد الأفغاني فرصة مناسبة جدّاً للاستشفاء وإعادة تجميع صفوفهم المستنزفة بعد أن تمّت مطاردتهم من أجهزة الأمن الحكومية. كما كان بإمكانهم التآمر ضد ألدّ أعدائهم بأمان إضافةً إلى تسريب المقاتلين المتشدّدين إلى أوطانهم لإثارة نوع من عدم الاستقرار والاضطراب».(1)

(1) F. Gerges, The Far Enemy: Why Jihad Went Global, New York, Cambridge University Press, 2005, p. 87

عاد الكثيرون من جماعة الجهاد الإسلامي المصرية والجماعة الإسلامية إلى متابعة صراعاتهم في مصر خلال أوائل التسعينيات مستخدمين السودان مركزاً لإدارة عملياتهم. وكان اهتمام أعضاء جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في أفغانستان واليمن وأماكن أخرى يتمحور حول دعم النضال في مصر خلال هذا الوقت. وعلى مدى السنوات القليلة التي تلت، قامت المجموعتان بشنّ مجموعة واسعة من الهجمات الإرهابية وحرب العصابات خلال موجة العنف التي أودت بحياة أكثر من ألف مواطن مصري. كانت الجماعة الإسلامية مسؤولة عن 90 % من الهجمات في مصر خلال التسعينيات، إذ كان لديها آلاف المقاتلين وعشرات الآلاف من المؤيدين. وكما تلاحظ الباحثة في شؤون الإرهاب جنيفر ر. ويليامز أن جماعة الجهاد الإسلامي المصرية ـ والتي تُعتبر قليلة بأعدادها مقارنةً بالجماعة الإسلامية ـ اعتبرت نفسها منظمة نخبوية حيث كانت أكثر احتساباً وطموحًا في هجماتها التي استهدفت المصريين رفيعي المستوى مثل وزير الداخلية ورئيس الوزراء.[1] وعندما فشلت الهجمات الأولية على الأهداف الحكومية، بدأ الجهاديون بمهاجمة المواقع السياحية وغيرها من الأهداف السهلة وغير المحصّنة، وباعتقادهم أن تدمير قوام الحياة الاقتصادي في مصر من شأنه أن يتسبب بسقوط النظام الحاكم. كانت مجزرة معبد الأقصر عام 1997 أحد أكثر هذه الهجمات دموية وراح ضحيتها 62 شخصًا، بينهم 58 سائحاً معظمهم من اليابان وسويسرا وألمانيا. وعلى الرغم من أن مصر خسرت ما يقارب المليار دولار من عائدات السياحة نتيجة لهذه الهجمات، الذي يُعتبر مبلغاً ضخماً بالنسبة لاقتصاد مصر المتوسط، إلّا أنّ نظام الحكم لم يسقط بعدها.[2]

نما ارتباط الظواهري ببن لادن طوال هذا العقد وشَهِدت جماعة الجهاد الإسلامي المصرية سلسلة من الضربات القاسمة في مصر حيث أنّه في أوائل التسعينيات، ألقت حكومة حسني مبارك القبض على ما يقارب ألف عضو منهم بعد فشل أمني ميداني كارثي حصل نتيجة سماح أحد قياديي الحركة المتخاذلين لقوات الأمن بالاستحواذ على لوائح أسماء المنتسبين ضمن الحركة. أدّت هذه الاعتقالات إلى قيام جماعة الجهاد الإسلامي المصرية بشن الهجمات وزيادة

(1) J. R. Williams, interview with the author, September 26, 2014. See also: A. Keats, «In The Spotlight: Al ـ Jihad (Egyptian Islamic Jihad),» Center for Defense Information, Terrorism Project, 2002, Part 6, http://www.cdi.org/ terrorism/aljihad.cfm.

(2) M. Gray, «Economic Reform, Privatization, and Tourism in Egypt,» Middle Eastern Studies, vol. 34, no. 2, April 1998, p. 109.

عددها، وعلى الرغم من أن العمليات استمرت لعدة سنوات، بدأ الشعب المصري بالنفور تدريجياً من منظمتيّ الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد الإسلامي المصرية. ونتيجةً لاستمرار العنف والآثار الكارثية التي سببها على الاقتصاد، انقلب الشعب المصري على الجهاديين وبدأ بدعم جهود القوات الأمنية لهزيمتهم. وألقى الكثير من الجهاديين المصريين باللوم على الظواهري في هذه النكسات.

بحلول عام 1997، كان نظام مبارك قد تمكّن فعلياً من القضاء على الشبكة الجهادية داخل البلاد، وفي تلك الأثناء كان قادة الجماعة الإسلامية يطالبون بوقف إطلاق النار. لكنّ الظواهري شجب وقف إطلاق النار بشِدّة وسعى للحفاظ على ما تبقى من منظمته ومن أجل القيام بذلك، عاد أدراجَهُ مرة أخرى ملتمساً مساعدة بن لادن.

عادت العلاقة بين بن لادن والظواهري إلى ما كانت عليه خلال أيام الجهاد في أفغانستان وتبرَّع بن لادن بمبلغ 100,000 دولار لإعادة إحياء جماعة الجهاد الإسلامي المصرية خلال الفترة التي تلت تأسيس تنظيم القاعدة بفترة وجيزة وأثناء تواجد كلتا المنظمتين في بيشاور، ولكن بحلول عام 1995، ذُكر أن الظواهري أخبر عضوًا آخر في منظمته أنّ «هذه أوقات عصيبة».[1] ويُظهِرُ جهاز كمبيوتر تعود ملكيته للظواهري عُثر عليه من قِبل مراسل لصحيفة وول ستريت سلسلةً من المشاحنات حول مبالغ صغيرة من المال إضافةً إلى معلوماتٍ تفيد عن خسارة المنظمة لأعضائها، وأنها قد أصبحت غير قادرة على التصرف بسبب المشاكل المالية. انتقل الظواهري إلى الشيشان في عام 1996 محاولاً إنشاء أساس له هناك بعد أن فقد قاعدته الشعبية في السودان.

كانت هذه الفترة بمثابة نقطة تحول بالنسبة للظواهري، حيث أخفق في إنشاء قاعدةٍ له في الشيشان وتم اعتقالهُ من السلطات الروسية وسُجن لعدة أشهر بعدها عاد إلى أفغانستان في عام 1997. عانت المنظمة المزيد من الضربات المفصلية الأخرى تزامناً مع تفكيك خلايا جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في ألبانيا وأذربيجان في عام 1998. وقد ظنَّ أعضاء الجماعة أن المواقع البعيدة عن مصر ستكون بمثابة مناطق آمنة لهم، إلّا أنّ اعتقال قوات الأمن لبعض

(1) A. Higgins and C. Cooper, «Cloak and Dagger: A CIA ـ Backed Team Used Brutal Means to Crack Terror Cell,» Wall Street Journal, November 20, 2001, http://online.wsj.com/articles/SB1006205820963585440.

العملاء مع حواسيبهم قد أثبت تفوقاً استخباريًا للنظام المصري وأدى إلى ترحيل المعتَقَلين من أمريكا اللاتينية والاتحاد السوفيتي السابق والعالم العربي إلى مصر لتتم محاكمتهم.

وبحلول عام 1998، استُنزِفَت الموارد المالية لجماعة الجهاد الإسلامي المصرية حيث لم يكن لديها قاعدة مستقلة تعمل منها بالإضافةِ لتعطيل نشاطاتها داخل مصر وخارجها. أيقنَ بن لادن بعد محاولاته المريرة في دفع جماعة الجهاد الإسلامي لتبني أجندة عالمية أكثر، أن الظواهري والكثير من أعضاء الجماعة أصبحوا جاهزين لتقبّل هذا الفكرة. وفي عام 1997، نادت بيانات جماعة الجهاد الإسلامي بالدعوة إلى شن هجمات على الولايات المتحدة. وخلال عام 1998، وقّع الظواهري على الإعلان المدعوم من تنظيم القاعدة لـ«الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين»، مما يؤكد وصف الحكومة الأمريكية بأنه اندماج فعلي بين المجموعتين. أظهرت هجمات عام 1998 على سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا مدى تكامل واندماج أنظمة العمليات الميدانية للمنظمتين مع وجود عملاء لكلتا الحركتين يعملون بالطريقة ذاتها. يُفسّر الظواهري هذا التحول الجزئي في أهدافه من خلال الادعاء بأن الولايات المتحدة كانت في حالة حرب مع المجموعة، وأن الولايات المتحدة دعمت الحكومة المصرية، وأن اليهود سيطروا على أمريكا.[1] وأعلنت جماعة الظواهري انضمامها رسمياً إلى صفوف تنظيم القاعدة في حزيران عام 2001.

على الرغم من أن بن لادن كان صاحب الدور الرئيس في حثّ الظواهري وغيره من المصريين على التوجّه في جهادهم نحو أجندة أوسع عالمياً، لعب قياديو جماعة الجهاد الإسلامي المصرية دورًا رئيساً في قيادة التنظيم. يوضّح الباحث فواز جرجس أن المصريين كانوا هم «مركز الثقل والعصب الحساس داخل تنظيم القاعدة».[2] وتتضمن الشخصيات المصرية البارزة في التنظيم مجموعة من الأشخاص مثل محمد عاطف، القائد العسكري للقاعدة حتى وفاته نتيجة هجوم أمريكي في عام 2001، سلَفَهُ أبو عبيدة البنشيري، الذي أسس خلايا في أفريقيا إضافةً إلى إنجازات أخرى حتى وفاته في حادث عام 1996؛ وسيف العدل، أحد أهم القادة العسكريين أيضاً. بدأت جماعة الجهاد الإسلامي المصرية بالقيام بعمليات انتحارية منذ

(1) L. Wright, «The Man Behind Bin Laden: How an Egyptian Doctor Became a Master of Terror,» The New Yorker, September 16, 2002, http://www.newyorker. com/archive/2002020916/16/09/fa_fact2.

(2) Gerges, The Far Enemy, p. 140.

عام 1993، وعندما بدأت في الاندماج مع تنظيم القاعدة، تبنّت مسؤولية الهجمات الانتحارية منذ حينها ـ حيث ظهر ذلك في تفجيرات السفارات عام 1998. تسببت هيمنة المصريين على التنظيم بنوع من الاستياء بين الجنسيات الأخرى وحتى أدت إلى بعض الانشقاقات في صفوف التنظيم.

اكتسب تنظيم القاعدة الخبرة من عناصره المصريين الذين قد خاضوا لفترة طويلة صراعاً مريراً وسرياً ضد نظام عنيد وجهاز استخبارات ماهر ووحشي مدعوم من قبل الولايات المتحدة.[1] أصبحت هذه المرارة ضد الأنظمة العربية الموالية للغرب متأصلة في تنظيم القاعدة كما أن خسائر الظواهري وغيره من أعضاء جماعة الجهاد الإسلامي بسبب الهفوات الأمنية دفعت تنظيم القاعدة إلى احتراف السريّة في عملهم، حيث بدأ التنظيم بتدريب عملائه على استخدام الأسماء المستعارة، والاندماج مع جيرانهم، وضمان سريّة المعلومات والتأكد من تحجيم النواة الرئيسة للتنظيم. كما حثّ الظواهري أيضاً تنظيم القاعدة والجماعات التابعة له على البحث عن ملجأ لهم بعد أن أيقنَ من خلال تجربته القاسية أن النظام العنيف يمكنه أن يسحق أي حركة إرهابية لا تمتلك مأوى لها. وفي نهاية المطاف، أصبح مفهوم جماعة الجهاد الإسلامي المصرية المتمثل في «الجيش الطليعي» ـ وهو مجموعة صغيرة من شأنها شن هجمات دقيقة على الأهداف الهامة ـ أحد أهم السمات المميزة لتنظيم القاعدة.

يُعدُّ تنظيم القاعدة اليوم أكبر بكثير من مجرد كونه صنيعة لجماعة الجهاد الإسلامي المصرية حيث يقود الظواهري منظمة تسعى إلى جمع كل المسلمين في العالم وتركز على استهداف الولايات المتحدة وليس مصر كما كانت رؤية بن لادن. إن استخدام القاعدة للأعمال الخيرية، والتأكيد على الدعاية الإعلانية لهم، ودعم حركات التمرد والجهاديين من أصحاب الفكر المشابه في جميع أنحاء العالم الإسلامي ـ حيث يمثل أولئك الجهاديين جوهر المنظمة وأفعالها ـ يأتي أيضًا من قيادة بن لادن ورؤيته ويبيّن ابتعاداً واضحاً عن المفهوم التقليدي لجماعة الجهاد الإسلامية. لذلك، وعلى الرغم من أن الجماعة الإسلامية المصرية وغيرهم من المصريين شكلوا تنظيم القاعدة، كان الحفاظ على قوام التنظيم يتطلب جهداً مشتركاً للقيام بذلك.

(1) T. McKelvey, «U.S. _ Funded Democracy Crushers?» The Daily Beast, October 13, 2011, http://www.thedailybeast.com/articles/201113/10//egyptian _ military _ u _ s _ funded _ democracy _ crushers.html.

كيف كانت علاقة تنظيم القاعدة بحركة طالبان قبل أحداث 11 أيلول؟

كانت العلاقة بين طالبان وتنظيم القاعدة علاقة غير مسبوقة، حيث سمحت طالبان للقاعدة بحرية تصرّف أكثر مما سمحت أي دولة راعية للإرهاب قبلها، وقد تبنّت طالبان الكثير من فلسفة بن لادن ونظرته إلى العالم خلال تطوّر العلاقة بينهما. نشأت حركة طالبان من مخيمات اللاجئين الأفغان الموجودة في باكستان حيث فرَّ ملايين الأفغان إلى باكستان خلال الصراع ضد السوفييت في الثمانينيات، وترعرع جيلٌ كامل من الأفغان في تلك المخيمات. وفي عام 1994، أصبحت طالبان القوة المهيمنة في أفغانستان بعد مشاركتها في الحرب الأهلية الأفغانية. بعد مرور أكثر من عقدٍ من المذابح وانتشار القادة العسكريين والمجرمين، رحّب العديد من المواطنين الأفغان بفكرة التخلّص من الفوضى التي أثارها حكم طالبان واستنكار وحشيّتهِ. وكان لحركة لطالبان أيضًا علاقات بالمنظمات الدينية القوية في باكستان إضافةً لتوغلها في الجيش والمخابرات الباكستانية على حد سواء.

احتضنت طالبان بن لادن وتنظيم القاعدة بعد انتقالهما إلى أفغانستان في عام 1996، ومع ذلك كان لدى المنظمات في البداية العديد من الاختلافات. نال بن لادن إعجاب زعيم طالبان الملا عمر تقديراً لمشاركته في القتال ضد الاتحاد السوفييتي، وأيّد تنظيم القاعدة مساعي عمر لتحويل أفغانستان إلى دولة إسلامية. ومع ذلك، فإن النظرة الدينية لطالبان كانت تختلف عن وجهة نظر القاعدة. انبثقت حركة طالبان من مجموعات ديوباندي في باكستان واعتنقت أسلوب الحياة الريفي والقَبلي لقبائل البشتون التي أكدت أهميّة القيم العرفيّة. تبنى أعضاء تنظيم القاعدة العقيدة السلفية واعتبروا بشكل عام أنفسهم أكثر حداثة وثقافة من غيرهم، وغالباً ما ازدرى أعضاء القاعدة مضيفيهم باعتقاد أنهم جهلة دينياً. وفي نطاق أوسع، ركزت حركة طالبان بشكل رئيس على أفغانستان، بينما نظر تنظيم القاعدة إلى أفغانستان على أنها جزء فقط لا يمكن حتى اعتباره الجزء الأكثر أهمية من الصراع الأوسع. ساهمت هجمات القاعدة وما تلاها من إدانة وضغوط من الولايات المتحدة والمجتمع الدولي إلى توتر العلاقة بين المنظمتين. وكان للمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص دور أساسي في خلق الفتنة: فكانت السعودية واحدة من الدول القليلة التي اعترفَت بطالبان، لكنها في الوقت ذاته اعتبرت بن لادن عدواً لها وضغطت على طالبان للتخلص منه.

ومع مرور الوقت تقاربت حركتا طالبان والقاعدة من بعضهما بعضاً. وبحسب أحد التقديرات، فإن ما يقارب 20 مليون دولار من أصل 30 مليون دولار من ميزانية القاعدة السنوية قبل أحداث 11 أيلول ذهبت إلى طالبان، بغرض تمويل شراء الأسلحة، ومشاريع الرعاية الاجتماعية، وغيرها من وسائل الدعم. كما زجّ تنظيم القاعدة وحداته العسكرية في المعركة لمحاربة ما تبقى من أعداء طالبان في أفغانستان: فقاتل «اللواء 055» الذي يضم عدة مئات من المقاتلين العرب المعروفين بشجاعتهم وخبرتهم العسكرية، وأكّد أحد الجنرالات الباكستانيين قائلاً: «العرب هم أفضل المقاتلين لديهم».[1] وتطوّرت العلاقة بين المنظمتين لدرجة أن تنظيم القاعدة نفذ هجمات إرهابية بالنيابة طالبان، وأبرزها اغتيال قائد المجاهدين الأسطوري والمناهض لطالبان أحمد شاه مسعود في التاسع من أيلول عام 2011.

ساهمت جهود مكافحة الإرهاب الأمريكية بجعل هذه العلاقة أكثر قوةً. وفي أعقاب هجمات القاعدة على سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في عام 1998، أطلقت الولايات المتحدة بقيادة الرئيس كلينتون صواريخ كروز ضد معسكرات تدريب القاعدة المشتبه بها في أفغانستان فقتلت الغارات بعض المتشددين، لكنها فشلت في قتل بن لادن أو أي من كبار القاعدة الآخرين. وبالإضافة إلى عدم تحقيق أهدافها، جاءت هذه الغارات بنتائج عكسية، حيث مجّدَ العديد من المسلمين بتنظيم القاعدة وبن لادن لوقوفهم في وجه الولايات المتحدة. أصبحت حركة طالبان، التي تحجم عن وصفها بالخنوع في مواجهة الضغوط الأمريكية، أكثر مقاومة للجهود الدولية لتسليم بن لادن وأكثر عداءً للولايات المتحدة من قبل. بدأت وجهات النظر العالمية تجاه المنظمتين تتشابك تدريجياً وخصوصاً بعد اعتراف تنظيم القاعدة بالملا عمر بأنَّه «قائد المؤمنين».

عاد تنظيم القاعدة إلى قوّته ونشاطه السابقَين إنطلاقاً من المأوى الذي وفرته حركة طالبان لهم كما سمحت طالبان للقاعدة بإقامة معسكرات جديدة تسيطر عليها بالكامل، مثل معسكر الفاروق والاستيلاء على معسكرات قديمة مثل خلدن ودرونتا التي كانت تحت سيطرة مجموعات متعددة سابقاً.[2] وقد سمحت هذه المعسكرات لتنظيم القاعدة بالسيطرة على

(1) J. Burke, Al Qaeda: The True Story of Radical Islam, New York, I. B. Tauris, 2006, p. 171.

(2) T. Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia: Violence and Pan ـ Islamism Since 1979, New York, Cambridge University Press, 2010, p. 109.

العديد من المقاتلين الأجانب الذين قدموا إلى أفغانستان للتدريب ممّا مكّنها من توسيع النفوذ ونشر مذهبه الفكري بين هؤلاء العملاء. أعطت حركة طالبان الحريّة شبه المطلقة لتنظيم القاعدة، حيث سمحت لعملائه بالسفر بحرية داخل البلاد والعبور والخروج من دون أيّ قيود. تمكّنت المنظمة من تنفيذ العديد من هجماتها الأكثر أهمية خلال هذه الفترة الزمنية. حيث أنه بالإضافة إلى هجمات السفارة عام 1998، ضربت القاعدة المدمرة البحرية الأمريكية يو إس إس كول (USS Cole) أثناء إعادة تزويدها بالوقود في مدينة عدن الساحلية اليمنية في تشرين الأول 2000، مما أسفر عن مقتل 17 بحارًا أمريكيًا وجرح 39 آخرين. وبالطبع، شنّت القاعدة أحد أشهر هجماتها المدمرة في الحادي عشر من أيلول في عام 2001. وكان الملاذ الذي وفرته طالبان للقاعدة في أفغانستان شيئاً أساسياً لكل تلك الهجمات، حيث أعطى قيادي القاعدة القدرة على التآمر والتنظيم مع حصانة نسبيّة نوعاً ما كانت تقدمها طالبان للتنظيم.

استخدم تنظيم القاعدة معسكراته التدريبية في أفغانستان لدعم مختلف جماعات المتمردين والإرهابيين في جميع أنحاء العالم الإسلامي مقدماً الدعم لمساعدة المقاتلين في كشمير واليمن والفلبين وأماكن أخرى. يعتقد مسؤولو الاستخبارات الأمريكية أن ما بين 10 آلاف إلى 20 ألف متطوع أجنبي تدربوا في أفغانستان بعد استقرار بن لادن هناك، ومعظمهم كانوا في معسكرات القاعدة.[1] خلال تواجدهم في هذه المعسكرات، تعلم المقاتلون الأساسيات التكتيكية لحرب العصابات وكيفية استخدام المتفجرات، وحساب مدى نيران المدفعية وغيرها من مهارات الحرب غير النظامية. تم اختيار قلة تتكون من مئات المقاتلين لتلقي تدريب أكثر تقدماً في تكتيكات وعمليات الإرهاب، مثل المراقبة والاغتيال وتجنيد أعضاء جدد. ويصِفُ مايكل شيهان المنسق السابق لوزارة الخارجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، أفغانستان قائلاً: «لقد كانت أفغانستان المستنقع الذي استمر هذا البعوض بالخروج منه».[2]

لعلّ الأمر الأكثر أهمية هو أن الملاذ في أفغانستان قد مكّن القاعدة من الربط بين مختلف

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 67.

(2) C. J. Chivers and D. Rohde, «Afghan Camps Turn Out Holy War Guerrillas and Terrorists,» New York Times, March 18, 2002, http://www.nytimes. com/200218/03//world/turning _ out _ guerrillas _ and _ terrorists _ to _ wage _ a _ holy _ war.html.

فروع الحركة الجهادية العالمية حيث أرسلت مجموعات مختلفة مقاتليها إلى أفغانستان لغرض لتدريب واللجوء وهناك طوّر المقاتلون صلاتهم الشخصية مع أعضاء الجماعات الأخرى. وبدأ تنظيم القاعدة بالتبشير في المعسكرات أيضاً، حيث نشر التنظيم تفسيره للجهاد ورؤيته للنضال العالمي من أجل الإسلام، مما وسّع تطلعات وطموحات آلاف المقاتلين من جميع أنحاء العالم.

الفصل الثاني

الهجمات الرئيسة والمؤامرات

لماذا كانت هجمات السفارة عام 1998 مهمة للغاية؟

أسفرت تفجيرات سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي، كينيا ودار السلام في تنزانيا، في السابع من آب عام 1998، عن مقتل 224 شخصًا منهم اثنا عشر أمريكيًا و212 أفريقيً ـ إضافةً إلى آلاف الجرحى. كانت هذه التفجيرات نقطة تحول في تاريخ تنظيم القاعدة وتاريخ الإرهاب. وبينما شهدت الهجمات السابقة قيام القاعدة بتجنيد الإرهابيين المحليين للقيام بها، بدأ التنظيم انطلاقاً من هذه الهجمات بالتصرف بمفرده، فقام عناصره بالتخطيط وتنفيذ الهجمات بأنفسهم، مع إشراف بن لادن شخصياً على تلك العمليات.

كانت فترة الإعداد لهجمات السفارة طويلةً نوعاً ما، حيث بدأ عملاء القاعدة في تغطية ومتابعة الأهداف الأمريكية والبريطانية والفرنسية والإسرائيلية في نيروبي، كينيا عام 1993، وبدأت القاعدة في تأسيس شركات لدعم أعضائها في كينيا قبل سنوات من تنفيذ هذه الهجمات كما لعب بن لادن نفسه أيضًا دورًا مباشرًا في الهجمات من خلال متابعة صور المراقبة التي التقطها عملائه، «مشيراً إلى المكان الذي يمكن أن تتوجه إليه شاحنة كتفجير انتحاري».[1] وبحسب زعم المسؤولين الأمريكيين، فقد تم التخطيط لهجمات أخرى على سفارتي الولايات المتحدة في ألبانيا وأوغندا، لكنه تم كشف هذه العمليات وإحباطها. تم اختيار السفارة الأمريكية في نيروبي في النهاية لأنها كانت تُعتبر «هدفًا سهلاً».[2] حيث وجد مجلس المراجعة والمساءلة بوزارة الخارجية الأمريكية، الذي حقق في إجراءات أمن السفارة

(1) As quoted in Wright, The Looming Tower, p. 198.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 68.

قبل الهجوم، أن المبنى كان يفتقر إلى وجود حماية من جهة الشارع، وأكّد أن إجراءات وزارة الخارجية لتقييم تهديد الإرهاب كانت إجراءات خاطئة.[1] صرّح السفير الأمريكي برودينس بوشنيل، الذي فشل في محاولة توفير أمن أفضل للسفارة قبل الهجوم، بأنّه «لم يكن هناك من سبيل لحماية المبنى».[2]

استمر التخطيط للعملية بالتقدم ببطء وأدى غرق العقل المدبر الأول للتنظيم، أبو عبيدة البنشيري، في حادث عبّارة على بحيرة فيكتوريا، إلى التأخر عدة سنوات للحصول على المتفجرات اللازمة للعملية. كما أدى انتقال القاعدة من السودان عام 1996، وفقدان مصادر قوتها هناك وكذلك استسلام رئيس اللجنة المالية لتنظيم القاعدة مدني الطيب، لصالح السلطات السعودية إلى تأخيرات أخرى مما ساهم باستنزاف تمويل المنظمة. وفي عام 1997، بدا أن المؤامرة قد تم إحباطها، حيث داهمت الشرطة الكينية، بالتعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) منازل العديد من المقاتلين المشتبه بهم.[3]

في عام 1998 ومع اعتقاد السلطات بأنها قضت على هذا التهديد، خفّ الضغط على المقاتين واستمروا بالتخطيط للهجمات. قامت المجموعات في نيروبي ودار السلام باستئجار مساكن وشراء المواد اللازمة لتجهيز المتفجرات إضافةً إلى الشاحنات التي سيتم تفخيخها. قبل فترة وجيزة من التفجيرات، فرّ القادة من البلدة تاركين خلفهم العناصر ذوي الأهمية الأقل في مواجهة الحملة التي لا مفر منها بعد الهجمات. في أفغانستان، غادر بن لادن وغيره من كبار القادة قاعدتهم في قندهار وانتقلوا إلى الريف تحسباً لأي رد عسكري أمريكي.[4] بالتزامن مع هذا النشاط الميداني، أطلق تنظيم القاعدة حملة جريئة للعلاقات العامة ضد الولايات المتحدة. وفي 23 شباط 1998، نشر بن لادن والظواهري فتوى باسم «الجبهة الإسلامية العالمية لمكافحة اليهود والصليبيين» التي وضّحوا بها مزاعمهم ضد الولايات المتحدة والغرب

(1) «Bombings of the US Embassies in Nairobi, Kenya and Dar es Salaam, Tanzania on August 7, 1998,» Report of the Accountability Review Board, US State Department, January 1999, http://www.fas.org/irp/threat/arb/ board_nairobi.html.

(2) P. Bushnell, «Prudence Bushnell on the U.S. Embassy Nairobi Bombings,» Association for Diplomatic Studies and Training, August 2012, http://adst. org/201208//prudence _ bushnell _ on _ the _ us _ embassy _ nairobi _ bombings/.

(3) «The 911/ Commission Report,» p. 68.

(4) «The 911/ Commission Report,» p. 69.

عموماً. كما أعلن البيان أن «قرار قتل الأمريكيين وحلفائهم المدنيين والعسكريين هو واجب فردي على كل مسلم يمكنه القيام بذلك وفي أي بلد يمكن القيام به بذلك». كان بن لادن يحاول توضيح أنه قد تم تخطّي مرحلة الأهداف العسكرية، حيث أعلن في مقابلة أنه «لن يتم التمييز ما بين العسكريين والمدنيين» وأنهم «جميعهم أهداف محتملة».[1]

في السابع آب 1998، وفي تمام الساعة 10:35 صباحًا بالتوقيت المحلي في نيروبي وبعدها بأربع دقائق حسب توقيت دار السلام، انفجرت الشاحنة المفخخة بقوة كارثية كما وصفها السفير بوشنيل قائلاً: «إن القوة الارتدادية لطنّي الطاقة اللذين ضربا المباني الثلاثة المحيطة بموقف السيارات كان لها أثر كارثي. قتل 200 شخص على الفور وأصيب أكثر من 5000 شخص، أغلبهم من قوة الانفجار ومعظمهم من الزجاج المتطاير. احترقت السيارات وركّابها الذين ينتظرون إشارة المرور في الزاوية لتتحول إلى اللون الأخضر، بما في ذلك جميع الركاب على حافلة المدينة الذين أصبحوا رماداً. انهار مبنى المكاتب المكون من سبعة طوابق بجوار السفارة وتهدّم الجزء الخلفي من مكتبنا. وبما أن الجزء الخارجي من المبنى الخاص بنا تم تصميمه بأسلوب مضاد للزلازل فقد أسفر الانفجار عن تحطيم النوافذ، وسقوط السقوف، وانفجار معظم الأشياء ضمن المبنى».[2] بالإضافة إلى عدد الضحايا، عانى العديد من الكينيين من إصابات في العين نتيجة الانفجار. كان عدد الضحايا أقل بكثير في دار السلام لأن السفارة الأمريكية كانت على أطراف المدينة ولم تكن بالقرب من المباني السكنية الأخرى.

لقد كانت تفجيرات عام 1998 عمليةً ذات طابع عالمي بحق، فقامت قيادة تنظيم القاعدة بالتخطيط لهذه التفجيرات من أفغانستان بالتعاون مع الخلية الموجودة في كينيا، وبحسب ما ورد، قدم خالد أبو الدهب (Khalid Abu ـ al Dahab) المتواجد من الولايات المتحدة، أموالاً ووثائق سفر مزورة إلى العديد من الإرهابيين في جميع أنحاء العالم.[3] ساهمت الخلايا المتواجدة في اليمن في تسهيل الاتصال، وبدورها قامت الخلية المتواجدة في المملكة

(1) Full text of the fatwa available at Federation of American Scientists, http:// fas.org/irp/world/para/docs/980223 ـ fatwa.htm.

(2) Bushnell, «Prudence Bushnell on the U.S. Embassy Nairobi Bombings».

(3) T. R. Eldridge et al., 911/ and Terrorist Travel, Washington, DC, National Commission on Terrorist Attacks upon the United States, 2004, p. 52.

المتحدة بترويج العملية الإرهابية.[1] كان لعناصر الجهاد الإسلامي المصري الذي انضم مؤخراً إلى تنظيم القاعدة دورًا هاماً أيضًا؛ حيث يمكن اعتبار هذه الهجمات بمثابة «نتاج» لتحالف المنظمتين.

أدى ارتفاع عدد القتلى والتعقيد النسبي المتعلق بالضربات المتزامنة القريبة إلى جعل تنظيم القاعدة يتصدر أولويات الأمور الأمنية الأمريكية كما يوضّح مستشار الأمن القومي الأمريكي صموئيل ساندي بيرغر واصفاً بن لادن: «في عام 1996 كان بن لادن على قائمة المطلوبين لدينا؛ لكنه في عام 1998، أصبح الهدف الأهم والأخطر».[2] ساهمت التفجيرات في زيادة جهود المخابرات الأمريكية لمكافحة القاعدة حيث أرسل مدير المخابرات المركزية الأمريكية جورج تينيت مذكرة إلى مرؤوسيه معلنا:» نحن في حالة حرب... لا أريد استثناء أيّ من الأشخاص أو الموارد في سبيل هذا الغرض».[3] ومع ذلك، فإن قياديي الاستخبارات والوكالات الحكومية الأمريكية الأخرى والمسؤولين سيتم انتقادهم بعد الحادي عشر من أيلول لعدم إدراكهم بشكلٍ كافٍ لحجم الخطر الذي كان يمثله التنظيم.

باءت الضربات الصاروخية الأمريكية عام 1998 على أفغانستان والسودان والتي أطلقت رداً على التفجيرات والمعروفة باسم «عملية الوصول المُطلق» «Infinite Reach Operation» بالفشل، وفي الواقع، جاءت تلك الضربات بنتائج عكسية. دفع الهجوم على أفغانستان بحركة طالبان إلى التمسّك بالقاعدة أكثر، كما عزّزت اعتقاد حركة طالبان بأن الولايات المتحدة مصممة على إزالتها من السلطة. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت تلك الضربات بتحريك الشعور القومي الأفغاني والتأكيد الثقافي على حماية الضيف، مما جعل من الصعب على قادة طالبان التراجع وتسليم بن لادن. كانت الضربة على السودان مثيرة للجدل بشكل خاص، حيث ادّعت الولايات المتحدة أن الهدف، وهو مصنع الشفاء، كان منتجاً للأسلحة الكيميائية وله صلات

(1) United States of America v. Usama bin Laden et al., pp. 36–43.

(2) S. Berger quoted in «Joint Inquiry into Intelligence Community Activities before and after the Terrorist Attacks of September 11, 2001,» House Permanent Select Committee on Intelligence and Senate Select Committee on Intelligence, December 2002, http://fas.org/irp/congress/2002_rpt/911rept. pdf.

(3) Quoted in E. Hill, «Joint Inquiry Staff Statement, Part I,» Joint Investigation into September 11th: First Public Hearing—Joint House/Senate Intelligence Committee Hearing, September 18, 2002, http://fas.org/irp/congress/2002_ hr/091802hill.html.

بتنظيم القاعدة، بينما ادعت الحكومة السودانية وبعض وسائل الإعلام الأمريكية أن هذا الهدف كان مجرد مصنع لإنتاج الأدوية الضرورية مثل الأسبرين وعقاقير مكافحة السل.[1] وكانت الإضرابات مثيرة للجدل أيضًا لأنها حدثت بالتزامن مع مشاكل الرئيس بيل كلينتون العائلية المتعلقة بعلاقته مع المتدرّبة في البيت الأبيض مونيكا لوينسكي. ويؤكّد النقّاد أن كلينتون استخدم القوة العسكرية ببساطة ليبدو ذا مظهرٍ رئاسيٍ أكثر، وهو ادعاء تبين للجنة الحادي عشر من أيلول أنّه يفتقد إلى الأدلة الكافية.

ما أهمّ هجمات القاعدة قبل هجمات 11 أيلول؟

على الرغم من أن هجمات السفارة في عام 1998 وضعت تنظيم القاعدة على خارطة الإرهاب العالمي، وكان الحادي عشر من أيلول هو الهجوم الأكثر دموية ووحشية على الإطلاق، إلّا أن التنظيم قد نفّذ خلال العقد السابق هجمات أظهرت مهارته وطموحه المتناميين. بدأت عمليات القاعدة بشكل متواضع في عام 1992، حيث قام الجهاديون اليمنيون الذين كانوا جزءًا من مجلس شورى الجيش الإسلامي المدعوم من تنظيم القاعدة بقصف فندقين في عدن بمحاولة غير ناجحة لضرب القوات الأمريكية التي تعبر اليمن في طريقها إلى الصومال للمشاركة من عملية «استعادة الأمل» «Restore Hope».[2] زعم مدرّبي القاعدة أنهم ساعدوا الصوماليين في إسقاط مروحيتين أمريكيتين خلال حادثة «بلاك هوك داون» الشهيرة عام 1993. وفي عام 1995، قصفت مجموعة من السعوديين ممن زعموا تأثرهم ببن لادن منشأة أمريكية سعودية مشتركة في الرياض كانت تُستخدم لتدريب الحرس الوطني السعودي.[3] وفي جميع هذه الحالات، يبدو أن تلك الهجمات قد تمّت بقيادة العناصر والقياديين المحليين لا بإشراف القيادة المركزية للتنظيم. لربما كان لتنظيم القاعدة دور دعم ثانوي، حيث ساعد في الإمداد والتموين والتدريب، لكنه لم يوجه الهجمات الفعلية.

كان العديد من الجهاديين الأكثر فتكاً والناشطين خلال هذه الفترة يعملون بشكل مستقل عن القاعدة. وفي عام 1993، قام الجهاديون في الولايات المتحدة من أتباع الشيخ الأعمى

(1) J. Astill, «Strike one,» The Guardian, October 2, 2001, http://www.theguard ـ ian.com/world/2001/oct/02/afghanistan.terrorism3.

(2) «The 911/ Commission Report,» pp. 59–60.

(3) «The 911/ Commission Report,» pp. 59–61.

(عمر عبد الرحمن) باستهداف مركز التجارة العالمي، ويرجع ذلك جزئيًا إلى الاعتقاد الغريب بأن «غالبية الأشخاص الذين يعملون في مركز التجارة العالمي هم من اليهود.[1] «خطّط أتباع الشيخ الأعمى لتدمير معالم أخرى في مدينة نيويورك أيضاً، بما في ذلك مقرات الأمم المتحدة، وأنفاق لينكولن وهولاند، إضافةً إلى جسر جورج واشنطن. ولم يكن لبن لادن والقاعدة أي دور مباشر في التخطيط لأيّ من هذه الهجمات. كان الجهادي المستقلّ رمزي يوسف وهو العقل المدبّر وراء تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993، وكان هو وعمَه خالد شيخ محمد وراء عدد من المؤامرات اللاحقة حيث في عامي 1994 و1995، نظموا مخطط بوجينكا «Bojinka»، وهي خطة لتفجير 12 طائرة ركاب أمريكية فوق المحيط الهادئ. بدأ المخططون بتصميم المتفجرات ومراقبة رحلات الطيران، حتى أنهم قاموا بإجراء تجربة ناجحة وفجروا قنبلة صغيرة على متن طائرة أسفرت عن مقتل راكب واحد وبذلك، أثبتو قدرتهم على تهريب القنبلة بنجاح. وبسبب حريق عرضيّ، تمكّن مسؤولو الأمن الفلبينيون من كشف وكرهم لصنع القنابل في مانيلا وبذلك أخفقت مؤامرة بوجينكا. في نهاية المطاف، قُبض على يوسف في باكستان عام 1995 بعد مطاردة مكثّفة وتمّت إحالته للمحاكمة في الولايات المتحدة.

حتى في العديد من الهجمات التي سبقت أحداث الحادي عشر من أيلول في منطقة الشرق الأوسط والتي غالباً ما تُنسب إلى تنظيم القاعدة، لم يلعب التنظيم في الحقيقة دورًا مباشرًا فيها. في عام 1995، حاول الجهاديون المصريون اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك عندما كان يزور أديس أبابا في إثيوبيا، وبعد حوالي عامين، ذبحوا 62 شخصًا، 58 منهم من السياح الأجانب، في هجوم على معبد الملكة حتشبسوت الأثري في الأقصر، مصر. على الرغم من أن بعض الأفراد المتورطين في هذه الهجمات استمروا إلى أن أصبحوا أعضاء مهمين في تنظيم القاعدة، إلّا أن القليل منهم كانوا على صلة ببن لادن في ذلك الوقت، وكانت الهجمات ذات نفسها جزءًا من حملة طويلة من الإرهاب الداخلي ضمن مصر. في عام 1999، حاول أبو مصعب الزرقاوي الجهادي غير المعروف نسبيًا في ذلك الوقت، تفجير فندق راديسون والعديد من المواقع الدينية اليهودية والمسيحية في عمّان، الأردن. على الرغم من أن الزرقاوي كان على علاقة ببن لادن منذ فترة وجوده في أفغانستان في أواخر الثمانينيات، والذي أوجد فيما بعد

(1) D. Kohn, «60 Minutes: The Man Who Got Away,» 60 Minutes, CBS, May 31, 2002, http://www.cbsnews.com/news/60 _ minutes _ the _ man _ who _ got _ a way/.

تنظيم القاعدة في العراق، يبدو أن هذه الهجمات لم تتم إدارتها بأي شكل من الأشكال من بن لادن أو منظمته.[1] كان هذا الالتباس في نسب الهجمات سواءً إلى القاعدة أو مجموعات أخرى يعود إلى رغبة القاعدة في دعم الجماعات الأخرى والجهاديين المستقلين في تنفيذ هجماتهم إضافةً إلى تجنيد العناصر من غير الأعضاء في العمليات التي تخص القاعدة.

أصبح تنظيم القاعدة أكثر نشاطًا مع مرور العقد، وزاد دوره المباشر في الهجمات. وبالإضافة إلى تفجيرات سفارتي الولايات المتحدة عام 1998 في كينيا وتنزانيا، أرسلت التنظيمي الجهادي الجزائري أحمد رسام إلى كندا حيث خطّط لتفجير مطار لوس أنجلوس الدولي في نهاية عام 1999 ولكن تم القبض عليه أثناء محاولته عبور الحدود.[2] في كانون الثاني من عام 2000، فشل تنظيم القاعدة في محاولة تفجير سفينة يو إس إس ذا سوليفانز (USS The Sullivans) وبعد مرور عشرة أشهر، نجح التنظيم في استخدام قارب مليء بالمتفجرات للقيام بعملية تفجير انتحارية ضد المدمرة الأمريكية يو إس إس كول (USS Cole)، مما أدى إلى مقتل 17 أمريكيًا. كما حاول التنظيم أيضاَ تفجير السفارتين الأمريكيتين في روما وباريس في أوائل عام 2001، لكن مسؤولي الأمن الأمريكيين والأوروبيين أحبطوا هذه الهجمات.[3] أصبح الطموح والابتكار الذي يميز العديد من هجمات رمزي يوسف وخالد شيخ محمد وغيره من الجهاديين أحد أهم السمات المميزة لهجمات تنظيم القاعدة في نهاية العقد. أراد يوسف أن يقتل عشرات الآلاف في هجوم مركز التجارة العالمي عام 1993 كنوع من الثأر ضد الفظائع التي ارتكبتها الولايات المتحدة، وكانت مؤامرة بوجينكا عام 1995 الأولى من نوعها من حيث الهجمات الجماعية المتزامنة. أما بالنسبة إلى هجمات القاعدة على السفارات عام 1998، والتي تعرض فيها هدفان رمزيان بارزان للهجوم بشكل متزامن تقريبًا في محاولة تهدف إلى إلحاق خسائر

(1) C. Whitlock, «Zarqawi building his own terror network,» Philadelphia Post ـ Gazette, October 3, 2004, http://old.post ـ gazette.com/pg/04277388966/.stm.

(2) D. Heath, «Ahmed Ressam, mastermind of foiled LAX plot, gave up valuable details about al ـ Qaida without harsh interrogation,» The Center for Public Integrity, June 3, 2011, http://www.publicintegrity. org/20114802/03/06//ahmed ـ ressam ـ mastermind ـ foiled ـ lax ـ plot ـ gave ـ valuable ـ details ـ about ـ al ـ qaida ـ without.

(3) T. Joscelyn, «From Al Qaeda in Italy to Ansar al Sharia Tunisia,» The Long War Journal, November 21, 2012, http://www.longwarjournal.org/ archives/201211//from_al_qaeda_in_ita.php; D. Muriel, «Thwarting Terror Cells in Europe,» CNN, January 23, 2002, http://edition.cnn.com/2001/ WORLD/europe/1026//inv.thwarting.cells/index.html.

جسيمة، فقد عكست تلك الهجمات الطموح والميول الإجرامية لهجوم مركز التجارة العالمي عام 1993 ومؤامرة بوجينكا عام 1995. وكشفت الهجمات على المدمرة الأمريكية يو إس إس كول وسفينة سوليفانز أن لدى تنظيم القاعدة الجرأة الكافية لضرب السفن الحربية الأمريكية مباشرةً ـ والتي تُعتبر أهدافاً مميزة بشكل ملحوظ ـ مستخدماً طرقاً بسيطة ولكنها مُبتكرة وهي: نقل الانتحاريين على متن القوارب. في الحقيقة، لولا استفادة التنظيم من الإدراك المتأخر نوعاً ما لأخطائه، لكان قد بدا أشبه بعصابة متبعثرة وليس تلك القوة الإرهابية التي لا يمكن وقفها. كانت خطة يوسف للهجوم على مركز التجارة العالمي عام 1993 تتضمن إنقلاب البرج الشمالي على البرج الجنوبي لإسقاط كليهما، وهو منطق يشبه إلى حد ما كيفية التعامل مع ألعاب الأطفال التركيبية مقارنة بالمباني الحقيقية، لكن ومع الأسف، فإن المحاولة الثانية للإرهابيين لضرب الأبراج أثبتت أنها ناجحة في إسقاطها. كان عناصر أمن العمليات المسؤولين عن تنفيذ هذه المهمة بدائيين أيضًا ـ فقد تم القبض على العديد من الجناة لمجرد أن أحدهم قرر التظاهر بأن السيارة المُستأجَرة التي استُخدمت ضمن العملية تمت سرقتها حتى يتمكن من استعادة الوديعة المالية. كما فشلت محاولة تدمير المدمرة يو إس إس (Sullivans) بسبب غرق القارب المستخدم في نقل القنبلة حيث اتّضح أن المهاجمين كانوا قد تجاهلوا عملية حساب وزن المتفجرات. على الرغم من ذلك، أظهر تنظيم القاعدة ثباته. وعلى عكس معظم الجماعات الإرهابية الأخرى، أثبت التنظيم استعداده للمحاولة والفشل عند شن الهجمات الكبرى والتحلي بالصبر والتعلم من الأخطاء.

كشفت الحركة الجهادية الأوسع خلال فترة التسعينيات عن رغبتها المقلقة في إلحاق خسائر جسيمة. على الرغم من أن الإرهابيين يتمتعون فعلاً بسمعة وحشية، إلا أن معظم الجماعات كانت تخشى من أن القتل المفرط سيؤدي إلى اتخاذ إجراءات صارمة أو تشويه قضيتهم. كما وضّح خبير الإرهاب براين جينكينز في عام 1975 «إنّ ما يرغب به الإرهابيون هو الكثير من المشاهدين والمستمعين، وليس الكثير من القتلى».[1] بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي الأول، ومخطط بوجينكا، وهجمات السفارات عام 1998، وغيرها من المؤامرات، كشفت الحركة الجهادية عن إصرارها الحقيقي على قتل الآلاف، وهو هدف سيتضح للعالم بأسره بعد حين.

(1) B. M. Jenkins, «International Terrorism: A New Mode of Conflict,» in D. Carlton and C. Schaerf, eds., International Terrorism and World Security, London, Croom Helm, 1975, p. 15.

كيف نفذ تنظيم القاعدة هجمات الحادي عشر من أيلول؟

كانت هجمات الحادي عشر من أيلول أكثر الهجمات الإرهابية دموية في التاريخ من حيث أعداد الضحايا، حيث لم يسبق للعالم أن شاهد ألف شخص يموتون نتيجة الإرهاب في يوم واحد، فماذا عن ثلاثة آلاف.

كان خالد شيخ محمد، العقل المدبر لهجمات الحادي عشر من أيلول (المعروف لاحقًا لمسؤولي المخابرات بالأحرف الأولى لاسمه، خ ش م) إرهابيًا ذا طموح فردي وإبداعي وهو من أصول باكستانية بلوشية وُلِد وترعرع في الكويت، كما حصل على شهادة في الهندسة من جامعة ولاية كارولينا الشمالية الزراعية والتقنية في عام 1986. أًصبح خالد معادياً للولايات المتحدة بسبب غضبه من سياساتها في الشرق الأوسط، وخصوصاً بسبب الدعم الأمريكي لإسرائيل، وبعد التخرج، بدأ خالد طريقه كمجاهد معاصر وتوضّح لجنة الحادي عشر من أيلول أن خالد استخدم مخيّلته، وكفاءته الفنية، ومهاراته الإدارية لتخطيط وتنفيذ مجموعة من المخططات الإرهابية التي تلت خطة الحادي عشر من أيلول، والتي تتراوح من تسميم الخزانات إلى الاغتيال.[1] كان رمزي يوسف العقل المدبّر لتفجير مركز التجارة العالمي في عام 1993، وهو ابن اخت خالد شيخ محمد ويصغره بثلاث سنوات وقد عمل الاثنان معاً في مراحل معينة. كانت الشهرة التي اكتسبها رمزي يوسف في الأوساط الجهادية نتيجة تنفيذه لهجوم عام 1993 قد ألهمت خالهُ ودَفَعتْه للتركيز بشكل أكبر على مهاجمة الولايات المتحدة، حيث أنّه بعد ثمانِ سنواتٍ فقط، أصبحت شهرة خالد وعراقَتَهُ الجهادية تتفوق على ابن أخته. على الرغم من أن خ.ش.م وبن لادن قاتلوا معاً ضد السوفييت في أفغانستان في فترة الثمانينيات، لم تتطور علاقتهما إلا بعد فترة وجيزة، أي عندما انتقل كلاهما إلى منطقة أفغانستان وباكستان في عام 1996. قدم خ.ش.م إلى بن لادن مجموعة من الخطط والتمسَ الدعم المالي واللوجستي من تنظيم القاعدة لكنه رفض طلب بن لادن الانضمام إلى صفوف القاعدة، حيث أن التنظيم في تلك المرحلة لم يكن قد قام بشيء سوى القليل ضد الولايات المتحدة. في هذا الوقت تقريبًا، طرَحَ خ.ش.م فكرة اخطاف طائرات وتحطيمها في مباني في الولايات المتحدة. أعاد خ.ش.م النظر في الانضمام إلى تنظيم القاعدة بعد أن أثبتت له تفجيرات السفارات عام 1998 أن بن لادن كان جادًا في مهاجمة الولايات المتحدة، وفي أواخر

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 145.

عام 1998 أو أوائل عام 1999، وافق بن لادن على ما وصفته القاعدة بـ«عملية الطائرات»، كما قدم التنظيم مبلغ 500,000 دولار أمريكي لتمويل العملية.[1]

اعتبَرَ خ.ش.م أن الاقتصاد هو نقطة ضعف الولايات المتحدة، ولذلك، أصبحت العاصمة الاقتصادية نيويورك هدفه الأساسي. كانت خطته الأصلية طموحة للغاية: حيث كانت تتضمن اختطاف تسع طائرات يتم الهجوم بها على أهداف في سواحل الولايات المتحدة الشرقية والغربية، وأنّ خ.ش.م نفسه سيكون على متن الطائرة العاشرة وبعد هبوط هذه الطائرة، سيقوم خالد أولاً بإعدام جميع الركاب الذكور ثم التنديد بدعم الولايات المتحدة لإسرائيل وللحكومات القمعية في العالم العربي، إضافةً إلى جرائم أخرى. ومع ذلك، رأى بن لادن أن هذه الخطة غير قابلة للتطبيق وألغى فكرة استهداف مقر المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالي، ومحطات الطاقة النووية، والمباني الشاهقة في كاليفورنيا وواشنطن مع الإبقاء على فكرة استهداف البنتاغون (مقر وزارة الدفاع) ومبنى الكابيتول الأمريكي (الكونغرس).[2] في الواقع، كان بن لادن في البداية مندفعاً إلى فكرة مهاجمة البيت الأبيض أكثر من الكابيتول، لكنّه عدَلَ عن الفكرة في النهاية لأن البيت الأبيض كان هدفًا صعب الاستهداف مقارنةً بالكابيتول.[3]

اختار بن لادن بنفسه المرشحين الأربعة الأوائل لقيادة العملية، ولعب دوراً مباشراً في اختيار أهم المشاركين مع تقدم المؤامرة. في أفغانستان وباكستان، تلقى عدد من العناصر الفاعلة الرئيسة في عملية الحادي عشر من أيلول تدريبات متقدمة على تكتيكات المغاوير، والعمليات الليلية، وإطلاق النار من دراجة نارية، وغيرها من التقنيات المتقدمة. قام خ.ش.م أيضًا بتعليم الثقافة الغربية للعملاء، والعبارات الإنجليزية الرئيسة، وكيفية اتقان العمل بسريّة مثل كيفية استخدام الرموز والشيفرات؛ والأهم من ذلك، زوّد خ.ش.م عملائه بتفاصيل حول كيفية اختطاف الطائرات وكذلك التدريب على أساسيات قيادة الطائرات مستخدماً برنامج محاكاة الطيران الافتراضي.[4] كان محمد عطا، المصري الجنسية، هو القائد الميداني العام

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 169.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 154.

(3) T. McDermott, Perfect Soldiers: The Hijackers: Who They Were, Why They Did It, New York, HarperCollins, 2005, p. 229.

(4) «The 911/ Commission Report,» p. 157.

للمختَطِفين التسعة عشر، وقد قاد الطائرة التي ضربت البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي، أما باقي الطيارين الثلاثة فهم مروان الشحي، من الإمارات العربية المتحدة؛ هاني حنجور، من المملكة العربية السعودية؛ وزياد جراح من لبنان. جاء معظم المختَطِفين الخمسة عشر الباقين من المملكة العربية السعودية ـ حيث كان حصولهم على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة أسهل بكثير من حصول اليمنيين أو العرب من الدول الفقيرة الأخرى، حيث لم يخشَ مسؤولو الحدود من أن السعوديين الأثرياء سيتجاوزون مدة الزيارة المسموحة ويبحثوا عن فرصة عمل بشكل غير قانوني. كان دور العناصر من غير الطيارين هو القوة الجدسية التي تتمثل في السيطرة على الركاب والتغلب على أي مقاومة قد تظهر. لم يعرف هؤلاء العناصر أيّة تفاصيل عن العملية باستثناء أنهم تطوعوا لمهمة انتحارية باسم الجهاد.

بعد مغادرتهم أفغانستان، عاد المهاجمون إلى ديارهم وحاولوا التواري عن الأنظار كما تجنّبوا الإختلاط مع الجهاديين المعروفين خوفًا من الإشتباه بهم من قِبَل الأجهزة الأمنية. قام محمد عطا بحلاقة لحيته ولم يذهب بعد إلى المساجد المتطرّفة. بالإضافة إلى ذلك، قام العديد من الخاطفين بالتخلّص من جوازات سفرهم القديمة من أجل تجنب التدقيق الأمني الذي قد يأتي بسبب حصولهم على تأشيرات باكستانية، ولهذا، قاموا بإصدار جوازات سفر جديدة وخالية من التأشيرات مكّنتهم من دخول الولايات المتحدة.

تمكن الخاطفون من دخول الولايات المتحدة عدة مرات دون الاشتباه بهم نظراً لحوزتهم على تأشيرات دخول صالحة. ولكن بعد الهجوم، جذبت سهولة الدخول هذه انتقادات كبيرة. على سبيل المثال، كان اثنين من العناصر وهم: خالد المحضار ونواف الحازمي ضمن قائمة المشتبه بهم في تورطهم بالإرهاب، وقد علمت وكالة الاستخبارات المركزية في بدايات عام 2000 أن محضار حصل على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة وأن حازمي قد سافر إلى الولايات المتحدة. ومع ذلك، لم يتم إدراجهم في قائمة المراقبة، وبالتالي لم يتم وضع علامة عليهم للمسؤولين القنصليين أو الحدود لمنعهم من دخول الولايات المتحدة كما لم يتم الكشف عن وجودهم لمكتب التحقيقات الفيدرالي حتى 28 آب 2001، وحتى في ذلك الحين، تم اعتبار طلب العثور على مزيد من المعلومات عنهم «اعتيادي فقط».[1]

دخل محضار وحازمي الولايات المتحدة في كانون الثاني عام 2000، وبعد الاستقرار،

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 270.

باشر كلاهما في تلقي دورات تدريبية في الطيران. كانت مهاراتهم اللغوية الضعيفة تُشكّل عائقاً في سبيل تقدّمهم، مما جعل التدريب على الطيران يبدو صعباً للغاية. في الواقع، لم يكن حازمي ولا محضار طيارين في النهاية، بل أصبحا بدلاً من ذلك جزءًا من فريق المختطفين الذي سيقوم بضبط المسافرين. لكن بينما فَشِلَ حازمي ومحضار في صيف عام 2000، وصل محمد عطا وزياد جراح ومروان الشحي إلى البلاد، حيث تدرّبوا على قيادة الطائرة بنجاح في ولاية فلوريدا، كما حصل الطيار الرابع هاني حنجور على رخصة طيّار في التسعينيات؛ تم إدراجه في المؤامرة بعد ذهابه إلى أفغانستان للتدريب العسكري حيث عرّف عن نفسه كطيار مُدَرّب في معلوماته الشخصية كما شارك في برنامج تدريبي لتجديد المعلومات في خريف عام 2000 وربيع 2011.[1] بدأ الخاطفون من غير الطيارين بالوصول إلى الولايات المتحدة ابتداءً من نيسان 2001، ووصل جميعهم باستثناء واحد بحلول نهاية يونيو. كتب المؤلف تيري مكديرموت أنه «بعد وصول الخاطفين في أوائل أيلول، عاشت تلك الفرق الاغتيالية في أطراف ضواحي أمريكا، وكانت تقْطُنُ سلسلةً من الشقق الفندقية القذرة والموتيلات كما اشتركوا في صالات رياضية وتمرّنوا بانتظام. اشترك جرّاح في دروس تعليم فنون القتال كما قام الطيارون بحجز رحلات استكشافية عبر القارة، وذلك لفحص الإجراءات الأمنيّة على متن شركات طيران مختلفة».[2] في صباح الحادي عشر من أيلول، عبَر كلٌّ من الخاطفين التسعة عشر أمن المطار واستقلوا رحلاتهم. كما أن كل ما بحوزتهم من سكاكين والرذاذ المسيل للدموع والأسلحة الأخرى التي حملوها عبَرَ نقاط التفتيش الأمنية، حيث أن تركيز المراقبين كان يقتصر على اكتشاف الأسلحة النارية والمتفجرات، وهي الأدوات التي كانت تستخدم في اختطاف الطائرات وتفجيرها في الماضي. للسيطرة على الطائرات، طعن الخاطفون العديد من أفراد الطاقم والركاب واستخدموا الرذاذ المسيل للدموع للتغلب على المقاومة، كما زعم الخاطفون أن لديهم قنابل، لكن مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يعثر لاحقًا على أي دليل يثبت وجود متفجرات، وأكّدت لجنة الحادي عشر من أيلول أن القنابل كانت بمثابة خدعة لا أكثر.

يعود نجاح الخاطفين جزئياً إلى الطبيعة المبتكرة لتكتيكاتهم، حيث لم يتوقع أحد في ذلك الوقت أن يستولي المهاجمون على طائرة باستخدام أسلحة مثل السكاكين أو أنهم

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 226.

(2) McDermott, Perfect Soldiers, p. 221.

سيسقطونها عمداً، لذلك كان لدى الركاب سبب وجيه لتجنب المقاومة أملاً في محاولة إنقاذهم بعد هبوط الطائرة. تلاشت ميزة عنصر المفاجئة التي اتّبعها الخاطفون بسرعة، حيث أن الركاب على متن الرحلة رقم 93 من الخطوط الجوية المتحدة (United Airlines) التي غادرت بعد 25 دقيقة من الموعد المحدد، استخدموا هواتفهم المحمولة للاتصال بالأصدقاء والأقارب بعد بدء عملية الاختطاف. وبعد معرفة مصير الرحلات الجوية الأخرى، حاول الركاب السيطرة مجدداً على الطائرة. كشفت التسجيلات التي تم استعادتها لاحقًا من مسجل صوت قمرة القيادة بالطائرة بأن الخاطفين كانوا يخشون أن ينجح الركاب بالسيطرة ولذلك قام الخاطفون بالهبوط المفاجئ وتحطيم الطائرة عمداً قبل الوصول إلى هدفها. أنقذ هذا التصرف البطولي للركاب عددًا غير معروف من الأرواح البريئة في الكابيتول(مبنى الكونغرس) الذي كان الهدف المقصود للرحلة رقم 93.

اتجهت الطائرات الثلاث المختطفة الأخرى إلى برجيْ مركز التجارة العالمي والبنتاغون. في مركز التجارة العالمي، اجتاحت الكرات النارية أجزاء من المباني، مما أسفر عن مقتل مئات من الأشخاص ومحاصرة مئات آخرين، كما أدت الحرارة الناجمة عن الانفجارات والحرائق إلى إضعاف هياكل المباني مما أدى إلى انهيار البرجين؛ كما بدأ الحطام المتساقط حريقًا في برج ثالث وهو المبنى رقم 7 في مركز التجارة العالمي، مما تسبب في انهياره أيضًا. وبدوره، تعرّض البنتاغون أيضا لأضرار كبيرة. أسفرت هذه الهجمات إجمالاً عن مقتل 2977 شخصًا وتسببت في خسائر بقيمة حوالي 10 مليارات دولار نتيجة الأضرار المباشرة التي لحقت بالممتلكات والمباني، إضافةً لخسارة العديد من المليارات الأخرى نتيجة اضطراب الاقتصاد الأمريكي والعالمي. في الواقع، لقد تجاوز الدمار تصورات بن لادن نفسه، إذ لم يتوقع قادة التنظيم ولا المهندسين الأمريكيين انهيار هذه الأبراج.

أدّت هذا الهجمات فيما بعد إلى إدراك واستيعاب القوة الحقيقية لتنظيم القاعدة. أكّدت العديد من التقارير على اقتراب موجة ثانية من الهجمات الإرهابية، بينما تنافس المحللون والسياسيون الأمريكيون على تخيُّل الهجوم الفظيع التالي الذي سيقوم به التنظيم، ولذلك، وضع المسؤولون الأمريكيون ـ بدءاً من الرئيس ـ محاربة تنظيم القاعدة على رأس أولوياتهم.

هل كان من الممكن إيقاف هجمات الحادي عشر من أيلول؟

جاءت هجمات الحادي عشر من أيلول بشكلٍ مفاجئ وصادم لمعظم الأمريكيين، مما ضاعف حجم الصدمة الناتجة عن الدمار وحصيلة أعداد الضحايا. وكان التضامن والتماسك ما بعد الهجوم قد مهّد السبيل تدريجياً إلى توجيه أصابع الاتهام، حيث ألقى العديد من المسؤولين باللوم على عناصر الاستخبارات لفشلهم في منع الهجمات بينما تنافس السياسيون والبيروقراطيون على إبعاد أنفسهم أو منظماتهم عن مسؤوليّة أي خطأ. على الرغم من أن هنالك الكثير من اللوم الذي يجب توجيهه، وأن الأمور أصبحت واضحة وجليّة حول ما كان يجب القيام به، إلّا أن هذا النقد لا يعكس وجهات النظر والحقائق السياسية في الفترة التي سبقت الحادي عشر من أيلول.

لم يكن الحظ سبباً لنجاح تنظيم القاعدة في هجمات 11 أيلول، بل إن نجاح هذه الخطة يعكس جرأة التنظيم ومهارته وإصراره وقوته التنظيمية وقدرته غير العادية إضافةً إلى منهج التنظيم في التعامل مع الإرهاب. يعتبر التنظيم نفسه منظمة طليعية سعت دائمًا إلى إيجاد عملاء مبدعين ومتفانين في العمل مثل خالد شيخ محمد ومحمد عطا. بالإضافة إلى ذلك، كان تنظيم القاعدة على استعداد لتوفير الوقت والموارد لكافه عملائه: حيث أن تكلفة المؤامرة نفسها ربما وصلت إلى 500000 دولار، كما أنّ قلّة قليلة من الجماعات الإرهابية فقط تستطيع تحمل تكلفة مثل هذه العملية وحدها. وبينما كانت معظم الجماعات الإرهابية تقليدية من ناحية عملياتها والتنفيذ، إلّا أن تنظيم القاعدة أثبت بالفعل استعداده للابتكار، وذلك باستخدام قارب مفخّخ لمهاجمة المدمّرة الأمريكية يو إس إس كول (USS Cole)، والبحث عن الأسلحة نووية وغير التقليدية، ومحاولة إيجاد طرق جديدة للقتال والإرهاب. أخيراً، أكّد التنظيم على أمن العمليات وسريّتها، مما جعل من الصعب اختراقه من قِبل وكالات الاستخبارات.

في الواقع، وعلى الرغم من مهارة وتفاني تنظيم القاعدة، فقد كان منع حدوث هجمات الحادي عشر من أيلول أمراً ممكناً. غرِقت الولايات المتحدة بوابل من الاتهامات بعد حدوث الهجمات حيث قدّم الباحثون في نظرية المؤامرة مزيجًا من التفسيرات الغريبة التي ألقى معظمها باللوم على الرئيس بوش (أو على من يتحكم بقراراته ـ كما يصفه البعض ـ وهو نائب الرئيس تشيني لإتاحة الفرصة للقيام بالهجمات أو حتى التخطيط لهذه الهجمات بأنفسهم

واستخدام القاعدة كحجّة من أجل غزو العراق. وبحسب النظرية الأخيرة، فإن انهيار أبراج مركز التجارة العالمي حصل بسبب الهدم المُتعمّد وليس بسبب الأضرار التي سببتها الطائرات. وبالطبع، لن تكتمل أي مؤامرة ما لم يتم إلقاء اللوم على اليهود بطريقة أو بأخرى، حيث تقول أحد النظريات ـ الرائدة في العالم الإسلامي على وجه الخصوص ـ أن المخابرات الإسرائيلية هي من فجّر الأبراج وذلك لدفع الولايات المتحدة إلى شن حرب ضد العالم الإسلامي.

ركز النقد الأكثر عقلانية على أداء وكالات الاستخبارات المكلفة بمنع مثل هذه الهجمات، وخاصة وكالة الاستخبارات المركزية. كما وجدت لجنة الحادي عشر من أيلول ـ وهي مجموعة رجال ونساء حكيمين من أحزاب مختلفة تشكلت للتحقيق في الإخفاق في وقف الهجمات وتقديم المشورة بشأن الخطوات التالية ـ أن وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي قد فقدوا أثر العديد من المشتبه بهم وأن عددًا من المختَطِفين كانوا معروفين من قبل المخابرات الأمريكية، ومع ذلك لم يتم تحديث قوائم المراقبة لمنعهم من الحصول على تأشيرات لدخول البلاد.[1] امتلك كلٌّ من وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالي ووكالة الأمن القومي معلومات مفيدة وذات صلة بمخطط الحادي عشر أيلول، لكن لم يتم مشاركة هذه المعلومات بشكل كامل ونتيجةً لذلك، ضاعت فرص اكتشاف المؤامرة. وبشكل عام، وجدت لجنة الحادي عشر من أيلول أن وكالات الاستخبارات والحكومة الأمريكية إجمالاً، لم يستعملوا مخيلتهم بشكل كافي، حيث فشلوا في توقّع تكتيك مثل التفجير الانتحاري باستخدام طائرة أو حجم المذبحة التي حصلت.

لم تُمنح مكافحة الإرهاب قبل الحادي عشر من أيلول سوى القليل من الإهتمام رفيع المستوى، وكانت تفتقر إلى التمويل والقوة البشرية. وبعد تفجيرات السفارات في عام 1998، كَتبَ مدير الاستخبارات المركزية جورج تينيت مذكرة داخلية أعلن فيها: «نحن في حالة حرب. لا أريد توفير أي من الموارد أو الأشخاص في هذا الجهد».[2] ومع ذلك، استمرت وكالة المخابرات المركزية وغيرها من وكالات الاستخبارات في التركيز على جمع معلومات استخباراتية تقليدية فضلاً عن مكافحة الإرهاب. وكما كتب أحد ضباط المخابرات المسؤولين عن القاعدة في وقت لاحق، أنّه قد عَلِمَ هو وغيره من مسؤولي الاستخبارات من المستوى

(1) «The 911/ Commission Report,» pp. 254–277, 355–356

(2) Coll, Ghost Wars, p. 435.

الأدنى أن هنالك مصيبةً عظمى في طريقها إلى الولايات المتحدة، ووثّقوا هذه المعلومات، ثم اكتفوا بالمشاهدة بلا حول ولا قوة ـ أو تم منعهم عن التحدث علناً ـ كيف أخّر قادتهم التصرف، وقللوا من شأن الاستخبارات، وتجاهلوا التحذيرات المتكررة...».[1] وعلاوة على ذلك، خشيت وكالة المخابرات المركزية من أن الأعمال السرية المحفوفة بالمخاطر مثل التعاون مع المعارضين الأفغان لتنظيم القاعدة قد تشوه في وقت لاحق سمعة وكالة الاستخبارات المركزية عندما ترجح الكفّة السياسية؛ وفي الواقع، سيظهر هذا الخوف بعد عقد من الزمن مع تلاشي ذكرى هجمات الحادي عشر من أيلول، وانتقاد المشرّعين وغيرهم في الحكومة للجهود التي بذلتها وكالة الاستخبارات المركزية للضغط على القاعدة، بما في ذلك تعذيب المعتقلين، باعتبارها مفرطة وغير قانونية على الرغم من أن وكالة الاستخبارات قد حصلت على تصريح مطلق من البيت الأبيض للقيام بذلك. تم إلقاء اللوم على وكالة المخابرات المركزية بشكل كبير لأن العديد من محاولاتها السرية وجمعها للمعلومات لم تثمر بالكثير، ولكن مقارنة بالهيئات الحكومية الأخرى، كانت الوكالة تعمل بجهدٍ وفير. في الواقع، يدعي الباحث القانوني والمفكّر ريتشارد بوسنر أن وكالة المخابرات المركزية على وجه الخصوص، وكذلك منظمات أخرى في الحكومة، قدمت مجموعة من الخيارات ظهرت في ذلك الوقت على أنها خيارات جريئة وخلّاقة، مثل: زيادة السلطة التي منحها الرئيس لوكالة المخابرات المركزية بما في ذلك المزيد من الحرية لقتل بن لادن إذا لم يتمكنوا من القبض عليه، مساعدة سرية للتحالف الشمالي المناهض لطالبان وغيرها من التدابير.[2]

في المقابل، كان دور مكتب التحقيقات الفيدرالي كارثياً. ارتكب مكتب التحقيقات الفيدرالي أخطاءً واضحة بأسلوب مشابه لأخطاء الاستخبارات المركزية والتي يمكن إدراكها بسهولة من خلال الرجوع بالأحداث كالفشل في متابعة التقارير التي تفيد بأن الجهاديين المشتبه بهم كانوا يسعون للتدريب على الطيران وأن العديد من الخاطفين كانوا على اتصال بالإسلاميين المتشدّدين في الولايات المتحدة ممن كانوا تحت المراقبة فعلياً. وبغض النظر عن هذه الأخطاء، فقد كان مكتب التحقيقات الفيدرالي كمؤسسة مخطئاً من منظور مكافحة

(1) M. Scheuer/«Anonymous,» Imperial Hubris: Why the West is Losing the War on Terror, Dulles, VA, Potomac Books, 2004, p. ix.

(2) R. Posner, «The 911/ Report: A Dissent,» New York Times, August 29, 2004, http://www.nytimes.com/200429/08//books/the ـ 11 ـ 9 ـ report ـ a ـ dissent. html.

الإرهاب، حيث قلل من قيمة التحليلات الاستخباراتية، ولم يدرب عملاءه بشكل صحيح على جمع المعلومات الاستخباراتية، ولم يوفر الموارد الكافية لمكافحة الإرهاب، وكان اهتمامه محصوراً بالتحقيق في الهجمات السابقة بدلاً من التركيز على منع الهجمات المستقبلية. بالإضافة إلى ذلك، لم يتم مشاركة المعلومات الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالي في هذا المجال مع القيادة المركزية أو المكاتب المحلية الأخرى، ناهيك عن بقية حكومة الولايات المتحدة.

على الرغم من القدرات الاستخباراتية المذهلة والإمكانيات الهجومية المثيرة للإعجاب للقوات المسلّحة، لم يكن الجيش الأمريكي ضالعاً بشكل جدّي في ملاحقة تنظيم القاعدة قبل أحداث الحادي عشر من أيلول، فكبار المسؤولين العسكريين والدفاعيين لم يأخذوا بعين الاعتبار فكرة العمليات العسكرية في أفغانستان، أو غارات قوات العمليات الخاصة، أو غيرها من التدابير التي أصبحت ثابتة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، كما وجدت لجنة 9/11 أن» وزارة الدفاع لم تكن منخرطة أبداً بشكل كامل في مهمة مكافحة القاعدة قبل أحداث الحادي عشر من أيلول بأي شكل من الأشكال».[1]

يُعدّ إلقاء اللوم على «فشل استخباراتي» أو على أعضاء الحكومة أمرًا أسهل سياسياً من إلقاء اللوم على القادة السياسيين، وعلى الرغم من أن الهيئات الاستخباراتية تستحق الكثير من اللوم، إلّا أن المشاكل الأعمق التي سمحت لهجمات الحادي عشر من أيلول أن تحدث هي نابعة من سياسة مكافحة الإرهاب الأمريكية نفسها. ظلت الحكومة الأمريكية غائبة نسبياً في موضوع مكافحة الإرهاب قبل الحادي عشر من أيلول على الرغم من التحذير الاستراتيجي الكبير، حتى أن هجمات عام 1998 على السفارة لم تثر رداً قوياً: وكانت الضربات الصاروخية على أهداف افتراضية ذات صلة بالقاعدة في السودان وأفغانستان لم تلحق الضرر بالقاعدة بأي طريقة كانت، وفي الواقع جعلتها تبدو أقوى بسبب نجاحها في الوقوف بوجه الولايات المتحدة. حذّرت وكالة الاستخبارات المركزية دائماً بأن القاعدة ستهاجم، وفي شباط 2001، صرّح مدير الاستخبارات المركزية جورج تينيت بأن بن لادن والقاعدة يشكّلان «التهديد الأكثر إلحاحًا وخطورة» على الولايات المتحدة.[2] ومع ذلك، و لطالما كان التنظيم ينعم بملاذٍ آمن

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 368.

(2) Quoted in R. Burns, «CIA Chief Calls bin Laden Biggest Threat to US Security,» Associated Press, February 7, 2001.

في أفغانستان، كان قيادييه متمكّنين من تسليح وتدريب وتنظيم وبناء جيش صغير لهم بحريّة تامّة. كان بإمكان التنظيم أن يخطط لهجوم تلو الآخر، وكان يُعتبر استمرار عملية واحدة فقط دون أن يتم كشفها، نجاحاً باهراً للتنظيم. وبالمثل، فإن الولايات المتحدة لم تستهدف بقوة خلايا القاعدة المحتملة في الداخل أو الخارج، وبالتالي تمكين المجموعة من تجنيد وإرسال عملاء في جميع أنحاء العالم مع وجود مخاطرة قليلة لاعتقالهم أو إحباط العملية. كما لم تكن لدى واشنطن سياسات متماسكة لمكافحة الإرهاب تجاه باكستان والسعودية ; وهما الدولتان الرئيستان عندما يتعلق الأمر بتنظيم القاعدة. لم يفرض القادة السياسيون تعاونًا استخباريًا أفضل، بل طالبوا بأن يصبح الجيش أكثر انخراطًا في مكافحة القاعدة، أو بمعالجة المشكلات المؤسسية فضلاً عن ذلك.

في الواقع، يصعب على المرء تقبُّل كيف أن هجمات الحادي عشر من أيلول كان من الممكن إيقافها بسهولة بغض النظر عن كل الأخطاء التي حصلت. إن تفكيرنا في الحادي عشر من أيلول يعاني من التحيز نوعاً ما: حيث أن النوايا والقرائن تبدو واضحة بعد الهجوم، لكن إذا وضعنا أنفسنا في مكان المحللين والمشرّعين في ذلك الوقت، فإن الواقع آنذاك كان أكثر تعقيدًا بكثير. يشير المفكر ريتشارد بوسنر إلى أن الولايات المتحدة لم تتعرض لعملية اختطاف طائرة ناجح لمدة خمسة عشر عامًا قبل 11 أيلول، مما يجعل من الصعب تبرير المطالبة في زيادة أمن الطيران. وكما أوضحت لجنة الحادي عشر من أيلول أنّه، «قبل 9/11، قتلت القاعدة وشركاؤها أقل من 50 أمريكيًا، بما في ذلك تفجيرات سفارة شرق إفريقيا والهجوم الذي استهدف المدمرة كول. لقد أخذت حكومة الولايات المتحدة التهديد على محمل الجد، ولكن ليس بمعنى حشد أو إعداد الجهود لمواجهة عدو من الدرجة الأولى أو الثانية أو حتى الثالثة».[1] قام محللون تابعون لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتتبع مؤامرات القاعدة في جميع أنحاء العالم. لكن القرائن المتوفرة التي تشير إلى حدوث غارة في الولايات المتحدة ضاعت في الكم الهائل من معلومات التهديد حول هجمات محتملة أخرى. اكتشفت التحقيقات في الهجمات السابقة، مثل تفجيرات القاعدة لسفارات الولايات المتحدة في إفريقيا عام 1998 وهجمات حزب الله على ثكنات المارينز الأمريكية والسفارة في بيروت عام 1983، أن التحذير التكتيكي غالبًا ما يكون مفتقدًا عندما يتعلق الأمر بالإرهاب.

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 340.

وهنالك بعض المشاكل التي تكاد أن تكون مستحيلة الحل مثل السياسة الأمريكية تجاه باكستان التي بقيت مشوشة إلى حد بعيد على مدى عقد كامل بعد الحادي عشر من أيلول، كما يتم الآن انتقاد التدابير الصارمة التي اتخذها الرئيس بوش في ملاحقة الإرهابيين باعتبارها مفرطة. باختصار، لا يزال خطر الإرهاب قائما ومترافقاً مع خطر تبديد الأموال وخلق مشاكل جديدة باستخدام أساليب مكافحة الإرهاب المفرطة.

كيف برّر تنظيم القاعدة هجمات الحادي عشر من أيلول؟

على الرغم من أن البعض في العالم الإسلامي قد رحّب بالهجوم على الولايات المتحدة، ورأوا ذلك على أنه توبيخ وعقاب لقوة إمبريالية وحشية، إلا أن الانتقادات الشديدة جاءت من جهة مفاجئة وهي الإسلاميين، حيث قام ستة وأربعون زعيماً من مجموعة واسعة من الجماعات الإسلامية، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين في مصر وحماس والجماعة الإسلامية في باكستان، بتوقيع خطابٍ يدينون فيه الهجمات ويعلنون أنها «ضد جميع المعايير الإنسانية والإسلامية».[1] صرّح محمد حسين فضل الله، المرشد الروحي لحزب الله في لبنان (وهي جماعة قتلت مئات الأميركيين في هجمات انتحارية في الثمانينات)، إنّه «روِّع» من هذه «الجرائم الهمجية..». التي «تم تحريمها الإسلام».[2] كما نددت السلطات الدينية الرائدة في المنطقة بتصرفات تنظيم القاعدة، ومنهم عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ومحمد سيد الطنطاوي، رئيس جامعة الأزهر في القاهرة. رفض هؤلاء الزعماء الإسلاميون وعلماء الدين شرعية تصرفات القاعدة استناداً إلى عدة معايير أساسية في التقاليد الشرعية الإسلامية، بما في ذلك أن قادة القاعدة لم يكن لديهم حق إعلان الجهاد؛ حيث أن الولايات المتحدة ليست هدفًا مشروعًا لأن الأنظمة الإسلامية قد أبرمت معاهدات معها؛ وأن الإسلام كدين يحّرم قتل المدنيين.

رداً على هذه الإتهامات، أصدر تنظيم القاعدة بياناً مفصلاً في عام 2002 يوضح فيه التبريرات الدينية لأحداث 11 أيلول. أظهر رد الفعل ـ الذي كان موجهًا بشكل خاص للعلماء

(1) As quoted in Q. Wiktorowicz and J. Kaltner, «Killing in the Name of Islam: Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» Middle East Policy, vol. 10, no. 2, June 2003, p. 77.

(2) «Attacks on US Are Un ـ Islamic, Say Clerics,» IOL News, September 14, 2001, http://www.iol.co.za/news/world/attacks ـ on ـ us ـ are ـ un ـ islamic ـ say ـ clerics 1.69136 ـ.

المسلمين والزعماء الإسلاميين الذين شجبوا الهجمات، وليس على جمهور غربي ـ مدى الأذى والخيبة الذي سببه هذا النقد من الإسلاميين. في تحليلهم لبيان القاعدة لعام 2002، أوضح الباحثان كوينتان ويكتوروفيتش وجون كالتنر أن تنظيم القاعدة بدأ بتحدي أوراق اعتماد منتقديه، زاعمين أنه قد أفسدتهم الحكومات المرتدة: في أفضل الأحوال، كانوا يجهلون الإسلام، وفي أسوأ الأحوال، اعتبرهم التنظيم أبواقاً للأنظمة التي تهيمن عليها الولايات المتحدة. جادل مؤلفو بيان القاعدة بأن هؤلاء العلماء الإسلاميين «يمنحون الحريّة للصليبيين لينفذوا إنتقامهم من المسلمين».[1] على النقيض من ذلك، اعتبر القادة الجهاديون أنفسهم بأنهم أتقياء، وبمعنى آخر، لقد باع القادة الدينيون القضية، تاركين الأمر لمن هم من غير العلماء للدفاع عن الإيمان.

في سبيل مواجهة الحجج القائلة بأن الهجمات على الولايات المتحدة كانت غير قانونية لأن الولايات المتحدة أبرمت معاهدات مع العديد من الدول الإسلامية (حيث أنه بموجب القانون الإسلامي، يُعتبر شن الجهاد ضد شخص وقعت معه معاهدة أمراً غير قانوني) ادّعا تنظيم القاعدة أن الولايات المتحدة كانت منخرطة بالفعل في الحرب على الإسلام وأن الجهاديين كانوا يحملون السلاح دفاعًا عن أنفسهم. تم ذكر العقوبات الأمريكية على العراق وقصف العراق في التسعينيات، وبالطبع علاقة واشنطن الوثيقة بإسرائيل، كأمثلة على الغدر الأمريكي. لذلك، اعتبر التنظيم أن أي معاهدات تم التوقيع عليها كانت غير صالحة لأن الولايات المتحدة خرقت المعاهدة أولاً. وعلى أي حال، لم تكن الأنظمة المرتدّة مخولة بإبرام معاهدات في المقام الأول.

كان النقد بشأن القتل غير القانوني للمدنيين مهمًا بشكل خاص للجهاديين حيث أن العديد من الآيات في القرآن وأقوال النبي محمد(ص) ترفض بشكل قاطع قتل المدنيين. بعد الحادي عشر من أيلول، استشهد يوسف القرضاوي، وهو باحث إسلامي مؤثر ومحترم للغاية، بآيةٍ من القرآن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسَاً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً﴾ (سورة المائدة، 32)،[2] فردّ عليه قياديي تنظيم القاعدة بالآية القرآنية: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاْعتَدُوا عَلَيْهِ بِالْمِثْلِ﴾ (سورة البقرة، 194)، وبما أن الولايات المتحدة، في نظرهم، قد انتهكت

(1) As quoted in Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 82.

(2) As quoted in Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 96.

بالفعل قواعد الحرب من خلال قتل المدنيين المسلمين بالعقوبات في العراق وبدعم قتل المدنيين الفلسطينيين، فلا يجب على المسلمين الإمتناع عن قتل المدنيين في المقابل. وبناءً على «قاعدة المعاملة بالمثل»، جادل قادة القاعدة بأنه «إذا كان المؤمنون قد استهدفوا النساء المسلمات والأطفال والمسنين، يجوز للمسلمين أن يردوا بالمثل».[1] وكما يستنتج ويكتوروفيتش وكالتنر، «إن اتساع نطاق هذه الظروف يوفّر تبريرًا عقائدياً كبيرًا لقتل المدنيين في أي وضع يمكن تخيله تقريبًا».

على الرغم من أن القاعدة والجماعات المتشابهة في التفكير تعتمد على هذه الحجج وغيرها من الحجج المشابهة للدفاع عن أعمالهم ومواصلة تبرير القتل حتى يومنا هذا، لم يفلتوا أبدًا من الإجماع الإسلامي السائد على أن أفعالهم ليست مبررة وغير مقبولة في الدين الإسلامي.[2]

ماذا كانت تداعيات هجمات الحادي عشر من أيلول بالنسبة إلى لقاعدة؟

تسبّبت هجمات الحادي عشر من أيلول بالصدمة للعالم بأسره وجعلت أسماء تنظيم القاعدة وبن لادن مألوفة للعلن. ومع ذلك، فقد كانت هذه الهجمات كارثية بالنسبة للقاعدة أيضاً، حيث بدأ التنظيم يترنّح تحت وطأة الرد القاسي بقيادة الولايات المتحدة. فقدت أكثر من 80 دولة مواطنين لها في أحداث 11 أيلول، حيث أن مدينة نيويورك على وجه الخصوص تُعتبر مدينة ذات طابعٍ دوليّ، وكانت مباني مركز التجارة العالمي أماكن عمل عالمية. عرضت أكثر من 130 دولة القواعد العسكرية، وحقوق التحليق فوق أجوائها، والقوات البرية، وغيرها من أشكال المساعدة العسكرية للولايات المتحدة، كما عملت تلك الدول على استهداف الأموال المشتبه في عودتها إلى تنظيم القاعدة وحركة طالبان. بذلك، احتشد العالم خلف القيادة الأمريكية ولو كان ذلك بشكل مؤقت.[3]

اعتُبرت الإطاحة بحكومة طالبان أحد أول الخسارات لتنظيم القاعدة. بعد الحادي عشر من أيلول، عملت الولايات المتحدة مع التحالف الشمالي الأفغاني، وهو مجموعة من المقاتلين

(1) As quoted in Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 86.

(2) Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 90.

(3) For a list, see «The Global War on Terrorism: The First 100 Days,» The Coalition Information Centers, US Department of State Archives, 2001, http://2001 2009 ـ. state.gov/s/ct/rls/wh/6947.htm.

المناهضين لطالبان التي كانت على وشك السقوط بينما عززت طالبان سيطرتها على أفغانستان بثبات. كانت هذه القوة مدعومة من قبل القوات الجوية الأمريكية، وبمساعدة إضافية من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وقوات العمليات الخاصة الأمريكية، استولى التحالف على العاصمة كابول خلال أشهر وتم طرد طالبان من معظم أنحاء أفغانستان. كان بن لادن يأمل أن تتعثر الولايات المتحدة في أفغانستان كما حصل مع البريطانيين والسوفييت من قَبلها ـ حيث كانت أفغانستان تحظى بسمعة «مقبرة الإمبراطوريات» ـ ولكن في عام 2002، بدا وكأن النصر الأمريكي قد اكتمل. كانت خسارة نظام طالبان بمثابة ضربة خاصة للقضية الجهادية الأوسع حيث تقبّلَ بن لادن طالبان كحكومة إسلامية حقيقية والملا عمر كقائد للمؤمنين، كما اعتقد الكثير من الجهاديين أن إنشاء دولة إسلامية هو الخطوة الأولى لتحقيق النصر، وبالتالي شعروا بقوة أن محاولة طالبان كان يجب دعمها بدلاً من المخاطرة بها في مثل هذه الطريقة المتعجرفة. أكّد الجهاديون على أن هذه الدولة يجب أن تزداد قوة وإما أن تغزو الدول الإسلامية الأخرى أو تحدث ثورة فيها وحينها فقط سيكون العالم الإسلامي تحت قيادة إسلامية «حقيقية» قوية بما يكفي لمواجهة أعداء مثل الولايات المتحدة.

فقد تنظيم القاعدة نفسه أهم القادة الرئيسين في الهجوم الأوّل، مثل القائد العسكري للتنظيم محمد عاطف. يشير لورانس رايت إلى أن تنظيم القاعدة قد خسر حوالي 80 % من أعضائه في أفغانستان خلال الأشهر الأخيرة من عام 2001.[1] كما لم يعد بإمكانه إحضار مجندين من جميع أنحاء العالم إلى معسكرات التدريب التابعة له وتدريبهم على محاربة التمرد، واختيار أفضل المجندين للهجمات الإرهابية، وتلقينهم تفسير القاعدة للدين الإسلامي. بعد أحداث 11 أيلول، كان معظم قياديي التنظيم فارّين، كما تم إغلاق جميع معسكرات التدريب. اكتشفت الولايات المتحدة مئات الوثائق وأشرطة الفيديو وأرقام الهواتف التي ساهمت في عددٍ لا يحصى من الدلائل على موقع وأنشطة أعضاء القاعدة، وبدورها أتاحت الفرصة لمزيد من الاعتقالات كما يوضّح الخبير في شؤون الإرهاب بيتر بيرغن أن «تنظيم القاعدة قد فقد أفضل قاعدة ومركز حصل عليه على الإطلاق في أفغانستان».[2] في نفس

(1) L. Wright, «The Rebellion Within,» The New Yorker, June 2, 2008, ht t p://w w w. new yorker. com/repor t i ng/20 08080602/02/06/ fa _ fact_wright?currentPage=all.

(2) P. L. Bergen, The Longest War: The Enduring Conflict Between America and al ـ Qaeda, New York, Free Press, 2011, p. 91.

الوقت، نظّمت وكالة المخابرات المركزية حملة واسعة من الاعتقالات في جميع أنحاء العالم، حيث تم اعتقال الجهاديين أو مراقبتهم على الأقل في معظم أنحاء العالم كما تم إحباط محاولات تمويلهم وتجنيدهم. تجاوزت هذه الحملة في نطاقها التركيز الضيق على جوهر القاعدة، حيث تم اعتقال أفراد آخرين من الجماعات المتطرّفة المشابهة لفكر القاعدة في الجزائر وليبيا واليمن وأماكن أخرى. أعلن الرئيس بوش في خطابه للشعب في 20 أيلول 2001، «إن حربنا على الإرهاب تبدأ بتنظيم القاعدة، لكنها لا تنتهي عند هذا الحد. ولن تنتهي حتى يتم إيجاد وإيقاف وهزيمة كل مجموعة إرهابية ذات امتداد عالمي».[1]

كما كان متوقعًا، أدان حلفاء الولايات المتحدة والمسلمون المعتدلون هذه الهجمات، لكنّ ما آذى التنظيم بشكل أكبر كان الانتقاد الذي خرج من داخل الأوساط الجهادية. يقتبس الصحفي جيسون بيرك كلام الخبير الإستراتيجي الجهادي أبو مصعب السوري، الذي أعرب عن أسفه لأن هجمات الحادي عشر من أيلول دفعت «الجهاديين إلى الفرن الملتهب.... حيث التهمت النيران معظم قادتهم ومقاتليهم وقواعدهم».[2] بحلول نهاية عام 2002، كان تنظيم القاعدة على مشارف الزوال: حيث فقد التنظيم كافة قواعدِه، وتم إحباط انتشاره العالمي، كما انتقد العديد من مؤيدي التنظيم والمتعاطفين معه الهدف الذي يحمله التنظيم وحكمة قياديه.

ما الهجمات التي نفذها التنظيم بعد أحداث الحادي عشر من أيلول؟

وجّهت الولايات المتحدة وحلفاؤها ضربات قوية لتنظيم القاعدة عقب أحداث 11 أيلول، كما قضا الهجوم على ملاذ التنظيم في أفغانستان ووضع شبكة اتصالاته العالمية تحت الحصار. وعلى الرغم من ذلك، لم يقف التنظيم مكتوف الأيدي، حيث نفّذ العديد من الهجمات البارزة عقب أحداث 11 أيلول والتي أودت بحياة مئات الأشخاص على الرغم من إعلان السلطات الأمريكية مراراً وتكراراً أن التنظيم كان في حالة كرٍّ وفرّ. لحسن الحظ، أحبط مسؤولو الأمن المتيقظين الكثير من المؤامرات في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط والولايات المتحدة والتي

(1) G. W. Bush, «President Bush Addresses the Nation,» Washington Post, September 20, 2001, http://www.washingtonpost.com/wp - srv/nation/ specials/attacked/transcripts/ bushaddress_092001.html.

(2) Quoted in J. Burke, The 911/ Wars, Kindle Edition, New York, Penguin Books,2011, p. 156.

كان بعضها خطيراً للغاية: حيث في عام 2006، دعمت القاعدة خلية في بريطانيا في محاولة لتفجير قنابل على متن ما يقارب 10 رحلات جوية فوق المحيط الأطلسي (تكراراً لسيناريو مؤامرة بوجينكا الفاشلة عام 1995)، كما كان هنالك العديد من المحاولات الأصغر حجماً نوعاً ما لكنها أُحبِطت وتم اعتقال المتآمرين قبل أن يتم تنفيذها.

في الواقع، حصلت بعض هذه الإخفاقات نتيجةً لأخطاء طفيفة. على سبيل المثال: في 22 كانون الأول 2001، حاول ريتشارد ريد إشعال قنبلة مخبأة في باطن حذائه بينما كان في رحلة من باريس إلى ميامي؛ لكنّ أحد المضيفات اليقظات لاحظَت رائحة أعواد الثقاب التي كان يستخدمها، وتمكّن الركاب وأفراد الطاقم من السيطرة عليه، وتم تحويل الرحلة إلى مطار بوسطن حيث هبطت بسلام. وفي عام 2009، قام عمر فاروق عبد المطّلب، والذي كانت له ارتباطات مع تنظيم القاعدة في اليمن، بإخفاء قنبلة في ملابسه الداخلية وحاول تفجيرها بينما كانت طائرته تهبط في ديترويت. تمّت السيطرة عليه أيضاً من قبل الركّاب بعد إشعال النار في ملابسه وبطانيته. على الرغم من الإخفاقات الفنية، أظهرت هذه الهجمات أن القاعدة تمكنت من اختراق الإجراءات الأمنية الغربية على الرغم من الجهود المكثفة التي أعقبت 11 أيلول لتأمين الطيران المدني.

كان المدنيوّن العُزّل هم الأهداف التي نجح التنظيم بمهاجمتها. في عام 2002، قام التنظيم بتفجير معبد تاريخي لليهود في مدينة جربة التونسية، مما أسفر عن مقتل 21 شخصًا. كذلك، في تشرين الأول من العام نفسه، قامت الجماعة الإسلامية، وهي مجموعة من جنوب شرق آسيا يعمل قادتها مع تنظيم القاعدة، بتفجير ملهى ليلي في جزيرة بالي الإندونيسية، مما أسفر عن مقتل 202 شخص معظمهم من السياح الأجانب. في 11 آذار 2004، قام الجهاديون في إسبانيا ممن لهم صلات مباشرة بتنظيم القاعدة بالهجوم الإرهابي الأعنف في تاريخ أوروبا الحديث، وقتلوا أكثر من 190 شخصًا عندما فجّروا أربعة قطارات ركاب. وفي السابع من تموز عام 2005، قام أربعة انتحاريين مدعومين من قِبل القاعدة بتفجير أنفسهم على متن قطارات المترو وحافلة ذات طابقين في لندن، مما أسفر عن مقتل 52 شخصًا وإصابة أكثر من 700.

على الرغم من هذه النجاحات، إلّا أنّ تنظيم القاعدة عانى العديد من المشكلات بعد أحداث 11 أيلول التي بدورها حدّت من فعاليّة التنظيم. تسبّبَ فقدان التنظيم لملاذه الآمن في أفغانستان في انخفاضٍ كبير في الكفاءة الكلية للعملاء. بينما واصل المجندون قدرتهم

على التدريب في باكستان وأماكن أخرى، كان من المرجح أن يتعرض المتطوعون الجدد للاعتقال في طريقهم إلى باكستان أو داخلها، مما توجّب عليهم وعلى التنظيم بشكل عام التواري عن الأنظار. كان يتوجب على القادة والمدربين تغيير أماكن اقامتهم باستمرار لتجنب القبض عليهم أو قتلهم في غارة جويّة، كما لم يكن الجهاديون آمنين في بلدانهم الأصلية أيضاً، حيث أصبحت أجهزة الأمن الأمريكية وحلفائها في حالة تأهب قصوى ; الأمر الذي ألزم عناصر التنظيم بأن يعملوا بمستوى أعلى من الاحترافية مقارنة بالماضي حتى لا يتم القبض عليهم. غالبًا ما كانت المخططات الجهادية سواء كانت مدعومة بشكل مباشر من قِبل القاعدة أم لا، تُنفّذ بشكل غير مُتقِن من قبل مجندين عديمي الخبرة ممن ارتكبوا أخطاء فادحة أو تعرضوا لاشتباه أمني أدى إلى لفت انتباه مسؤولي مكافحة الإرهاب المتأهبين لتلك الحالات. شكّلت الإجراءات الوقائية عاملاً هاماً في جعل تنفيذ الهجمات أكثر صعوبة، مثل الفحص الأمني الأكثر تطوراً في المطارات. أخيراً، لقد ساهمت هذه التحديات مجتمعة في جعل هجوم مبهر كأحداث 11 أيلول، والتي استغرقت سنوات للتخطيط والتنظيم وتطلّبت خلايا في جميع أنحاء العالم للاشتراك فيها، أمراً يصعب منالهُ مرة أخرى.

كانت جهود تنظيم القاعدة لدعم واستغلال النزاعات في الشرق الأوسط وأفريقيا وجنوب آسيا من خلال دعم حركات التمرد الجهادية ـ أي العودة إلى دوره الأساسي كـ «المحرك الرئيس للجهاد» ـ أقل وضوحًا في الغرب، ولكن الأكثر فتكاً.[1] في عام 2003، أسس تنظيم القاعدة فرعا جديدا له في المملكة العربية السعودية بدأ من خلاله في حملة إرهابية مستمرة استغرقت عدة سنوات حتى تغلبت عليها السلطات السعودية. بشكل عام، عمل التنظيم مع جماعات الجهاد المحلية الموجودة وزجّ نفسه في الصراع لمساعدة حلفائه المحليين وزيادة قوّتهم، كما شهدت مناطق الحرب في العراق وسوريا وأماكن أخرى أعمال الإرهاب المتكررة (وكذلك حرب العصابات) التي شنّتها الجماعات المرتبطة بالقاعدة.

كما هو الحال اليوم، فإن مزيجًا من الجهود العدوانية في الخارج، وتحسين المعلومات الاستخباراتية، وتحسين الدفاعات في الداخل قد جعل من تنفيذ هجوم إرهابي ناجح في الولايات المتحدة أمراً صعب المنال؛ وفي الوقت نفسه، استحوذ الصراع في العالم الإسلامي على عواطف الكثيرين ومكّن الحركة الجهادية من أن تظل وثيقة الصلة وخطيرة.

(1) D. Benjamin and S. Simon, The Age of Sacred Terror, New York, Random House, 2002, p. 113.

الفصل الثالث

التخطيط وفن التكتيك والتنظيم الحربي

ما أهداف تنظيم القاعدة اليوم؟

اجتمع تنظيم القاعدة تحت رايةٍ مجموعةٍ من الأهداف التي وُضِعت ابتداءً من منتصف التسعينيات وأصبحت ثابتة في شباط 1998 بعد إصدار فتوى من المجموعة المدعومة من تنظيم القاعدة، وهي الجبهة الإسلامية العالمية لمكافحة اليهود والصليبيين.(1)

تتضمّن هذه الأهداف أربع نقاط رئيسة وهي:

1 ـ **إنهاء الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط.** تُعتبر الولايات المتحدة قوة إمبريالية مصممة على السيطرة على العالم الإسلامي من وجهة نظر تنظيم القاعدة، كما أنّ وجودها العسكري على وجه الخصوص ـ سواء في المملكة العربية السعودية أو في بقية شبه الجزيرة العربية («أكثر الأماكن قدسيّة»(2))، أو العراق، أو أفغانستان ـ يُعتبر انتهاكاً للقدسية إضافةً إلى التأثير السياسي الأمريكي الأوسع في المنطقة أيضاً. بالإضافة إلى ما سبق، يرى التنظيم أن الولايات المتحدة مسؤولة عن دعم الأنظمة القمعية، ودعم إسرائيل، والتغاضي عن أو قتل المسلمين، وتقليل أسعار النفط بطريقة مصطنعة،

(1) «Jihad Against Jews and Crusaders,» World Islamic Front Statement, February 23, 1998, available at Federation of American Scientists, http:// fas.org/irp/world/para/docs/980223 ـ fatwa.htm; V. Brown, Cracks in the Foundation: Leadership Schisms in Al Qaeda from 1989–2006, Combating Terrorism Center at West Point, September 2007, https://www.ctc.usma. edu/ posts/cracks ـ in ـ the ـ foundation ـ leadership ـ schisms ـ in ـ al ـ qaida ـ from 2006 ـ 1989 ـ; see also the August 2001 Al Qaeda videotape that addresses what bin Laden and others describe as the evil influence of Jews, as described in Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 291.

(2) «Jihad Against Jews and Crusaders».

وبالتالي سلب المسلمين إرثهم وثرواتهم وقمع المنطقة الإسلامية. كما يُنظر إلى القوى «الصليبية» الأخرى، خاصةً تلك التي تُرسل القوات العسكرية إلى أماكن مثل أفغانستان والعراق، على أنها قوى قمعية يجب محاربتها أيضاً.

2 ـ **القضاء على إسرائيل**، حيث تُعتبرُ إسرائيل دولة غربية استعمارية استولت على أراضي المسلمين، لذلك يسعى التنظيم إلى تدمير الدولة اليهودية بالكامل. تشير الكثير من خطابات التنظيم وبعض هجماته (على سبيل المثال، على مواقع دينية يهودية في جربة بتونس في عام 2002 وفي إسطنبول في عام 2003) إلى أن التنظيم ينظر إلى اليهود في العالم وإسرائيل على أنهما وجهان لعملة واحدة كما هو واضح في تصريحات التنظيم التي تتسم بكونها معادية لليهود بقسوة إضافةً إلى كونها معاديًة لإسرائيل.

3 ـ **إعادة توجيه الحركة الجهادية.** يسعى تنظيم القاعدة إلى تحوير فكر المقاتلين المسلمين (والمسلمين بشكل عام) نحو معتقدهِ السلفي الجهادي، وهذا ما اتّضح من خلال السعوديين الذين ذهبوا إلى أفغانستان للانضمام إلى تنظيم القاعدة قبل 11 أيلول حيث أن قلّة قليلة منهم كانوا معادين لأمريكا عندما وصلوا، مما يثبت أن هذه الأفكار تم زرعها وتنميتها في المعسكرات التي تسيطر عليها القاعدة.[1] يؤكّد التنظيم على فكرة الجهاد باعتباره إلزامي على الشباب وأن المجتمع بشكل عام يجب أن يدعم المقاتلين، كما يحاول إيصال هذه العقيدة إلى المسلمين في كل مكان من خلال الدعاية والقيام بهذه الأعمال بنفسه لا اعتماداً على الغير.

4 ـ **مناهضة الأنظمة «المرتدّة» في العالم الإسلامي**. يرفض بن لادن والظواهري وغيرهم من الجهاديين السلفيين الأعراف الإسلامية لحكام الدول الإسلامية بناءً على تفسيرات مختلفة من الشريعة الإسلامية. علاوة على ذلك، فإنهم يعتقدون أن سياسات (السلام مع إسرائيل، والعلاقات مع الولايات المتحدة، والقمع في الداخل، وما إلى ذلك) والسلوك الشخصي (الفساد، والإسراف، وما إلى ذلك) لهؤلاء القادة تشير إلى أنهم ليسوا مسلمين حقيقيين وبالتالي يجب الإطاحة بهم، حيث قدّم التنظيم بعد أحداث 11 أيلول الدعم المستمر في الصراع ضد الحكومات الإسلامية في أفغانستان والجزائر ومصر والعراق والأردن وباكستان والمملكة العربية السعودية وأماكن أخرى.

(1) Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia, p. 135.

على الرغم من أن الأهداف المذكورة أعلاه تبدو محددة، إلا أنها تشتمل تطبيقياً على مجموعة من البلدان والأهداف المحتملة، وهذه الأهداف نفسها مرتبطة بمجموعة أوسع من الصراعات. في كتابه **فرسان تحت راية النبي** ـ والذي يُعتبر جزئياً كوصف لتاريخ الحركة الجهادية المصرية كما يُعتبر أيضاً رسالة تهدف إلى إلهام الآخرين ـ لا يذكر الظواهري الولايات المتحدة وإسرائيل والأنظمة المرتدة في العالم الإسلامي فقط، بل يشمل أيضاً الأمم المتحدة والشركات متعددة الجنسيات ووكالات الأنباء الدولية، وحتى منظمات الإغاثة على قائمة الأعداء، كما يَنظر الظواهري إلى الهند وروسيا على أنهما أعداء للقاعدة أيضاً وباعتبارهم قوى محتلة لأراضي المسلمين. تسعى القاعدة أيضًا على المدى البعيد إلى إنشاء دولة إسلامية حقيقية وهي: دولة الخلافة. قد تبدأ هذه الدولة بضعف، لكن حتى الدولة الصغيرة ستسمح للجهاديين بالحكم مما سيمكّن تنظيم القاعدة من فرض نسخته من الإسلام على من هم تحت سيطرته والأهم أنه سيفرضها على المجموعة المقاتلة وينشئ قاعدة يمكن من خلالها توسيع السيطرة. ومع ذلك، فإن قادة القاعدة غامضون حيال توقيت إعلان مثل هذه الدولة أو كيف ستبدو فعليًا في الواقع، فهم معتمدين بشكل كامل على الفكرة المريحة لأذهانهم والتي مفادها أنه إذا تم تطبيق الشريعة الإسلامية، سيكون هناك قادة متديّنين ومجتمع عادل، وأن كلّ شيء سيصبح واضحاً بعد ذلك.

تَقفُ الأفكار السابقة موقع تناقضٍ حاد مع الدولة الإسلامية التي تُعتبر منافس القاعدة في العراق وسوريا حيث انفصلت عن تنظيم القاعدة في عام 2014 وأعلنت خلافة جديدة. يرفض قادة تنظيم القاعدة هذا التصرف باعتباره متغطرساً، مدّعين أن زعيم الجماعة الحالي أبو بكر البغدادي، يفتقر إلى المؤهلات الدينية لإعلانه كخليفة وأن القيام بذلك سابق لأوانه. يشير بيان القاعدة الذي يستنكر هذه الحركة إلى تنظيم البغدادي باعتباره «جماعة تطلق على نفسها اسم الدولة» وتعلن بكل وقاحة «إننا لا نسارع إلى إعلان الإمارات والدول... إننا نفرضها على الناس، ثم نعلن أن من يرفض مثل هذه الكيانات يُعتبرُ متمردًا..».[1] ـ ناشد تنظيم القاعدة في الماضي القوات التابعة له في اليمن والصومال على عدم التدخّل في هذا المجال. ولربما ما

(1) N. Lahoud, «Metamorphosis,» in N. Lahoud et al., The Group That Calls Itself a State: Understanding the Evolution and Challenges of the Islamic State, Combating Terrorism Center at West Point, December 2014, p. 15, https:// www.ctc.usma.edu/v2/wp ـ content/ uploads/201412//CTC ـ The ـ Group ـ That ـ Calls ـ Itself ـ A ـ State ـ December20141.pdf.

فاجئ الظواهري هو أن تصريح البغدادي اكتسب شهرة واستقبال واسعين، حيث تدفق الكثير من المسلمين الأجانب على العراق وسوريا للانضمام إلى الدولة الإسلامية، حتى أن بعضهم أحضروا عائلاتهم معهم. وغالبًا ما يتم التفسير الدقيق لهذه الأهداف بطريقة انتهازيّة، حيث عند ظهور فرص للجهاد الجديد ضد الولايات المتحدة أو القوى «الصليبية» الأخرى، كما في العراق عام 2003، تصبح هذه الأهداف أولويات حيثُ يعد عدم الاستقرار في سوريا والعراق وباكستان واليمن أحد الفرص التي تعمل الحركة على استغلالها اليوم. تسيطر هذه الإنتهازيّة على عمليات الحركة أيضاً، حيث يُعتبر قتل المدنيين، وخاصة اليهود والأمريكيين، مقبولاً عندما يصعب مهاجمة أهداف أخرى. في بعض الأحيان، تحاول الدولة الإسلامية الارتباط بالمجموعات المحلية عندما تريد هذه المجموعات المحلية أن تصبح ضمن ميدان المعركة.

تتباين الأهداف والغايات المحتملة مابين أعضاء تنظيم القاعدة نفسهم كما تختلف ما بين مركز القاعدة والمنظمات التابعة لها، وحركات التمرد المتعاونة، والأفراد الذين دربهم التنظيم، والموالين الخارجيين للتنظيم. يركز الأعضاء الرئيسون في القاعدة بشكل أكبر على انتقاد سياسات الولايات المتحدة والسياسات «الصليبية» في الشرق الأوسط، بينما تركز الجماعات المحلية في الدول الإسلامية على العنف ضد النظام الحاكم. من جهته، يركز تنظيم الدولة الإسلامية على تعزيز وتوسيع موقعه في العراق وسوريا.

يعيرُ بعض الجهاديين في الغرب اهتمامهم إلى القضايا الاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالسياسة الخارجية، حيث أنّ بعض الأحداث مثل هجوم محمد بويري في 2004 على مُخرج الأفلام الهولندي ثيو فان غوخ الذي أنتج فيلمًا وثائقيًا انتقد معاملة النساء في ظل الإسلام، والمظاهرات العنيفة حول الرسوم الكاريكاتورية التي سخرت من النبي محمد (ص) في إحدى الصحف الدنماركية، تدل على أنه بالنسبة إلى العديد من المسلمين الأوروبيين، غالبًا ما تكون القضايا الاجتماعية أكثر بروزاً من الدعم الأمريكي للأنظمة الفاسدة في العالم العربي. ومع ذلك، فإن جوهر تنظيم القاعدة يحاول دمج هؤلاء الأتباع المحتملين. على الرغم من أن بن لادن كان يركز تاريخياً على السياسة أكثر من القيم، وفي بعض الأحيان يسخر من مزاعم الولايات المتحدة بأن القاعدة في حالة حرب مع الحريات الغربية، إلّا أنّ تنظيم القاعدة أصدر تسجيل فيديو في آذار 2006 انتقد فيه الرسوم الكاريكاتورية الدانماركية.[1]

(1) «Zawahiri Urges Hamas to Fight On,» BBC News, March 5, 2006, http:// news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4775222.stm.

تركّز العديد من المجموعات التي تعمل مع تنظيم القاعدة أو تعجب بأفكاره ـ ولكنها ليست جزءًا منه تنظيمياً ـ على القضايا الاجتماعية أيضاً، وليس على السياسة الأمريكية. إنّ كلٌّ من حركة طالبان في أفغانستان، وبوكو حرام في نيجيريا، والجماعة الإسلامية في إندونيسيا يشعرون بالقلق إزاء تغلغل الثقافة والأفكار الشعبية الغربية، كما أوحى هجوم عام 2002 على ملهى ليلي في بالي وهجمات بوكو حرام على المدارس المسيحية. أمّا في مصر وجنوب شرق آسيا، قام الإرهابيون الذين لهم صلات بتنظيم القاعدة بإحراق الكنائس وهاجموا الشركات المسيحية.

لقد برزت الطائفية أيضًا كمحرك مهم للتجنيد الجهادي. حصل تنظيم القاعدة في العراق على الدعم في البداية لأنه شجّع على محاربة الجنود الأمريكيين هناك، لكن مع مرور الوقت، أصبحت الحكومة التي يقودها الشيعة والمجتمع الشيعي بشكل عام هم محور تركيز الجماعة. أمّا في سوريا، والتي اجتذبت العديد من الجهاديين، قام خصوم القاعدة، بما في ذلك الدولة الإسلامية، بالعمل على محاربة الأقليَة (الطائفة العلويّة) وداعميها الشيعة من إيران وحزب الله، بدلاً من أجندة معادية للغرب. باختصار، إن اندلاع الحرب الأهلية السورية وانتشارها إلى العراق وما وراءه قد أدّى إلى تأجيج التوترات الطائفية في المنطقة.

على الرغم من أن تنظيم القاعدة يؤكد أهدافه الأيديولوجية في خطاباته، إلا أن التنظيم في الحقيقة مدفوع بعامل التعطش للإنتقام. أدى الرد الأمريكي الذي أعقب أحداث الحادي عشر من أيلول إلى مقتل واعتقال الآلاف من الجهاديين، وكان العديد منهم أصدقاء وأقارب أعضاء في تنظيم القاعدة. فقد الظواهري زوجته وابنته البالغة من العمر أربع سنوات بعد قصف أمريكي في أفغانستان.[1] وقد أدى هذا التعطش للإنتقام إلى قبول، وفي بعض الأحيان الرغبة إلى الرغبة الحقيقية، في وقوع المجازر الجماعية. في كتابه، يحثّ الظواهري قرّائه على «إلحاق أكبر عدد من الإصابات بالخصم، لأن هذه اللغة هي اللغة التي يفهمها الغرب».[2]

(1) Wright, The Looming Tower, pp. 370–371.

(2) A. Al ـ Zawahiri, Knights Under the Prophet's Banner [English translation], n.d., available at Jihadology, https://azelin.files.wordpress.com/2010ـ 6759609/11/ knights ـ under ـ the ـ prophet ـ banner.pdf. According to Aaron Y. Zelin, the book was completed sometime around 911/ and was originally published in serial form by the Arabic ـ language Saudi newspaper Ash ـ Sharq al ـ 'Awsat in October 2001. A second edition (also in Arabic) was published by As ـ Sahab Media Production (Al Qaeda's media arm) in November 2010. Both the

تُعتبر أجندة القاعدة الأوسع نقطة قوة وضعف في نفس الوقت، حيث تُمكّن التنظيم من إيجاد مظلمة وشكوى دائماً ليستغل الدعم الشعبي من خلالها ويدرجها في أجندته الأوسع. ومع ذلك، فقد اتّهم الجهادي أبو الوليد التنظيم في التسعينيات بأنّه يغيّر أهدافه أكثر من اللازم، ونتيجة لذلك تصبح «كل عملية ذات طابع انتهازي وارتجالي».[1] على الرغم من أن تنظيم القاعدة اليوم يحوّل تركيزه واهتماماته بشكل أقل مما كان عليه في الماضي، إلّا أنّ كثرة أعدائه جعلت التركيز على هدفٍ واحد أمراً من غير الممكن تحقيقه.

هل لدى تنظيم القاعدة خطة استراتيجيّة؟

على الرغم من أن أيديولوجية الجهاديين وتكتيكاتهم تبدو بدائية في كثير من الأحيان، فإن تفكيرهم الاستراتيجي ليس كذلك، حيث هنالك العديد من المثقفين الجهاديين الذين يكرسون أنفسهم لما يسمونه «الدراسات الإستراتيجية»، كما يوضّح ويليام ماكينتس، الخبير في الفكر الجهادي، أن هؤلاء المفكرين متشجّعين أيضًا للإقتباس بشكل متساوٍ من المنظرين السياسيين الغربيين إضافةً إلى القرآن بغرض شرح كيف يمكن للحركة الجهادية إنهاء الهيمنة الأمريكية وإنشاء دول إسلامية.قام بن لادن والظواهري مرارًا وتكرارًا بتجاهل الخطابات السامية وعرضوا عدة أفكار ملموسة في خطاباتهم للعالم حول كيف يمكن للقاعدة أن تحقق أهدافها بطرد الولايات المتحدة من العالم الإسلامي، والإطاحة بالأنظمة المرتدة واستبدالها بالحكومات الإسلامية، وخلق مجتمع من المسلمين الحقيقيين. على الرغم مما سبق، فقد اتبع تنظيم القاعدة في الممارسة العمليّة العديد من الاستراتيجيات في وقت واحد لهزيمة أعدائه، وقد تباينت استراتيجيّته المفضلة خلال تاريخه الطويل. ومما يزيد الأمر تشويشًا أن الحركة الجهادية ككل منقسمة حول النهج الأفضل، وأنّ قيادة الظواهري للجماعات التابعة للتنظيم اليوم، ناهيك عن الحركة الأوسع، تُعتبر غير جيّدة في أحسن الأحوال. يسعى تنظيم القاعدة إلى إنهاك أعدائه من خلال اتّباع استراتيجية الإستنزاف، حيث كان إغراق الولايات المتحدة في أفغانستان يُعدُّ جزءاً من الدافع وراء أحداث الحادي عشر من أيلول، وقد عملت هذه السياسة

---

first and second editions are available at Jihadology, http://jihadology. net/201027/11//as _ sa %E1 %B8 %A5ab _ media _ production _ releases _ second _ edition _ of _ dr _ ayman _ a %E1 %BA %93 _ %E1 %BA %93awahiris _ knights _ under _ the _ prophets _ banner/.

(1) As quoted in Brown, Cracks in the Foundation, p. 10.

لصالح المجاهدين في حربهم ضد السوفييت. لطالما جادل بن لادن بأن الولايات المتحدة ـ والغرب عمومًا ـ لم تكن مستعدّة لدفع الثمن بالدم للحفاظ على دورها المهيمن في الشرق الأوسط. على سبيل المثال، ادعى بن لادن أنه بعد مهاجمة القوات الأمريكية في الصومال في عام 1993، أدرك الجهاديون أن الجندي الأمريكي كان مخيفاً بالسمعة فقط».[1] ويرون أن الانسحاب الأمريكي من العراق في عام 2011 والانسحاب من أفغانستان في عام 2014 دليل على أن الولايات المتحدة تفتقر إلى قوة الإستمراريّة، وبالمقابل، تكمن قوة الجهاديين في استعدادهم للموت من أجل قضيتهم وفهمهم أن هذه المعركة قد تستمر لأجيال.

تهدف الهجمات على الأراضي الأمريكية والأهداف في الدول الغربية عموماً إلى تقويض الروح المعنوية، مما يعزز فكرة أن الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط لن ينجح أبداً. ينظرُ تنظيم القاعدة إلى ساحة المعركة بمفهوم عالمي: أي أنّه بالإمكان ضرب أهداف الولايات المتحدة وأهداف العدو الأخرى في أي مكان.[2] وفي الواقع، فإن الهجمات خارج مناطق الحرب غالباً ما تجذب الانتباه وتلهم المسلمين وتثير خوف الأعداء أكثر من الهجمات داخل مناطق الحرب، حيث تُعتبر هجمات 11 أيلول هي خير دليل على ذلك. في تصريح عام 2004، رحّب بن لادن بسهولة هذا النهج، مشيرًا إلى أن المجاهدين «استنزفوا روسيا لمدة 10 سنوات حتى أفلست»، وأنه بغرض استجرار إدارة بوش «كل ما علينا القيام به هو إرسال اثنين من المجاهدين إلى أقصى نقطة شرقًا لرفع قطعة من القماش مكتوب عليها القاعدة، مما سيجعل الجنرالات يتسابقون إلى هناك للتسبب في معاناة أمريكا من خسائر بشرية واقتصادية وسياسية».[3] بسبب عدم قدرة مجموعة واحدة فقط على الإستمرار في الضغط على الغرب في ظل حملة متضافرة لمكافحة الإرهاب، دعا المفكر الجهادي المؤثر أبو مصعب السوري إلى اتباع نهج اللامركزية، حيث تهاجم الخلايا المنفصلة البلدان الغربية إلى أن يتم إرهاق هذه البلدان بشكل مفرط بغرض سحب قواتهم من الدول الإسلامية.

(1) «Interview: Osama Bin Laden».

(2) Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia, p. 102.

(3) «Full Transcript of Bin Laden's Speech,» Al Jazeera, November 1, 2004, http://www.aljazeera.com/archive/2004200849163336457223/11/.html; for a review of al ـ Suri's decentralized approach, see B. Lia, Architect of Global Jihad: The Life of Al ـ Qaeda Strategist Abu Mus'ab al ـ Suri, New York, Columbia University Press, 2008.

أمّا بالنسبةِ للجانب الآخر من استراتيجية الاستنزاف فهو الجانب المالي: حيث تفاخر بن لادن بعد هجمات الحادي عشر من أيلول أنه ومن خلال إنفاق نصف مليون دولار فقط على الهجوم، أجبر الولايات المتحدة على إنفاق تريليونات الدولارات في الدفاع، كما وصفها بن لادن ـ «استنزاف أمريكا إلى حد الإفلاس».[1] كما ادّعى الفضل في الأزمة المالية في الولايات المتحدة وغيرها من المشاكل الاقتصادية، كما يسعى تنظيم القاعدة إلى فصل الولايات المتحدة عن حلفائها. يأمل التنظيم في تقسيم منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) من خلال مهاجمته للدول الأوروبية، والمثال هنا هو الهجمات التي وقعت في مدريد عام 2004، والتي دفعت إسبانيا إلى سحب قواتها من العراق. على الرغم من أن الولايات المتحدة تركز بشكل واضح على الهجمات الإرهابية في الغرب، إلا أن تنظيم القاعدة يريد أيضًا إنشاء إمارات إسلامية صغيرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وإضعاف أو الإطاحة بحلفاء الولايات المتحدة هناك. يؤمن التنظيم أنّه عبر استهدافه «للعدو البعيد» أي أمريكا، سيكون بذلك قد أضعف الأساس الذي تقوم عليه الأنظمة المحلية، ومع ذلك، يرغب التنظيم في بناء قوى جهادية على الأرض لمهاجمة هذه الأنظمة مباشرة؛ وبالتالي، فإن القاعدة تزرع مجموعات جديدة أو تساعد المتمردين الجهاديين الحاليين في كفاحهم ضد الحكومات في الجزائر والعراق وباكستان وسوريا واليمن، إضافةً إلى بلدان أخرى. وبالحديث عن نوعقد تشمل الدعاية وجمع الأموال والتدريب وتوفير المقاتلين الأجانب.

يمتد التفكير الاستراتيجي إلى المستوى المحلي أيضًا. على سبيل المثال، أطلق أبو بكر ناجي (وهو اسم مستعار لمؤلف غير معروف) استراتيجية لإنشاء فراغات أمنية في البلدان الإسلامية من خلال مهاجمة البنية التحتية المرتبطة بالثروة الوطنية مثل السياحة وخطوط أنابيب النفط. عندما تقوم قوات الأمن بإعادة نشر قواتها لحماية تلك البنية التحتية، يمكن للجهاديين السيطرة على الأرض غير المحمية والبدء في تقديم خدمات حكومية بدائية. كما يمكن بعد ذلك دمج تلك «الإدارات الوحشية» مع بعضها البعض لتكوين إمارات إسلامية.[2]

(1) «Full Transcript of Bin Laden's Speech».

(2) A. B. Naji, «The Management of Savagery: The Most Critical Stage Through Which the Umma Will Pass,» translated by W. McCants, John M. Olin Institute for Strategic Studies at Harvard University, May 23, 2006, http://azelin.files.wordpress.com/201008//abu ـ bakr ـ naji ـ the ـ management ـ of ـ savagery ـ the ـ most ـ critical ـ stage ـ through ـ which ـ the ـ umma ـ will ـ pass.pdf.

في الحقيقة، يتناسب دعم الجماعات المحلية مع الهدف الأسمى للقاعدة: وهو نشر تفسيره للإسلام. يهدف التنظيم من خلال حملته وتدريبه وأعماله إلى تعزيز الإحساس بالوحدة الإسلامية والقيم السلفية. لذلك، عند استيلاء إحدى هذه المجموعات على مكان معين وبدأت في تقديم الخدمات وتوفير الحكم المحلي، أو إذا نجحت المجموعة فعليًا في الاستيلاء على بلد ما، فإن تلك المجموعة ستدفع بتلك التعاليم تلقائياً. ومع مرور الوقت (وإذا تركت دون رقابة)، فإن السيطرة على الأراضي توفر للقاعدة وحلفائها ملاذاً آمناً يتيح لهم التنظيم والتدريب والقتال بشكل أكثر فعالية، بالإضافة إلى نشر نفوذهم. تُعدُّ الهزائم التي تؤدي إلى فقدان الأراضي الخاضعة للسيطرة، مثل فقدان الملاذ في أفغانستان بعد سقوط طالبان في عام 2001، بمثابة توجيه ضربة قاسمة للمجموعة.

تساعد الهجمات الضخمة مثل أحداث 11 أيلول على جمع أهداف القاعدة مع بعضها، حيث بالإضافة إلى الاعتقاد بأن مثل هذه الهجمات يمكن أن تخيف الولايات المتحدة، يعتقد التنظيم أن هذه الهجمات تلهم المسلمين في جميع أنحاء العالم، وتخلصهم من شعور اللامبالاة. كما تثير هذه الهجمات أيضاً ردة فعل الولايات المتحدة، مثل غزوات أفغانستان والعراق، التي يصفها التنظيم بأنها تجبر الولايات المتحدة على إظهار وجهها الحقيقي كقوة مهيمنة. وهذا بدوره يلهم المسلمين بشكل أكبر وفي الوقت نفسه يجذب القوات الأمريكية إلى مناطق الإقتتال حيث أن مهارة القاعدة في تعزيز التمرد تساعد على هزيمة تلك القوات هناك. على الرغم من امتلاك التنظيم لاستراتيجيات قد تبدو مدروسة جيدًا من الناحية النظرية، إلا أن هذه الاستراتيجيات عملياً قد تكون محدودة أو أنها قد تكون مخطئة أحياناً. إن هجمات الحادي عشر من أيلول لم تخيف الولايات المتحدة بل أدت بها إلى مضاعفة جهودها لمحاربة القاعدة والجهاديين السلفيين في جميع أنحاء العالم. لقد أرغمت هذه الهجمات الولايات المتحدة على خوض الحرب في أفغانستان وساهمت في قرار خوض الحرب في العراق في عام 2003، حيث كان كلا القرارين مكلفاً بالأرواح والأموال، لكن هذه الهجمات بالكاد أفلست الولايات المتحدة، كما أبقت على النشاط الأمريكي في الشرق الأوسط (لكن برغبة أقلّ في التدخل مقارنةً بالماضي). تواصل العديد من المنظمات التابعة والمدعومة من تنظيم القاعدة التأكيد على الكفاح ضد أعدائهم المحليين، وليس الولايات المتحدة، بالإضافة إلى مجموعات أخرى تدعو إلى قتل الشيعة أو «تطهير» المجتمع الإسلامي الذي تعارضه القاعدة عمومًا. في إطار جهوده ليكون قائد الحركة الجهادية العالمية، وجد تنظيم القاعدة

نفسه في كثير من الأحيان ينفق موارد ثمينة على أهداف مجموعاته الفرعية التي تبدو ثانوية بدلاً من الإنفاق في سبيل القتال الأكبر ضد أعدائه الأساسيين ولتحسين التكتيكات الحربية التي وضعت استمرار التنظيم على المحك في بعض الأحيان. على المستوى المحلي، فإن الاهتمامات التكتيكية ـ مثل اغتنام فرصة لمهاجمة هدف ضعيف، حتى لو لم يكن هذا الهدف مهمًا بشكل خاص من وجهة نظر استراتيجية ـ هي غالبًا ما تهيمن على عقلية التنظيم. على الرغم من أن الظواهري وغيره من القادة لديهم نظرة إستراتيجية بعيدة، إلا أن المجموعة وحلفائها وأتباعها غالباً ما يكونون انتهازيين وغير متناسقين عملياً.

كيف أصبح تنظيم القاعدة مرتعاً لتصدير التفجيرات الانتحارية؟

تحولت التفجيرات الانتحارية من تكتيك غريب ونادر إلى إجراء اعتيادي. لقد رفض المسلمون تاريخيا التفجيرات الانتحارية، وما زال الكثيرون يرفضون اليوم، حيث يُحرّم الإسلام بشكل صارم فكرة الانتحار كما ورد في القرآن: «و لَا تَقْتُلوا أَنْفُسَكُم» إنّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحيما».[1] لم تكن فكرة التفجيرات الانتحارية منتشرة إلى أن استخدم حزب الله التفجيرات الانتحارية ضد ثكنات مشاة البحرية الأمريكية والسفارة الأمريكية في لبنان مما كان لها تأثير مدمر في عام 1983 جعل الجماعات الإسلامية تحتضن هذا الفكر. وحتى مع ذلك، كان الدعم للتفجير الانتحاري فاترًا لسنوات عديدة وكان يدور حول الحاجة إلى هزيمة الكفار الغربيين أكثر من كونه تكتيكاً يجب إضافته للمعارك. وفقًا لمشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، لم تشهد الثمانينات سوى قلّة من الهجمات الانتحارية، لكن العدد ارتفع إلى العشرات في معظم فترة التسعينيات: وكان عام 1995 هو الأسوأ حيث تم تنفيذ 27 هجوماً. خلال هذه الفترة، كان القليل من الانتحاريين هم من الجهاديين السلفيين، وكان أحد أكبر الجناة هم جبهة نمور تحرير تاميل إيلام (LTTE)، وهي جماعة قومية علمانية سيريلانكيّة تقاتل من أجل إقامة أرض تاميليّة مستقلة.[2]

بينما تبنى الفلسطينيون العمليات الحربية ضد إسرائيل في التسعينيات، بدأ بعض العلماء السنّة البارزين في دعم الهجمات الانتحارية. ادّعى العالِم السنّي البارز والسائد نسبيًا يوسف

(1) Qur'an 4:29–30, Sahih International translation, http://quran.com/430 ـ 29/.

(2) «Suicide Attack Database,» Chicago Project on Security and Terrorism (CPOST), July 18, 2014, http://cpostdata.uchicago.edu/.

القرضاوي، أن «الانتحار هو فعل أو مثال على قتل المرء لنفسِهِ نتيجة اليأس وعدم إيجاد أي منفذ آخر سوى وضع حد لحياته. من ناحية أخرى، فإن الشهادة هي عمل بطولي يتمثل في اختيار الموت في سبيل الله، ولهذا السبب يعتبرها معظم العلماء المسلمين أحد أعظم أشكال الجهاد».[1]

أطلقَ الظواهري موجة التفجيرات الانتحارية في مصر عام 1993 خلال الفترة التي شَغَل فيها منصب قائد حركة الجهاد الإسلامي المصرية، وذلك عبر محاولة اغتيال فاشلة لوزير الداخلية المصري. فيما بعد، استخدمت مجموعته انتحارياً لاستهداف السفارة المصرية في إسلام أباد في عام 1995. لذلك، من المرجّح أن يكون العديد من الأعضاء المصريين في تنظيم القاعدة قد وجّهوا تفكير بن لادن نحو منهج التفجيرات الانتحارية.[2] حصل تنظيم القاعدة أيضاً على مساعدة من حليف غير متوقع وهو حزب الله اللبناني. على الرغم من أن حزب الله المحكوم من قبل الشيعة يختلف في أيديولوجيته عن تنظيم القاعدة، وأن الشيعة مُبغَضين من قبل العديد من الجهاديين السلفيين (حيث يقاتل الاثنان حاليًا بعضهما البعض في سوريا)، إلّا أنه من الممكن أن تكون قيادة كلتا المنظمتين ذات طابع انتهازي، حيث يوجد لهما العديد من الأعداء بما في ذلك الولايات المتحدة كعدوّ مشترك. سافر الجهاديون المرتبطون بتنظيم القاعدة إلى لبنان للدراسة مع حزب الله في عام 1994، وأخبرهم بن لادن على وجه التحديد أنه يريدهم أن يدرسوا كيفية تفجير ثكنات المارينز.[3] كانت التفجيرات الانتحارية بمثابة البداية لأول هجوم رئيس للقاعدة وهو تفجيرات السفارة في عام 1998، وكذلك عملية الحادي عشر من أيلول، حيث أصبحت السمة المميزة للتنظيم بعد ذلك. على الرغم من أن القاعدة استخدمت التفجيرات الانتحارية في التسعينيات، إلّا أنّ هذا التكتيك أصبحَ خطيراً عندما استخدمته حماس والجماعات الفلسطينية الأخرى خلال الانتفاضة الثانية التي بدأت في عام 2000. ساهم الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 في زيادة نشاط هذا التكتيك حيث أثار موجة هائلة من الهجمات الانتحارية في الوقت الذي اتّبعت فيه القوات المرتبطة بتنظيم القاعدة أسلوب التفجيرات الانتحارية لمحاربة المحتلين الأمريكيين وحلفائهم في الحكومة

(1) «The Qaradawi Fatwas,» Middle East Quarterly, Summer 2004, pp. 78–80, http://www.meforum.org/646/the ـ qaradawi ـ fatwas#_ftn3.

(2) Gerges, The Far Enemy, pp. 142–143.

(3) «The 911/ Commission Report,» pp. 67–68, 470–471.

العراقية والمجتمع الشيعي بشكل عام الذي اعتبره العديد من الجهاديين العدو الحقيقي لهم. انتشر هذا التكتيك عبر خلايا القاعدة، وكان الجهاديون السنّة قد نفّذوا التفجيرات الانتحارية في كل مكانٍ حاربو فيه تقريبًا، بما في ذلك باكستان والشيشان والجزائر والصومال وسوريا وأماكن أخرى ـ أي ما يقارب أكثر من 35 دولة. على مدار العقد الماضي، شن الجهاديون السلفيون مئات التفجيرات الانتحارية في كل عام والتي تسببت في مقتل عشرات الآلاف، أكثرهم من المسلمين.[1] وفي الوقت الراهن، تتصدر التفجيرات الانتحارية قائمة الأنباء في مناطق الإقتتال.

يحاول التنظيم نشر مفهوم الإستشهاد في سبيل الله، بمعنى أنّه إذا رفض المسلمون عمومًا التفجير الانتحاري، فسيفقد تنظيم القاعدة المجندين والأموال والدعم الشعبي بشكل عام. لذلك لم يكن كافياً لأعضاء تنظيم القاعدة أن يرغبوا في الموت من أجل القضية؛ كان عليهم إقناع الآخرين بأن هذا التكتيك كان مقبولاً ومبجّلاً. ناشد تنظيم القاعدة بنفس رسالة القرضاوي، مؤكدًا أن الموت أثناء قتال أعداء الإسلام كان سببًا للاستشهاد. كانت دعايات التنظيم وبياناته العامة مليئة بالدعوات للاستشهاد. لقد خلط الظواهري بين مفهوميّ الإيمان والتطبيق العملي، ولطالما صرّح بأن «العمليات الاستشهادية» (أي التفجيرات الانتحارية) كانت «أنجح طريقة لإحداث ضرر ضد الخصم والأقل تكلفة للمجاهدين من حيث الخسائر».[2]

ما يزال موضوع التفجيرات الانتحارية مرفوضاً من قِبل غالبية المسلمين، خاصةً عندما تُستخدم لقتل المسلمين الآخرين أو المدنيين الأبرياء[3]، كما وصفت إحدى المنظمات الإسلامية في لندن التفجير الانتحاري بأنه «لعنة، ومناقض، ومكروه للإسلام السني... عمل له عواقب لعنة أبدية».[4] يدينُ معظم المسلمين اليوم التفجيرات الانتحارية، على الرغم من

(1) «Suicide Attack Database»; A. Moghadam, «Motives for Martyrdom: Al ـ Qaida, Salafi Jihad, and the Spread of Suicide Attacks,» International Security, vol. 33, no. 3, Winter 2008–2009, p. 46.

(2) Moghadam, «Motives for Martyrdom,» p. 62.

(3) B. Hoffman, «The Logic of Suicide Terrorism,» The Atlantic Monthly, June 2003, http://www.theatlantic.com/magazine/archive/200306//the ـ logic ـ of ـ suicide ـ terrorism/302739/; see also A. Gilli and M. Gilli, «The Spread of Military Innovations: Adoption Capacity Theory, Tactical Incentives, and the Case of Suicide Terrorism,» Security Studies, vol. 23, 2014, pp. 513–547.

(4) M. Bloom, Dying to Kill: The Allure of Suicide Terror, New York, Columbia University Press, 2005, pp. 78–79.

أن ما يقرب من نصف الفلسطينيين يعتقدون أنها على الأقل «مبررة في بعض الأحيان»، كما أن نسبة كبيرة في مصر وبنغلاديش ولبنان ودول أخرى تتقبّل صلاحيتها أيضاً.[1] اضطر بعض الجهاديين السلفيين إلى تبنّي عقيدة التكفير لتبرير قتل المسلمين، أي أنّ بعض الضحايا المسلمين ليسوا مسلمين «حقيقيين» لأنهم يدعمون نظامًا معاديًا، ويتآمرون مع الكفار، وما إلى ذلك، وبالتالي فإنهم أهداف مشروعة. ومع ذلك، فإن هذه المبررات تضع الجماعات في تعارض مع الشعب كما أنها تجعل التنظيم أقلّ شعبيّة.

ما مدى خطورة الذئاب المنفردة؟

قام أفراد من الذئاب المنفردة بارتكابِ بعضٍ من أكثر الهجمات دموية منذ 11 أيلول. بالتعريف عن الذئاب المنفردة ـ أو، كما يفضل مدير مكتب التحقيقات الفدرالي جيمس كومي أن يسميها «الجرذان المنفردة» ـ فهم أفراد ينفذون هجمات إرهابية من تلقاء أنفسهم دون أيّ توجيه صريح من جماعة أو قائد. في السياق الجهادي، الذئاب المنفردة هم أفراد أيحوا متطرّفين نتيجة أعمال تنظيم القاعدة أو الدولة الإسلامية لكنهم لا يتصرفون تحت إشراف نواة القاعدة أو أي جماعة أخرى قائمة. على الرغم من تواصله مع شخصيات مرتبطة بتنظيم القاعدة مثل أنور العولقي، إلّا أنّ الرائد في الجيش الأمريكي نضال مالك حسن قام في عام 2009 من تلقاء نفسه بإطلاق النار وقتل 13 شخصًا في قاعدة فورت هود العسكرية في تكساس، في حادثةٍ اعتُبِرت الهجوم الإرهابي الجهادي الأسوأ على الأراضي الأمريكية منذ 11 أيلول.[2] بعد أربع سنوات، فجر دزوخار وتامرلان تسارنايف قنابل بدائية محلية الصنع في ماراثون بوسطن، مما أسفر عن مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة أكثر من 250 شخصًا وإطلاق حملة مطاردة ضخمة تسبّبت بإغلاق مدينة بوسطن لعدة أيام.[3] عمِل الذئاب المنفردة في جميع أنحاء أوروبا أيضاً حيث في أيّار 2013 في انجلترا، قام كل من مايكل أديبولاجو ومايكل

(1) «The Hijacked Caravan: Refuting Suicide Bombings as Martyrdom Operations in Contemporary Jihad Strategy,» Ihsanic Intelligence, n.d., http:// www.ihsanic ـ intelligence. com/dox/The_Hijacked_Caravan.pdf.

(2) «Muslim Views on Suicide Bombing,» Pew Research Global Attitudes Project, June 30, 2014, http://www.pewglobal.org/201401/07//concerns ـ a bout ـ islamic ـ extremism ـ on ـ the ـ rise ـ in ـ middle ـ east/pg ـ 01 ـ 07 ـ 2014 ـ islamic ـ extremism 10 ـ/.

(3) Moghadam, «Motives for Martyrdom,» p. 78.

أديبول، وهما مسلمان بريطانيان من أصل نيجيري، بقتل لي ريجبي باستخدام سكّين وساطور، وهو جندي إنجليزي خارج الخدمة كان يقضي إجازةً في منزله، حيث زعموا أنهم هاجموا ريجبي «لأن المسلمين يموتون كل يوم «على أيدي الجنود البريطانيين.[1] أدت هذه الهجمات وغيرها إلى قلق هائل بشأن إرهاب الذئاب المنفردة. صرح الرئيس أوباما في مقابلة مع شبكة سي إن إن(CNN) وقبل فترة وجيزة من الذكرى السنوية العاشرة لهجمات الحادي عشر من أيلول،» أنّ احتمال حدوث هجمات إرهابية إفراديّة في الولايات المتحدة هي مرجّحة أكثر من حدوث هجوم كبير ومنسق مثل الهجوم الذي شهدناه في الحادي عشر من أيلول».[2] يوضّح عالم الإرهاب جيف سايمون أنه مع انتشار الإنترنت، أصبح من السهل على الذئاب المنفردة إيجاد الدعاية لهم، والتطرّف الذاتي، بل وإيجاد تعليمات ومواد لصنع القنابل. كان أفراد الذئاب المنفردة بمثابة كابوس للاستخبارات، حيث لا يمكن لوكالات المخابرات التعرّف على هوياتهم عن طريق التسلل إلى اجتماعات جماعة إرهابية، أو البحث في كمبيوتر أحد القادة وإيجاد قوائم بالأفراد، أو مراقبة الاتصالات المشبوهة.[3] لذلك، يستحيل اكتشاف أي عنصر من الذئاب المنفردة إلّا بعد تنفيذه للهجوم. في الحقيقة، لا تقتصر ظاهرة الذئاب المنفردة على المسلمين المتطرفين مثل القاعدة والمنظمات التي تلهمها: حيث قام عدد من الأشخاص المتأثّرين بعقيدة اليمين المتطرّف بارتكاب عدّة هجمات إفراديّة، بما في ذلك تفجير مبنى فيدرالي في أوكلاهوما سيتي عام 1995، والذي راح ضحيّتهُ 168 شخصا.

أدركت بعض شخصيات القاعدة أهميّة هجمات الذئاب المنفردة. في عام 2005، نشر أبو مصعب السوري، وهو خبير استراتيجي بارز في تنظيم القاعدة، مقالاً مؤلفاً من 1600 صفحة بعنوان «الدعوة إلى المقاومة الإسلامية العالمية».[4] وفيه، يدعو أبو مصعب السوري

(1) S. Laville et al., «Woolwich Attack: Horror on John Wilson Street,» The Guardian, May 25, 2013, http://www.theguardian.com/uk/2013/may/22/ woolwich ـ attack ـ horror ـ soldier.

(2) The Associated Press, «Obama Says ‘Lone Wolf’ Terror Attack More Likely Than Major Coordinated Effort,» Huffington Post, August 16, 2011, http://www. huffingtonpost. com/201116/08//obama ـ lone ـ wolf ـ terror_n_928880.html.

(3) J. D. Simon, Lone Wolf Terrorism: Understanding the Growing Threat, Amherst, NY, Prometheus Books, 2013.

(4) B. Lia, «Al ـ Suri’s Doctrines for Decentralized Jihadi Training—Part 1,» Terrorism Monitor, vol. 5, no. 1, February 21, 2007, http://www.jamestown. org/single/?no_cache=1&tx_ ttnews %5Btt_news %5D=1001#.

المسلمين في العالم إلى إنشاء خلايا إرهابية بأنفسهم دون الارتباط بـالقاعدة واستخدام الإنترنت لتعلم كيفية شن الهجمات.[1] وبحسب رؤية السوري، فإن دور تنظيم القاعدة يتمثّل بتصدير المعلومات وإعطاء توجيهات الاستراتيجية عامة كي تتّبعها الخلايا المعزولة بمفردها.

ساهم النزاع السوري ونمو الدولة الإسلامية في زيادة قوّة الذئاب المنفردة، حيث استمالت سياسة الدولة الإسلامية عقول الآلاف من الغربيين، وقد يختار بعض هؤلاء الأفراد النشاط في أوطانهم بدلاً من السفر إلى العراق وسوريا؛ كما أن ّالغربيين الذين عادوا إلى ديارهم بعد الجهاد في سوريا والعراق قد يصنعون هجوماً أيضاً. في عام 2014، دخل مهدي نموش، وهو مواطن فرنسي قضى السنة السابقة يقاتل في سوريا، إلى المتحف اليهودي في بروكسل وفتح النار بمسدس ورشّاش من نوع AK ـ 47، مُردياً أربعة أشخاص في غضون ثوانٍ.[2]

نظراً إلى الخوف المقترن بالذئاب المنفردة، فإنّه من السهل المبالغة في تقدير الخطر الذي يمثلونه، حيث أن تهديدهم يكمن في إستحالة إيقافهم، ولكن بشكل عام، يُعتبر معدل نجاح عملياتهم منخفضًا.[3] لا ينبغي أن يكون هذا مفاجئًا: فهم غير مدربين، ولأنهم ليسوا على اتصال مع الجهاديين الأكثر خبرة، فإنهم غالباً ما يفشلون في صنع المتفجرات بشكل صحيح، كما أنهم يفشلون في الحفاظ على سريّة تحضيراتهم، أو يرتكبون أخطاءً كغيرهم من المبتدئين.[4] حاول الجهاديون البريطانيون في عام 2012 مهاجمة المتظاهرين من رابطة الدفاع الإنجليزية المناهضة للمسلمين، لكنهم وصلوا بعد انتهاء المسيرة، وتم حجز إحدى سياراتهم لعدم وجود تأمين وكشف البحث في مكان الحجز عن حيازتهم لأسلحة ومتفجرات في وقت لاحق. عادة ما تكون الهجمات «الكُبرى» مثل هجمات 11

(1) B. Roggio, «Abu Musab Al ـ Suri Released from Syrian Custody: Report,» The Long War Journal, February 6, 2012, http://www.longwarjournal.org/ archives/201202//abu_musab_al_suri_re.php#.

(2) For a list of violent plots in Europe involving Syrian returnees, see A. Zammit, «List of Alleged Violent Plots in Europe Involving Syria Returnees,» The Murphy Raid, June 29, 2014, http://andrewzammit.org/201429/06//list ـ of ـ alleged ـ violent ـ plots ـ in ـ europe ـ involving ـ syria ـ returnees/. The Brussels Jewish Museum is the only one of the plots that came to fruition.

(3) A. Y. Zelin, «Free Radical,» Foreign Policy, February 4, 2012, http://www.for ـ eignpolicy.com/articles/201203/02//free_radical.

(4) «EDL Terror Attack Plot: Six Men Plead Guilty,» Sky News, April 30, 2013, http://news.sky.com/stor y/1084922/edl ـ terror ـ attack ـ plot ـ six ـ men ـ plead ـ guilty.

أيلول تفوق قدرات الذئاب المنفردة. بحسب قول سيدني ألفورد، خبير المتفجرات من المملكة المتحدة الذي فحص شخصيًا العديد من كُتيّبات صنع القنابل التي نشرها تنظيم القاعدة وداعميه، فإنّه غالبًا ما تحتوي هذه الكتيّبات على العديد من الأخطاء التي ـ بالنظر إلى الطبيعة المتغيّرة للمواد المستخدمة في صنع قنبلة ـ قد يكون استخدامها كارثياً للهواة الذين يستخدمون هذه الكتيبات لصنع قنابل يدويّة الصنع.[1] كما ينشر الكثير من الذئاب المنفردة المحتملين خطابات كراهيتهم على الإنترنت أو يعلنون عن نواياهم بطريقة أخرى؛ على الرغم من العدد الكبير من الحمقى والمجانين الذين ينشرون على الإنترنت، إلا أنه من الصعب معرفة الأشخاص الذين يجب توجيه الانتباه إليهم مُقدّماً. غالباً ما يواجه الذئاب المنفردة صعوبة في تنفيذ هجماتهم مرة ثانية بعد القيام بالهجوم الأول وبالتالي، يصعب عليهم الحفاظ على نشر الرعب. وعلى سبيل المثال، لربما افترض نضال حسن أنه سيموت في وابل من الرصاص خلال هجومه على فورت هود(حيث أُصيب بخمس رصاصات مرات لكنه نجا)، كما لم يكن للإخوان تسارنايف أي مخبأ آمن بإمكانهم الاختباء فيه بعد التفجير، ولا طريق للهروب من بوسطن، ولا قدرة على تنفيذ هجمات إضافية. وعلى الرغم من أجندته الإنتهازية، يبدو تنظيم القاعدة ذا نفعٍ قليل بالحديث عن خدمات الذئاب المنفردة. في رسالة موجهة إلى بن لادن، أوضح المتحدث باسم القاعدة آدم جادان أن العديد من المنتديات الجهادية كانت «مثيرة للاشمئزاز بالنسبة لمعظم المسلمين» وأن المشاركين فيها كانوا متعصبين وجهلة.[2] على الرغم من رغبة التنظيم الكبيرة في إيذاء الغرب، إلّا أنّ هجمات عشوائية ولمرة واحدة فقط لا تمكّن المنظمة من توجيه الموارد إلى أيًا كانت الأولوية الحالية، أو رفع أو تخفيف الضغط على الحكومات التي تسعى إلى إخضاعها، أو دمج العنف بطريقة أخرى في استراتيجية أوسع. لذلك، ليس من المستغرب أن يضع تنظيم القاعدة القليل من الثقة في الذئاب المنفردة، حيث أعطى قادتهُ الأولوية للتدريب والتحكّم بشكل مركزيّ والتعاون متى ما أمكن الأمر.

وعلى الرغم من ذلك، قد تكون هذه الثقة متغيّرة. في عام 2013، وإعلاناً للذكرى السنوية

(1) Quoted in P. Cruickshank and T. Lister, «The 'Lone Wolf'—The Unknowable Face of Terror,» CNN, February 18, 2012, http://www.cnn.com/201218/02// opinion/lone _ wolf _ terror/.

(2) N. Lahoud et al., Letters from Abbottabad: Bin Laden Sidelined? Combating Terrorism Center at West Point, May 3, 2012, p. 15, https://www.ctc.usma. edu/posts/letters _ from _ abbottabad _ bin _ ladin _ sidelined.

الثانية عشر لهجمات 11 أيلول، أصدر الظواهري رسالة صوتية تدعو إلى شن هجمات فرديّة على الولايات المتحدة قائلاً: «إن إبقاء أمريكا في حالة من التوتر والترقب لا يكلفنا شيئًا سوى [تنظيم] الضربات المتفرقة هنا وهناك. بعبارة أخرى، تماماً كما هزمناها في حرب الأعصاب في الصومال واليمن والعراق وأفغانستان، يجب أن نواجهها بحرب مماثلة في أرضها.... يمكن تنفيذ هذه الضربات المتفرقة من قبل أحد الأخوة المجاهدين، أو عدد قليل منهم «كما أشاد بتفجيرات ماراثون بوسطن.[1] وقد اقترح بعض المحلّلين أن هذه الدعوة لشن هجمات أصغر نطاقًا تقوم بها عناصر فردية تعمل بشكل مستقل عن إدارة القاعدة، هو دليل على مدى الضعف والعجز الذي وصل التنظيم إليه.

ماذا يتعلّم الفرد في معسكرات تنظيم القاعدة التدريبيّة؟

يُعتبر التدريب أحد أهم الركائز الأساسيّة للتنظيم، حيث قام تنظيم القاعدة بتدريب عملائه وأعضاء الجماعات الأخرى والجهاديين بشكل عام كجزء من مهمته لمحاربة أعدائه في الغرب وفي العالم الإسلامي، ولربما دخل ما يقارب 20 ألف مجند إلى معسكرات القاعدة بين عام 1996، عندما عاد بن لادن إلى أفغانستان، وعام 2001. ومع تطوّر العلاقة بين التنظيم وطالبان في أواخر التسعينيات، حصل تنظيم القاعدة على إذن لتوسيع جهوده التدريبية هناك. وقد تدرب آلاف آخرون منذ ذلك الحين في باكستان أو في معسكرات المنظمات المرتبطة بتنظيم القاعدة. بعد مقابلة أحد أعضاء تنظيم القاعدة أو أي وسيط جهادي آخر، يملأ المجندون استمارات يصفون بها صحتهم وعمرهم وأسرهم وتعليمهم، كما يتم تم اختبار مدى تديّنهم أيضًا، حيث يُسأل المجندون عن كمية القرآن التي حفظوها. لكونها مجموعة إرهابية، يتم استجواب المجندين عن خبرتهم العسكرية وما إذا كان بإمكانهم العودة بأمان إلى بلدانهم الأصلية. كان على المجندين التعهد بالالتزام بقواعد المعسكر، واتباع الأوامر، وإطاعة قادتهم الجدد.[2] ولمتابعة هؤلاء المجندين، قام الأعضاء المعينون بالاحتفاظ

(1) Quoted in G. Corera, «Al ـ Qaeda chief Zawahiri urges ‘lone ـ wolf’ attacks on US,» BBC News, September 13, 2013, http://www.bbc.com/news/ world ـ middle ـ east 24083314 ـ.

(2) «Camp Acceptance Requirements [English translation],» internal Al Qaeda document, Harmony Project document #AFGP 6000849 ـ 2002 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https://www.ctc.usma.edu/posts/ camp ـ acceptance ـ requirements ـ english ـ translation 2 ـ.

بسجلّات الأسلحة والذخيرة والإنفاق والسفر.[1] ساهم هذا التخصيص في مساعدة القاعدة على الاستفادة من الأفراد ذوي المهارات النادرة، إضافةً إلى بناء منظمة أوسع لدعم الجهاد في جميع أنحاء العالم، لكنه شكّل مخاطر أمنية على المنظمة في الوقت ذاته: حيث كانت هذه السجلّات بمثابة غنيمة قيّمة لمسؤولي مكافحة الإرهاب عندما تم اكتشافها.

كان التدريب يتم حسب أسلوب المعسكرات الجهادية التدريبيّة، حيث أظهرت إحدى الجداول أن المجندين استيقظوا قبل شروق الشمس لأداء صلاة الفجر ثم انتقلوا بعدها لأداء التمارين رياضية في الساعة السادسة صباحًا. كما قام المجندون بتمرينات الضغط وشد المعدة قبل البدء في الركض. بعد ذلك بدأ التدريب في عمليات التعامل مع الأسلحة الصغيرة والعمليات المضادة للدروع أو المضادة للطائرات، ولكن ليس التدريب على الإرهاب. في الواقع، إنّ معظم المجندين الذين تدربوا في أفغانستان قبل أحداث 11 أيلول قد تم إرسالهم إلى القتال مع طالبان ضد أعدائها. كما وصفهم أحد المسؤولين الأمريكيين بأنّ «الغالبية العظمى منهم كانوا عبارة عن كبش فداء».[2]

ومع ذلك، قام تنظيم القاعدة أيضًا بتقييم المتطوعين أثناء وجودهم في معسكراته، حيث كَشفت إحدى الوثائق السريّة أنّه، «سيكون لمعسكر التدريب العسكري دور كبير في تقييم وتصنيف الإخوان المجاهدين».[3] أمّا بالنسبةِ إلى مجموعة النخبة ـ والتي تتكون في الغالب من مجنّدين لديهم خبرة عسكرية سابقة، على الرغم من أنه في بعض الأحيان تم اخيار من لديهم اللغة أو الجنسية المناسبة ـ فقد تم اصطفاؤهم من بين هذه الأعداد الكبيرة للتدريب على مراقبة السفارات الأجنبية، والقيام بالاغتيالات، وتعلم الرموز، وجمع المعلومات الاستخباراتية، وتجنيد الجواسيس. اعترفَ أحمد رسام، الذي حاول تفجير مطار لوس أنجلوس في عام 2000، بأنه لم يتلق تدريبًا على الأسلحة الخفيفة في معسكر في

(1) D. Rohde and C. J. Chivers, «A NATION CHALLENGED: Qaeda's Grocery Lists and Manuals of Killing,» New York Times, March 17, 2002, http:// www.nytimes.com/200217/03//world/a ـ nation ـ challenged ـ qaeda ـ s ـ grocery ـ lists ـ and ـ manuals ـ of ـ killing.html.

(2) Rohde and Chivers, «A NATION CHALLENGED».

(3) «Al Qa'ida Staff Count Public Appointments [English translation],» inter ـ nal Al Qaeda document, Harmony Project document #AFGP 000112 ـ 2002 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., p. 2, https://www.ctc.usma. edu/posts/al ـ qaida ـ staff ـ count ـ public ـ appointments ـ original ـ language 2 ـ.

أفغانستان فحسب، بل تدرب أيضًا على المتفجرات والمراقبة والحرف اليدوية بقصد الاندماج مع السكان وتدمير البنى التحتية إضافةً إلى ضرب الأهداف الحكومية.[1] كان غرس العقائد جزءاً رئيساً من هذه المعسكرات، حيث قيل للمجندين إنهم من خلال القتال سيقيمون حكم الله في الأرض وأنه إذا ماتوا، فسوف يُنظر إليهم كشهداء، كما تم تخصيص جزء أساسي من الوقت لتعليم أساسيات القرآن الكريم والحديث الشريف وما يرتبط بها من واجبات الجهاد، مع تعليمات إضافية تركز على عادات النبي والمفاهيم الدينيّة الأعمق.[2] فرضَ تنظيم القاعدة تفسيره للإسلام على المجندين مستخدماً السياسة التي تتراوح بين القصائد ومقاطع الفيديو والخطابات من قِبل المقاتلين المتمرّسين ذوي المكانة الشعبيّة بقصد إلهام المجندين الجدد. وكانت المواد التدريبية تعكس كل هذه الأهداف، حيث دُمِجت المواعظ المستمرة لاتباع إرادة الله والانخراط في الجهاد مع تعليمات حول كيفية إنشاء معسكر للجنود والمعدات المناسبة لكل محارب مقدس (بما في ذلك منديل وصابون).[3]

تراوحت موضوعات التلقين العقائدي بين الاحتلال الإسرائيلي للقدس والاحتلال الأمريكي للمملكة العربية السعودية إلى الدعوات لمساعدة الشيشان في قتال الروس وكيفيّة مساهمة الإسلام في التنمية الاقتصادية. في الواقع، كان تنظيم القاعدة بارعاً في توجيه المجندين ـ ممن ذهبوا بقصد التدريب ـ إلى القتال من أجل قضية محدّدة (مثل الشيشان) ومن ثمّ إعادة توجيههم إلى معارك أخرى، مثل صراع القاعدة ضد المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة. باختصار، كان تنظيم القاعدة يعمل على جمع المظالم المختلفة في كيان واحد متماسك، مما يجعل المسلمين من أوروبا وإفريقيا والشرق الأوسط وآسيا ينظرون إلى اهتماماتهم ونضالاتهم الفردية على أنها جزء من كيان أوسع.

اكتسب الأفراد الذين يديرون المخيمات سيطرة كبيرة على مصير المجندين، حيث أن بعضهم صادر جوازات سفر المجندين الجدد لمنعهم من الفرار، على الرغم من أنّ العديد من هؤلاء المجنّدين كانوا متردّدين في العودة إلى ديارهم على أي حال خوفا من الاعتقال، والأهم من ذلك، أنّه كان بإمكان قادة المعسكر إقناع الفرد بالتخلي عن أهدافه الأصلية والتركيز على

(1) «Trail of a Terrorist,» Testimony of Ahmed Ressam, PBS Frontline, October 2001, pp. 8–11, http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/trail/.

(2) «Al Qa‘ida Staff Count Public Appointments [English translation]».

(3) Rohde and Chivers, «A NATION CHALLENGED».

هدف آخر من خلال ربط مختلف الصراعات معاً. كان عمر خيام(Omar Khyam)، الجهادي البريطاني الذي قُبض عليه لتخطيطه لتفجير قنبلة سماديّة في ملهى ليلي في لندن، قد خطّطَ مسبقاً للانضمام إلى حركة طالبان، ولكن تم إقناعه من أحد أعضاء القاعدة أثناء وجوده في باكستان بالعمل في الوطن بدلاً من ذلك.[1] كان محمد عطا، الذي قاد عملية الحادي عشر من أيلول، قد خطّط أصلاً للقتال في الشيشان ولكن تمت إعادة توجيهه عندما لفت انتباه القاعدة في أفغانستان. ساهمت هذه المعسكرات في زيادة نضج المجنّدين بشكل يفصل الجهاديين المتبجّحين بالكلام عن أولئك الملتزمين بالأفعال، حيث ذكر أحد الجهاديين أنه بعد إكمال أحد المعسكرات، أصبح أصدقائه أكثر جدّية، حيث أنّهم «قبل ذلك، كانوا يتصرّفون بشكل غير جدّي ويستخدمون اللغة العامية ولكن بعد المعسكر، أصبح الرجال يتحدثون عن الجهاد والصلاة ويستشهدوا بالقرآن».[2] كما شكّل المجندون داخل تلك المعسكرات علاقاتٍ وشبكات قتاليّة يمكنهم الاعتماد عليها في السنوات القادمة.

كانت هذه المعسكرات لا تطاق بالنسبة للعديد من المتطوعين، وخاصةً الغربيين غير المعتادين على صعوبات العيش في جزء منعزل من بلد نامٍ. على سبيل المثال، أصيب المجنّدُون في الصومال بأمراض مثل الملاريا ولم يتلقوا سوى القليل من العلاج الطبي. كما أنّ معظم أفراد مجموعة «ستّة لاكوانا» ـ وهي مجموعة من اليمنيين الأمريكيين من خارج بوفالو الذين أدينوا في عام 2003 في الولايات المتحدة بتقديم دعم مادي للقاعدة لأنهم حضروا معسكرات تدريب في أفغانستان قبل 11 أيلول ـ لم يكملوا تدريبهم، حيث تظاهر أحدهم بالإصابة بقصد المغادرة مبكراً. بحسب صديقة أحد المجندين: «لقد ناموا على الصخور، وكان هناك نمل يزحف فوقهم. لم يحبّ التحدث عن ذلك أبداً».[3] كما ادّعت أنّه عاد إلى دياره أقل تديّناً مما سبق نتيجةً لهذه التجربة.

(1) As quoted in J. Burke, «Omar was a normal British teenager who loved his little brother and Man Utd. So why at 24 did he plan to blow up a nightclub in central London?» part 2, The Guardian/The Observer, January 19, 2008, http:// www.theguardian.com/ theobserver/2008/ jan/20/features.magazine117.

(2) As quoted in Burke, «Omar was a normal British teenager».

(3) M. Purdy and L. Bergman, «Unclear Danger: Inside the Lackawanna Terror Case,» New York Times, October 12, 2003, http://www.nytimes. com/200312/10//nyregion/12LACK. html?src=pm&pagewanted=6.

قام بعض المدربين باستخدام التدريب المؤلم أو المهين بشكل مُتعمّد من أجل بناء روح العمل الجماعي واستبعاد الضعفاء، حيث كانت النتائج هزليّة بالنسبة لبعض المُجنّدين الغربيين. يصفُ عمر حمامي، وهو أمريكي ذهب لتدريب مع حركة الشباب في الصومال، كيف كان يتعين عليه القيام بتمرين «ويلبارو» (يمشي على يديه مع وجود رفيق له ممسكًا بقدميه) على زجاج مكسور بالإضافة إلى حفر «قبره» في الرمال، ثم أُجبر بعد ذلك على الاستلقاء بينما قفز مدرب على بطنه. كما «اعتقد مدربه أيضاً أن ضرب العضلات بعصا من شأنه تسريع التمرين». احتجّ أحد زملاء حمامي ضد المدرّب، لكن لم يقّم هذا الاحتجاج أيّة نتيجة حيث لم يفهم أحدهما لغة الآخر. في الواقع، غادر العديد من المجنّدين بسبب التمارين السخيفة والمؤلمة.[1]

ساهم القضاء على ملاذ التنظيم في أفغانستان عقب أحداث 11 أيلول في جعل التدريب الشامل للجهاديين أمراً صعباً للغاية بالنسبةِ إلى تنظيم القاعدة. استمرّت الحركات المحلية في اليمن والعراق وأماكن أخرى بممارسة التدريبات، ولكن نظرًا لامتلاك هذه المنظمات لأجندة ذات طابع محلّي، فقد تم تصميم تدريبها وتلقينها وفقًا لذلك. استمرت القاعدة في تدريب عناصر في باكستان، لكن حجم الأنشطة تقّلص إلى حد كبير. في الواقع، نظرًا لأن موارد تنظيم القاعدة كانت تتم مصادرتها بجهود الولايات المتحدة وحلفائها في مكافحة الإرهاب، فقد طُلب من بعض المجندين الغربيين شراء أسلحتهم وذخائرهم بنفسهم، كما تم تهريبهم عندما ذهبوا إلى الخارج للتدريب.[2]

أدرك تنظيم القاعدة منذ البداية أنه لا يمكن تدريب جميع المجندين والإرهابيين المحتملين في معسكراته، حيث بذلَ جهداً متضافراً لنشر المواد التدريبية وأشرطة الفيديو الدعائية التي تتجاوز حدود معسكرات التدريب. في عام 2000، عثرت الشرطة البريطانية على ما يشار إليه عادة باسم «دليل مانشستر» في منزل عضو تنظيم القاعدة أبو أنس الليبي(Abu

(1) A. M. Al ـ Amriiki, «The Story of An American Jihaadi—Part One,» May 16, 2012, p. 54, available at Jihadology, https://azelin.files.wordpress. com/201205//omar ـ hammami ـ abc5ab ـ mane1b9a3c5abr ـ al ـ amrc4abkc4ab 22 ـthe ـ story ـ of ـ an ـ american ـ jihc481dc4ab ـ part 122 ـ.pdf.

(2) S. Rotella, «Al Qaeda Recruits Back in Europe, But Why?» Los Angeles Times, May 29, 2009, http://articles.latimes.com/2009/may/24/world/ fg ـ junior ـ jihadis24.

Anas al ـ Libi). بالإضافة إلى الإرشادات الدينية، يشرح الدليل التقنيات المهمة مثل كيفية إنشاء منزل آمن، وكيفية التعامل مع المستندات المزورة، وكيفية الحفاظ على الاتصالات الآمنة، وكيفية الإجابة عن الأسئلة عند الاستجواب.[1]

على الرغم من تغيّر تفاصيل التخطيط والتدريب مع مرور الوقت ـ تستخدم القاعدة الآن الإنترنت لنشر الكثير من موادها ـ إلّا أن تنظيم القاعدة لا يزال يحاول تحسين المهارات وتفاني الجهاديين المحتملين عن بُعد. ومع ذلك، لا تزال معسكرات التدريب عنصراً أساسياً للتجربة الشاملة وبناء المهارات وإنشاء الشبكات التي تُحوّل الجهاديين غير الكفوء إلى إرهابيين محترفين بشكل أكبر.

هل بإمكان تنظيم القاعدة الحصول على سلاح نووي؟

أعلن الرئيس أوباما في عام 2009 أن الإرهاب النووي «يشكل تهديدًا مباشراً وشديدًا للأمن القومي»، وهو رأي يشاركه فيه كثير من السياسيين الأمريكيين من كلا الحزبين وكذلك العديد من المسؤولين الحكوميين البارزين والخبراء الخارجيين.[2] في الواقع، يُبالغ هذا الإجماع في حجم الخطر. سعى تنظيم القاعدة مرارًا إلى امتلاك القدرة النووية ـ وأظهر قادته رغبة في قتل الآلاف من أعدائهم ـ ولكن يبدو أن الجماعة الإرهابية لم تقترب أبدًا من امتلاك سلاح نووي. في الواقع، إن تنظيم القاعدة اليوم أبعد من أي وقت مضى عن امتلاكه سلاح نووي.

على الرغم من أن الإرهابيين يحظون بسمعة متعطشة للدماء، إلا أن القليل من الجماعات الإرهابية عبر التاريخ قد أعربت عن اهتمامها بالأسلحة النووية: حيث أن اقتنائها صعب للغاية، واستخدامها ربما يأتي بنتائج عكسية، مما يؤدي إلى فقدان المؤيدين المحتملين وبدء عمليّة مطاردة من شأنها أن تجعل الحرب الأمريكية ما بعد 11/9 ضد تنظيم القاعدة أمراً مزعجاً للغاية. لسوء الحظ، كان تنظيم القاعدة استثناءً لهذه القاعدة السعيدة: حيث لطالما

(1) «The Al Qaeda Manual [English translation],» internal Al Qaeda document, n.d., available at US Department of Justice, http://www.justice.gov/ag/man ـ ualpart1_1.pdf.

(2) B. Obama, «President Obama's Remarks in Prague on Nuclear Materials, April 2009,» Council on Foreign Relations, April 5, 2009, http://www.cfr. org/nuclear ـ energy/president ـ obamas ـ remarks ـ prague ـ nuclear ـ materials ـ april 2009 ـ/p32649.

أعرب قياديي التنظيم عن اهتمامهم في الأسلحة النووية. في عام 1993 أثناء وجود التنظيم في السودان، أشارت بعض التقارير إلى أن تنظيم القاعدة حاول شراء اليورانيوم لاستخدامه في سلاح نووي.[1] ولكن بدلًا من ذلك، تم بيعه «كزئبق أحمر» بشكل أساسي، وهو مُخلّفات مُشِعّة تم بيعها كمفاعلات نووية. تولى الظواهري بنفسه السيطرة على البرنامج النووي لتنظيم القاعدة في عام 1998، وهو العام الذي شهد بداية جهود القاعدة الأكثر جدية في امتلاك أسلحة نووية. في عام 1999، أعلن بن لادن في مقابلة مع مجلة التايم أن الحصول على الأسلحة النووية وغيرها من الأسلحة غير التقليدية «واجب ديني».[2] قبل 11 أيلول بفترة قصيرة، كان نشطاء القاعدة على اتصال بعلماء نوويين باكستانيين، وعلى الرغم من أن تلك المحادثات لم تستمر لفترة طويلة ولم تتضمن خطة محددة، فقد كانت مثيرة للقلق ومشيرة إلى نوايا القاعدة. وبحسب ما ورد، أخبر الظواهري صحفيًا باكستانيًا في عام 2001 أنه «إذا كان لديك 30 مليون دولار، [يمكنك] الذهاب إلى السوق السوداء في آسيا الوسطى، والتواصل مع أي عالم سوفيتي ساخط و... ستتوفر العشرات من القنابل الذكية؛» كما ادعى في وقتٍ لاحق بأن تنظيم القاعدة قد فعل ذلك ـ وهو ادَعاءٌ رفضه الخبراء باعتباره مجرّد تبجُّح.[3]

قام تنظيم القاعدة أيضًا بعدّة تجارب حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية أثناء تواجده في أفغانستان، على الرغم من أن أنواع الفيروسات والعوامل التي استخدمها لم تكن مميتة للغاية مثل الجدري أو الطاعون. ومع ذلك، فقد بدا أن المؤامرات التي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول (التي تم تعطيلها جميعًا) والتي تضمنت استخدام المواد الخام من هذه الأسلحة، مثل بروتين الريسين السام وسيانيد البوتاسيوم، قد تمّت بإذن القادة المحليين ـ وليس كبار قادة القاعدة ـ . تسببّت بعض المؤامرات، مثل «حلقة الريسين» المزعومة المرتبطة بأبو

(1) The best evidence for this is the testimony of former Al Qaeda member Jamal al ـ Fadl. See testimony of Jamal al ـ Fadl in United States v. Usama bin Laden et al., February 6, 2001, pp. 35–41. Lawrence Wright reports, however, that several of those allegedly involved in the plot claim that this particular episode is fictional; see Wright, The Looming Tower, pp. 411–412.

(2) Quoted in «Wrath of God,» Time, January 11, 1999, http://content.time.com/ time/world/ article/0,8599,2054517,00.html

(3) R. Mowatt ـ Larssen, «Al Qaeda Weapons of Mass Destruction Threat: Hype or Reality?» Belfer Center for Science and International Affairs, John F. Kennedy School of Government, January 2010, p. 26, http://belfercenter. ksg.harvard.edu/publication/19852/al_qaeda_weapons_of_ mass_destruc ـ tion_threat.html.

مصعب الزرقاوي والجهاديين العراقيين، بإنتاج تقارير إعلامية مُهوَّلة استندت في كثير من الأحيان إلى المبالغات الأوليّة من قِبل الحكومة.(1)

لطالما أدان علماء الدين المسلمون أسلحة الدمار الشامل على أنها ضد الإسلام لأن هذه الأسلحة عشوائية ولذلك قد تقتل المدنيين، بمن فيهم المدنيون المسلمون، بالإضافة إلى قتل العدو. ومع ذلك، يستشهد الجهاديون بحديث عن الحصار الذي استخدم فيه النبي محمد(ص) المنجنيق لمهاجمة المدينة وبرّر شرعيّة هذا الهجوم لأن المدنيين هم من اختاروا العيش بين المقاتلين. تُعتبر الأسلحة غير التقليدية مشابهة للمنجنيق بالنسبة للجهاديين: أي على الرغم من عشوائيتها، إلّا أنها ضرورية عسكريًا (وبالتالي مباحة).(2) في عام 2003، كتب رجل الدين السعودي المتطرّف ناصر الفهد رسالة قانونية بعنوان «حُكم استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الكفار»(3). جادل فهد بأن الأسلحة التقليدية تقتل بالفعل عشرات الآلاف ولكنها مسموح بها، لذلك لا يوجد سبب «إنساني» يمنع استخدام الأسلحة النووية ـ كما أن الدول التي كانت تدين استخدامها، مثل الولايات المتحدة، امتلكت هذا النوع من الأسلحة. بحسب وجهة نظر فهد، بما أنّ الغربيين قد قتلوا بالفعل الكثير من المسلمين، فإن كلٌّ من الضرورة والمعاملة بالمثل تبرر الاستجابة العنيفة والخسائر الجماعية.

كان فقدان أفغانستان بمثابة خسارة كارثيّة بالنسبةِ إلى مشروع القاعدة النووي الناشئ، حيث قُضيَ على القاعدة الآمنة التي يمكن للتنظيم من خلالها القيام بالتجارب والتنظيم على المدى الطويل. في يومنا هذا، تقف العديد من الحواجز في وجه تنظيم القاعدة، حيث يشكّل كلٌّ منها صعوبة هائلة بحد ذاته، ويصبحُ الأمرُ شاقاً جداً عند اجتماع هذه العوائق كلّها معاً.

(1) D. Campell, «The ricin ring that never was,» The Guardian, April 14, 2005, http://www.theguardian.com/world/2005/apr/14/alqaida.terrorism.

(2) Q. Wiktorowicz, «Anatomy of the Salafi Movement,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 29, 2006, p. 216.

(3) N. Al ـ Fahd, «A Treatise on the Legal Status of Using Weapons of Mass Destruction Against Infidels,» May 2003, http://ahlussunnahpublicaties. files.wordpress.com/2013ـ 42288104/04/nasir ـ al ـ fahd ـ the ـ ruling ـ on ـ using ـ weapons ـ of ـ mass ـ destruction ـ against ـ the ـ infidels.pdf. Also available on Scribd here: http://www.scribd.com/doc/53962350/A ـ Treatise ـ on ـ the ـ Legal ـ Status ـ of ـ Using ـ Weapons ـ of ـ Mass ـ Destruction ـ Against ـ Infidels ـ May 2003 ـ, just in case the other link disappears (as sometimes happens with this kind of material).

أولاً، يفتقر تنظيم القاعدة الولوج إلى المواد الانشطارية والتي يتوافر منها مصادر قليلة في العالم. وقد يحاول تنظيم القاعدة، كما فعل في الماضي، شراء أو سرقة هذه المواد ـ أو حتى سلاح بأكمله ـ من دولةٍ ما: وهو احتمال ينتج عنه إشاعات مخيفة لا نهاية لها إضافة إلى الروايات والتلفيقات. لربما تكون الطريقة الأكثر منطقية هي الحصول على هذه المواد من باكستان أو الاتحاد السوفيتي السابق. ومع ذلك، تخشى هذه الدول من أن الإرهابيين قد يستخدمون الأسلحة النووية ضدهم، وبشكل عام، فإنهم يعتبرون ترسانتهم النووية أنها أولوية عليا للأمن القومي، ولذلك، يعتنون بحمايتها جيّداً. يُحَذّر ستيفن يونغر، الذي ترأّس لجنة أبحاث الأسلحة النووية في مختبر لوس ألاموس الوطني وأدارَ وكالة الحد من التهديد الدفاعي (DTRA) بعد الحادي عشر من أيلول أنّه، «بغض النظر عما ورد في الأخبار، فإن جميع الدول النووية تتّخذ موضوع حماية أسلحتها على محمل الجد»[1]، ويوضّح الصحفي ويليام لانجويش بطريقة مشابهة أنه لا توجد حادثة معروفة فُقدت فيها كمية كبيرة من اليورانيوم المُخصّب.[2] حاول تنظيم القاعدة شراء أسلحة نووية، لكن كما يشير الخبير في شؤون الإرهاب بروس هوفمان، «تم خداعهم في كل مرة حاولوا فيها».[3]

حتى لو حصل التنظيم بطريقة ما على مواد انشطارية، فإن صناعة سلاح نووي تتطّلب مجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين والإداريين. في الواقع، هذه الخبرات ليست منتشرة على نطاق واسع بين الجهاديين، وكلما اتسعت دائرة الشركاء، زادت خطورة التحرّي ـ خاصّةً عندما تكون المجموعة تحت المطاردة.[4] على الرغم من وجود المعلومات المتاحة عبر الإنترنت

(1) Quoted in J. Mueller, «The Atomic Terrorist: Assessing the Likelihood,» Presentation Paper, Program for International Security Policy, University of Chicago, January 15, 2008, p. 6, http://politicalscience.osu.edu/faculty/ jmueller//APSACHGO.PDF.

(2) As noted in Mueller, «The Atomic Terrorist,» p. 4.

(3) D. Linzer, «Nuclear Capabilities May Elude Terrorists,» Washington Post, December 29, 2004, p. A1.

(4) Mueller, «The Atomic Terrorist,» p. 11. Michael Levi points out that Aum Shinrikyo, a wealthy group with considerable scientific expertise and one that was not being hunted at the time, did not expand its nuclear program because it feared detection if it did so. See M. Levi, «Stopping Nuclear Terrorism: The Dangerous Allure of Perfect Defense,» Foreign Affairs, vol. 87, no. 1, January–February 2008, http://www.foreignaffairs.com/ articles/63055/michael _ levi/stopping _ nuclear _ terrorism.

ومصادر عامة أخرى، إلّا أنها ليست كافية لصناعة سلاح حقيقي.[1] حتى لو نجحت المجموعة في صناعة السلاح، فإن وزنه سيكون أكثر من طن، ويحتوي على آليات دقيقة ومواد مشعّة تحتاج إلى معاملة دقيقة للغاية. كما أن تكلفة هكذا سلاح ستكون بالملايين ـ وهي تكلفة عالية بالنسبة إلى التنظيم الذي تمّت مصادرة موارده أصلاً. حتى أن السلاح النووي المسروق لا يمكن اعتباره مضموناً. وكما يؤكّد تشارلز فيرجسون، الخبير في مجلس العلاقات الخارجية، «لايمكن اقتنائها بهذه السهولة وإدخال رمزٍ ما وتفجيرها».[2] ويشير جون ميلر إلى هذه الشروط وغيرها من الشروط الصعبة ـ ما يقارب العشرين ككل ـ التي يجب على الإرهابيين تحقيقها قبل استخدامهم لسلاح نوويّ بنجاح، مما يجعل احتمالات نجاحهم شبه معدومة.[3]

يمتلك تنظيم القاعدة بدائل عندما يتعلق الأمر بهجمات أقل فتكاً ولكنها لا تزال غير تقليدية، مثل تلك التي قد تنطوي على أسلحة كيميائية أو أسلحة بيولوجية غير معدية ولكن في الواقع، استخدم تنظيم القاعدة البنادق والقنابل (وطائرات الركاب) لقتل الآلاف. لذلك، مهما كان عدد هذه الأسلحة غير التقليدية، وعلى الرغم من كونها مثيرة للخوف، فمن شأنها أن تلحق أضرارًا أقل ويمكن أن تفشل بسهولة. حتى أنّ محاولة الإرهابي في تنظيم القاعدة خوسيه باديلا بعد أحداث 11 أيلول لاستخدام سلاح إشعاعي («قنبلة مشعّة») تعّزز حالة الشك. صرّحت وزارة العدل الأمريكية في نهاية المطاف أن الجهاز الإشعاعي «كان لا يزال في مرحلة التخطيط الأولية» (أي أنه غير جاهز للاستخدام)؛ كما لاحظت وزارة العدل أيضًا أن قيادة القاعدة كانت غير واثقة في خطة باديلا وأمرته بتفجير المباني السكنية باستخدام الغاز الطبيعي بدلاً من ذلك ـ وبمعنى آخر، لإبقاء العملية بسيطة والتقيد بالتقنيات المُثبَتة مُسبقاً.[4]

ينبغي علينا أن نشعر بالقلق في حال كانت لدى تنظيم القاعدة أو جماعة مشابهة له في الفكر أيّ فرصة محتملة للحصول على سلاح نووي. ولكن القلق لا يعني الذعر.كما ينبغي على

(1) Mueller, «The Atomic Terrorist,» p. 10.

(2) Linzer, «Nuclear Capabilities May Elude Terrorists,» p. A1.

(3) «Summary of Jose Padilla's Activities with Al Qaeda,» US Department of Justice, 2004, http://fas.org/irp/news/200406//padilla060104.pdf.

(4) «Summary of Jose Padilla's Activities with Al Qaeda,» US Department of Justice, 2004, http://fas.org/irp/news/200406//padilla060104.pdf.

وكالات الاستخبارات والدبلوماسيين الاستمرار في التركيز على خطر حيازة الإرهابيين للأسلحة النووية وبذلك إبقاء المسافة بعيدة بين القنبلة النووية وامتلاكها من قِبل التنظيم.

هل يجب علينا السخرية من تنظيم القاعدة؟

كانت بداية أبو مصعب الزرقاوي ـ مؤسس تنظيم القاعدة في العراق الذي اشتُهر بذبحه للرهائن بنفسهَ ـ بداية غير ناجحة في مسيرته الإرهابيّة. بحسب المخابرات الأردنية، كانت أول عملية له في عام 1993 عندما أرسل ناشطًا لتفجير مسرح يعرض فيلمًا إباحيًا، لكن من المدهش أن الانتحاري أصبح مشتّت التفكير بسبب الفيلم لدرجة أنه بعد قيامه بوضع القنبلة تحت أحد المقاعد، جلس ليكمل مشاهدة الفيلم.[1] انفجرت القنبلة أسفل الانتحاري مباشرةً حيث نزف حتى الموت بعد ذلك.[2]

بالنظر إلى المجازر والخوف والمعاناة المرتبطة بهجمات إرهابية صغيرة ـ ناهيك عن الهجمات الضخمة مثل هجمات 11 أيلول أو التيار المستمر من السيارات المفخخة التي تواجهها بلدان مثل العراق ـ فإنّ السخرية من أخطاء الإرهاب تُعتبر عملاً يخلو من الإحساس بالغير ويُعتبر نوعاً من أنواع الغطرسة، وسرعان ما يتم إعادة النظر به بعد الهجوم الدامي التالي. ومع ذلك، يقوم الإرهابيون بالعديد من الأشياء الغبية، ومن المهم إدراك هذه الأخطاء واستغلالها عند تقييم حجم التهديد والرد المناسب.

يتّسم بعض الإرهابيين بالثبات والمهارة كأمثال محمد عطا قائد مؤامرة الحادي عشر من أيلول الذي ظل متخفّياً عن الرادار بينما يتحرك بثبات نحو هدفه النهائي المتمثل في موت الآلاف. على الرغم من أن قادة القاعدة والمجنّدين وكبار الناشطين غالباً ما يكونوا أذكياء وخطرين، إلّا أنّ الكثير من الجنود المشاة هم حمقى وغير مدربين، وهذا ما يودي بهم إلى التهلكة.

(1) M. A. Weaver, «The Short, Violent Life of Abu Musab al ـ Zarqawi,» The Atlantic, July 1, 2006, http://www.theatlantic.com/magazine/archive/200607//the ـ short ـ violent ـ life ـ of ـ abu ـ musab ـ al ـ zarqawi/3049832//.

(2) «10 Truly Ridiculous Criminal Acts,» Listverse, July 16, 2010, http://listverse. com/201010/16/07/ ـ truly ـ ridiculous ـ criminal ـ acts/. Some of the more sala ـ cious details of this story are not confirmed.

تبدو قائمة الأعمال الإرهابية الغبية طويلة نوعاً ما ويبدو أنها تشمل جميع الجنسيات. على سبيل المثال: قام الانتحاريون في أفغانستان بمعانقة رفاقهم معانقة أخيرة قبل الخروج في مهمتهم ـ وهو تصرّف أخرق للغاية حيث كان جميعهم يرتدون سترات مفخّخة. نتيجةً لذلك تطاير أفراد المجموعة بأكملها عندما انفجرت القنابل. بالإضافة إلى ذلك، حصلت هذه الحماقات خارج مناطق الحرب أيضاً. في عام 2007، خططت مجموعة من الأمريكيين لمهاجمة مقاطعة فورت ديكس في ولاية نيو جيرسي. ذهب الإرهابيون إلى ميدان الرماية المحلي للتدريب على الهجوم، وأثناء التدريب، أطلقوا شعرات معادية لأمريكا ودعو للجهاد، كما وقاموا بتصوير أنفسهم وهم يفعلون ذلك. وبسبب إعجابهم بأدائهم، فقد قرروا تحويل الفيديو الخاص بهم إلى قرص DVD في فرع شركة سيركوت سيتي المحلّي حيث قام المسؤول التقني هناك بالإبلاغ عنهم مباشرةً.

في العام ذاته، فَشِلت مؤامرة أخرى كانت على وشك التحققّ وذلك بسبب حماقة منفّذيها. حيث خطّطَ رجلان أحدهما طبيب والآخر طالب في مرحلة الدكتوراه إلى تحطيم سيارتهم من نوع جيب شيروكي المحمّلة بخزانات الوقود وغاز البروبان في إحدى بوابات مطار جلاسجو. وبدلاً من ذلك، اصطدموا بالحاجز الأمني (ظنّاً منهم أنه يمكن اختراق الحاجز الأمني بسهولة، تمامًا كما في الأفلام السينمائية). انفجرت القنبلة بمسافة بعيدة جدًا بحيث لم يُصب المطار بأي أذى ـ وأسفرت عن مقتل الإرهابيين اللذين توفي أحدهما متأثراً بحروقه لاحقاً. كما خطط نفس الرجال أيضاً لاستخدام سيارة مفخخة لتفجير ملهى ليلي في لندن، حيث ركنوا السيارة بشكل غير قانوني وتم سحبها ـ ولكن لحسن الحظ للمحققين، ترك الرجال هواتفهم المحمولة في السيارة ممَا ساعد القوى الأمنية بالكشف عن جميع شركائهم المحتملين.

لقد أثبت الإرهابيون في الولايات المتحدة فشلهم الذريع في الحصول على قنبلة أو تفجيرها (على الرغم من خبرتهم في الحصول على قنابل مزيفة من مخبرين أو عملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي). بغض النظر عن القنبلة التي انفجرت في ماراثون بوسطن، فإن الإرهابيين لم يفجروا أي قنابل في الولايات المتحدة منذ 11 أيلول. وإذا كنا على اعتقاد أن هذا الفشل يعود لصعوبة تصميم القنبلة بشكل خاص، فيجب علينا القيام بمقارنة مع سبعينيات القرن الماضي، عندما قامت مجموعات متنوعة مثل الانفصاليين البورتوريكيين والراديكاليين اليساريين ورابطة الدفاع اليهودية بتفجير العشرات من القنابل في الولايات

المتحدة.[1] وبالعودة إلى عام 1919، حيث تمكّنت مجموعة من المخرّبين من تفجير قنابل ضخمة في وقت واحد تقريبًا في سبع مدن أمريكية مختلفة ـ ولم يكن لديهم وقتها مقاطع فيديو من يوتيوب أو أيّ مقالات إرشادية على الإنترنت للتعلم منها.[2]

تستحق التقوى المزيّفة للإرهابيين نوعاً من السخرية أيضاً. على الرغم من أن البعض، وربما الكثير، هم من المؤمنين الحقيقيين الذين يحاولون أن يعيشوا حياة مثالية (وفقًا لروايتهم المحرّفة الخاصة بهم على الأقل)، فإن النفاق شائع بين صفوف الإرهابيين، حيث عادةً ما يتم العثور على ملفات إباحية على أجهزة الكمبيوتر التي يتم احتجازها عند إلقاء القبض على الإرهابيين أو قتلهم ـ بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر الموجودة في مجمع بن لادن السكني. حتى أن الحيوانات لم تسلم منهم: حيث رصدَ منظار بندقيّة يستخدم التصوير الحراري اثنين من مقاتلي طالبان يشبعان شهوتهم بحمار.

بالإضافةِ إلى متعة السخرية من أخطاء هؤلاء الأشرار، فإن إدراك نقاط ضعف الإرهابيين يمكن أن يخدم عدة أغراض. أولاً، يجب أن يساعدنا على إعادة النظر في حجم التهديد. وعلى الرغم من أن ترقّب هجوم 11 أيلول ثانٍ أو هجوم آخر بالحجم نفسه يبقى أمراً قائماً، إلّا أنّ العديد من هذه المخاطر هي اعتياديّة وذات مستوى منخفض: حيث أن الإرهابيين غير مدربين تدريباً كافياً وغير مؤهلين لفعل المزيد.كما يجب أن يساعدنا هذا الإدراك أيضًا على وضع الإرهاب في منظوره الصحيح: أي أن تنظيم القاعدة لا يزال يشكّل خطراً، ولكنه لم يَعُد ذاك الوحش الإرهابي الذي كنا نخشاه في 12 أيلول 2001.

وينبغي أن تذكرنا أخطاء الإرهابيين بضرورة منعهم من السفر إلى الخارج بغرض التدريب. في الواقع، لم يكن مفجري مطار غلاسجو أغبياء: فقد كانوا مثقّفين جدّاً ومندفعين للقيام بذلك، إلّا أنَ افتقارهم إلى التدريب والتوجيه الصحيح كان السبب في فشل مخططهم. ذهب الزرقاوي في وقت لاحق إلى أفغانستان وحارب في العراق ليصبح تهديدًا مخيفًا هناك.

أخيرًا، إن أخطاء الإرهابيين وميولهم إلى الأمور الإباحية توفّر فرصة جيّدة لتقويض دعمهم،

(1) Mueller, «The Atomic Terrorist,» pp. 5–6.

(2) «1919 Bombings,» The Federal Bureau of Investigation, Philadelphia Division, http://w ww.fbi. gov/philadelphia/about _ us/history/famous _ cases/ famous _ cases _ 1919 _ bombings.

حيث لا يرغب أحد في الانضمام إلى مجموعة من الحمقى اللاهثين، وبقدر ما نصوّر هذه المجموعات على أنها عبارة عن عصابة منافقة وفوضويّة، بقدر ما تصبح جاذبيّتها أقلّ بالنسبةِ إلى المتطوّعين الجدد.

الفصل الرابع

الأفكار والعوامل المؤثّرة

ما المدارس الفكرية الرئيسة التي تؤثر في الحركة السلفيّة الجهاديّة؟

تأثّر تنظيم القاعدة والحركة الجهادية السلفية الأوسع التي يسعى إلى قيادتها بالعديد من مدارس الفكر المتشابكة داخل الإسلام والتي تضم ملايين الأتباع. ومع ذلك، فإن القليل من هؤلاء الأتباع يعتنقون فكر الإرهاب.

السلفيّة

عُرفت الأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين بما يسمى *السلف* («الأجداد» أو «الأسلاف»)، حيث تعتبر ممارستهم للإسلام مثالية. يسعى السلفيون المعاصرون إلى العودة إلى ممارسات هؤلاء المسلمين الأوائل وتبني التفسير الحرفي والصارم للإسلام. يؤكّدون على مبدأ وحدانية الله (التوحيد) ويرفضون ما يسمّونه بالبدع الدينية التي ظهرت بعد هذه الفترة المبكرة، مثل العديد من الممارسات الدينية الشعبية وتقبُّل العادات المحلية والتأمّل الفلسفي للقضايا الدينية. بدلاً من ذلك، فإنهم يفضلون التركيز الضيق على القرآن وعلى حياة النبي محمد (السنّة) وأقواله وتعاليمه (الحديث). يعتقد السلفيّون أن الشريعة الإسلامية هي نظام كامل بحد ذاته يمكن للعلماء المتمرّسين فهمه: ليس هنالك حاجة إلى استخدام المقارنات أو تطبيق المنطق لفهم الحقيقة، وفي الواقع، لا يوجد مجال لتفسيرات مغايرة. تندرج مجموعة واسعة من الحركات والجماعات الأصغر، بما في ذلك الموصوفة أدناه، تحت سقف السلفيّة.

الوهّابية

تُعتبَرُ الوهابية شكل من أشكال السلفية التي ظهرت في وسط الجزيرة العربية في منتصف القرن الثامن عشر. وهي مبنية على تعاليم العالم الديني محمد بن عبد الوهاب وتحالفه مع عائلة سعود. بدأت الحركة بالسيطرة على شبه الجزيرة العربية وأسفرت عن تأسيس الدولة السعودية. بالاعتماد على المدرسة الفقهيّة الحنبلي للشريعة الإسلامية، اتّبع الوهابيون شكلاً محافظًا ومتشددًا من الإسلام. تؤكّد الوهابية على وحدانية الله، وترفض الثقافة الشرعية الإسلامية التي لا تعتمد بدقّة على القرآن والسنّة والحديث، وتشكك في شرعية تفسيرات الإسلام التي تتقبّل ممارسات مثل زيارة مقابر القديسين واعتماد اللباس الأجنبي، كما أنّ الوهابيّة معادية بشكل خاص للإسلام الشيعي. أدى انتشار الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية إلى قيام مقاتلي الحركة بتدمير الأضرحة الدينية المحلية وحتى قتل الشيعة.

أثبت التحالف الوهابي مع آل سعود فائدتهُ لكلا الطرفين، حيث تتمتع العائلة المالكة السعودية بالشرعية وتأمر بالإلتزام الديني، في حين أن العلماء الوهابيين تم فرض تعاليمهم من قِبل الحكومة التي وضعت التفسير الوهابي للإسلام والشريعة الإسلامية في قلب المؤسسة التعليمية والقانونية في المملكة. مع ارتفاع ثروة المملكة العربية السعودية في سبعينيات القرن الماضي بسبب ازدهار النفط، أنفقت الحكومة السعودية وبعض الأشخاص السعوديين مليارات الدولارات سنوياً للترويج للوهابية في الخارج، وبناء المساجد والمدارس والمؤسسات الأخرى التي تروّج تفسيرهم للإسلام.

الديوبنديّة

تأسست المدرسة الفكرية الديوبندية في شمال الهند في القرن التاسع عشر كردة فعل على اثنين من القوى الفعّالة: الاستعمار البريطاني والوعظ السلفي القادم بشكل شبه كامل من الأوساط الوهابية. سعت المدرسة الديوبنديّة إلى معارضة الاستعمار البريطاني والثقافة الغربية من خلال إعادة إحياء الفكر والشعائر الإسلامية في الهند مع الحفاظ على سلميّة الحركة. كما عززت التعاليم السلفية من خلال حملتها الخاصة على الممارسات الخرافية المحلية وتفسيرها المحافظ للمدرسة الحنفية للفقه الإسلامي (مدرسة الشريعة المُتّبعة من

قبل غالبية مسلمي جنوب آسيا).[1] امتدّت الحركة الديوبنديّة إلى الباكستان وبنغلاديش وكذلك أفغانستان. حيث أن الحركات الإسلامية المهمة في باكستان، مثل حركة «جيش الصحابة»، و«جمعية علماء الإسلام»، و«جيش جنغافي»، وكذلك حركة طالبان في أفغانستان، كانوا متأثّرين بالمدرسة الديوبنديّة.

أهل الحديث

تُعتبر مدرسة أهل الحديث الإسلامية واحدة من الحركات السلفية البارزة في جنوب آسيا، حيث تتبنى العديد من الجماعات الجهادية الباكستانية أفكارها. نشأت المدرسة من نفس التعاليم السلفية للحركة الوهابية واحتفظت بعلاقات وثيقة مع العلماء الوهابيين والجهات المانحة السعودية، على الرغم من أنها ليست مرتبطة بالدولة السعودية. كما يوحي إسم الحركة، فإنها تؤكد على العودة إلى القرآن وأقوال النبي محمد باعتبارها المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية واستقامة الرأي، وترفض التطورات اللاحقة والعادات المحلية. تجسد الحركة التوتر في الفكر السلفي بين الأيديولوجية الجهادية من جهة وطاعة الدولة من جهة أخرى. اعتنق أتباع أهل الحديث الجهاد في بعض الأحيان، كما هو الحال مع منظمة «جيش طيبة»، وهي منظمة جهادية هامة تابعة لحركة أهل الحديث وتعمل بترابط مع المخابرات الباكستانية. ومع ذلك، حافظت جماعة أهل الحديث في الهند على هدوئها بشكل صارم.

يُعدّ التأكيد على الرجوع إلى المصادر الأساسيّة والأصليّة للإسلام أحد أهم العوامل المشتركة بين هذه الحركات السلفيّة والحركات الأخرى المتأثّرة بها، حيث أنهم لا يرفضون التقاليد الدينية الإسلامية الأخرى فحسب، بل إنهم أيضًا معادون لتبجيل رجال الدين المسلمين، وللتصوّف، أو الأفكار الأخرى التي تبتعد عن التركيز على وحدانية الله وفي نظرهم، تساهم في انتشار الوثنيّة. يشددون على دراسة القرآن والحديث ويعارضون استحضار الفلسفات أو العادات الأجنبية، بما في ذلك الأفكار الغربية العلمانية. بدأت كل من هذه الحركات كمشاريع إصلاحية سعت إلى إزالة الشوائب الفكريّة التي تجمّعت على مدى قرون من الجهل الديني.

(1) F. Rahman, Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition, Chicago, University of Chicago Press, 1982, p. 41.

على الرغم من أن السلفيين يوافقون بالإجماع على أن الإسلام هو نظام كامل بحد ذاته، إلّا أنّ الباحث كوينتان ويكتوروفيتش يشير إلى أن تطبيق العقيدة على القضايا والمشكلات الجديدة «هو شأن إنساني وبالتالي يخضع لتفسيرات مختلفة».[1] على سبيل المثال، يُحرّم الإسلام بشكل واضح الهجمات على المدنيين، لكن هنالك اختلاف بين العلماء حول أن العمال المدنيين في المجمع العسكري يجب اعتبارهم مقاتلين أم لا. والنتيجة هي الإختلاف في الآراء على الرغم من أن السلفيين يدعون أنهم مدرسة فكرية واحدة.

بصرف النظر عن أعضاء تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية، فإنّ معظم أتباع هذه الحركات ليسوا بجهاديين. على الرغم من اعتناق العديد من الأفكار حول الدور الصحيح للإسلام في المجتمع، ومعاداة من هم من غير السنّة وغير المسلمين(حيث يشاركهم الجهاديون هذه الأفكار أيضًا)، فإن هذه الحركات تمتلك العديد من الأعضاء الذين يركزون على الرعاية الاجتماعية، ويتقبّلون السلطة السياسية في دولتهم سواءً كانت متسلّطة أو ديمقراطية (وبالتالي ليست دينيّة)، وتفضل الهدوء السياسي على العنف. يتحفّظ العديد من الزعماء السلفيين على رغبتهم في معارضة الحكومات الإسلامية بحجّة أنه إذا ادعى الحاكم أنه يؤمن بالله وسمح بممارسة الحد الأدنى من الأنشطة مثل السماح للمسلمين بالصلاة وممارسة الإسلام، فينبغي وضعهُ حيّز الشك فيما إذا كان مسلمًا حقيقيًا أم لا فقط ـ بغض النظر عن فساده أو دكتاتوريّته. بالإضافة إلى ذلك، يعتقد معظم هذه الجماعات أن أفضل طريقة لنشر الإسلام هي من خلال التبشير وليس العنف.

يستنكر العديد من زعماء الدين السلفيين تنظيم القاعدة أو على الأقل بعض أنشطته وهجماته. في المقابل، يرفض تنظيم القاعدة والجماعات المشابهة لتفكيره الزعماء الدينيين التقليديين، معتقدين أنهم مضللين من قبل الحكومات الفاسدة، أو في أسوأ الأحوال، عملاء محتملين لأنظمة المرتدين. نظرًا لقيام تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة به بالتجنيد وجمع التبرعات في المقام الأول بين المجتمعات التي تتبنى الأفكار السلفية، فإن اتّخاذ رأي ـ أو على الأقل عدم الإجهار بمعاداة ـ الشخصيات الدينية السلفية الهامّة يعدّ شرطاً أساسيّاً لاستمراريّة النشاط العملي لتنظيم القاعدة وتأثيره الأيديولوجي المتواصل.

(1) Wiktorowicz, «Anatomy of the Salafi Movement,» p. 214.

من هم أهمّ المفكّرين الذين يقدّرهم الجهاديون ويقرأون أعمالهم؟

على الرغم من أن بن لادن والظواهري لم يتم تدريبهما كعلماء في الدين ولم يُعترف بهما كقادة دينيين، إلّا أنّهما وغيرهم من أعضاء تنظيم القاعدة يستندون إلى الأعراف القديمة والغنيّة للفكر السياسي الإسلامي لتبرير أعمالهم. كما هو الحال مع جميع الديانات العظيمة، يتوفر العديد من التفسيرات للإسلام ـ ومثل كل الديانات العظيمة، تتفوق العواطف على الخلافات الدينيّة. يوجد العديد من الشخصيات، الرئيسة منها والثانوية، التي يعتمد عليها الجهاديون، وعلى الرغم من أن أهمية هذه الشخصيات تختلف بناءً على متطلّبات اللحظة، إلّا أن العديد منها يبرز بسبب أهميتها التاريخية وتبجيلها من قبل الجهاديين المعاصرين، أو بسبب التأثير الواسع لأفكارها.

كان تقي الدين ابن تيمية عالماً دينياً من القرن الثالث عشر، والذي تشكّل تعاليمه اليوم جوهر الفكر الجهادي الحديث. انتقد ابن تيمية الزعماء السياسيين لعدم تطبيقهم الشريعة الإسلامية، كما انتقد أيضا المؤسسة الدينيّة لتجاهلها تعاليم القرآن ومعتقدات وممارسات المسلمين الأوائل. بذلك، أصبح ابن تيمية من أوّل الروّاد في الإصلاح الإسلامي المحافظ. كان المغول ينتشرون في جميع أنحاء البلاد الإسلامية خلال تلك الفترة، حيث استولى المغول على بغداد في عام 1258 والتي تعد مركزاً لإحدى السلالات العظمى في الإسلام، وقاموا بتدميرها ونهب ثرواتها وقتل مئات الآلاف. يوضّح ابن تيمية بأن الزعماء المغول، الذين أعلن بعضهم أنهم مسلمون،قد كانوا في الواقع من المرتدّين لأنهم اعتمدوا القانون العرفي المغولي بدلاً من الشريعة الإسلامية. لذلك،تحوّلَ واجب طاعة الحاكم الإسلامي الحقيقي إلى واجب تمّردٍ ضدّ شخصٍ رفضَ شرع الله. في ظروفٍ كهذه، كان الجهاد واجبًا دينيًا مشابهاً لأركان الإيمان الخمسة التي يجب على المسلمين قبولها وممارستها. يزعم الجهاديون اليوم ـ بناءً على تعليمات ابن تيميّة ـ أن المقاومة السياسية مطلوبة في حال لم يفرض الحاكم الشريعة الإسلامية.

بعد مضيّ خمسة قرون، ظهر محمد بن عبد الوهاب لينشر أفكارًا مماثلة في شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي أدى إلى تطوّر الحركة الوهابية والتي تُعتبَرُ فرعاً متشدّداً من أفرع السلفية. تحالَفَ بن عبد الوهاب مع زعيم سياسي ناشئ وهو محمد بن سعود. غزت قوات ابن سعود شبه الجزيرة العربية ناشرةً الوهابية ومدمّرة للأضرحة أينما وُجِدت ـ بما في ذلك قبر النبي

محمد (لأنهم اعتقدوا أنه يمثل شكلاً من أشكال الوثنية). يميل الوهابيون المعاصرون بشكل كبير إلى انتقاد الشيعة ومتّبعي الثقافة الغربية ومَن هُم مِن غير السلفيين عمومًا، حيث يعتقدون بأنهم منحرفين في معتقداتهم وسلوكهم. كما تُواصِلُ المؤسسة الدينية السعودية المعنيّة بتعليم السلفيين من جميع أنحاء العالم، احتضانها للعديد من أفكار بن عبد الوهاب، حيث تلعب هذه الأفكار دوراً أساسياً في صياغة النظرة العالمية لتنظيم القاعدة والدولة الإسلامية.

يُعتبرُ الكاتب والناشط المصري سيّد قطب أحد أهم المؤثّرين في العصر الحديث على الحركة الجهادية العالمية. ترأّس قطب في أوائل الخمسينيات قسم الدعاية لجماعة الإخوان المسلمين وكان رئيس تحرير صحيفتها. كان معاديًا بشدّة لليهود، كما كان شديد الاحتقار للولايات المتحدة (والغرب عمومًا)، معتقدًا أنهم فاسقين أخلاقياً بسبب الماديّة والحرية الجنسية والشخصية. اعتُقِلَ قطب بعد وصول جمال عبد الناصر إلى السلطة، حيث تم تعذيبه وإعدامه في النهاية من قِبَل النظام المصري في عام 1966.

تعودُ إحدى أهم مساهمات قطب الفكريّة في أيديولوجية القاعدة إلى نقاشه حول «الجاهلية»، وهو مصطلح يُستخدم لوصف فترة الجهل قبيل ظهور الإسلام. بحسب كوينتان ويكتوروفيتش، يعتقد المسلمون أن فترة الجاهلية «كانت وقتاً تسودُ فيه الرغبة الإنسانية الجامحة وبطريقة وحشية غير مقيّدة، والتي أسفرت عن ممارسات بغيضة مثل قتل المواليد الإناث».[1] يجادل قطب في كتابه المؤثّر «العدالة الاجتماعية في الإسلام» بأنّ المجتمعات الحديثة، بما في ذلك العديد من الدول التي يفترض أنها مسلمة (خاصةً مصر، حيث كان يعيش قطب) كانت في حالة الجاهلية لأنها فضّلت المذهب الماديّ على الإسلام الحقيقي. أعلن قطب أنّه يتوجّب على المسلمين المؤمنين حمل السلاح والقتال للتخلص من هذه الحالة بالإضافة إلى تشكيل فئة مقاتلة من شأنها أن تنمو في القوة والمقاومة إلى أن تُدمّر أساس النظام الجاهلي بأكمله (بدءاً من النظام المصري)، وعندَ الإطاحة بالنظام الفاسد، سيكون الطريق واضحًا لإنشاء مجتمع إسلامي حقيقي.

كان لآراء قطب حول العدالة الاجتماعية والإمبريالية الثقافية الغربية والنشاط السياسي تأثير واضح على تفكير الجماعات الإسلامية حول العالم. لكنّ تأثيرهُ على القاعدة لم يكن

(1) Wiktorowicz, «Anatomy of the Salafi Movement,» p. 210.

مجرد تأثير فكري فحسب، بل كان تأثيراً ذا طابع شخصي: حيث كان محفوظ عزام (وهو خال أيمن الظواهري) ممثلاً عن قطب أثناء محاكمته، كما كان محمد قطب ـ شقيق سيّد قطب ـ أحد زملاء عبد الله عزام، الذي كان بدورهِ المفكّر الأكثر نفوذاً خلال فترة الجهاد المناهض للسوفييت في أفغانستان والذي درّس بن لادن في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، المملكة العربية السعودية.

يُعدُّ محمد عبد السلام فرج الجهادي الناشط في مصر في أواخر سبعينيات القرن الماضي، أحد أهم المفكّرين المؤثّرين في الفكر الجهادي أيضاً، والذي قاد لفترة وجيزة الحركة التي جمعت المجموعة الإسلامية في مصر وحركة الجهاد الإسلامي (منظمة الظواهري). في حوالي عام 1980، قام فرج بإعداد كتيّب بعنوان «الفريضة الغائبة»، والذي استند فيه إلى فكر ابن تيمية وتابعَ استنكار قطب لشرعية النظام المصري.كان الجهاد هو «الفريضة الغائبة» التي يشير إليها فرج، حيث يعتقد أنه من واجب المسلمين أن يعاملوا الجهاد بنفس الطريقة التي يتعاملون بها مع التزامات الإيمان الأخرى مثل الصلاة والزكاة، ذلك لأن ممارسة الإسلام الحقيقي تتطلَّب مجتمعًا ودولة إسلامية. أعلن فرج أن وحشيّة الحكومة المصرية وقوانينها المستَمَدّة من الغرب جعلتها غير إسلامية. بالنسبة لفرج، فإن قتال العدو القريب ـ النظام المصري ـ كان أكثر أهمية من قتال العدو البعيد ـ القوى الإمبريالية (أي الولايات المتحدة وإسرائيل)، حيث أعلن فرج قائلاً: «لا شك أن أول معركة في سبيل الجهاد هي إبادة هؤلاء القادة الكفار واستبدالهم بنظام إسلامي كامل. هذه هي البداية».[1] وعند إقامة حكومة إسلامية حقيقية، يصبح حينها قتال الأعداء الخارجيين مثل إسرائيل والولايات المتحدة ممكناً. اعتقد فرج أيضًا أن تصرّفاً مفاجئاً مثل اغتيال الرئيس المصري أنور السادات سيؤدي إلى ثورة شعبية، وفي عام 1981 قام أتباعه باغتيال الرئيس المصري، حيث أعدم النظام المصري فرج بعدها مباشرةً. على الرغم من أن تنظيم القاعدة يميل إلى اعتماد الإستراتيجية المعاكسة ـ إعطاء الأولوية للقتال ضد العدو البعيد ـ فإن تركيز فرج على هزيمة العدو القريب أولاً قد لاقت قبولاً أكبر داخل المجتمع الجهادي الأوسع؛ بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تأثير أفكاره حول القيمة الدعائية للأعمال المفاجئة يمكن ملاحظته في الهجمات التي نفذها تنظيم القاعدة في11 أيلول وكذلك في مقاطع الذبح التي تُنتِجها الدولة الإسلامية حاليًا.

(1) Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» p. 207.

يُعَدُّ عبد الله عزام الأب الروحي والتنظيمي لـحراك المقاتلين الأجانب، والذي استقطب تنظيم القاعدة منه العديد من مجنديه. بينما أكّد كلٌ من ابن تيمية وابن عبد الوهاب وقطب وفرج على ضرورة إقامة مجتمع وحكومة إسلاميين ونظروا إلى القادة المسلمين الزائفين على أنّهم يشكلون تهديدًا، شدّد عزام من ناحية أخرى على ضرورة محاربة الأعداء الخارجيين باعتبارهم يشكّلون التهديد الرئيس. يوضّح توماس هيغامر أنّ عزام كان متأثّراً بشدة بالحركة القومية الإسلامية الناشئة التي ظهرت في المملكة العربية السعودية في سبعينيات القرن الماضي.[1] ـ كان عزام مؤمناً بفكرة أن جميع المسلمين كانوا شعبًا واحدًا ولكن عندما احتلّ الكفار الأراضي الإسلامية ـ كما حدث عندما غزا الاتحاد السوفييتي أفغانستان عام 1979 ـ توجّب القتال على المسلمين في كل مكان من أجل طرد الكفار. ألقى عزام العديد من الخطابات وكتب العديد من الأعمال التي ألهمت المسلمين للقتال في أفغانستان، كما قام بجمع الأموال، وتطوير المنظمات، مثل مكتب الخدمات، لتسهيل تدفق المقاتلين الأجانب من وإلى ساحة المعركة. على عكس المفكّرين الجهاديين السابقين (والعديد من الجهاديين اليوم)، لم يعتبر عزام الحكومات الإسلامية الأخرى حكومات غير شرعيّة، وحث المقاتلين على التركيز على مسارح الحرب الضيقة بدلاً من التركيز على جميع الأعداء في كل مكان،كما أكّد على استخدام التكتيكات العسكرية التقليدية، وليس الإرهاب. اغتيل عزام في باكستان عام 1989 ـ حيث لا يزال المسؤول عن عملية اغتياله مجهولاً حتى يومنا هذا.

يُعتَبَرُ أبو محمد المقدسي أحد أهم الأيديولوجيين الأحياء في المجتمع السلفي الجهادي اليوم ـ حتى أن تأثيره يفوق أيمن الظواهري بأضعاف. وقد حَظِي مقدسي ـ الذي سجنه الأردن لسنوات عديدة ولكن أُطلق سراحه في أوائل عام 2015 ـ بثناء مؤيديه باعتباره «ابن تيمية العصر الراهن».[2] وعلى الرغم من ذلك، كما يشير جواس واغيميكرز، فإن وجهات نظر المقدسي مختلفة تمامًا عن آراء تنظيم القاعدة.[3] يركز المقدسي نشاطه على الكفاح ضد الأنظمة غير الشرعية في البلدان الإسلامية، التي يبرر إسقاطها على أساس الرِدّة وتحالفاتها

(1) Hegghammer, «The Rise of Muslim Foreign Fighters,» p. 79.

(2) C. Bunzel, «Toward an Islamic Spring: Abu Muhammad al ـ Maqdisi's Prison Production,» Jihadica, June 11, 2013, http://www.jihadica.com/ toward ـ an ـ islamic ـ spring ـ abu ـ muhammad ـ al ـ maqdisi %E2 %80 %99s ـ prison ـ production/.

(3) J. Wagemakers, A Quietist Jihadi: The Ideology and Influence of Abu Muhammad al ـ Maqdisi, New York, Cambridge University Press, 2012.

مع قوى غير إسلامية، كما وانتقد المقدسي الجماعات الجهادية لتركيزها على الشيعة، كما هو الحال في العراق، أو التركيز على الولايات المتحدة وإسرائيل بحسب تعليمات تنظيم القاعدة. كما أن المقدسي يُعتبَرُ أكثر تسامحًا وفقًا للمعايير السلفية الجهادية أو على الأقل بالنسبة للإخوان المسلمين وغيرهم من الحركات الإسلامية السياسية السائدة. يرفض مقدسي الشرعيّة الإسلامية لتلك الأنظمة، لكنه يدعو إلى الوعظ والوسائل السلمية الأخرى لإرشادهم بدلاً من حمل السلاح ضدهم عندما يكونون موضع قوّة كما كانوا لفترة قصيرة في مصر وهم موجودون حاليًا في تونس وقطاع غزة.[1] يؤكد المقدسي اعتقاد محمّد فرج بأنّ كل هذه النضالات الأخرى يمكن أن تُؤجَّل حتى قيام حكومة إسلامية حقيقية يمكنها توحيد المؤمنين وتسخير سلطة الدولة. إنّ الغرض من القتال هو إنشاء مناطق لتكون ولايات إسلاميّة فعليّة. في هذه المناطق، يجب على الجهاديين أثناء قتالهم أن يقوموا أيضًا بالوعظ ومحاولة تغيير سلوك أولئك الموجودين في الأراضي التي يسيطرون عليها، بدلاً من استخدام القوة لفرض السلوك المناسب.

أثّرت تعاليم المقدسي على أبو مصعب الزرقاوي مؤسس تنظيم القاعدة في العراق، رغم أن المقدسي سينتقد فيما بعد تركيز الزرقاوي على قتل الشيعة العراقيين. كما قد ينتقد المقدسي أيضًا الدولة الإسلامية، خليفة القاعدة في العراق، بسبب وحشيتها ضد المسلمين. في الواقع، على الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية قد يبدو أنه يتّبع تأكيد المقدسي على السيطرة على الأراضي وإقامة الحكم الإسلامي، إلّا أن المقدسي يرفض معاملة الدولة الإسلامية القاسية للمسلمين الخاضعين لسيطرتها، ويدعو المجموعة إلى استخدام الوعظ للتأثير على الناس وإرشادهم إلى طريق الصواب فضلاً عن استخدام العقاب.

يؤثر العديد من المفكرين المعاصرين الآخرين على الحركة السلفية الجهادية الحديثة، وغالباً ما يبحث المقاتلون عن أولئك الذين تدعم آراؤهم ما يخطط المقاتلون القيام به. ومع ذلك، فإن أفكار ودعم هؤلاء المفكرين يُعتبر أساسياً في دعم القضية الجهادية، وذلك في إلهام المجاهدين لحمل السلاح، وتوجيههم عندما يقررون من وماذا يستهدفون، وتمكينهم من تبرير أفعالهم، ومساعدتهم على جمع المجندين والمال.

(1) Bunzel, «Toward an Islamic Spring: Abu Muhammad al ـ Maqdisi's Prison Production».

كيف يختلف تنظيم القاعدة عن حركة الإخوان المسلمين؟

تُعتَبَرُ جماعة الإخوان المسلمين أقدم حركةٍ سياسيّة إسلامية حديثة في العالم العربي، وربما الأكثر أهميّة. تأسّست في مصر عام 1928، ولديها الآن فروع أو تشعّبات في الكويت والأردن وليبيا والمغرب والسودان واليمن ودول إسلامية أخرى، وقد أثر مفكّروها ومعلّموها على الحركات الإسلامية في جميع أنحاء العالم. على الرغم من أن أعضاء جماعة الإخوان يتشاركون وجهة النظر ذاتها، إلّا أن الحركة نفسها منظّمة حسب الدولة المتواجدة بها، ولا يتحكم أحد فروعها بالآخَر.

ترفض جماعة الإخوان المسلمين النماذج السياسية والاجتماعية الغربية وتدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وأسلمة المجتمع. انخرطت فروع مختلفة من الحركة في أعمال العنف أحياناً: مثل حركة حماس، المجموعة الإرهابية الفلسطينية التي نشأت من جماعة الإخوان المسلمين في غزة. وخلال أواخر سبعينيات القرن الماضي، قاد الإخوان المسلمون في سوريا ثورة دموية ضد نظام حافظ الأسد، وأصبح أعضاءها بارزين في الكفاح ضد بشار نجل حافظ حيث وقعت سوريا في حرب أهلية في عام 2011.كما كانت جماعة الإخوان المسلمين في مصر وراء العديد من الهجمات الإرهابية بعد الحرب العالمية الثانية.

يعتمد السلفيون ـ الجهاديون على مفكري الإخوان المسلمين وخاصةً سيد قطب، كما تتداخل بعض خيوط تفكير الإخوان إلى حد كبير مع أفكار الجهاديين العالميين. ومع ذلك، يختلف الجهاديون السلفيون والإخوان المسلمون في صميمهم اختلافًا جذريًا ذا طابع عنيف أيضاً. على عكس السلفيين، يتقبّل مفكري الإخوان المسلمين دور العقل الإنساني في تفسير القرآن. وعلى عكس الجهاديين، فإن جماعة الإخوان المسلمين قد رفضت غالباً استخدام العنف في معظم البلدان ـ خاصة في مصر، حيث قبلت جماعة الإخوان المسلمين بحلول الثمانينيات التعايش المشترك مع نظام مبارك وشاركت في البرلمان المصري (رغم عدم إضفاء الشرعية الكاملة عليها). في الكويت والأردن واليمن وأماكن أخرى، شاركت مجموعات الإخوان أيضًا في الممارسات السياسة السلمية. على عكس القاعدة، تتبنى جماعة الإخوان المسلمين العمل التبشيري ومشاريع الرعاية الاجتماعية ـ مثل إنشاء مدارس ابتدائية مجانية وعيادات صحية اجتماعية منخفضة التكلفة ـ كجزء من استراتيجيتها للنشاط الشعبي وجهودها لإضفاء الطابع الإسلامي على المجتمع بكافة مؤسساته.

كان هذا المذهب العملي والاستعداد للتعاون مع الموجودين في السلطة أمراً يثير غضب القاعدة والجهاديين الآخرين في بقية العالم. في كتابه «الحصاد المر»، ينتقد الظواهري بحدة قادة الإخوان في مصر لرفضهم العنف ومشاركتهم في السياسة. كانت حركة حماس أيضاً محطّاً للنقد اللاذع من تنظيم القاعدة، الذي أدان وقف إطلاق النار مع إسرائيل وعدم فرض الشريعة الإسلامية بالكامل في غزة. قامت حركة حماس حتى بقمع الجهاديين بعنف في قطاع غزة والذين تُعتبر توجهاتهم مماثلة لتوجّهات تنظيم القاعدة.

تكمُنُ ازدواجيّة دور جماعة الإخوان المسلمين في كونها تشكّل نقطة عبور للجماعات الإرهابية السلفية الجهادية مثل القاعدة، وفي نفس الوقت، تُعتبرُ عائقاً في سبيل أهدافهم. فمن ناحية، تنشرُ جماعة الإخوان الدعوة إلى مجتمع إسلامي حقيقي وتُشجّع على رؤية دينية ومسيّسة للعالم تتشابه مع وجهة نظر القاعدة. كما أن العديد من أعضاء تنظيم القاعدة، بمن فيهم الظواهري الذي انضم لفترة وجيزة إلى جماعة الإخوان المسلمين في سن المراهقة، دخلوا في صفوف الإخوان المسلمين. من ناحية أخرى، فإن استعداد حركة الإخوان المسلمين للتعايش مع الحكّام الذين تعتبرهم القاعدة مرتدين، ورفضها العام للعنف، وانفتاحها على المشاركة الانتخابية، يقدّم رؤية بديلة لكيفية إنشاء مجتمع إسلامي والتي تُعتبر أكثر شعبية من رؤية تنظيم القاعدة ويعود ذلك إلى أن رؤية الإخوان هي أقل تطرفًا ولا تنطوي على العنف. ولهذا السبب، يرى تنظيم القاعدة أن جماعة الإخوان المسلمين وأنشطتها تشكّل خطراً على قدرة التنظيم على جمع الأموال والتجنيد، بل أنّها تُشكّل تهديداً أساسياً لشرعية الجهاديين.

تلتزم جماعة الإخوان المسلمين بالمشاركة في العملية الانتخابية كبديل سلميّ وأكثر فاعليّة من الدعوة السلفية الجهادية إلى العنف؛ على هذا النحو، فإن نجاح أو فشل السياسة السلمية سيكون له تأثير عميق على تنافسهم. لطالما أشار الجهاديون إلى فشل الإخوان في الحصول على السلطة كدليلٍ على أن قادة الإخوان كانوا يبرمون الإتفاقيات دون أيّ أمل في النجاح. على الرغم من أن ظهور أنظمة تابعة لجماعة الإخوان المسلمين بعد الربيع العربي قد عارضت هذا الإدّعاء، إلّا أنّ الانقلاب في مصر عام 2013 والذي شهد إسقاط حكومة الإخوان المنتخبة ديمقراطياً من قِبَل الجيش قد تم اعتباره من قبل الجهاديين السلفيين على أنه تأكيد لمبدأ أن القوّة هي الطريق الوحيد للنصر.

لماذا ينتقد الجهاديون الآخرون تنظيم القاعدة؟

نظراً إلى المذبحة المروِّعة التي حدثت في العراق بعد أن تحوّلت المقاومة المعادية للولايات المتحدة مابعد عام 2003 إلى حرب أهليّة ونتيجةً للإنتكاسات الأخرى للقضيّة الجهاديّة، قام بعض المؤيدين السابقين في مصر والسعوديّة وغيرها بتوجيه انتقادٍ لاذع للتنظيم بسبب سوءِ تفسيرهِ للإسلام وقتل المسلمين الأبرياء. وجاء هذا النقد عبر مزيجٍ قويّ يضمّ مجموعةً من الجهاديين السجناء وأعضاء الجماعات المنافِسة إضافةً إلى رجال الدين الذين كانوا يُعتبرونَ موالين للتنظيم.

بدأت الجماعة الإسلامية في مصر عام 2002 بنشر سلسلة من الأعمال بعنوان «سلسلة لتصحيح الأفكار» التي تناولت بشكلٍ شامل جميع الطرق التي أساء بها تنظيم القاعدة تفسيره للجهاد وانتقدت بشدّة استخدام العنف ضد المدنيين. كانت الجماعة الإسلامية في مصر هي الأكثر عددًا والأكثر أهمية من الناحية السياسية، كما كانت أيضا على تعاون وخلاف في نفس الوقت مع حركة الجهاد الإسلامي المصرية التابعة للظواهري. في عام 2007، انتقد قادة حركة الجهاد الليبي تنظيم القاعدة بشدّة، وقد كانت هذه الحركة إحدى أهم الحركات خلال فترة نشوء تنظيم القاعدة في أوائل التسعينيات. وأدان الشيخ السعودي سلمان العودة تنظيم القاعدة. وكان سلمان قد اكتسب شعبية واسعة بسبب انتقاده لعلاقات العائلة المالكة السعودية بالولايات المتحدة في التسعينيات. في إدانته للتنظيم، خاطب سلمان أسامة بن لادن قائلاً: «أخي أسامة، ما مقدار الدماء التي تمّت إراقتها؟ كم عدد الأبرياء والأطفال والمسنين والنساء الذين قُتِلوا... باسم القاعدة؟ هل ستسعد بمقابلة الله سبحانه وتعالى حاملاً عبء هذه المئات من الآلاف أو الملايين على ظهرك»؟[1]

أبدى الجهاديون الاعتياديون قلقهم أيضاً، وخلال «الاجتماع المفتوح» لعام 2008 الذي عقده الظواهري على الإنترنت، وتلقّى فيه العديد من الأسئلة التي طُرحت ألكترونياً، انتقد المستجوبون التنظيم بغضب وذلك بسبب قتله للمسلمين الأبرياء.[2] وتساءل أحد النقّاد

(1) P. Bergen and P. Cruickshank, «The Unraveling,» The New Republic, June 11, 2008, http://www.newrepublic.com/article/the ـ unraveling.

(2) See «The Open Meeting with Shaykh Ayman al ـ Zawahiri—Part One,» As ـ Sahab Media Production, 2008, available at the Washington Post, http://www. washingtonpost.com/wp ـ srv/world/OpenMeetingZawahiri_Part1.pdf.

قائلاً: عفواً يا سيد ظواهري، لكن من الذي يقوم وبموافقة جلالتك بقتل الأبرياء في بغداد والمغرب والجزائر؟ هل تعتبر قتل النساء والأطفال جهادًا؟ أتحداك أنت ومنظمتك أن تقوموا بذلك في تل أبيب. لماذا لم تنفّذ أي ضربة في إسرائيل حتى يومنا هذا؟ أم أنه من الأسهل قتل المسلمين في الأسواق؟ لربما يكون من الضروري [بالنسبة لك] أن تأخذ بعض دروس الجغرافيا، لأن خرائطك تُظهر مدن المسلمين فقط.

لعلَّ أكثر الانتقادات حدّة هو الذي بدَرَ من عالم الدين وزعيم حركة الجهاد الإسلامي المصرية السابق السيد إمام الشريف (المعروف باسم الدكتور فضل) والذي كان حاضراً في الاجتماع الذي تم فيه تأسيس تنظيم القاعدة. كان كلٌّ من فضل والظواهري ـ الحاصلين على شهادة الكتوراه ـ من الشباب الثوريين في مصر، وعاشوا في المنفى في باكستان خلال الثمانينيات، وأمضوا سنوات عديدة كرفاق في السلاح. في عام 1988، نشر فضل «العمدة في إعداد العدّة»، وهو دليل مكون من 500 صفحة وموجّه إلى الجهاديين المستقبليين والذي ستتم ترجمته في نهاية المطاف إلى تسع لغات وقراءته من قبل المتشددين من أفغانستان وصولاً إلى إندونيسيا. في وقت لاحق، قام بتأليف كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف»، أحد أهم أعماله أيضاً. كان فضل متطرفًا في توجّهاته: حيث جادل في البداية بأن المسلمين هم في صراع دائم مع غير المسلمين وأن الحكام العرب هم مرتدين ـ وكذلك هم الكثيرين ممن يدعمونهم أو يوافقون على حكمهم. بذلك، أدانت تعاليم فضل الملايين من الأشخاص عوضاً عن قلّة من الحكّام الفاسدين.[1] تم اعتقال فضل عقب أحداث 11 أيلول حيث سُجن في مصر. في عام 2007، انتقد فضل تنظيم القاعدة في كتابه «وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم». أعلن فضل، الذي كتب من داخل السجن، أن الجماعة الإسلامية «قد أخطأت بشدة من وجهة نظر إسلامية» بالسماح «بالقتل على أساس الجنسية أو لون البشرة أو الشعر أو بناءً على العقيدة الدينية» وأن أولئك الذين يستهدفون الأبرياء، بما في ذلك بن لادن والظواهري وأتباعهم، «يضعون رغباتهم وإرادتهم قبل إرادة الله».[2] كما وصف الظواهري

(1) Wright, «The Rebellion Within».

(2) D. Blair, «Al ـ Qaeda founder launches fierce attack on Osama bin Laden,» The Telegraph, February 20, 2009, http://www.telegraph.co.uk/news/ worldnews/africaandindianocean/egypt/4736358/Al ـ Qaeda ـ founder ـ launches ـ fierce ـ attack ـ on ـ Osama ـ bin ـ Laden.html.

خلال مقابلة صحفيّة بأنه «دجّال» وأعلن أن هجمات القاعدة تشكّل «كارثة للمسلمين».[1] قام العديد من أعضاء جماعة الجهاد الإسلامي المصرية المسجونين أيضًا بوضع أسمائهم ضمن كتاب فضل، مما جعل منه بشكل فعلي إعلاناً لوقف إطلاق النار من قبل بعض أنصار الظواهري والقاعدة الأوائل.

يلقي المنتقدون مثل فضل باللوم على تنظيم القاعدة بسبب انتشار مبدأ التكفير، الذي يدّعي فيه المسلمون حقهم في إظهار الآخرين على أنهم كفّار، وهو موقف يرفضه الغالبية العظمى من العلماء المسلمين المحافظين، حيث يوضّح فضل أنّه «لا يجوز للمسلم أن يُكفّر مسلماً آخر».[2] تكمن المفارقة في المحاولة الفعليّة لتنظيم القاعدة للحد من النفوذ التكفيري في الحركة الجهادية الأوسع؛ على سبيل المثال، وجّه الظواهري رسالةً إلى زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي يحذّره فيها من قَتل الشيعة العاديين أو قتل الشخصيات السنّية الدينية والقَبَلية ـ ولكن دون جدوى، حيث أن تنظيم القاعدة في العراق قد قتل الكثيرين ومن بينهم أعضاء من الجماعات السنيّة المتمرّدة المنافسة له. أرسل الظواهري تحذيراته بشكل سرّي لأنه لم يرغب في تحويل اهتمام هذا الجزء المهم عن القضيّة الجهاديّة، وكانت النتيجة هي إدانة تنظيم القاعدة بناءً على تصرفات المجموعة التابعة له.

يجادل منتقدو التنظيم بأن المجال للجهاد العنيف هو أقلّ بكثير مما جعله التنظيم عليه، كما يعتقدون بأن قتل المدنيين كما حدث في الجزائر خلال فترة التسعينيات وفي العراق بعد عام 2003، إضافةً إلى هجمات تنظيم القاعدة في العراق على الفنادق الثلاثة في الأردن التي أسفرت عن مقتل 67 شخصاً من بينهم مشاركين في حفل زفاف لم يكن بينهم أي أجنبي بحسب أقوال العريس، قد دفع بالجهاديين إلى الهاوية، حيث أنهم قد تجاوزا بكثير مستوى القتل الذي شرّعهُ الإسلام. كما يؤكدون أن قتل المدنيين عن عمد، والذي يحدث نتيجة مهاجمة أهداف مثل الفنادق ووسائل النقل العام، يُعتبرُ تصرّفاً خاطئاً. يُشدّدّ فضل على أنّه حتى قتل المسيحيين واليهود أمر خاطئ: «إنهم جيران المسلمين... والود تجاه الجيران هو واجب ديني». كما يجادل بأن المسلمين الذين يعيشون تحت حكم غير مسلم في الغرب قد

(1) See «Major Jihadi Cleric and Author of Al ـ Qaeda's Shari'a Guide to Jihad: 911/ Was a Sin,» Middle East Media Research Institute (MEMRI), Special Dispatch No. 1785, December 14, 2007, http://www.memri.org/ report/en/02636/0/0/0/0/0/.htm.

(2) As quoted in Wright, «The Rebellion Within».

تم إعطاؤهم فرصة للعمل والدراسة والعيش، ولذلك يرفض «خيانة» هذا العطاء باستخدام العنف.

أخيرًا، يقدّم نقّاد القاعدة حججًا عملية يشيرون فيها إلى أن قتل المسلمين العاديين أدى إلى نفور الشعب، وبدلاً من اعتبارهم أبطالًا، تمّ تصوّر الجهاديين على أنهم مجرمون، وأصبحت الأنظمة الوحشية تحظى بالدعم نتيجةً لذلك. إضافة إلى ذلك، أدى الاستيلاء على الولايات المتحدة إلى مقتل أو سجن الآلاف من الجهاديين والإطاحة بنظام طالبان الذي كان يُشكّل حكومة إسلامية حقيقية. بحسب ما كتب فضل، «أصبحت مهاجمة أميركا الطريق الأقصر إلى الشهرة والقيادة بين العرب والمسلمين. ولكن ما الفائدة إذا دمرتم أحد مباني عدوكم بينما دمّر هو أحد بلدانكم بأكملها؟ ما الفائدة إذا قتلتم أحدًا من شعبه وقتل هو الآلاف من شعوبكم؟ باختصار، هذا هو تقييمي لأحداث 11 أيلول».[1]

أشار قياديو تنظيم القاعدة إلى أنّ فضل كان في السجن عندما كتب انتقاداته هذه: وفي رسالة مصوّرة، تساءل الظواهري بسخرية قائلاً، «هل أصبحوا يمتلكون أجهزة فاكس الآن في زنزانات السجن المصرية؟ وهل يا ترى كانت هذه الأجهزة تعمل على نفس الخط التشغيلي لآلات الصعق الكهربائي»، كما أعلن الظواهري عن نشر مؤلَّف ضخم بعنوان «التبرئة» كتبه كدحضٍ لآراء هؤلاء النقاد.[2] وعلى الرغم من قدرة التنظيم على تجاهل هؤلاء النقّاد وغيرهم، إلّا أنّ مصداقيّة هؤلاء الأشخاص الذين كافح بعضهم ونزف في سبيل القضية الجهادية، وأن البعض الآخر منهم هم علماء دين موقّرين ـ وحقيقة أنهم ليسوا وحدهم ـ يجعل من تجاهلهم أمراً صعباً للغاية.

في الحقيقة، تُقلّل هذه الانتقادات من جاذبية وسلطة حركة الظواهري بشكلٍ أكبر بكثير مما قد تقوم به أي «دبلوماسية عامة» أو دعاية إعلانية من الولايات المتحدة والأنظمة المتحالفة معها. كما تحظى المناشدات الحكوميّة حيال تقديم المعلومات والتوقف عن توفير الأموال لهذه المجموعات بالدعم الشعبي أيضاً. تعمل هذه الانتقادات أيضاً على إعاقة الحركة التجنيديّة عندما يتوقف الشباب المسلم عن الإعتقاد بأن العنف مُشرّع به دينياً وأن مجتمعاتهم لن تنظر إليهم كأبطال.

(1) As quoted in Wright, «The Rebellion Within».

(2) Quoted in I. Black, «Violence won't work: how author of 'jihadists' bible' stirred up a storm,» The Guardian, July 27, 2007, http://www.theguardian. com/world/2007/jul/27/alqaida.egypt.

كيف يُبرّر تنظيم القاعدة قتل المدنيين؟

لم يكن تنظيم القاعدة يستهدف المدنيين دائمًا، حيث قام بن لادن في عام 1991 بالتمييز بين الشعب الأمريكي والحكومة الأمريكية، مشيرًا إلى أن الشعب «لا يشارك في عملية التصويت حتى، إنه لا مبالي تمامًا» وبالتالي لا يمكن أن يكون هدفًا شرعيًا.[1] كانت الهجمات الانتحارية المبكرة التي قام بها عملاء جماعة الجهاد الإسلامي المصريّة قد تمّت إدانتها بشكل واسع، حتى في الأوساط المتطرفة، حيث كان يُنظر إلى العمليات الانتحارية على أنّها مخالفة للإسلام.كما أن هجوم جماعة الجهاد الإسلامي المصرية على السفارة المصرية في إسلام أباد عام 1995، والذي أسفر عن مقتل 16 شخصًا، قد تعرّض لانتقادات ـ حتى من قبل بن لادن ـ لأنه تسبب بقتل الأبرياء. كان بن لادن نفسه قد أخذ فكرة تفجير السفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية بعين الاعتبار في أوائل التسعينيات لكنه رفض العملية لأن الكثير من المدنيين سيموتون جرّاء ذلك، حتى أنّ فتوى بن لادن عام 1996 التي تدعو إلى شن هجمات على الولايات المتحدة تؤكّد على مهاجمة الجنود، وليس المدنيين. خلال معظم هذه الفترة، ركّز تنظيم القاعدة على دعم التمردات الجهادية وليس الإرهاب العالمي. إلّا أنّه، وبحلول عام 1998، أعلن بن لادن وأنصاره أن «قتل الأمريكيين وحلفائهم ـ المدنيين والعسكريين ـ هو واجب فردي على كل مسلم يمكنه القيام بذلك وفي أي بلد يمكن فيه القيام بذلك»[2] واستمرّ تنظيم القاعدة بدعوته إلى قتل المديين الأمريكيين حتى بعد مرور ما يقارب الخمسة عشر عاماً.

عند مخاطبة الجماهير الغربيّة، كما جاء في خطاب بن لادن عام 2002 «رسالة إلى الشعب الأمريكي»، يُبرّر تنظيم القاعدة قتل المدنيين الأميركيين بحجة أن أمريكا هي دولة ديمقراطية، أي أنّ «الشعب الأمريكي هو الذي يختار حكومته بإرادته»، وهو خيارٌ ينبع من موافقة الشعب على السياسة الأمريكية».[3] وهكذا، فإن الشعب الأمريكي يُعتبر متواطئاً في سياسات أمريكا في العالم الإسلامي. لتجنب هجمات القاعدة، يمكن للأمريكيين بل

(1) Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 119.

(2) Full text of the 1998 statement available at Federation of American Scientists, http://fas.org/irp/world/para/docs/980223 ـ fatwa.htm.

(3) O. B. Laden, «Letter to the American People,» The Guardian, November 24, 2002, http://www.theguardian.com/world/2002/nov/24/theobserver.

ويجب عليهم انتخاب حكومة جديدة لتغيير هذه السياسات. وبالمثل، يؤكّد تنظيم القاعدة أن المدنيين الأميركيين هم أهداف مشروعة لأن «الشعب الأمريكي هو الذي يدفع الضرائب التي تمول الطائرات التي تقصفنا في أفغانستان، والدبابات التي تضرب وتهدم منازلنا في فلسطين، والجيوش التي تحتل أراضينا في الخليج العربي، والأساطيل التي تضمن استمرار الحصار على العراق».[1] كما يبرّر تنظيم القاعدة تصرفاته أيضاً بالإشارة إلى شرعية قضيّته الجهادية: حيث صرّح بن لادن في مقابلة أجراها عام 1998 بأنّ «الإرهاب الذي نمارسه هو من النوع الجدير بالثناء لأنه موجه إلى الطغاة والمعتدين وأعداء الله».[2] أكد بن لادن أيضًا أن أمريكا تحصد شرّ أعمالها، مدّعياً أن الولايات المتحدة لا تفرق بين المدنيين والجنود أو الأطفال والبالغين في هجماتها، مستشهداً بالقنابل الذرية التي أُلقيت على اليابان كأصدق مثال عن هذا. وحدها «المعاملة بالمثل» قادرة على إيقاف أمريكا.

في أعقاب هجمات 11 أيلول، أصدر علماء القانون الإسلامي البارزون وحتى مؤسس حركة حماس إدانة شديدة للقاعدة بسبب استهداف المدنيين. وتم التنديد بالهجمات ووصفها بأنها «غير إسلامية» و«ضد جميع المعايير الإنسانية والإسلامية» وأنها «جرائم بشعة وأفعال مشينة».[3] بعد ستة أشهر من الصمت الملحوظ، أصدر تنظيم القاعدة ردًا يوضّح فيه بالتفصيل المبرّر الديني لقتل المدنيين.

يوضّح كوينتان ويكتوروفيتش وجون كالتنر في تحليلهما الرائع لبيان القاعدة، «أن تحريم [قتل المدنيين] ليس مطلقًا وأن هناك شروطًا يصبح قتل المدنيين فيها مسموحًا به». باستخدام مزيجٍ من الآيات القرآنية المنتقاة بعناية، والأحكام القانونية من العصور الوسطى، والأمثلة المُفَسّرة بطريقة إبداعية من التاريخ الإسلامي، يتناول تنظيم القاعدة كلّاً من الشروط السبعة التي بموجبها، وفقاً للتقاليد القانونية الإسلامية، يمكن للمرء أن يستهدف المدنيين بشكل شرعي.

الشرط الأول هو المعاملة بالمثل: أي بما أن أمريكا استهدفت المدنيين المسلمين في العراق وفي أماكن أخرى، فقد أصبح استهداف المسلمين للمدنيين الأميركيين أمراً مشروعاً.

---

(1) Laden, «Letter to the American People».

(2) «Interview: Osama Bin Laden».

(3) Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» pp. 76–92.

الشرط الثاني هو عدم القدرة على تمييز المدنيين عن المقاتلين: لطالما أن مقاتلي العدو موجودين والهدف (أي البناء أو التحصين) هدف مشروع، فيمكن مهاجمته، حتى لو كلّف ذلك قتل المدنيين أيضاً. يرتبط هذا بالشرط الثالث والذي ينصّ على تقديم المدنيين للعون في «الفعل أو الكلمة أو العقل». ووفقًا لهذا الشرط، فإن أي شخص يساهم في المجهود الحربي هو هدف مشروع ـ ويشمل ذلك الصحفيين والاكاديميين الذين يساهمون في توفير المعرفة المفيدة في الأمور الحربيّة، وكذلك الأشخاص الذين يعملون في الشركات التي تزوّد الحكومة أو الجيش. الشرط الرابع هو ضرورة الحرب: أي أنّه إذا قُتل مدنيون أثناء عمليّة استيلاء على أحد معاقل العدو التي تُعتبر أساسيّة في مجهوده الحربي، فمن المسموح قتل المدنيين حينها. الشرط الخامس هو الأسلحة ثقيلة: حيث يشير تنظيم القاعدة إلى رواية سمح فيها النبي محمد للمقاتلين المسلمين باستخدام المنجنيق ضد العدو، مدّعين أن الطائرات المستخدمة في هجمات الحادي عشر من أيلول هي البديل الحالي لمثل هذه «الأسلحة الثقيلة» وبالتالي استخدامها مسموح. الشرط السادس هو الدروع البشرية: «يجادل تنظيم القاعدة بأنه يجوز قتل النساء والأطفال وغيرهم من الجماعات المحمية إذا كان العدو يستخدمهم كدروع بشرية»[1] الشرط السابع والأخير هو انتهاك المعاهدة: إذ يزعم التنظيم بأنّه، «يُسمح للمسلمين بقتل المحميين غير المؤمنين إذا انتهك أهل المعاهدة معاهدتهم ويجب على القائد أن يقوم بقتلهم حتى يكون ذلك درساً لهم».

بحسب الملاحظة الصحيحة لكلٍّ من ويكتوروفيتش وكالتنر، «إن اتساع نطاق هذه الشروط يوفّر مبررًا دينياً كافياً لقتل المدنيين في أي وضع يمكن تخيله تقريبًا».[2] على الرغم من بذلهم قصارى جهدهم لإضفاء صفة الشرعية على فظائعهم، إلّا أن أعضاء تنظيم القاعدة قد فشلوا إلى حد كبير في إقناع الغالبية العظمى من علماء القانون الإسلامي الموثوق بهم بأن قتل الآلاف من المدنيين الأميركيين في الحادي عشر من أيلول لم يكن يمثّل شيئاً سوى أنّه عمل همجيّ وأبعد بكثير عمّا يجوز في الإسلام، حيث تنظر نخبة العلماء في المؤسسة القانونية الإسلامية إلى حجج تنظيم القاعدة على أنها طفوليّة لذلك يتم رفضها سريعًا. وعلى الرغم من أن التنظيم قد عبّر مرارًا وتكرارًا عن رفضه بشكل قاطع لسُلطة المؤسسة الدينية الإسلامية، فإن حقيقة شعوره بالحاجة إلى إصدار دحض رسمي مفصل ردًا على إدانة المؤسسة

(1) Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 90.

(2) Wiktorowicz and Kaltner, «Al ـ Qaeda's Justification for September 11,» p. 90.

له، يوحي بأنه حتى لو رفض التنظيم الإعتراف بشرعية المؤسسة، فإنّه على الأقل يدرك أن غالبيّة العالم الإسلامي ما زال يعترف بها، وأن الصمت في وجه هذه الانتقادات الموجّهة من جانب شخصيات محترمة كهذه من شأنه أن يخاطر بفقدان إعجاب ودعم الكثير من الناس والمجندين.

ما المواضيع التي يطرحها التنظيم في حملتهِ الدِّعائيّة؟

كانت كلٌّ من الدعاية والتبشير جزءاً من مهمة القاعدة الأساسية منذ البداية، حيث يعتقد قادة تنظيم القاعدة أنه من الواجب تعليم الأتباع المحتملين كيفية القتال بالإضافةِ إلى كيفية التفكير. على عكس العديد من الجماعات الجهادية، يسعى تنظيم القاعدة إلى تشكيل طليعة عقائديّة بالإضافةِ إلى العمل كأداةٍ تحت تصرّف هذه الطليعة. يسعى تنظيم القاعدة باستخدامه للإرهاب والقتال بشكل عام إلى تجسيد تصريح الظواهري الذي ينصّ على أن «أكثر من نصف هذه المعركة تدور في ساحة قتال الوسائل الإعلاميّة».[1]

يروّج تنظيم القاعدة لفكرة الجهاد على أنّه «الفريضة المهملة»، وذلك بحسب تسميته من قِبل المتطرّف المصري محمد عبد السلام فرج. وفقًا لوجهة النظر هذه، فإن الجهاد يقع على عاتق جميع المسلمين لأن الأراضي المسلمة تتعرض للهجوم من الحكام المرتدين والقوى الغربية (خاصة الولايات المتحدة). يُطلب من جميع الشباب اللائقين جسديّاً الانضمام إلى القتال مباشرة، بينما يُكلَّف الباقون ـ بمن فيهم النساء والأطفال والمسنين ـ إمّا بالمساهمة مالياً أو في دعم الجهاد والحثّ عليه.

أدرك تنظيم القاعدة في وقت مبكر أهميّة الدعاية الإعلاميّة كمتمّم طبيعي للجهود المبذولة لتغيير منحى الخطاب داخل الحركة الجهادية، وكيف أنّه من الممكن استخدامها لجذب المؤيدين وإضعاف مكانة الأعداء. اتخذ المكتب الرئيس لتنظيم القاعدة (مكتب الخدمات) خطوة استباقيّة هامّة من خلال نشر مجلة «الجهاد» في عام 1984، وهي خطوة موّلها بن لادن بنفسه. وكان الإصدار الأوّل من هذه المجلّة قد مهّد الطريق للمواضيع الجهاديّة

(1) A. Al ـ Zawahiri, «Zawahiri's Letter to Zarqawi [English translation],» personal correspondence from Ayman al ـ Zawahiri to Abu Musab al ـ Zarqawi, Harmony Project, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https://www.ctc.usma.edu/posts/zawahiris ـ letter ـ to ـ zarqawi ـ english ـ translation 2 ـ.

اللاحقة مثل: بطولة المجاهدين، الإلحاد والطبيعة الشيطانية للعدو، تمجيد الشهادة، وشرط الجهاد كإستيفاء للواجبات الدينية. بالإضافة إلى مجلّة «الجهاد»، عمِل مكتب الخدمات على استخدام الصور والأفلام المُصوّرة من ساحة المعركة ضمن حملات جمع التبرعات والتجنيد - وهو نهج حوّله تنظيم القاعدة فيما بعد إلى شكل من أشكال الفنّ. وبالمثل، فإن نشر «وصيّة» شهيد من حركة الجهاد عام 1986 بالإضافةِ إلى تصوير الظواهري عام 1993 لاعتراف انتحاريّ قبل محاولته الفاشلة لقتل وزير الداخلية المصري، هي وسائل أصبحت في نهاية المطاف من أساسيّات الحملة الدّعائية لتنظيم القاعدة.

لطالما كانت وسائل الإعلام أداة استخدمها تنظيم القاعدة بشكل مفيد. أجرى بن لادن عدداً قليلاً من المقابلات في السنوات التي سبقت أحداث 11 أيلول، كما قام تنظيم القاعدة بتسجيل عمليات وتصريحات لشهداء محتملين بغرض استخدامها في المستقبل. عندما أجرى جون ميلر من شبكة اي بي سي نيوز (ABC News) مقابلة مع بن لادن قبل 11 أيلول، توقّع الظواهري حاجة ميلر في الحصول على تسجيلات الفديو المحفوظة لديهم، حتى أنّ الظواهري استخدام المصطلحات الفنّية مثل «B roll» التي أشارت إلى معرفته بالممارسات الإعلامية الحديثة.[1] توسَّعَ نشاط تنظيم القاعدة الإعلامي عقب أحداث 11 أيلول، حيث تُقدّم مؤسسة السحاب الإعلاميّة، والتي تُعدُّ الذراع الإعلامي لتنظيم القاعدة، تعليقًا شبه دائم على الأحداث الرئيسة في الغرب والعالم الإسلامي مستخدمةً مهارات الإنتاج القوية.

ساهم تطوّر التكنولوجيا في العالم بمساعدة التنظيم على تطوير دعايته الإعلاميّة، فقد كان التنظيم في بداياته يعتمد على إصدار المجلات المطبوعة والبيانات الصحفيّة قبل أن يُطوّر آليّاته لينتقل إلى إصدار أشرطة الفيديو الخاصة به ليتم عرضها على القنوات الفضائية. ومع انتشار الإنترنت، ظهر نشاط القاعدة هناك أيضاً. في البداية، لم يكن هناك سوى عدد قليل من مواقع الإنترنت التي تروّج للرسالة الجهادية، في حين يوجد الآلاف منها الآن، على الرغم من أن العديد من هذه المواقع يظهر ويختفي وفقًا لمصالح (وحرية) رعاتهم. تنشر منصات التواصل الاجتماعي مثل يوتيوب وفيسبوك وتويتر المحتوى الجهادي، حيث يتواصل الأفراد مع الأصدقاء والمتابعين لهم بصفة مروّجين للدعوة الجهاديّة (وهو شيء يتقنه تنظيم الدولة الإسلامية).

(1) Wright, The Looming Tower, p. 264.

قامت المؤسسات التابعة للتنظيم بتطوير الدعاية الخاصة بهم أيضاً. وأبرز مثال على ذلك مجلة إنسباير الإلكترونية، التي أنشأها تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، حيث تُعدُّ مجلة إخبارية تتناول الأخبار الجهادية والإجتماعية بطريقة أنيقة واحترافيّة، وهي مكتوبة باللغة الإنجليزية التعبيريّة ومُصَمَّمة لجذب جمهور الشباب الغربي الذكي والذي لديه معرفة جيّدة بالإعلام (مع نشر الترجمات العربية للمجلة على الإنترنت أيضًا).[1] كانت هذه المجلّة التي أنتجت 12 عدداً بحلول ربيع عام 2014 تضمّ صوراً فوتوغرافية ملونة عالية الجودة ورسائل من المحرر وأعمدة المشورة ومقابلات مع مفكرين جهاديين بارزين ومقالات إرشادية حول صنع الأشياء مثل تلك التي حظيت بالكثير من الاهتمام في وسائل الإعلام الغربية عندما جاءت بعنوان «اصنع قنبلة في مطبخ أمك».

كانت جودة وتطور المجلة من حيث التصميم والمحتوى بمثابة صدمة للعديد من المراقبين الغربيين الذين ما زالوا يتشبّثون بأفكار عفا عليها الزمن حول إرهابيي القاعدة باعتبارهم متوحشين ومتخلفين وأميين يختبئون في كهوف جبليّة نائية. وربما كان الأمر الأكثر إثارة للخوف هو إدراك مدى دقّة مراقبتهم لكل ما كان يحدث في الغرب، وخاصّةً في الولايات المتحدة. تضمنت كل أعداد مجلة انسباير حتى الآن قسمًا بعنوان «استمع إلى العالم»، والذي يضم مجموعة من أقوال الأصدقاء والأعداء. بالإضافة إلى مقتطفات إلزامية من قبل قادة القاعدة وشخصيات شبه دينية متعاطفة، هناك اقتباسات أيضًا من سياسيين غربيين بارزين ومسؤولين في المخابرات وعلماء القانون وباحثين في الإرهاب يتحدثون عن القاعدة والقضايا ذات الصلة، بما في ذلك النجاحات والإخفاقات في استراتيجيات مكافحة الإرهاب المختلفة.

تستهدف هذه الجهود الإعلامية جماهير مختلفة. أولاً، تعمل هذه الجهود على تهديد أو استفزاز الولايات المتحدة والأعداء الغربيين الآخرين. ثانياً، تسعى إلى حثّ العالم الإسلامي الأوسع، بما في ذلك المسلمون في الغرب، على لدعم الحركة الجهاديّة. ثالثًا، تحاول التأثير على أولئك الموجودين بالفعل ضمن المنظمات المسلّحة وحثّهم للانضمام إلى تنظيم القاعدة واعتماد أجندته الجهاديّة. يبدو أن الظواهري بتركيزه على وسائل الإعلام والاتصالات، قد تعلم

(1) All 12 issues of Inspire are available at Jihadology, http://jihadology. net/201414/03//al ـ qaidah ـ in ـ the ـ arabian ـ peninsulas ـ al ـ mala %E1 %B8 % A5im ـ media ـ releases ـ inspire ـ magazine ـ issue 12 ـ/.

درساً من فشل جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في العمل كمنظّمة طليعية في مصر حيث تجنّبت النشاط الشعبي، ويحذر الآن من أن الحركة يجب ألّا «تنفصل عن شعبها».[1] عندما تنعزل جماعة إرهابية ما عن الدعم الشعبي، تتوقّف مصادر التمويل والتنجنيد عنها، وما هو أخطر من ذلك هو أن الشعب من الأرجح أن يتعاون مع أجهزة المخابرات والشرطة، مما يجعل من الصعب على الجماعة الإرهابية العمل دون تشتُّت.

من خلال هجماتها والدعاية لها، أبعدت القاعدة السرد في العالم الإسلامي عن ما كانت عليه في الأيام الأولى لتأسيس الجماعة. تركز الكوادر الجهادية القوية من اليمن والجزائر وأماكن أخرى الآن على الأميركيين وغيرهم من الغربيين وكذلك على مشاكلهم المحلية، والهجمات على القوات الأمريكية، التي كانت تعتبر ذات يوم مساعدة (أو حتى ضارة) لأهداف الحركات السنية المتشددة في الشرق الأوسط، وينظر على نطاق واسع على حد سواء شرعي وأساسي. وكذلك تمجيد العنف كجزء من الجهاد. يمثل انتشار هذه الأفكار جزءًا أساسيًا من مهمة القاعدة ويضمن أن نفوذها ينتشر إلى أبعد من المنظمة نفسها.

بالنظر إلى هجماته ودعايته الإعلاميّة اليوم، فقد غيّر تنظيم القاعدة مساره في العالم الإسلامي عمّا كان عليهِ في الأيام الأولى لتأسيس التنظيم، حيث أنّ الكوادر الجهادية القوية من اليمن والجزائر وأماكن أخرى أصبحت تُركّز الآن على الأميركيين وغيرهم من الغربيين وكذلك على مشاكلهم المحلية، أمّا الهجمات على القوات الأمريكية والتي كانت تُعتبر ذات يوم على أنها ثانوية (أو حتى مُضرّة) لأهداف الحركات السنية المتشددة في الشرق الأوسط، أصبحت تُعتبر بشكل واسع على أنها شرعيّة وضروريّة أيضاً، كذلك هو الحال بخصوص تمجيد العنف كجزء من الجهاد. يمثل انتشار هذه الأفكار جزءًا أساسيًا من مهام القاعدة كما يضمن انتشار نفوذها بكشل أكبر بكثير من انتشار المنظمة نفسها.

---

(1) Al ـ Zawahiri, Knights Under the Prophet’s Banner.

الفصل الخامس

التنظيم الإداري والتجنيد

لماذا كان بن لادن قائداً فعّالاً؟

لعلّه لم يقم أي إرهابي عبر التاريخ بإنشاء جماعة إرهابية ورعايتها وإدارتها بنفس فعاليّة أسامة بن لادن، حيث يكمُن نجاحه في قصّته الشخصية وفي المزيج غير العادي من السمات التي جَسّدها، والتي زرعَ العديد منها في تنظيم القاعدة. نشأ بن لادن سليلاً لواحدة من أغنى العائلات في المملكة العربية السعودية. كان والدهُ محمد بن عوض بن لادن يمنيّاً فقيراً هاجر إلى المملكة العربية السعودية وعمل كحمّالٍ هناك. أسّسَ والد بن لادن لاحقاً شركته الخاصة للبناء، وفي النهاية أصبح غنيًا بشكل مذهل مع ازدهار المملكة العربية السعودية من الثروة النفطية. كان أسامة بن لادن نفسه هو الابن السابع عشر له: إذ أنجب محمد أكثر من 50 طفلاً لأكثر من 20 زوجة، إلّا أنه كمسلم تقيّ لم يكن يحتفظ سوى بأربع زوجات في الوقت ذاته، وهو الحد الزوجي وفقًا للعلماء المسلمين.

نشأ أسامة بن محمد تقيّاً ومتواضعاً، وعلى الرغم من ثروة عائلته، كان قليلاً ما يسافر. في أثناء تواجده في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، استلهم أسامة فكرة الانضمام إلى الجهاد المعادي للسوفييت في أفغانستان. كان لثروته وعلاقاته دور هام في ترحيب القادة الباكستانيين والأفغان به، كما رحّب به المتطوعون العرب الأفغان الآخرون. من خلال تعاونهِ مع عبد الله عزام، الذي ساعدت كتاباته ودعوته في زيادة التدفق العربي إلى أفغانستان، أسّس بن لادن مكتب الخدمات لمساعدة العرب القادمين للقتال مع المجاهدين وسرعان ما انضم إلى المعركة بنفسه، حيث قاتل بشجاعة في معركة جاجي. أثناء وجوده في باكستان وأفغانستان، كانت قصّة أسامة بن لادن ـ الرجل القادر على أن يتمتّع بكل ترف الحياة لكن اختار بدلاً من ذلك أن يعيش في فقر ويخاطر بحياته لمساعدة

مسلمين آخرين ـ مصدر إلهامٍ كبير للمتطوعين الآخرين، حيث بدا أسامة مثالاً يُحتذى به عن الشخص الملتزم بإيمانه.

كانت ثروة بن لادن الشخصية سبباً رئيساً لنجاحه في البداية. اجتذب بن لادن بسخائهِ العديد من الجماعات الجهادية التي كانت جميعها تعاني من ضائقة مالية مستمرّة. وكان لآلاف الدولارات التي قدمها بن لادن من ثروته لمختلف المجموعات والأفراد دور أساسي في مساعدة هذه الحركات على الحفاظ على نفسها، كما دفَعت بعض الجهاديين ذوي الخبرة، مثل شريكه وخليفته أيمن الظواهري، للعمل مع بن لادن بدافع الحاجة. عندما انتقل تنظيم القاعدة إلى السودان، استثمر بن لادن الكثير من ثروته الشخصية هناك، مما جعله يحظى بالترحيب من قِبل النظام السوداني. ومع ذلك، توترت العلاقات في نهاية المطاف، حيث استولى النظام في الخرطوم عام 1996على جميع ممتلكات بن لادن داخل البلاد وأجبره على الخروج، مما جعل بن لادن في وضع مالي أضعف بكثير مما كان عليه. خلال فترة وجوده في السودان، أقنع النظام السعودي أسرته بقطع التمويل عنه. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لبن لادن أيضًا تواصل مع ما يسمى بالسلسلة الذهبية للمموّلين في دول الخليج، وخاصة في المملكة العربية السعودية، وذلك نتيجة للعلاقات الواسعة لعائلته ومكانته المتنامية بمرور الوقت.

كانت الثروة هي من جعلت من بن لادن شيئاً ثميناً، إلّا أنّ جاذبيّة شخصيّته كانت السبب الرئيس في جعله قائداً. لم يكن له تلك الطبيعة المتّقدة للقادة الثوريين كآية الله الخميني، وعلى عكس القادة الإرهابيين كقائد جبهة نمور تحرير إيلام فيلوبيلاي برابهاكاران أو قائد الحزب الشيوعي في البيرو أبيميل غوزمان، ولم يفرض بن لادن موضوع تقديس القائد على أتباعه. كان للصحفي جون ميلر الذي قابل بن لادن في ربيع عام 1998 هذا الوصف عن القائد الغامض:

كان لديه نوع من الهدوء بداخله لم أكن أتوقعه، فما كنت أتوقعه هو مقابلة شخص مشابه «للشيخ الأعمى» (رجل الدين المصري عمر عبد الرحمن)، وهو خطيب محموم لطالما كان يرفع قبضته ويقول الكثير من الأشياء بأعلى صوته. إذا لم تقترب من بن لادن، فلن تستطيع سماعه... نظر إليه نوّابه كقائد عظيم وكرجل يسيرون خلفه نحو أي شيء. يوجد شيء يشبه الهالة الساحرة حوله أو الرائحة التي تجعل الناس يتّبعونه؛ ولا تتوافر هذه الحالة

بدرجات فإمّا أن تكون لديك أو لا. لقد تحدثوا عنه بأسلوب التبجيل الإلهي.[1] على الرغم من أن سلوكهُ كان هادئاً ورزيناً، إلّا أنّه أثبت قدرته على إلهام أتباعه إضافةً إلى جزء كبير من العالم الإسلامي مع مرور الوقت.

كان لبن لادن رؤيته الخاصّة به، حيث دمج المراجع الدينية والتاريخية في خطاباته وحدّدَ مجموعةً من المشكلات التي كان على المسلمين، وخصوصاً العرب، التعامل معها في جميع أنحاء العالم.كما أوضح أنّ سبب مشاكل العالم الإسلامي تكمُن في الإبتعاد عن الإسلام. مع مرور الوقت، أصبح بن لادن مقتنعاً بشكل كامل بأن الغرب والولايات المتّحدة عموماً كانا العدوّ الرئيس للعالم الإسلامي. على الرغم من أنّ وجهة النظر هذه كانت مُعتنقة من قِبَل القليلين فقط في بداية التسعينيات، إلّا أنها ستصبح أكثر انتشاراً بكثير وستُشكّل الإتجاه الفكري السائد وذلك بسبب التأثير الفكري القوي لبن لادن. حتى أنّ الظواهري اعتنق هذا الفكر بعد أن كان معظم تركيزِهِ موجّهاً على جهوده الخاصة في مصر. في مقابلةٍ أجراها مع بيتر بيرغن، صرّح الإرهابي الليبي السابق نعمان بن عثمان بأنّه «نجح بن لادن في إقناع الظواهري بفكرتِهِ: إنسى أمر «العدو القريب»: الأمريكيون هم العدوّ الرئيس».[2]

أثبت بن لادن أنّه إداريّ ممتاز أيضاً، حيث نجح بتأسيسه لتنظيم القاعدة في إنشاء حركة يمكنها أن تعمل بطريقة مركزية وغير مركزية، مستفيدةً ممّا تُقدّمه كلٌّ من هذه الطرق. أكّد تنظيم بن لادن من البداية على حاجته إلى الأعضاء والعملاء ذوي الخبرة ساعياً ليصبح منظمة النخبة. فعَمِل على استغلال ثروته واستثمارها في إنشاء ورعاية المنظمات بالإضافة إلى التبشير من خلال الدعاية الإعلاميّة، ومعسكرات التدريب، وهجمات القاعدة الخاصة، مما ساعده على نشر رسالته بين أتباعه ووصولها إلى جمهور أكبر بكثير. كانت الحركة الجهادية (وما تزال) ممزقة بفعل المعارك العقائديّة والنزاعات الشخصية، إلّا أنّ بن لادن استخدم أمواله والمساعي الحميدة في محاولةٍ لتقريب وجهات النظر وتوحيد هذه الحركة المنقسمة.

---

(1) Quoted in Bergen, The Osama bin Laden I Know, p. 215.

(2) P. Bergen, «Five Myths about Osama Bin Laden,» Washington Post, May 6, 2011, http://www.washingtonpost.com/opinions/five - myths - about - osama - bin - laden/201105/05//AFkG1rAG_story.html.

على النقيض من حماسة ولهفة معظم الإرهابيين، فقد كان قادة تنظيم القاعدة صبورين بشكل غير عادي ـ وهي الميزة التي حرص بن لادن على تواجدها بين نوّابه.[1]

كان تنظيم القاعدة على استعدادٍ لتطوير العمليات التي قد تستغرق سنواتٍ حتى تؤتي ثمارها، مثل تفجيرات السفارات عام 1998، والتي استغرقت خمسة سنوات منذ التخطيط إليها حتى تنفيذها. كان بن لادن مستعدًا أيضًا لمضاعفة وتجديد المحاولة بعد أن تم اكتشاف أحد المؤامرات، كما حدث في شرق إفريقيا قبل تفجيرات سفارة 1998. في المقابل، يخشى معظم القادة الإرهابيين الآخرين من الفشل، ولذلك يطالبون بالعمل المتواصل.

كيف يختلف أيمن الظواهري عن بن لادن؟

في حين أن والد بن لادن كان رجلاً عصاميّاً وثرياً بشكل مذهل، عاش أيمن الظواهري طفولةً أقلّ ثراءً ولكنها كانت أكثر رسوخاً، حيث وُلد في الطبقة الراقية للشعب المصري. بحسب ما ذكر لورانس رايت، فقد كان والد الظواهري طبيباً، وكذلك العديد من أقاربه، كما كان جّده إماماً للجامع الأزهر الذي يُعتبر المركز الموقّر للتعليم الإسلامي في مصر، أمّا من جانب عائلة والدتهِ، كان جدّه رئيسًا لجامعة القاهرة أيضاً. على الرغم من طبقتهم الاجتماعية الراقية، لم يتقرّب والدا الظواهري من العائلات الراقية الأخرى في مصر ولم يحاولوا تطبيع عائلتهم بالثقافة الغربيّة. لقد كانوا مسلمين أتقياء في زمنٍ تبنّت فيه العديد من العائلات المصرية الراقية هويةً ذات طابعٍ علمانيّ.

كان أيمن الظواهري طالبًا متميّزاً ـ حيث سار على نهج أسرته وأصبح في النهاية طبيباً ـ لكنّه كان انعزالياً ومتحفّظاً أيضاً.[2] سرعان ما انخرط الظواهري في السياسة وشكل أول خلية ثورية في سن الخامسة عشر. متأثراً بإعدام سيد قطب المفكر الإسلامي المصري المتطرّف، ومعتمداً على انتشار التديّن في مصر في السبعينيات، تعاون الظواهري مع العديد من الشباب المصري المتطرّف الذين كانوا يسعون إلى تحويل البلاد إلى دولة إسلامية، والذين

(1) B. Hoffman, «Rethinking Terrorism and Counterterrorism Since 911/,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 25, no. 5, 2002, p. 304. Martha Crenshaw argues that, in general, «Terrorists are impatient for action». See M. Crenshaw, «The Logic of Terrorism: Terrorist Behavior as a Product of Choice,» Terrorism and Counterterrorism, vol. 2, no. 1, 1998, p. 58.

(2) Wright, «The Man Behind Bin Laden,» p. 59.

انتقدوا معاهدة السلام التي أقرّها الرئيس المصري أنور السادات مع إسرائيل، واحتضانه للولايات المتحدة، وحرصه على تطبيع البلاد بالثقافة الغربيّة. في أواخر سبعينيات القرن الماضي، اندمجت مجموعة الظواهري في النهاية مع خلايا أخرى متشابهة في التفكير وذلك لتأسيس حركة الجهاد الإسلامي المصرية. قام أعضاء من هذه المجموعة باغتيال السادات في عام 1981 (وهي خطوة عارضها الظواهري بحكمة باعتبارها «انفعاليّة» و«سيئة التخطيط»)[1]، مما أثار حملة قمع واسعة النطاق أدت إلى العديد من عمليات الإعدام والاعتقالات، بما في ذلك اعتقال الظواهري نفسه. تعرّضَ الظواهري للتعذيب أثناء وجوده في السجن وأجبر على الإبلاغ عن رفاقه، الأمر الذي زاد من تطرفه. وقد أُطلق سراحه من السجن عام 1984 وهرب من البلاد في عام 1985.

كان الظواهري قد ذهب في بداية الأمر للمساعدة في النضال ضد السوفييت بصفته طبيباً في عام 1980، حيث مكث لعدة أشهر كمشاركٍ في مشروع الإغاثة في باكستان. عندما عاد أخيرًا إلى هناك بعد مغادرة مصر نهائيّاً، كان الهدف الرئيس للظواهري هو إعادة بناء جماعة الجهاد الإسلامي المصريّة وليس محاربة السوفييت (على عكس معظم العرب الآخرين). أثناء تواجده في باكستان،استعاد الظواهري قيادة جماعة الجهاد الإسلامي المصريّة وشبكات التواصل والعمليّات الخاصة بها، الأمور التي لم يكن من الممكن القيام بأي منها في مصر نظراً إلى قوّة نفوذ الشرطة هناك.

كان من غير المرجّح أن يكون الظواهري قائداً لتنظيم القاعدة، حيث كان اهتمامهُ لسنواتٍ عديدة موجّهاً نحو الإطاحة بالحكومة المصرية وليس باتجاه حرب القاعدة الأوسع ضد الولايات المتحدة. في عام 1993، أعلن أنّ قيام دولة إسلامية في مصر هو الهدف الأساسي لجماعته ـ حتى أنّه أكثر أهمية حتى من النضال من أجل تحرير الأراضي الفلسطينية، إلى حد إعلانه أنّ «الطريق إلى القدس يمر عبر القاهرة».[2] كان تركيز الظواهري يقتصر على العدو القريب المتمثّل بالأنظمة المرتدة في دول الشرق الأوسط، متجاهلاً مفهوم العدوّ البعيد (الولايات المتّحدة).

على الرغم من الاختلافات الأوّلية في العقيدة الفكريّة بين الظواهري وبن لادن، نشأ

(1) As quoted in Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» p. 210.

(2) As quoted in Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» p. 211.

معظم ما نربطه اليوم بتنظيم القاعدة بالفعل مع ظهور الظواهري ورفاقه المصريين. في عام 1993، استخدمت مجموعة الظواهري مهاجمًا انتحاريًا لمحاولة قتل وزير الداخلية المصري المكروه، على الرغم من أن الشخصيات الدينية السنّية في ذلك الوقت كانت قد رفضت بالإجماع القيام بالهجمات الانتحارية نظراً لانتهاكها أحد المحرّمات الإسلامية بخصوص قتل المرء لنفسه. كما دفع الظواهري بأتباعهِ لتسجيل مقاطع فيديو استشهادية يتم نشرها بعد وفاتهم بقصد الآخرين، وهي تقنية تبنّاها تنظيم القاعدة أيضًا.[1] بعد مشاهدة الجماعات المصرية وهي تفشل مرارًا وتكرارًا في تنظيم انقلاب، أو إثارة ثورة شعبية، أو خلق تمرّد شعبي، أيقنَ الظواهري أهميّة الحاجة إلى السرية والتخطيط والتدريب باعتبارهم مفاتيح النجاح، حيث صرّح عصام دراز ـ وهو مخرج مصري وثّق عمل المجاهدين في أفغانستان ـ للكاتب جوناثان رايت بأنّ جماعة الظواهري «لديهم خبرة في العمل السري. كانوا يعرفون كيفية تنظيم أنفسهم وإنشاء الخلايا السرّية».[2] كان الظواهري غير واثق أيضاً من قدرة السكان على القيام بدور رئيس في مخططاته، ممّا جعلهُ يؤيّد استراتيجية «الطليعة» بدلاً من ذلك.[3]

شكّل أتباع الظواهري الجزء المركزي من قيادة تنظيم القاعدة، ويبدو أن الهدف في البداية كان استغلال بن لادن وثرواته لدعم حركة الجهاد لإسلامي المصريّة، حيث تمكنت المجموعة عبر انضمامها إلى التنظيم من الولوج إلى أموال بن لادن وإلى معسكرات التدريب أيضاً، لكن الوصول إلى ملاذٍ آمن كان ذا أهميّة خاصة بالنسبة لهم. كان تواجد التنظيم في السودان في أوائل التسعينيات، قد سهّل الوصول إلى العدو الرئيس للظواهري في ذلك الوقت. عندما بدأت جماعة الجهاد الإسلامي بالإنهيار تحت ضربات الحكومة المصرية، وجد الظواهري أنه من الصعب دفع رواتب العملاء، ورعاية أسرهم، وإبقاء المنظمة متماسكة. لذلك، كانت تنمية العلاقات مع بن لادن هي الوسيلة الوحيدة التي مكّنت الظواهري ومنظّمته من الإستمرار.

أصبح الظواهري بمرور الوقت مرتبطًا بشكل وثيق بتنظيم القاعدة وأهدافه المتميّزة، حيث كان هذا الإرتباط في بداية الأمر أداةً لاستغلال بن لادن، ثم أصبح ضرورةً مُلحّة وذلك

(1) L. Wright, «Zawahiri at the Helm,» The New Yorker, June 16, 2011, http:// www.newyorker.com/online/blogs/newsdesk/201106//zawahiri ـ at ـ the ـ helm.html.

(2) Wright, «The Man Behind Bin Laden,» p. 58.

(3) As quoted in Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» p. 210.

بسبب الأزمات المالية، إلى أن أصبح تعاوناً مبنياً على القناعة في النهاية. نقلَ أحد الجهاديين المصريين انتقاد بن لادن للهجمات في مصر باعتبارها مكلفة للغاية من حيث الأرواح والأموال وذلك لأن الحكومة المصرية كانت قوية للغاية وأنه ينبغي على الظواهري من الآن فصاعداً تحويل هجمات منظمته باتجاه الولايات المتحدة وإسرائيل. مع مرور الوقت، سيصبح الظواهري أكثر قناعة وسيحتضن فكرة بن لادن التي تخصّ اختيار العدو. لربما كان التحول الحقيقي في أيديولوجية الظواهري أحد أسباب هذا التغيير، إلّا أن انهيار الجهود المبذولة في مصر، بالإضافة إلى التدخّل الأمريكي العنيف لاجتثاث شبكات جماعة الجهاد الإسلامي خارج مصر، قد زاد من نيّة الظواهري في تغيير هدف حياته. أعلنت جماعة الجهاد الإسلامي المصريّة تحالفها مع تنظيم القاعدة في عام 1988 وتغيير أهدافها التنظيمية بما يناسب أهداف بن لادن بالإضافة إلى إيقاف كافّة العمليات داخل مصر، وفي عام 2001 اندمجت المجموعتان بشكل رسمي. على عكس بن لادن، فإن الظواهري ليس بتلك الشخصيّة الجذابة، حيث يبدو الظواهري مُحبِطاً وبارداً في شخصه وخطاباته أكثر مما يبدو كقائدٍ مُلهم.كان أحد أصدقاء الظواهري ومعلّميه الثوريين قد أخبره في بداية مسيرته المهنية: «تذكّر، إذا كنت عضوًا في أي مجموعة، لا يمكنك أن تكون قائدًا».[1] كما أن الظواهري لا يملك قصة حياة بن لادن الشخصية لإلهام الآخرين. على الرغم من مكانتهِ واحترامه بسبب تفانيه في سبيل الجهاد، إلا أنه لم يقاتل السوفييت بشكل مباشر، كما أن خيانته لأعضاء آخرين في الجماعة الإسلامية تحت وطأة التعذيب، تُضعف كل المحاولات لجعله أسطورة بطولية.

على الرغم من اختلافه عن بن لادن في الأسلوب، يشارك الظواهري بن لادن في مذهبه العمليّ. كان الظواهري أكثر تشدّدا وعقائديّة من بن لادن في خطاباته، إلّا أنّه قد أظهر مراراً قدرتهُ على التعلم من أخطائه وأثبت استعداده للعمل مع مجموعات تختلف عنه في العقيدة. بعد أن شَهِد الظواهري بنفسه كيف يمكن لضعف التكتيك الاستخباراتي أن يقضي على حركة ثورية، أكّد هو ونوّابه في القاعدة باستمرار على الأهمية الخطيرة لسريّة الاتصالات وحفظ المعلومات. عند القيام بتوجيه المجموعات في سوريا واليمن، يلاحظ الظواهري الأخطاء التي ارتكبتها المنظمة في العراق ويدعوها إلى العمل بشكل أفضل مع السكان. على الرغم من الكراهية الشخصية للنظام الشيعي، أثبت الظواهري استعداده للعمل مع

(1) As quoted in Wright, The Looming Tower, p. 217.

إيران أيضاً، وذلك لأن كلاهما يتشاركان الأعداء نفسهم، كما أنّ تنظيم القاعدة بحاجة إلى أي مساعدة يمكنه الحصول عليها.

في النهاية، إنّ الظواهري محترف للغاية: فهو يُظهر المواظبة والإصرار بدلاً من الانتصارات. على الرغم من اعتقاد البعض بأن تنظيم القاعدة سينهار بعد وفاة بن لادن، إلّا أن الظواهري حافظ على تماسك التنظيم، بل إنّه قد حسّنَ من مكانته على الرغم من حملة مكافحة الإرهاب المرعبة التي تقودها الولايات المتحدة.

ما الهيكل التنظيمي لتنظيم القاعدة؟

كان لتنظيم القاعدة هياكل تنظيمية متعددة عبر تاريخه الذي يمتد لأكثر من 25 عامًا، ولكن بشكل عام، سعا التنظيم إلى أن يكون منظماً للغاية ـ وليس، كما يتم تصويره في كثير من الأحيان على أنّه شبكات إرهابيّة متفرّقة. ومع ذلك، أدى الضغط الخارجي وطبيعة الحركة الجهادية العالمية في بعض الأحيان إلى أن يصبح التنظيم متفككاً ومعتمداً في عملياته على عمل الشبكات التابعة له. مما يزيد الأمر تعقيداً، هو استخدام تنظيم القاعدة في بعض الأحيان لأساليب مركزية وغير مركزية في آنٍ واحد. في النهاية، إنّ هذا المزيج من الأساليب التنظيمية يجعل من تسمية هيكل تنظيمي محدّد للقاعدة أمراً صعباً، كما يمحو الخط الفاصل بين بداية تنظيم القاعدة ونهايته.

عندما تأسّسَ تنظيم القاعدة، طُلِب من الأعضاء أن يقسموا على ولائهم لأمير التنظيم أو القائد (بن لادن) وهذا الشرط استمر عندما تولى الظواهري زمام الأمور. يُعدُّ الأمير مسؤولاً عن جميع أنشطة القاعدة، ووفقًا لبعض الوثائق السريّة للقاعدة، يجب أن يكون الأمير «عادلًا، ويقول الحقيقة دائماً، وليس جشع، وذكيّ، ومُميّز، وصبور، ويعامل الناس بمساواة، وأن تكون له نظرة بعيدة، وليس آثماً، ولا تبدو عليه مظاهر الثراء، وأن يكون شجاعاً وحازم. كانت تجربة القتال ضمن الجهاد وخبرة القيادة وبعض المعرفة القانونية الإسلامية ضرورية كذلك، كما كانت الأولوية لخريجي الجامعات.[1] في البداية، كانت المنظمة تتألف من لجان فردية مُكلفة بإدارة جوانب معينة من المنظمة، بما في ذلك العمليات العسكرية، والشؤون الخارجية، الشؤون المالية والإدارة، والقضايا السياسية، والشؤون الدينية، والاستخبارات والأمن الداخلي،

(1) «Al Qa‘ida's Structure and Bylaws [English translation]».

والدعاية الإعلاميّة ووشؤون الإعلام (التي كان يرأسها في البداية جهادي لقبه «أبو رويتر»). يمتلك تنظيم القاعدة أيضًا لجنة استشارية، وهي ثاني أعلى هيئة لصنع القرار داخل المنظمة، أي في المرتبة الثانية بعد الأمير، وتتألف هذه اللجنة من كبار الشخصيات في التنظيم.

تباينت أنشطة تنظيم القاعدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول من ناحية السيطرة والتنسيق، حيث شمل بعض هذه الأنشطة دوراً ضئيلاً لقيادة التنظيم المركزية باستثناء دورها في التوجيه الاستراتيجي، بينما كان ينطوي بعضها الآخر على مشاركة أوسع بكثير. اكتشف الخبيران في شؤون الإرهاب بروس هوفمان وفرناندو ريناريس أن الدور القيادي والتوجيهي لقيادة التنظيم المركزيّة كان «متفاوتاً» وأنّ كبار قادة القاعدة «كان لهم ضلوع مباشر في العمليات الأكثر أهمية وذات المردود العالي».[1] على الرغم من امتلاكه العديد من التشكيلات البيروقراطيّة المنظّمة، إلا أن تنظيم القاعدة غير مُنظّم ومتشعّب للغاية. لقد شكّل المحاربون القدامى في الجهاد المناهض للسوفييت والنضالات الجهادية اللاحقة روابط شخصيّة وثيقة، بما في ذلك روابط الزواج بين المقاتلين وبنات وأخوات رفاقهم، حيث كان لتنظيم القاعدة سابقاً مصادر قوّة عديدة، مثل المال والسيطرة على معسكرات التدريب، إضافةً إلى الشرعية، مما مكّن التنظيم من تقوية هذه الروابط والجمع بين مختلف الأفراد والجماعات حول العالم. وهكذا أصبح التنظيم «محورًا» للحركة الجهادية الأوسع، حيث عمِل غالباً بالتعاون مع أفراد وجماعات من خارج التنظيم الأساسي بينما كان يخطط في الوقت نفسه لهجماته الخاصّة.

في يومنا هذا، أصبح الهيكل التنظيمي للقاعدة لا مركزيّاً بشكل أكبر، كما توضّح ليا فارال:

يعمل تنظيم القاعدة بأسلوب الشبكة الهرميّة المتناقلة الذي لا تكون فيه مستويات السلطة القيادية واضحة دائمًا وذلك نظراً إلى هيكله التنظيمي المُبعثر. تحمل العلاقات الشخصية بين المقاتلين أهميّة خاصّة، وفي بعض الأحيان تتجاوز هذه العلاقات الترتيب القيادي بين النواة والفروع والعملاء. يركز أعضاء القاعدة الأساسيون على ممارسة القيادة والسيطرة الإستراتيجيين وذلك لضمان مركزية أعمال المنظمة ورسالتها بدلاً من الإشراف على فروعها وعملائها بشكل مباشر. في الواقع، يُقلّل اعتماد هذا المنهج من عبء القيادة والتوجيه،

(1) B. Hoffman and F. Reinares, «Conclusion,» in B. Hoffman and F. Reinares, The Evolution of the Global Terrorist Threat: From 911/ to Osama bin Laden's Death, New York, Columbia University Press, 2014, pp. 618–640, p. 618.

وذلك لأن تنظيم القاعدة يحتاج فقط إلى مركزيّة القيادة على المستوى الواسع، والذي بوجود هذا المنهج القويّ، يمكن تحقيقها من خلال القيادة الإستراتيجية بدلاً من الإشراف اليومي.[1] تحافظ القيادة المركزيّة لتنظيم القاعدة عادةً على مستوى عالٍ من الأمن المتعلق بالعمليات، كما يستخدم القادة الرئيسون أسماء مستعارة متعددة ويحاولون الحدّ من الاستخدام الواسع لأسمائهم.[2] يحذِّرُ ما يسمى بـ«دليل مانشستر»، وهو وثيقة سريّة تعود لفترة ما قبل 11 أيلول وتصف العديد من تدابير تنظيم القاعدة، من عدم استخدام الشقق السكنيّة كمخابئ سرّية إذا كان خطر اكتشافها من قبل الأجهزة الأمنية مُحتملاً. وعندما يتم اكتشاف الأعضاء من قبل أجهزة الأمن، يتم إيقاف «النشاط المشبوه لفترة من الوقت، ويتم ترك جميع الأمور المتعلقة بهذا النشاط».[3] يُطلب من العملاء أن يتمازجوا مع السكان المحليين، كما يُطلب منهم الحذر من أجهزة المخابرات والشرطة، والتحدث فقط باستخدام الرموز، وتجنّب ذكر التفاصيل ما لم يكن ذلك ضروريًا جدّاً. صرّح أحد أعضاء الخليّة في كينيا التي نفّذت تفجير السفارة الأمريكية في نيروبي في عام 1998، «نحن، أعضاء خلية شرق إفريقيا، لا نريد أن نعرف عن خطّة العمليات لأننا مجرد منفذين».[4] على نحو مماثل، صرّح بن لادن بأنّ منفّذي هجمات 11 أيلول لم يعرفوا تفاصيل مهمتهم «إلى أن استقلّوا الطائرات».[5] ولتعزيز موقعه على المدى الطويل، يحاول التنظيم اختراق فصائل الجيش والاستخبارات المحليين، حيث يحظى العملاء غالبًا بمعلومات مسبقة عن الاعتقالات الوشيكة عبر عناصر الشرطة المتعاونين معهم.

تُعتبَرُ مهارة تنظيم القاعدة في التكيّف مع الظروف المتغيرة إحدى أهم نقاط القوة التنظيمية للتنظيم: حيث يُعَدُّ التنظيم «مؤسّسة تعليمية» بحسب ما يصفه أحد الخبراء في

(1) L. Farrall, «How al Qaeda Works,» Foreign Affairs, vol. 90, no. 2, March–April 2011, pp. 128–138.

(2) See United States of America v. Usama bin Laden et al., pp. 8–10; A. Cullison and A. Higgins, «Files Found: A Computer in Kabul Yields a Chilling Array of al Qaeda Memos,» Wall Street Journal, December 31, 2001; and «Egypt: Egyptian Paper Details Fugitives' Aliases, Passports,» U.S. Foreign Broadcast Information Service Daily Reports, June 18, 1998.

(3) «The Al Qaeda Manual [English translation],» pp. BM 26 ـ and 29.

(4) As quoted in P. Bergen, Holy War, Inc.: Inside the Secret World of Osama bin Laden, New York, Free Press, 2001, p. 32.

(5) «Osama Bin Laden Video Tape,» PBS Newshour, December 13, 2001, http:// www.pbs.org/ newshour/bb/terrorism ـ july ـ dec01 ـ video_12 13 ـa/.

مجال الإدراة. يُسمح للعملاء بانتقاد القادة بمن فيهم بن لادن والظواهري، على الرغم من أنّ بن لادن (والآن الظواهري) يحتفظ بالسلطة المطلقة لكونه أمير التنظيم. يدعو «دليل مانشستر» إلى تقييم العمليات بعد تنفيذها وذلك من أجل التعلم منها. في الحقيقة، إنّ هذا الاستعداد الدائم لمواجهة الأخطاء يمنح التنظيم قدرةً على التعافي بسرعة من عمليّة ما تم إحباطها أو من أحد الإجراءات الحكومية الناجحة لمكافحة الإرهاب.

ختاماً، يمتلك تنظيم القاعدة عدداً وافراً من القادة البدلاء ممّا يُمكّن التنظيم من استبدال القادة الذين تم أسرهم أو الذين سقطوا في ساحة المعركة بسرعة. على سبيل المثال، قُتل القيادي الثالث في تنظيم القاعدة محمد عاطف خلال غارة جوية أمريكية في أفغانستان في تشرين الثاني من عام 2001. وبعد مرور أكثر من عام على ذلك، خَلَفَهُ خالد شيخ محمد (العقل المدبر لهجمات 11 أيلول) والذي تم القبض عليه في باكستان. كان أبو فرج الليبي هو الشخص الذي حصل على مرتبة القيادي الثالث بعدها، حيث تم أسره في باكستان أيضاً في أيّار 2005. كان حمزة ربيعة هو خليفة أبو فرج الليبي إلّا أنّه لم يبق سوى ثمانية أشهر فقط، حيث قُتل في هجوم صاروخي أمريكي في كانون الأول من عام 2005. أثار هذا الاستهداف الدائم للقيادي الثالث في التنظيم نوعاً من السخرية بين المراقبين في الولايات المتحدة، حيث عبّر أحد الصحفيين عن ذلك قائلاً «بعض الوظائف تبدو مستحيلة.[1] قُتِلَ مصطفى أبو اليزيد القيادي الثالث في التنظيم ـ في عام 2010 بعدها، صرّح الفنان الساخر آندي بورويتز (Andy Borowitz) عبر تويتر قائلاً: «لأولئك الذين يحتفظون بالنتيجة، لقد قمنا بقتل الرجل الثالث في تنظيم القاعدة 9000 مرّة».[2] على الرغم من أن هذه الخسائر العالية المستوى قد أضرّت بتنظيم القاعدة، إلا أنها لم تؤد إلى انهيار المنظمة، حيث تسمح هذه المرونة للعمليات المحلية بالاستمرار. على سبيل المثال، تم القبض على المنسق الأوّلي لتفجيرات لندن في 7 تموز 2005 وقَتلْ خليفتِه، إلّا أن هنالك بديلاً أبقى تلك المؤامرة مُستمرّة. حافظ تنظيم القاعدة على تكوينه حتى بعد وفاة أسامة بن لادن في عام 2011 ـ والذي لا يُعدّ الرجل الأوّل في التنظيم وحسب، بل المؤسّس والمُمثّل الرسمي أيضاً.

(1) T. Noah, «Al ـ Qaida's Rule of Threes,» Slate, December 5, 2005, http://www. slate.com/articles/news_and_politics/chatterbox/200512//alqaidas_rule_ of_threes.html.

(2) Quoted in R. Mackey, «Eliminating Al Qaeda's No. 3, Again,» New York Times, June 1, 2010, http://thelede.blogs.nytimes.com/201001/06//eliminating ـ al ـ qaedas ـ no ـ 3 ـ again/.

لماذا يرتكب تنظيم القاعدة العديد من الأخطاء؟

يواجه تنظيم القاعدة العديد من المشكلات المتعلقة بطبيعة مُجنّديه، ومذهبه الفكريّ، وصعوبات إدارة منظمة سرية، وهذا ما يؤدي إلى السلوك المُدمّر للذات والتصرفات الحمقاء من قبل قادة التنظيم وأعضائه.

يستهدف تنظيم القاعدة فئة الشباب ويشجعهم على القتال، حيث أنّ بعض هؤلاء الشباب يعانون من الاضطراب العقلي بالفعل، في حين أن الآخرين قد زادت قسوتهم أو شعورهم بالمرارة من جراء الحرب، وإذا تم تركهم عللا سجيّتهم، فإنهم يتصرفون بوحشية. يذهب آخرون إلى الحرب باسم الطائفية أو تطهير المجتمع الإسلامي، وهي صيغة مؤَكَّدة للذبح. على الرغم من أن الولايات المتحدة تُركّز على موضوع استخدام تنظيم القاعدة للإرهاب كدليل على وحشيّته، إلا أن الدّليل بالنسبة لكثير من المسلمين هو الطريقة التي يتصرف بها تنظيم القاعدة أو المنظمات التابعة له عندما يشنون الحرب أو يحاولون السيطرة على مكانٍ ما، حيث تكون عمليات قطع الرؤوس والجَلد وغيرها شائعة في تلك الأماكن. في عام 2012، سيطر أعضاء تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، الذين يعملون مع مقاتلين من جماعات إسلامية أخرى، على جزء كبير من الأراضي في شمال مالي حيث فرضوا بسرعة تفسير قاسٍ للغاية للقانون الإسلامي. سرعان ما ظهرت تقارير تتحدث عن الضرب المبرح والبتر والإعدام الميداني والاغتصاب الجماعي وتجنيد الأطفال على أيدي المتطرفين.[1] من الواضح أن هذه الأعمال لم تكن مقبولة من قِبَل زعيم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ـ حيث كتب زعيم المجموعة عبد المالك دروكدال خطابًا لمقاتليه في مالي يوبّخهم من خلاله بسبب تطبيقهم «المتسرع» للشريعة.[2] ومع ذلك، فإن أفعال القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي كانت أصدق من توبيخ دروكدال في إظهار الوجه الحقيقي للتنظيم.

كان كلٌّ من عدم القدرة على السيطرة على المقاتلين الناشطين ومنعهم من الانخراط

(1) M. Townsend, «Mass rape, amputations and killings—why families are fleeing terror in Mali,» The Guardian, December 15, 2012, http://www. theguardian.com/world/2012/dec/15/rape ـ killings ـ terror ـ mali.

(2) «Mali ـ Al ـ Qaida's Sahara Playbook,» internal Al Qaeda documents, n.d., provided by the Associated Press, http://hosted.ap.org/specials/interac ـ tives/_international/_pdfs/al ـ qaida ـ manifesto.pdf.

في أنشطة تُضعف مكانة المشروع الجهادي الأكبر يُعتبر نتيجةً لضعف القيادة ونتيجةً أكبر لطبيعة الهيكل التنظيمي الحالي للقاعدة. وسّع تنظيم القاعدة من نطاق تأثيره ونفوذه من خلال السماح للجماعات الجهادية البعيدة بأن تصبح منظمات رسمية تابعة له وأن تعمل تحت اسم للقاعدة، لكن ذلك قد حدّ بشكل كبير من قدرة التنظيم على الإشراف على الأعمال التي تُنَفّذ باسمه.

يُؤكّد تنظيم القاعدة على التشَدُّد الديني في حملته الدعائيّة، لذلك ليس من المفاجئ أن يكون العديد من المجندين مُتطرّفين في سلوكهم وأن يَحرفوا سلوك الآخرين بمن فيهم المؤيّدين المحتملين للتنظيم. تُعدُّ مسألة التحقُّق من المسلم الحقيقي والمرتد (وبالتالي الهدف المشروع) مشكلة لا نهاية لها. هل هو ببساطة الحاكم الذي خالف شرع الله؟ هل يشمل قوى النظام القمعية؟ ماذا عن الأفراد العاديين الذين يمضون حياتهم دون التمرد على الزعيم الفاسد؟ حيث غالباً ما تناولت الحركات الجهادية هذا السؤال بطريقة مُتطرّفة، حتى أن شكري مصطفى، القائد الجهادي المصري في سبعينيات القرن العشرين، أعلن أنه «إذا تم ترك إحدى الواجبات الدينية، فإن الباقي باطل... كل مسلم وصلت إليه الدعوة ورفضها هو كافر... وكل ّكافر يستحق الموت».[1] أدرك تنظيم القاعدة حجم هذا الخطر وحذّر الحركات الأخرى من «توجيه أسلحتنا ضد المسلمين».[2] ومع ذلك، كان الكثير من الجهاديين أقل تسامحاً.

كان هذا الحماس لإعلان المسلمين الآخرين كمرتدّين يعيق قدرة تنظيم القاعدة على تجنيد المقاتلين وتحقيق أهدافه الاستراتيجية. لقد رأينا هذا يحدث بالفعل في سوريا، حيث تصاعد الاقتتال الداخلي بين الجماعات الجهادية المتناحرة خلال عامي 2013 و2014 إلى حدّ أن بدأت هذه الجماعات في تسمية بعضها بالمرتدّة واستهداف بعضها البعض علانيّة. أصيب بعض المقاتلين الأجانب الذين أتوا إلى سوريا للقتال إلى جانب إخوانهم الجهاديين بخيبة أمل بعد أن شاهدوا زملائهم الجهاديين وهم يستهدفون بعضهم البعض بسبب التنافسات البسيطة وقرروا العودة إلى ديارهم. ذكّر الظواهري المقاتلين بضرورة تركيز جهودهم على إزاحة الرئيس السوري بشار الأسد من السلطة، وليس على محاربة وقتل بعضهم البعض، إلّا أنّ الظواهري قد فشل بذلك، واستمرّ سفك الدماء.

(1) As quoted in Brooke, «Jihadist Strategic Debates before 911/,» p. 204.

(2) As quoted in Wiktorowicz, «Anatomy of the Salafi Movement,» p. 230.

يُعارض تنظيم القاعدة مفهوم القوميّة بشدّة، ومن خلال دعايته الإعلامية، يحاول التنظيم تأجيج المشاعر المعادية للأجانب داعياً المسلمين إلى طرد الغربيين وغيرهم من الأجانب. على الرغم من ذلك، تبقى القومية سلاحاً ذا حدّين: حيث يستغلّ تنظيم القاعدة المفهوم الإسلامي السائد بأن جميع المسلمين هم جزءٌ من مجتمع عالمي واحد (يُسمى الأمّة) وذلك لحشد الدعم للازم لمخطّط التنظيم الإرهابي. يناشد تنظيم القاعدة المسلمين بأن يوحّدوا هويّتهم كمسلمين فقط ـ وهي هوية «أمّتهم الحقيقية» ـ إلّا أنّ الاختلافات بين الجزائريين والعراقيين والأفغان وغيرهم تبقى واضحة.

قد يكون لهذه الاختلافات القوميّة وتطرّف العديد من أعضاء القاعدة نتائج كارثية، حيث قد يرفض الزعماء المحليون فكر المقاتلين الأجانب ومطالبهم باستلام القيادة، كما قد يرفض الشعب ككلّ أفكارهم المتطرفة ووحشيّة أعمالهم. قد يتوقف البعض ببساطة عن دعم هؤلاء المتمردين، بينما قد يُقدم آخرون معلومات استخبارية أو يساعدون الأجهزة الأمنية الحكومية في القبض عليهم. خارج منطقة الصراع، قد يؤدي التطرّف إلى إدانة عالميّة واسعة تحدُّ من استقطاب المجندين وجمع الأموال. يمكن فهم ما سبق بالنظر إلى الوضع في السودان: حيث أنّ الصوماليين، مثلهم مثل جميع الشعوب، لا يريدون غرباءً يملون عليهم سياستهم، ولذلك، كان وجود الغرباء ضمن المناصب العليا للحركات التابعة لتنظيم القاعدة في الصومال(حركة الشباب) بمثابة ورطة كبيرة تقع على عاتق التنظيم.[1]

قد تكون متطلّبات الحفاظ على تنظيم عالمي سرّي بشكل مُقتدر مالياً من الصعب تحقيقها. في قصة تكاد ألّا تُصدَّق فقد مراسل صحيفة وول ستريت جورنال آلان كوليسون جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به أثناء التغطية الإعلامية لسقوط حركة طالبان عام 2001. عندما ذهب آلان إلى بازار كابول لشراء جهاز جديد، عثر على جهاز كمبيوتر مستعمل تعود ملكيّته إلى قياديي القاعدة، بمن فيهم أيمن الظواهري. لم تكشف الملفّات ـ التي كان يوجد ما يقارب الألف منها، بعضها يعود إلى عام 1997 ـ عن منظمة مخيفة مكونة من جحافل العباقرة الأشرار والمتعصبين، بل كشفت بالأحرى عن تلك الإنتقادات الصغيرة المُستمرّة التي يتعرّض لها أي عامل خلال عمله. على سبيل المثال، يُوبّخ الظواهري خلال إحدى عمليات

(1) D. Shinn, «Al Shabaab's Foreign Threat to Somalia,» in M. P. Noonan, ed., The Foreign Fighters Problem, Recent Trends and Case Studies: Selected Essays, Philadelphia, Foreign Policy Research Institute, April 2011, p. 36.

الصرف أحد زملاءه من الجهاديين المصريين في اليمن موجهاً إليه: «يرجى التوضيح بخصوص فاتورة الهاتف الخلوي البالغة 756 دولارًا (2800 ريال) حيث أنك ذكرت أنّ نفقات الاتصالات بلغت 300 دولار».[1] تضمّنت مراسلات الظواهري أيضاً مواضيعاً كإصلاح جهاز الفاكس، جدالات حول من بمقدوره البقاء في بيت الضيافة، وغيرها من التفاصيل البيروقراطية.

يجب على التنظيم الاحتفاظ بسجلات دقيقة وإنشاء هياكل صارمة للتحكم في المنظمة: لأنّه إذا لم يقم بذلك، فقد يقوم المجندون بمعاملة السكان بوحشية، وقد يسرق المدراء المتوسطون والنشطاء من ذوي الرتب المنخفضة الأموال، وقد تهاجم المنظّمات التابعة أهدافًا لا تمثل أولويات للقاعدة. ومع ذلك، يزعم الباحث جاكوب شابيرو، أنّ احتفاظ تنظيم القاعدة بهذه السجلّات الضخمة قد يعرض نشطاءها للخطر الشديد، حيث عند إلقاء القبض على أحد المحاسبين أو احتياز أحد حواسيب المُجنِّدين من قِبل مسؤولي مكافحة الإرهاب، فإنهم غالباً ما يتمكنون من الوصول إلى أسماء ومواقع وأنشطة مئات المقاتلين الذين يتم اعتقالهم أو قتلهم على الفور.

أخيراً، يواجه تنظيم القاعدة فخًا لا مفر منه، حيث يتوجّب على التنظيم أن يستمر في تجنيد أعضاء جدد، ونشر أيديولوجيته، واكتساب مجموعات تابعة جديدة وذلك بهدف الإستمرار ونشر رؤيته العالميّة ـ إلّا أنّ القيام بذلك قد يولّد عقبات بيروقراطية جديدة، ومخاطر أمنية كارثيّة، ومشاكل تنظيمية أخرى تُعرّض الحركة الجهادية ككل للخطر. غالبًا ما يحدُّ هذا التوتر من قدرة التنظيم ويمنعه من استغلال النجاحات ويؤدي إلى إخفاقات متكررة.

ما مواصفات العنصر المثالي في تنظيم القاعدة؟

لا يوجد طريق واحد أو واضح للإرهاب أو للانضمام إلى تنظيم القاعدة. كان أيمن الظواهري سليل عائلة مصرية بارزة، بينما كان أبو مصعب الزرقاوي بلطجي أردنياً عانى إدمان الكحول قبل أن يصبح جهادياً. يصف تقرير مستفيض صادر عن فرع المخابرات في إدارة شرطة نيويورك الأميركيين والأوروبيين والأستراليين المتورطين في الإرهاب الجهادي

(1) A. Cullison, «Inside Al ـ Qaeda's Hard Drive,» The Atlantic, September 1, 2004, http://www.theatlantic.com/magazine/archive/200409//inside ـ al ـ qaeda ـ s ـ hard ـ drive/303428/.

على النحو التالي: «لقد بدأ غالبية هؤلاء الأفراد» «كأشخاص عاديين»، وكان لديهم وظائف «عاديّة»، وقد عاشوا حياة «عادية» وكان لديهم تاريخ إجرامي ضئيل جداً في حال وُجد أصلاً».[1]

كانت المدارس الأسطوريّة في باكستان (المدارس الدينية الإسلامية، في سياق كلامنا هذا)، والتي يُعتقد أن العديد منها مموّل من المملكة العربية السعودية، قد تم ذكرها من قِبل الكثيرين على أنها أحد المصادر الرئيسة للتطرُّف في هذا الجزء من العالم، وكما يوضح ولي نصر، أحد أكثر المؤيدين لهذه النظرية، أن معظم هذه التفسيرات المُتطرّفة للإسلام «يتم نشرها من المدارس التي تتلقى الدعم التنظيمي والمالي من المملكة العربية السعودية».[2] تجادل الباحثة في الشؤون السياسية والعسكرية في جنوب آسيا كريستين فير التي أجرت بحثًا أصولياً حول المشكلة بأنّ المدارس الباكستانية تلعب دورًا محدودًا للغاية في إنتاج إرهابيي القاعدة. على الرغم من أن هذه المدارس تنتج بالتأكيد متشدّدين إسلاميين، إلّا أنّ القليل من هؤلاء المتشدّدين يصبحون في الواقع عناصر في تنظيم القاعدة.[3]

كانت النتائج مختلطة في الدول الغربية كذلك. حيث اكتشف بيتر بيرغن وسواتي باندي أن العقول المدبرة لأسوأ خمس عمليات إرهابية معادية للغرب كانو جميعهم من حملة الشهادات الجامعيّة، وبشكل عام، كان أعضاء المجموعة أفضل تعليماً مقارنةً بالمواطن الأمريكي العادي.[4] إنّ بعض الأفراد الذين سافروا من الشرق الأوسط للدراسة في أوروبا حيث أصبحوا متطرّفين هناك، قد كانوا في كثير من الأحيان الأفضل والأنجح في مجتمعاتهم، كما كان لديهم معرفة بالعديد من اللغات ومنحدرين من عوائل ثرية نسبيا. ولكن بمجرد وصولهم إلى أوروبا، شعر الكثير من هؤلاء الأفراد بالعزلة وبحثوا عن إخوانهم المسلمين، وغالبًا ما أصبحوا متطرفين خلال هذه العمليّة.

(1) M. Silber and A. Bhatt, «Radicalization in the West: The Homegrown Threat,» New York City Police Department, 2007, p. 2.

(2) V. Nasr, interview for «Saudi Time Bomb?» PBS Frontline, October 25, 2001, http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/saudi/interviews/ nasr.html.

(3) See, for instance, C. C. Fair, «Militant Recruitment in Pakistan: Implications for Al Qaeda and Other Organizations,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 27, 2004, pp. 489–504.

(4) P. Bergen and S. Pandey, «The Madrassa Scapegoat,» The Washington Quarterly, vol. 29, no. 2, Spring 2006, pp. 117–125.

على الرغم مما سبق، هنالك صورة مختلفة تماماً للعديد من الإرهابيين الجهاديين المولودين في أوروبا: حيث كان آباؤهم في كثير من الأحيان من الطبقة الدنيا، وكانوا في كثير من الأحيان متورطين في قضايا المخدرات والجريمة قبل انضمامهم إلى الجهاد، كما أنّ البعض منهم قد أصبح متطرّفا خلال وجوده في السجن. إن الفشل في دمج العديد من المهاجرين المسلمين من الجيل الثاني والثالث في نسيج الثقافة والمجتمع الأوروبي قد جعل هؤلاء المهاجرين أكثر عرضة للتطرف. غالبًا ما تكون الخلايا الإرهابية في أوروبا عبارة مزيج من الأفراد ذوي الخلفيات المختلفة: كانت عمليات تفجير قطارات الركاب في إسبانيا عام 2004 والتي أسفرت عن مقتل 191 شخصًا قد تم تنفيذها من قبل مجموعة من الأشخاص بينهم تجّار مخدرات وطلاب جامعيين، كان كلا الطرفين يبدو مندمجاً بشكل جيد في المجتمع الإسباني بينما كان البعض الآخر من الدخلاء.

كيف يُجنِّد تنظيم القاعدة؟

أكّد تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة به منذ البداية على أهميّة الدعاية الإعلامية، حيث تراوحت هذه الجهود الإعلامية بين تشجيع المسلمين على محاربة الظالمين في أفغانستان إلى تصوير الولايات المتحدة على أنها مصمّمة على السيطرة بوحشية على العالم الإسلامي بالإضافة إلى وصف الأنظمة المحليّة الحليفة لأمريكا بالأنظمة المرتدّة. في رسالة موجّهة إلى زعيم طالبان الملا عمر في تسعينيات القرن الماضي، كتب بن لادن أن «90 % من الاستعداد للحرب هو الاستخدام الفعّال لوسائل الإعلام».[1] تغيّرت جهود تنظيم القاعدة والجماعات المشابهة له مع تطوّر التكنولوجيا في العالم: حيث كان بن لادن يموّل مجلاتٍ مثل «الجهاد» في الثمانينات، ثم انتقل إلى إنشاء مقاطع فيديو ليتم بثّها على القنوات الفضائية؛ كما أنتَج التنظيم لاحقًا مقاطع الفيديو الخاصة به ليتم نشرها عبر منتديات الإنترنت وتحميلها على موقع يوتيوب، ويستعمل التنظيم اليوم منصّات التواصل الإجتماعي مثل تويتر وفيسبوك كوسيلة لنشر رسالته من خلالها.

(1) O. B. Laden, «Letter to Mullah Muhammed ‘Umar from Bin Laden [English translation],» internal Al Qaeda document, Harmony Project document #AFGP 2002 600321 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https:// www.ctc.usma.edu/posts/letter ـ to ـ mullah ـ muhammed ـ umar ـ from ـ bin ـ laden ـ english ـ translation 2 ـ.

تؤكد الدعاية الإعلاميّة لتنظيم القاعدة بشكل مستمرّ على موضوع اضطهاد المسلمين من قِبَل غير المسلمين، سواء كانوا أميركيين في العراق وأفغانستان أو الروس في الشيشان أو الهنود في كشمير أو الإسرائيليين في فلسطين. بعض هذه المعتقدات، ولربما أكثرها، مبالغ فيها وخيالية، إلّا أن تنظيم القاعدة يلعب على وتر القوميّة الدينية، حيث يعتقد الكثير من المجنّدين أن مجتمعهم ـ الذي يُعرّف بأنه مسلمو العالم ـ يتعرض لهجوم مستمر ويعتبرون أنفسهم أنهم يساهمون في الدفاع عن المؤمنين. تميل هذه النزاعات أيضًا إلى التمتّع بالتعاطف من بعض الفئات على الأقل ضمن المجتمع الإسلامي الأوسع، مما يسمح للمجندين المستقبليين بأن يشعروا بأنهم سيكونون أبطالًا إذا انضموا إلى القتال. تُعدُّ فظائع الحرب والشجاعة المزعومة للمقاتلين الجهاديين بمثابة أدوات تجنيد مثالية يستخدمها تنظيم القاعدة والجماعات المماثلة، كما أنّهم يستغلّون السرد القائل بأن الغرب والأنظمة التابعة له يخوضون حرباً وحشية على الإسلام ومجرّد الشعور بأن العالم يقف مكتوف الأيدي بينما يتم قتل المسلمين، يُلهم الشباب المسلمين من جميع أنحاء العالم للانضمام إلى المعركة.

استخدم تنظيم القاعدة المساجد والمدارس ومراكز الإيواء لتجنيد المسلمين من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة وأوروبا. في الأيام الأولى، كانت إدارة هذه المؤسسات تتم بشكل مباشر من قبل تنظيم القاعدة، ونظراً لارتفاع نسبة التدقيق لاحقاً، تمّت إدارة تلك المؤسسات من قبل المنظمات غير الحكومية المتعاونة مع التنظيم أو مجموعات أخرى متشابهة في التفكير. كانت معسكرات التدريب أيضا أماكن مهمة للتجنيد، حيث كان بإمكان التنظيم أن يأخذ أولئك الذين جاؤوا من أجل محاربة أنظمتهم في بلادهم أو لتحرير أراضي المسلمين من المحتلين مثل روسيا، ثم تحويلهم إلى مقاتلين ضد الولايات المتحدة.

تلعب العلاقات الشخصية دورًا رئيساً في التأثير على قرار الفرد بالانضمام إلى الحركة الجهادية أو في تعزيز الميول المتطرّفة. بحسب ما يزعم الباحث مارك ساجيمان، «كان الانضمام إلى الحركة الاجتماعية للإرهاب الإسلامي العالمي يعتمد بدرجة كبيرة على الصداقة والقرابة».[1] كانت عائلات تجنّد أخرى، كما كان الأصدقاء يُجنّدون بعضهم البعض. غالباً ما تتشكل هذه العلاقات الشخصية في المسجد، حيث تتجمع مجموعات من الطلاب والشباب. غالبًا ما يتمتع الزعماء الدينيون وقادة المجتمع الآخرون بنفوذ وافر في بلاد المهجر، لأن

(1) M. Sageman, Leaderless Jihad: Terror Networks in the Twenty ـ First Century, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 2008, pp. 66–67.

المقيمين غالبًا ما يكونون بعيدين عن التأثيرات العائلية والتقليدية الأخرى. يرفض معظم القادة المسلمين مفهوم التطرّف، ويتوقف الكثير من المتطرفين عن الذهاب إلى المسجد بمجرد أن يصبحوا متطرّفين فكرياً وذلك لأن التعاليم هناك ترفض العنف ولأنهم يعتقدون أن قادة المجتمع قد يحاولون منعهم من استخدام العنف.

نظرًا لقدرة تنظيم القاعدة في الإستناد على العديد من الأسباب وبسبب صعوبة التعرُّف على المجنّدين، فإن وقف انتشار التطرف يصبح أمراً صعب للغاية. قد تحدّ المبادرات الفردية من انتشار التطرف وتمنع التجنيد في حي معيّن أو في سجن معيّن، إلّا أنّ هذه الظاهرة منتشرة وتعتمد على البيئة التي تتواجد فيها، ممّا يمنع المناهج العامّة من تحقيق أيّ نجاح في هذا المجال.

ما دور الحرب؟

لم يكن تنظيم القاعدة لينشأ لولا وجود الحروب. يُعتبر الإرهاب جزءاً لا يتجزأ من معظم الحروب الأهلية، ونادراً ما نُفِّذت إجراءات مكافحة الإرهاب على هذه النزاعات ما قبل أحداث 11 أيلول. قام المتمردون من جميع الأصناف، بمن في ذلك حركة الفايت كونغ، والمجاهدين المناهضين للسوفيت، وحتى «الناس المسالمين» بطبيعتهم مثل المقاومة الفرنسية للنازيين في الحرب العالمية الثانية، باستهداف المدنيين واستخدموا الإرهاب ضد أعدائهم. أمّا بالنسبة لتنظيم لقاعدة، فقد كان دور الحرب أكثر أهميّة بكثير، حيث أنّ معظم عمليات التنظيم الحربيّة تعتمد على وجود النزاعات الأهلية، كما أنّ المساعدة في كسب (وفي بعض الأحيان خلق) مثل هذه النزاعات، يُعدُّ جزءاً أساسيّاً من مهمة التنظيم.

لطالما اعتبر تنظيم القاعدة نفسه على أنه يقود تمردًا عالميًا يوحّدُ من خلاله العالم الإسلامي ضد الغزاة الأجانب وأنظمة المرتدين المدعومة من قِبَل الولايات المتحدة. وبالتالي، فإن الحروب الأهلية والتمرّدات تنسجم بدقة مع رؤية التنظيم للعالم ومهمّته التي يسعى إلى تحقيقها. تُعتبر بعض النزاعات مثل طرد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لاحقاً من أفغانستان، ومعارضة الولايات المتحدة والنظام الذي زرعته في العراق، ومحاربة الهند في كشمير، ومكافحة روسيا في الشيشان، وهلم جرا ـ هي نوع من«الجهاد الدفاعي» الذي يتبنّاه العديد من المقاتلين الأجانب ورجال الدين التقليديين في العالم الإسلامي. ومع ذلك، يشارك تنظيم القاعدة أيضًا في الحروب الأهلية، حيث

يساعد المسلمين في قتال الأنظمة الإسلامية ظاهرياً بحسب اعتبارهم في الجزائر ومصر والصومال وسوريا واليمن وأماكن أخرى.

يدخل تنظيم القاعدة في هذه الحروب عادةً كحليف للمتمردين المحليين، لكنه مع مرور الوقت يغيّر من طبيعة القتال. قاد المواطنون في الشيشان تمردًا بعد فترة وجيزة من انهيار الاتحاد السوفيتي، كما بدأت الحرب في سوريا عام 2011 باحتجاجات سلمية ضد نظام الأسد، حيث لم يكن للجزء الأكبر من المعارضة أي علاقة بالجهاد. دخل تنظيم القاعدة في هذه النزاعات وغيرها بمثابة صديق، حيث مدّ المتظاهرين بالمال والمقاتلين المُدرّبين. في الواقع، كانت إحدى نقاط قوة التنظيم تاريخياً تتمثل في قدرته على تدريب المقاتلين وتوفير الأموال لمساعدة حلفائه.كان لأداء الجهاديين في ساحة المعركة وإثارة التبشير دوراً هاماً في جذب مجندين جدد، في حين كان لأهوال الحرب الدور الأكبر في تطرُّف العديد من المقاتلين المعتدلين سابقًا. بمرور الوقت، أصبحت القوات المرتبطة بتنظيم القاعدة أقوى من تلك التي رفضت الإرتباط بالتنظيم.

تعمل الحروب على إضعاف الحكومات حيث تصبح الحكومات الضعيفة أكثر عرضة للإرهاب من غيرها. أدت الهجمات الإرهابية إلى تشويه سمعة الحكومة وإشعال النزعات الطائفية، مما أدى إلى مزيد من العنف وتصاعد حروب أهلية ضخمة في باكستان بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، وفي العراق بعد إطاحة الولايات المتحدة بنظام صدام حسين. بدورها، أعطت هذه الحروب تنظيم القاعدة والحركات المشابهة له حريّة أكبر من حيث العمليّات الإرهابيّة، حيث أنشأت هذه الحركات قواعد ومعسكرات تدريب لها في بعض البلدان ممّا حوّل تلك البلدان إلى أفغانستان مُصغّرة.

«أن تصبح مقاتلًا أجنبيًا هي إحدى الطرق لكي تصبح جهاديًا»، هي فكرة يشير إليها توماس هيغامر، مدير أبحاث الإرهاب في المؤسسة النرويجية لأبحاث الدفاع، حيث يوضّح أن «غالبية عناصر تنظيم القاعدة بدأوا حياتهم المهنية كمتطوّعين في الحرب، ومعظم الجماعات الجهادية المتنقّلة اليوم هي منتجات ثانوية لتعبئة المقاتلين الأجانب».[1] تُنتج المعارك الطاحنة العديد من المتوّعين المتمرّسين، مما يجعلهم ثابتين تحت الضغط ويمنحهم شعورًا عميقًا بالولاء لرفاقهم في السلاح، كما يحظى أولئك المقاتلون بالمهارات الفورية والعمليّة. يوضّح الباحث

(1) Hegghammer, «The Rise of Muslim Foreign Fighters,» p. 53.

الشهير والممارس المحنّك في شؤون مكافحة الإرهاب كلينت واتس، أن العراق وأفغانستان كانتا «أماكن تدريب» للمقاتلين الأجانب، حيث تعلموا حرب الشوارع وكيفية استخدام الأسلحة، بما في ذلك التكنولوجيا المتقدمة.[1] يدّعي هيغامر أن تورّط أحد العناصر المتمرّسين من الجهاد الخارجي في مؤامرة إرهابية على حد سواء يزيد من فرصة نجاح هذه المؤامرة كما يزيد من معدّل خطورة الهجوم بشكل عام.[2] يموت الكثير من هؤلاء المقاتلين الأجانب في ساحة المعركة أو ينتهي بهم المطاف إلى الانضمام للقتال في النزاعات الخارجية الأخرى. إنّ نسبةً كبيرة من هؤلاء المُجنّدين تفشل في تحمُّل ظروف التدريب أو تشعر بخيبة الأمل بمجرد إدراكهم أن الحقائق القاسية المتمثلة في شن الجهاد الدموي أقل بريقًا بكثير مما تبدو عليه من بعيد. كما يشير تقرير لشرطة نيويورك، «عادةً ما يفتقر الأفراد الذين يتم تربيتهم في بيئة حضريّة غربيّة إلى الثبات الجسدي والعقلي والقدرة على التحمل للبقاء على قيد الحياة، كما أن خبرتهم قليلة جداً في القتال داخل بيئات متخلّفة وصعبة مثل أفغانستان وكشمير والعراق والصومال».[3] يمكن أن تزيد العوائق اللغوية أيضاً من تعقيد المشكلات. يعود العديد من المقاتلين الأجانب إلى بلادهم دون أي نيّة للقيام بهجمات إرهابية أو يتم اعتقالهم وبالتالي تعطيل نشاطهم. في النهاية، يرتبط واحد من بين كل تسعة مقاتلين أجانب بمنظمة إرهابية جهادية: وعلى الرغم من كونها نسبة مئوية منخفضة، لكنها لا تزال مهمّة بالنظر إلى عشرات الآلاف من المقاتلين الأجانب الذين شاركوا في النزاعات الوحشية على مر السنين.

عندما يعود المقاتلون الأجانب إلى ديارهم، غالبًا ما تعيد الأحداث نفسها: حيث يمتلك العائدون «مصداقية بين الشعب» وتجربة قيّمة حول كيفية تنظيم أعمال العنف، وقد يزرعون جماعات متمردة جديدة أو ينشئون خلايا إرهابية جديدة. على سبيل المثال، قاتل محمد حيدر زمار في أفغانستان وناشد باستمرار المسلمين في ألمانيا للانضمام إلى القتال: ويقال إنه كان له الفضل الأكبر في التأثير على محمد عطا وآخرين من هامبورغ ليصبحوا

(1) For an overview of this model, see C. Watts, «Countering Terrorism from the Second Foreign Fighters Glut,» Small Wars Journal, 2009, http:// smallwarsjournal.com/blog/journal/docs _ temp/247 _ watts.pdf?q=mag/ docs _ temp/247 _ watts.pdf.

(2) T. Hegghammer, «Should I Stay or Should I Go? Explaining Variation in Western Jihadists' Choice between Domestic and Foreign Fighting,» American Political Science Review, vol. 107, no. 1, February 2013, pp. 1–15, 11.

(3) Silber and Bhatt, «Radicalization in the West: The Homegrown Threat,» p. 44.

جهاديين.[1] كان للمقاتلين الأجانب الآخرين نفوذ مماثل،حيث قاموا وبالإشتراك مع زملائهم بإنتاج المزيد من المجنَّدين للحفاظ على نيران الحرب مستعرة.

ما دور الإنترنت؟

عمِل الإنترنت على تغيير كل شيء بشكل جذري خلال السنوات العشرين الماضية متضمّناً التعليم والتجارة والعلاقات الاجتماعية، لذلك يجب ألا يكون مفاجئًا أن الإنترنت قد غير الإرهاب أيضًا. كما يوضّح براين جينكينز، أحد أبرز الباحثين في مجال الإرهاب قائلاً: يستخدم الإرهابيون الإنترنت لنشر أيديولوجيتهم الخاصة، وطلب الدعم ونشر الخوف والذعر بين أعدائهم، ودفع الأعضاء الجدد إلى حافة التطرّف وتجنيدهم، وتوفير التوجيه في التكتيكات والأسلحة، وجمع المعلومات الاستخبارية حول الأهداف المحتملة، والتواصل السري، ودعم العمليات الإرهابية. يمكّن الإنترنت المنظمات الإرهابية من توسيع نطاقها، وإنشاء مجتمعات افتراضية من المتطرفين المتشابهين في التفكير، وجذب أكبر عدد من المواهب والمهارات الأكثر تنوعاً.[2] ومع ذلك، فإن الإنترنت يشكل مخاطر على تنظيم القاعدة والجماعات الإرهابية الأخرى، حيث يُعتبر سلاحاً ذا حدّين بالنسبة إلى التنظيم. وفقًا لدراسة أجرتها الأمم المتحدة، زاد عدد المواقع المرتبطة بتنظيم القاعدة من 12 موقعًا في عام 1998 إلى حوالي 2600 بحلول عام 2006.[3] لكن التحول إلى الإنترنت وخاصةً وسائل التواصل الاجتماعي يعدٌّ شيئاً مفيداً وخطراً في الوقت ذاته بالنسبة إلى تنظيم القاعدة.

يمكن للداعمين من جميع أنحاء العالم إضافة قناعاتهم وآرائهم الخاصة بما يدعم أجندة القاعدة: حيث أنّ المعركة ضد الأسد في سوريا، وضد الفرنسيين في مالي، وضد الكينيين في الصومال ليست سوى أمثلة قليلة على إنتاج الجماعات المحلية والداعمين للتنظيم أطناناً من الدعاية الإعلاميّة دون المعرفة أو الإشراف المباشر للقاعدة. إن العديد من

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 164.

(2) B. M. Jenkins, «Is Al Qaeda's Internet Strategy Working?» Testimony before the House Committee on Homeland Security Subcommittee on Counterterrorism and Intelligence, December 6, 2011, pp. 1–3, http://homeland.house.gov/sites/ homeland.house.gov/files/ Testimony %20 Jenkins %20.pdf.

(3) Fourth Report of the United Nations 1267 Monitoring Team, March 2006, http://www.un.org/ ga/search/view_doc.asp?symbol=S/2006154/.

الجهاديين والمتعاطفين معهم، خاصّة في الغرب، هم من المستخدمين الماهرين لتكنولوجيا المعلومات ـ بل إن الكثير منهم يجيد استخدام الحاسوب فضلاً عن السلاح. ومع ذلك، تتيح هذه اللامركزية للأفراد أيضًا الترويج لموضوعات لا يؤيّدها أو يفضلها تنظيم القاعدة. اتّسم الصراع السوري الحالي وكلا النزاعين العراقيين الحديثين بالطائفيّة ـ ثلاثة من أهم النزاعات للقضية الجهادية في تاريخها الحديث ـ ، وكانت معظم الدعاية المصممة للتجنيد وجمع الأموال من أجل هذه الصراعات تُحرّض على العنف بين المسلمين والأهداف المحلية، بدلاً من الأولويات العالمية للقاعدة.

من خلال الإنترنت، يمكن للمتعطّشين إلى فكرة الجهاد الدخول في عالم من الجهاد العالمي، حيث ينضمون افتراضياً إلى غيرهم من المسلمين المعزولين ويربطون أنفسهم بقضايا عالمية. يقول الباحث مارك ساجيمان إنه في السنوات التي تلت 11 أيلول، انتقلت الشبكات الجهادية من المقابلات الشخصيّة إلى الاتصالات القائمة على الإنترنت حيث تقوم تلك الشبكات بنشر التطرّف الذاتي. يضيف ساجيمان أن الإنترنت هو «مثيل افتراضي للمساجد المتشددة».[4] والنتيجة تصبح مثل غرفة يتردد بها صدى: أولئك الذين يدخلون يسمعون أفكارهم الخاصة تتكرر إليهم مع عدم وجود أي صوت معارض لإبعادهم عن هذا المسار المتطرّف.

استفاد تنظيم القاعدة أيضاً من الإنترنت لتجاوز الإعلام الغربي والوصول إلى الجماهير الرئيسة مباشرة. قامت الوسائل الإعلاميّة في الماضي (كما هو الحال اليوم) بتغطية الهجمات الإرهابية بكثافة، لكن الناتج كان سلبياً من وجهة نظر المجموعة: حيث تم تصويرهم وتقديمهم بهيئة الأشرار والأشخاص السيئين. الآن، يمكن لـتنظيم ومجموعات أخرى متشابهة في التفكير إنشاء مقاطع فيديو لنشر المعلومات عن المجموعة وأنشطتها في ضوء أكثر ملائمة وتحميل مقاطع الفيديو مباشرة على موقع يوتيوب ومنصات المشاركة الأخرى.

في الواقع، تنجح هذه الخطة في بعض الأحيان: في كانون الأول/كانون الأول 2009، قُبض على خمسة أمريكيين بعد سفرهم إلى باكستان للانضمام إلى جماعة إرهابية ـ وبحسب التقارير كانوا قد تعرضوا للتطرف من خلال مشاهدة مقاطع الفيديو على يوتيوب.[5] قام الرائد

---

(4) Sageman, Leaderless Jihad, p. 121.

(5) R. Katz and J. Devon, «Jihad on YouTube,» SITE Intelligence Group, January 15, 2014, https://news.siteintelgroup.com/Featured_Article/jihad_on_youtube.html.

نضال حسن بعد أن أصبح متطرّفاً، والذي قتل 13 جنديًا في هجوم مسلّح عام 2009 على قاعدة فورت هود، تكساس،بالتواصل عبر البريد الإلكتروني مع أنور العولقي، الداعية اليمني الأمريكي المؤثر وعضو تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية الذي قُتل في غارة أمريكية بطائرة مُسيّرة في اليمن في عام 2011.[1] كان لمجلة «إنسباير» أيضاً دور رئيس في تطرّف مفجري ماراثون بوسطن وساعدتهم في إعداد قنابل الضغط التي أودت بحياة ثلاثة أشخاص. يُذكر أن مجلة «إنسباير» تُعدّ النتاج الفكري لكل من العولقي وسمير خان، الذي قُتل أيضاً في الغارة ذاتها التي ستهدفت العولقي.

كما أن الإنترنت مفيد للغاية لنقل الأموال وجمعها، حيث يمكن إعلام الأفراد حول العالم بالقضايا والتبرع بالأموال وتقديم الدعم بسهولة. يوضح مايكل جاكوبسون أن الإنترنت قد سهّل على الجميع، بمن فيهم الإرهابيون، تحويل الأموال إلكترونيًا عبر خدمات مثل خدمة بي بال Paypal.[2] أمّا بالنسبةِ للقيام بالعمليات، فإن استخدام الإنترنت يحظى بالعديد من العيوب. يشير ساجيمان إلى أن الجهود المبذولة لتعلم صنع القنابل عبر الإنترنت أكثر خطورة مما لو كانت مقترنة بالتدريب المباشر.[3] وهذا غير كافٍ لوصف حقيقة الوضع، حيث أنّ هذا الخطر قد يفسر الكوارث المتكررة التي واجهها العديد من الجهاديين الغربيين غير المدربين أثناء تخطيطهم لعمليات إرهابيّة. كما يشير بيتر بيرغن، «قد تساعد مشاهدة مقاطع الفيديو الجهادية على الإنترنت في تطرّف الشباب، لكن عرض مقطع فيديو لعملية ذبح وانت ترتدي ملابس النوم لا يحولك إلى إرهابي أو متمرد ناجح.... يتحقق ذلك من خلال التعلم في منطقة حرب أو في معسكر تدريب جهادي».[4] كما أن تحويل الأموال إلكترونيًا عبر الإنترنت يمثل أيضًا خطرًا كبيرًا على الأمن، حيث أصبحت الحكومات أكثر ذكاءً في تعقب المدفوعات الإلكترونية ورصدها. واستخدام هذه المعلومات لتحديد الجهاديين وإسقاط شبكات الإرهاب بأكملها. كما حذر أحد الجهاديين في أحد منتديات الإنترنت المتطرفة رفاقه، «إذا كان استخدامك للمدفوعات الإلكترونية لم يجلب لك أي مشاكل، فهذا لا يعني أنه آمن».[5] والأهم

(1) B. M. Jenkins, «Is Al Qaeda's Internet Strategy Working?»

(2) M. Jacobson, «Terrorist Financing and the Internet,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 33, 2010, pp. 353–363, 357.

(3) Sageman, Leaderless Jihad, p. 114.

(4) Bergen, The Longest War, pp. 212–213.

(5) Jacobson, «Terrorist Financing and the Internet,» p. 358.

من ذلك، هو أن عدم الاتصال المباشر وجهاً لوجه هو كابوس أمني عمليّ، حيث أن الثقة التي يجب على المؤسسات الناجحة أن تبنيها لضمان عمل الأعضاء معًا وعدم خيانة بعضهم بعضًا يغدو إنشاؤها من خلال الشبكات الافتراضية أصعب بكثير من الاتصال المباشر. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تتسلل أجهزة الأمن إلى غرف الدردشة والمواقع الأخرى، مما يجعل من الصعب مناقشة التفاصيل الحساسة لعملية ما دون التعرض للاشتباه. تُعتبر مواقع التواصل الاجتماعي أكثر عرضة للإختراق أيضاً، حيث أن المحتوى عام هناك. في الواقع، كل ما تحتاجه الأجهزة الأمنية هو مراقبة «الأصدقاء» أو «متابعين» المشتبه به على فيسبوك وتويتر لمعرفة قدر كبير من المعلومات حول شبكة إرهابيّة محتملة.

ما مصدر تمويل تنظيم القاعدة؟

يُعدُّ تنظيم القاعدة من بين المجموعات الأفضل تمويلًا في تاريخ الإرهاب، حيث تُعتبر ثروته واحدة من مصادر نجاح التنظيم. على النقيض من جماعات مثل حزب الله، فإن التنظيم لا يعتمد على موارد الرعاة والداعمين له. بدلا من ذلك، جمع تنظيم القاعدة الأموال بطرق مبتكرة، وبذلك جعل التنظيم من نفسه منظّمة متينة وثابتة.

كان مصدر تمويل القاعدة خلال الأيام الأولى نابعاً من ثروة بن لادن الشخصية. فابن لادن سليل إحدى أكثر العائلات ثراءً في المملكة العربية السعودية، استمد ثروته من أسرته عندما انطلق للجهاد في الثمانينيات من القرن الماضي وقام بتوزيع هذه الأموال في سبيل القضايا الجهاديّة. ومع ذلك، غالبًا ما كانت ثروته الشخصية مبالغًا فيها: في حوالي 11 أيلول، أفادت عدة تقارير على نطاق واسع بأن ثروته الشخصية بلغت ما يقارب 300 مليون دولار.[1] في الواقع، كان يتلقى مليون دولار سنويًا من ثروة العائلة حتى عام 1994.[2] بعد أن اتخذت المملكة العربية السعودية إجراءات صارمة في منتصف التسعينيات وطُرد بن لادن من السودان في عام 1996، أصبحت ثروة بن لادن أقل من ذلك بكثير، حيث أن معظم استثماراته في السودان لم تنتج سوى القليل أو تم الاستيلاء عليها من قبل الحكومة السودانية.

(1) J. Burns, «Where Bin Laden Has Roots, His Mystique Grows,» New York Times, December 31, 2000, http://www.nytimes.com/200031/12//world/ where ـ bin ـ laden ـ has ـ roots ـ his ـ mystique ـ grows.html.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 170.

في محاولةٍ لاسترجاع واستكمال أمواله الخاصة، استند بن لادن إلى ما يسمى بالسلسلة الذهبية: وهم الأفراد الأثرياء من شبه الجزيرة العربية، وخاصة المملكة العربية السعودية، الذين آمنوا بقضيّة بن لادن ودعموا مجموعة من القضايا الجهادية من كشمير وصولاً إلى الجزائر والتي كانت مدعومة من قبل التنظيم أيضاً. كما كان بعض الزعماء الدينيين في المساجد على استعداد لتحويل المساهمات الخيرية إلى حساب تنظيم القاعدة. بحلول الحادي عشر من أيلول، بلغت ميزانية القاعدة السنوية حوالي 30 مليون دولار، منها ما بين 10 و20 مليون دولار ذهبت إلى طالبان ـ وهي أكبر نفقات التنظيم قبل 11 أيلول.[1] غالبًا ما كان يتم نقل الأموال عن طريق الحوالة، وهو نظام غير رسمي وبسيط يتم من خلال إعطاء الأموال لأحد الأشخاص في دولة معيّنة، مثل المملكة العربية السعودية، وشخص قريب أو شخص موثوق آخر من ذلك الفرد يعيش في بلد مختلف (مثل باكستان)، يقوم بإعطاء نفس المبلغ من المال (مطروحًا منه رسم معيّن) للمستلم المقصود. تعتبر الغالبية العظمى من عمليات التحويل قانونيّة، لكن عملاء القاعدة استغلوا في بعض الأحيان الطبيعة غير الرسمية لتحويل الأموال وذلك لإخفاء أموالهم عن الحكومات المعادية.[2] ومع ذلك، نظرًا لصغر حجم الأموال المشمولة مقارنةً بالتمويل المشروع والأعمال غير المشروعة مثل تجارة المخدّرات، كان تنظيم القاعدة في كثير من الأحيان قادراً على إخفاء الأموال على مرأى من الجميع. قام المختطِفون في هجمات 11 أيلول بالتصريح عن أموالهم عند دخولهم إلى البلاد، ووضعوا أموالاً في حسابات مصرفية أمريكية، وحصلوا على المزيد من الأموال من خلال التحويلات البنكية، واتّبعوا القوانين الاقتصادية مما جعلهم بعيدين عن الشكوك طوال الوقت.

كان للجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية الإسلامية أهميّة خاصة بالنسبة إلى التنظيم، حيث استغلّ تلك المؤسسات لجمع وتحريك الأموال لتمويل عملائه ودعم الجماعات المتشابهة في التفكير. على مر السنين، أنشأ تنظيم القاعدة مؤسساته الخيرية الخاصة وتسلّل إلى المؤسسات الشرعية القائمة. على سبيل المثال، دَعَم المقر الرئيس والعديد من المكاتب

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 171.

(2) S. E. Eckert, «Statement for the Record—Terrorist Financing since 911/: Assessing an Evolving Al ـ Qa'ida and State Sponsors of Terrorism,» House Committee on Homeland Security Subcommittee on Counterterrorism and Intelligence, May 18, 2012, pp. 1–9.

الميدانية والعاملين في مؤسسة الحرمين الخيرية التي تتخذ من السعودية مقراً لها تنظيم القاعدة.[1] في أعقاب أعمال العنف في منتصف التسعينيات، قدرت وكالة الاستخبارات المركزية أن ثلث الجمعيات الخيرية الإسلامية في البوسنة كانت مرتبطة بالإرهاب، وتمنح العمال وظائف، ورواتب، وأغطية مشروعة.[2] عمل وديع الحاج، أحد قادة تفجيرات السفارات عام 1998 لصالح جمعية خيرية تسمى «ساعدوا شعوب إفريقيا». تضمّنت مؤامرة تفجير الطائرات عبر الأطلسي المزعومة لعام 2006 أفراداً كانوا قد سافروا إلى باكستان نيابة عن جمعية خيرية طبية إسلامية.

كانت الشركات أيضًا جزءًا من الشبكة الإرهابيّة، حيث أدرجت وزارة الخزانة الأمريكية في عام 2003 ما يقارب 18 شخصاً و10 شركات يُعتقد أنهم كانوا صلة الربط بين تنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية، وهي جماعة إرهابية مقرها إندونيسيا تنشط في جنوب شرق آسيا؛ ضمّت القائمة الأولية 300 اسم، لكن قيل إنها خُفِّضَت لأسباب سياسية وبيروقراطية[3]. لم تمارس الحكومات في المملكة العربية السعودية والعديد من دول الخليج الأخرى دور الإشراف على العديد من المؤسسات الخيرية قبل 9/11 من أجل وقف تمويل الإرهاب.[4] يُعتبر العطاء الخيري جزءًا مهمًا من الإسلام، وحتى أن العديد من الجمعيات الخيرية العاملة في مجال الرعاية الاجتماعية المشروعة تعمل أيضاً على دعم العنف. لقد احتضنت سياسة المملكة الخاصة نشر السلفية ودعم العديد من القضايا

(1) J. Roth et al., «Al Qaeda's Means and Methods to Raise, Move, and Use Money,» in National Commission on Terrorist Attacks upon the United States: Monograph on Terrorist Financing, 2003, pp. 120–122, http://govinfo.library.unt.edu/911/ staff_statements/911_TerrFin_Ch2.pdf; «The Consolidated List established and maintained by the 1267 Committee with respect to Al ـ Qaida, Usama bin Laden, and the Taliban and other individuals, groups, undertakings and entities associated with them,» United Nations, January 25, 2010, http:// www.un.org/sc/committees/1267/aq_sanctions_list.shtml.

(2) S. Bell, Cold Terror: How Canada Nurtures and Exports Terrorism Around the World, Etobicoke, ON, Wiley Press, 2004, p. 141.

(3) Z. Abuza, «Funding Terrorism in Southeast Asia: The Financial Network of Al ـ Qa'ida and Jemaah Islamiya,» Contemporary Southeast Asia: A Journal of International & Strategic Affairs, vol. 25, no. 2, 2003, pp. 169–199.

(4) Roth et al., Monograph on Terrorist Financing, p. 8.

الجهاديّة مثل الصراع الشيشاني ضد روسيا، والذي تبنّاه تنظيم القاعدة أيضًا. ومع ذلك، لم تجد لجنة الحادي عشر من أيلول «أي دليل على أن الحكومة السعودية كمؤسسة أو أنّ مسؤولين سعوديين كبار قاموا بتمويل المنظمة بشكل شخصي».[1] وجدت لجنة الحادي عشر من أيلول أيضًا أن التنظيم لم يحصل على تمويل كبير من تجارة المخدرات أو غيرها من الأعمال الإجرامية. ومع ذلك، فقد استخدم بعض الأفراد من تنظيم القاعدة والجماعات التابعة له في بعض الأحيان الجريمة لتمويل العمليات، وقد نما هذا في السنوات التي تلت أحداث 11 أيلول. يستخدم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي الاختطاف كعمل تجاري، حيث يقوم باختطاف السكان المحليين والأوروبيين من أجل الحصول على فدية ماليّة: كشفَ تحقيق أجرته صحيفة نيويورك تايمز أن تنظيم القاعدة وفروعه جلبوا ما لا يقل عن 125 مليون دولار من عمليات الاختطاف منذ عام 2008 ـ أكثر من نصف هذا المبلغ تم جمعه في عام 2013 وحده.[2] نصف ميزانية القاعدة في شبه الجزيرة العربية يأتي من مدفوعات الفدية، حيث أنّ معظم هذه الأموال تأتي من الحكومات الأوروبية التي تدفع مقابل عودة مواطنيها. على الرغم من أن هذا الإهتمام يستحق الإشادة من الناحية النظرية، إلا أنه يجعل مواطني دول مثل النمسا وفرنسا وألمانيا وسويسرا أكثر عرضة للاختطاف من المواطنين البريطانيين أو الأميركيين، الذين لن تدفع حكوماتهم فدية لاسترجاعهم (بالرغم من كون مواطني تلك الدول أكثر عرضة للقتل). نظراً لكمية المبالغ المالية الواردة، غالباً ما يُشرف القادة الرئيسين في القاعدة على عمليات الاختطاف الفردية.

كيف يُنفق تنظيم القاعدة أمواله؟

يُعتبر المال شيئاً أساسياً بالنسبة إلى تنظيم القاعدة للعديد من الأسباب، كما أن الهجمات الإرهابيّة تُعدُّ رخيصة نسبياً كما هو موضّح في الجدول 5.1، حيث كانت هجمات الحادي عشر من أيلول الأعلى كلفةً على مر التاريخ وبقيمة بلغت 500000 دولار أميركي.

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 171.

(2) 55. R. Callimachi, «Paying Ransoms, Europe Bankrolls Qaeda Terror,» New York Times, July 29, 2014, http://www.nytimes/com/201430/07//world/africa/ ransoming ـ citizens ـ europe ـ becomes ـ al ـ qaedas ـ patron.html?_r=1.

الكلفة التقديرية	التاريخ	الهجوم
GPB 8,000[b]	7 تموز، 2005	نظام النقل الداخلي في لندن
USD 10,000	11 آذار، 2004	تفجيرات القطارات في مدريد
USD 40,000	15 و 20 تشرين الثاني، 2003	تفجيرات الشاحنات في اسطنبول
USD 30,000	5 آب، 2003	تفجير فندق ماريوت في جاكرتا
USD 50,000	12 تشرين الأول، 2002	تفجيرات بالي
USD 10,000	12 تشرين الأول، 2000	تفجير المدمرة الأمريكية يو اس اس كول
USD 50,000	7 آب، 1998	تفجير سفارة أفريقيا الشرقيّة

ومع ذلك، فإن معظم تلك الهجمات يكلف مئات أو بضعة آلاف دولارات، على سبيل المثال: محاولة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية لتفجير طائرات الشحن في تشرين الأول 2010 كلّفت أقل من 5000 دولار.[1]

على الرغم من أن الأعمال الإرهابية رخيصة، إلا أن المنظمات الإرهابية ليست كذلك. في سبيل الحفاظ على اسمه قام تنظيم القاعدة ببناء منظومة دعاية متطورة وواسعة النطاق قادرة على إنتاج مقاطع فيديو ومحتوى مكتوب لنشره عبر القنوات الفضائية والإنترنت. يتمثل المكوّن الرئيس الآخر لاستراتيجية تنظيم القاعدة في توفير الأموال الأساسية لتمويل الثورات المحلية في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وتوفير التدريب والأسلحة وغيرها من المساعدات المالية للحركات الجهادية التي تعاني من الضعف المالي بسبب جهود القمع الحكومية. تُعدّ هذه الأموال ضرورية لتشغيل معسكرات التدريب، وشراء السيارات والأسلحة، والحصول على المخابئ وصيانتها، وتسهيل الاتصالات. في بعض الحالات، قد تكون هناك حاجة أيضًا إلى المال لإرضاء المجتمعات المحلية أو القبائل في المناطق التي يتموضع فيها التنظيم؛ في حالة السودان، استثمر بن لادن الكثير من الأموال لإنشاء الأعمال التجارية ودعم الاقتصاد المحلي من أجل كسب تأييد القادة في الخرطوم.

(1) I. Katz and J. Walcott, «Al ـ Qaeda Members Gripe over Cash Crunch as U.S. Goes after Terror Funding,» Bloomberg, January 9, 2012, http://www.bloom ـ berg.com/news/2012 ـ 01 ـ 09/al ـ qaeda ـ members ـ gripe ـ over ـ cash ـ crunch ـ as ـ u ـ s ـ goes ـ after ـ terror ـ funding. html.

يتمثل أحد الأجزاء الهامة من إدارة منظمة إرهابية ما في رعاية الأعضاء وعائلاتهم، حيث تدور وثائق تنظيم القاعدة الأوليّة بشكل كبير حول موضوع راتب الأعضاء، حيث يتلقى الأعضاء المتزوجون المزيد. (يحصلون أيضًا على عطلة رائعة ـ شهر واحد في السنة، بالإضافة إلى 15 يومًا مرضيًا). كما يتلقى الأعضاء المتخصصون، وخاصة المدرِّبين العسكريين، المزيد من الأموال.[1] يصل بعض الأعضاء وهم مَدينون أصلًا، بينما قد يحتاج آخرون إلى المساعدة بسبب حالات الطوارئ العائلية. ولأن تعدد الزوجات مسموح به وغالبًا ما يتم تشجيعه في بعض التفسيرات للإسلام، يمكن لهذه العائلات أن تتفرّع بشكل كبير بحيث يصبح الحفاظ عليها أمراً مكلفاً جداً. يقدّم تنظيم القاعدة المساعدة أيضًا للعائلات المتروكة عندما يُقتل أحد الأفراد أو يُسجن. يمكن أن تتضاعف قيمة هذه المساعدات بشكل كبير جدّاً، خصوصاً عندما تؤدي إجراءات مكافحة الإرهاب الفعالة إلى خسائر فادحة.

عندما ينقطع المال، تتبعه الكارثة بسرعة. عندما كان بن لادن يتعرض لضغوط مالية في منتصف التسعينيات، انشق شخصان مهمان ـ جمال أحمد الفضل ولحسين خيرشتو ـ إلى الولايات المتحدة وأصبحا شهوداً لامعين ضد أعضاء آخرين في القاعدة. انشق كلاهما لأسباب ماليّة: حيث انشقّ فضل لأنه استاء من تلقي أموال أقل من أعضاء المجموعة الآخرين وخيرشتو لأن بن لادن لم يستطع أن يوفر له المال عندما احتاجت زوجته إلى عمليّة جراحيّة.[2]

تمّ استنزاف أموال تنظيم القاعدة عقب أحداث 11 أيلول، حيث كان الضغط الأمريكي المتزايد على المانحين بالإضافة إلى حملة شديدة لملاحقة أموال تنظيم القاعدة قد ضربت خزائن التنظيم بشدة وقيدت قدرة المنظمة على تحريك الأموال. كانت هجمات القاعدة في المملكة العربية السعودية خصوصاً عام 2003، قد دفعت بالرياض (بدعم تقني أمريكي) إلى بذل جهد عدواني ضد رعاة تنظيم القاعدة الأثرياء (رغم أن العديد من السعوديين الأثرياء ما زالوا يدعمون مجموعةً من التنظيمات الجهادية، بما في ذلك طالبان، مع تدخُّل قليل من طرف الحكومة).

(1) «Al Qa‘ida’s Structure and Bylaws [English translation]»; «Abu Hafs Report on Operations in Somalia [English translation],» internal Al Qaeda document, Harmony Project document #AFGP 800597 ـ 2002 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https://www.ctc.usma.edu/posts/ abu ـ hafs ـ report ـ on ـ operations ـ in ـ somalia ـ english ـ translation 2 ـ.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 62.

من ناحية أخرى، تقلّصت احتياجات القاعدة بشكل كبير خلال هذه الفترة: حيث مع الإطاحة بنظام طالبان، اختفت أكبر نفقات تنظيم القاعدة. بالإضافة إلى ذلك، كان لشعبية القضايا المرتبطة بالجهاديين، مثل قتال الأمريكيين في العراق ونظام الأسد في سوريا، دوراً هاماً في تمكين المنظمات المدعومة من قبل تنظيم القاعدة من كسب الأموال بمفردها، مما زاد من تخفيف العبء المالي عن القيادة المركزية للتنظيم ـ في الواقع، تم بالفعل تحويل بعض هذه الأموال لمساعدة القيادة نفسها.

على الرغم من ذلك، ما يزال الجزء المركزي من التنظيم ضعيف مالياً. كان ديفيد كوهين، وكيل وزارة الخزانة الأمريكية لشؤون الإرهاب والمخابرات المالية، قد صرّح مفتخراً أنه وبحلول عامي 2009 و2010، «تمكنّا من القول إن القاعدة كانت في أضعف وضع مالي لها منذ عام 2001».[1] نتيجة لذلك، كان على القيادة المركزيّة خفض الدعم المقدم إلى الأعضاء وعائلاتهم وإنفاق مبالغ أقل على التدريب. ازدادت الشكاوى المتعلقة بالمال ضمن صفوف المقاتلين. تم أخذ المال من المتطوعين الغربيين الذين حضروا للتدريب في معسكرات تدريب القاعدة في باكستان لقاء أسلحتهم واستغلالهم بدلاً من الترحيب بهم كإخوة في السلاح، مما أصابهم بخيبة أمل. كما عبّر أحد المقاتلين الفرنسيين عن أسفه، «ما تراه في مقاطع الفيديو على شبكة الإنترنت، أدركنا أنه كان عبارة عن كذبة».[2] أصبحت الإدارة المركزية للتنظيم أقلّ قدرةً على استخدام الموارد المالية للسيطرة على المنظمات التابعة لها، حيث أن توازن القوى ما بينها وبين تلك المنظمات يعكس هذه الخسارة.

يُعدُّ جمع التبرعات عملاً ضرورياً لتنظيم القاعدة. على الرغم من كونها منظمة صبورة، إلّا أنها إذا كانت غير نشطة لفترات طويلة أو إذا نجحت جماعات أخرى مثل تنظيم الدولة الإسلامية في التغلب عليها في الشعبيّة، فإن المنظمة الأساسية تخاطر بخسارة الداعمين، وبالتالي خسارة قوّتها وثباتها على المدى الطويل.

---

(1) Katz and Walcott, «Al ـ Qaeda Members Gripe over Cash Crunch».

(2) Rotella, «Al Qaeda Recruits Back in Europe, But Why?»

الفصل السادس

الحلفاء والأعداء

ما تأثير الحرب العراقية عام 2003 على تنظيم القاعدة؟

خلال السنوات التي سبقت أحداث الحادي عشر من أيلول، تقاسم صدام حسين مع القاعدة الكراهية المشتركة للولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وغيرهم من الأعداء، لكن رؤاهم وطموحاتهم كانت مختلفة بشكل كبير ـ طاغية علماني طموحه أحلام المجد العربي مقابل طموح منظّمةٍ إرهابية كانت تسعى إلى إقامة الخلافة الإسلامية ونشر الشريعة الإسلامية. التقى مسؤولو القاعدة وضباط المخابرات العراقية في السودان في أواخر عام 1994 أو أوائل عام 1995، وناقشوا التعاون مرارًا وتكرارًا في السنوات التي تلت ذلك، لكن لم يحدث تعاون فعلي يذكر فيما بينهم. وكما أوضحت لجنة 9/11، «لم نرَ أي دليل على أن هذه الاتصالات أو الاتصالات السابقة قد تطورت إلى علاقة عمليّات مشتركة. ولم نر أدلة تشير إلى أن العراق تعاون مع القاعدة في تطوير أو تنفيذ أي هجمات ضد الولايات المتحدة».[1]

جاء الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003 في وقت كانت فيه القيادة المركزيّة للتنظيم على مشارف الإنهيار. لذلك كان العراق بمثابة مساعدة ثمينة للتنظيم، حيث أثبتت الحرب على العراق صحّة رواية القاعدة بأن الولايات المتحدة عازمة على إخضاع الإسلام، وأصبحت قضيّة حشدَت المال والشباب على مستوى أكبر بكثير من الجهاد الأفغاني المعادي للسوفييت. أثبتَ العراق حجّة بن لادن القائلة بأن العدو الرئيس للعالم الإسلامي لم يكن مستبدين مسلمين محليين، بل كان «العدو البعيد» المتمثّل بالولايات المتحدة. على الرغم من إدانة العلماء المسلمين الرئيسين لهجمات الحادي عشر من أيلول، إلّا أنّ هؤلاء العلماء

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 66.

أنفسهم، الذين تم توظيف الكثير منهم من قبل الحكومات المتحالفة مع الولايات المتحدة، أشادوا بالمقاومة في العراق. في بيان صدر مباشرة قبل الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، أعلن علماء جامعة الأزهر في القاهرة: «وفقًا للشريعة الإسلامية، إذا قام العدو بالاعتداء على أرض المسلمين، يصبح الجهاد واجبًا على كل ذكر وأنثى مسلم».وصف الظواهري الغزو أيضاً بأنه» نعمة «سمحت بممارسة» الجهاد في قلب العالم الإسلامي».[1] كما أشار مايكل شوير، الرئيس السابق لوحدة بن لادن بوكالة الاستخبارات المركزية «إنّ الحرب في العراق ـ لو كان أسامة مسيحيًا ـ كانت بمثابة هدية عيد الميلاد التي لم يكن يتوقعها أبدًا».[2]

كانت الحرب والاحتلال اللاحق بمثابة فائدة كبيرة للتنظيم على مستوى العمليات، حيث أنّ الكثير من القتال الأوّلي لم يشمل الجهاديين: فقد كان للأعضاء السابقين في حزب البعث بزعامة صدام، والمجرمين والقوميين الدور الأكبر. لكن الجهاديين السلفيين أصبحوا أقوى تدريجياً عندما تدفق المقاتلون الأجانب على العراق، بدافع من دعاية القاعدة والغضب الأوسع في العالم الإسلامي. لقد كان هؤلاء المقاتلون متحمسين، وعلى عكس العديد من العراقيين كانوا ملتزمين تمامًا بمحاربة الأمريكيين. اختارت الولايات المتحدة تحويل القوات إلى العراق بدلاً من تعزيز انتصارها في أفغانستان وزيادة فرصها في القضاء على بن لادن في باكستان. لكن على الرغم من الأعداد الكبيرة للقوات الموجودة في البلاد، فإن فشل الولايات المتحدة في بسط الأمن بشكل صحيح داخل العراق بعد الإطاحة بصدام أعطى الجهاديين حريّة كبيرة لعمليّاتهم. طوّر الجهاديون أثناء وجودهم في العراق صناعة العبوات الناسفة المرتجلة بشكل متزايد والتي أثبتت فعاليتها ضد القوات الأمريكية.

مع انتشار التمرد، انتشرت الأيديولوجية المدعومة من تنظيم القاعدة، والتي بدأت مجموعات عديدة في العراق العلماني سابقاً (أو على الأقل الإسلامي المعتدل) في اعتناقها. كان أبو مصعب الزرقاوي المولود في الأردن في مقدّمة الجهاديين. انضم الزرقاوي إلى القضية الجهادية في الأردن في التسعينيات وهرب إلى أفغانستان في عام 1999. ازدهرت المجموعة التي أسسها هناك ـ حيث جنّد ما يقارب 3000 مجند بعد أن منحته القاعدة رأس المال الأوّلي وساعدته في إنشاء معسكر تدريبي في مدينة هرات. كان قادة القاعدة يأملون الاستفادة من

(1) Al ـ Zawahiri, «Zawahiri's letter to Zarqawi [English translation]».

(2) R. Leung, «Bin Laden Expert Steps Forward,» CBS News, February 11, 2009, http://www.cbsnews.com/8301 655407 ـ 162_18560 ـ.htm.

علاقات الزرقاوي في الأردن وسوريا ولبنان والأراضي الفلسطينية، حيث كان عدد أتباعهم أقل في تلك الدول.[1] بعد أن غزت القوات الأمريكية أفغانستان، انضم الزرقاوي في البداية إلى القاعدة لقتال الأمريكان، ولكن بعد هزيمة طالبان، فرَّ إلى إيران. وفي النهاية دخل العراق في عام 2002 قبل الغزو الأمريكي، واستقرّ في كردستان العراق بعيداً عن منطقة سيطرة صدام حسين.

أصبح الزرقاوي شخصية قيادية أجنبية رائدة في العراق، ويعود ذلك جزئياً إلى انتشار مقاطع الفيديو التي تُظهر ذبح الأسرى الغربيين. هاجم الزرقاوي في البداية منظمات دولية مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومقر الأمم المتحدة في العراق، وكذلك السفارة الأردنية في بغداد، في محاولة لعزل الولايات المتحدة ودحر مساعديها.[2] رحب المقاتلون السُنّة بالعنف ورأوا هذه الهجمات وحملة الزرقاوي اللاحقة ضد قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة والحكومة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة والميليشيات الشيعية كجزء من نفس المعركة الواسعة.[3] بعد عدة سنوات من المفاوضات، أعلن الزرقاوي ولائه لبن لادن في عام 2004، وخلق المنظمة التي أصبحت تُعرف باسم (تنظيم القاعدة في العراق).

استولى تنظيم القاعدة في العراق على أجزاء من محافظة الأنبار في غرب العراق، بما في ذلك مدينة الفلوجة، وبشكل عام تمتّع التنظيم بسلطة كبيرة في المناطق السنية العراقيّة. كانت سمعة تنظيم القاعدة في العراق وتجنيده الناجح للمقاتلين الأجانب سبباً رئيساً مكّنه من الاندماج مع الجماعات السلفية الجهادية الأخرى، والتي قاتلت تحت قيادة التنظيم لاحقاً.[4] أصبح التنظيم مكتفياً مالياً نوعاً ما بعد فرض سيطرته على العراق، حيث أن «الضرائب» (غالباً ما تكون مجرد ابتزاز) للسكان المحليين، وتهريب النفط، والاختطاف للحصول على فدية، أعطت تنظيم القاعدة دخلاً سنوياً يتراوح بين 70 و200 مليون دولار

(1) N. Lahoud, «Metamorphosis,» p. 10.

(2) S. McChrystal, My Share of the Task: A Memoir, New York, Penguin, 2013, p. 107.

(3) B. Fishman, Dysfunction and Decline: Lessons Learned from Inside al ـ Qa'ida in Iraq, Combating Terrorism Center at West Point, 2009, p. 2, http://www.dtic. mil/dtic/tr/fulltext/u2/a502816.pdf.

(4) C. Lister, «Profiling the Islamic State,» The Brookings Institution, December 1, 2014, http://www.brookings.edu/research/reports212/2014// profiling ـ islamic ـ state ـ lister.

بحلول أواخر عام 2006.[1] وكانت المجموعة حذرة من وجود جهات تمويل أجنبية وسعت إلى أن تكون مستقلّة مالياً: ووجدت دراسة أجرتها حكومة الولايات المتحدة، أن خمسة في المائة فقط من أموال المجموعة جاءت من مصادر أجنبية.[2]

في عهد الزرقاوي، تبنّى تنظيم القاعدة في العراق استراتيجية خلق حرب طائفية عن عمد، وساعدته التكتيكات البارزة والوحشية مثل قطع الرؤوس على تحقيق ذلك. نظر الزرقاوي إلى الشيعة على أنّهم «عقرب خبيث ومخادع» في الإسلام، وأعلن أن «المسلمين لن يكون لهم نصر أو تفوق على الكفار الغاصبين مثل اليهود والمسيحيين» حتى يتم القضاء على الشيعة.[3] ومع ذلك، فقد أدرك أيضًا أن الهجمات على المواقع الدينيّة والمدنية الشيعية ستؤدي إلى رد فعل عنيف من جانب الطائفة الشيعية ـ وهذا بدوره سيجمع المزيد من المسلمين السنّة تحت راية تنظيم القاعدة في العراق. وكما قال الجنرال ستانلي ماكريستال، الذي صمّم وقاد معظم العمليات اليومية التي نجحت في نهاية المطاف في هزيمة تنظيم القاعدة في العراق، «لن ينجح السنة في الفوز إلا في ذروة الحرب العرقيّة. في هذا الجحيم، سيسود حكم القاعدة».[4]

اعتقد الكثير من السنّة أن الولايات المتحدة جديرة بالهجوم عليها وذلك لأنها سلّمت العراق إلى حكومة يقودها الشيعة.

كانت العلاقة بين القاعدة في العراق والقيادة المركزيّة للتنظيم محفوفة بالمشاكل والانقسامات. على الرغم من أن تنظيم القاعدة في العراق كان يهاجم الأمريكيين، إلا أنّه شن عددًا قليلًا من الهجمات خارج الأراضي العراقية، وبالتالي لم يتّبع المخطّط العالمي للتنظيم. كان لشهرة تنظيم القاعدة في العراق، والتي جعلت من التنظيم مرغوباً بشكل كبير كحليف في المقام الأوّل، دور كبير في التأثير على مخطط أعمال الحركة الجهادية الأوسع بطرق عارضها تنظيم القاعدة الرئيس. أدّت هجمات القاعدة في العراق على الشيعة العراقيين والدعاية القاسية المعادية للشيعة إلى إشعال النيران الطائفية، حيث تم تجاهل أهداف التنظيم المعادية لأمريكا وهيمنت الطائفيّة على المسار الجهادي.

(1) M. Levitt, «Declaring an Islamic State, Running a Criminal Enterprise,» The Hill, July 7, 2014, http://thehill.com/blogs/pundits ـ blog/211298 ـ declaring ـ anislamic ـ state ـ running ـ a ـ criminal ـ enterprise.

(2) Lister, «Profiling the Islamic State».

(3) McChrystal, My Share of the Task, p. 121.

(4) As quoted in Burke, The 911/ Wars, p. 252.

بالإضافة إلى التأثير على مخطط الأعمال، نفّذ تنظيم القاعدة في العراق هجمات مكروهة أضرّت بإسم تنظيم القاعدة بين المسلمين العاديين ـ مثلما ستفعل المنظمة التي خَلَفَتهُ، الدولة الإسلامية، بعد عقدٍ من الزمان. قام أعضاء القاعدة في العراق بكسر أصابع مدخني السجائر وقتلوا النساء اللواتي رفضن ارتداء النقاب (غطاء الوجه الإسلامي الذي يترك العينين مكشوفة فقط). جاءت هذه الهجمات بتكلفة عالية بشكل خاص خارج البلاد. لقد حذّر كبار قادة القاعدة الزرقاوي بشكل سرّي من التجربة الجزائرية، مشيرين إلى أن المتشددين هناك دمروا «أنفسهم بأيديهم من خلال عزلهم للسكان بسبب افتقارهم للحكمة... وبسبب الظلم والانحراف والقسوة». [1]

على الرغم مما سبق، نظراً إلى شعبية الصراع العراقي وتدفق التمويل الخاص بالزرقاوي، كان من المستحيل على قيادة القاعدة المركزية أن تُندّد علناً بتنظيم القاعدة في العراق، على الرغم من أن تصرفات القاعدة في العراق شوهت اسم التنظيم ككل. بدأ رجال الدين البارزون بانتقاد بن لادن، بمن فيهم الكثيرين ممن كانوا متعاطفين مع القاعدة والنضال ضد الولايات المتحدة في العراق. عمِلت هذه الإدانات على إعاقة عمليّة جمع الأموال والتجنيد وانخفاض الدعم من أولئك الذين تربطهم علاقات بعيدة بالحركة والذين غالباً ما يتم تطرّفهم بشكل غير مباشر. وكما قال أبو قتادة، وهو مفكّر جهادي بارز، «إن تأثير هذه الانسحابات علينا هو أسوأ من100,000 جندي أمريكي». [2]

بداية من عام 2006، تعرض تنظيم القاعدة في العراق لسلسلة من الضربات الثقيلة. قامت القوات الأمريكية بمطاردة الزرقاوي بلا رحمة، وفي 7 حزيران 2006، تمكنوا أخيرًا من كشفه وقتلوه في غارة نفّذتها طائرة من طراز F ـ 16. لقد أدى دور القاعدة التخريبي في العراق إلى نفور العراقيين العاديين، بمن فيهم أعضاء القبائل السنيّة في مركز المنطقة السنيّة غربيّ العراق. استغلّت الولايات المتحدة هذا الغضب في عام 2006، حيث غيّرت استراتيجيتها، وتبنّت طريقة تقليدية أكثر لمكافحة التمرد شدّدت من خلالها على حماية السكان، وإرسال مزيد من القوات كجزء من «تعزيز القوّات»، كما دفعت الحكومة العراقية إلى ضم السنّة،

(1) As quoted in O. Ashour, «Post ـ Jihadism: Libya and the Global Transfor ـ mations of Armed Islamist Movements,» Terrorism and Political Violence, vol. 23, no. 3, 2011, p. 379.

(2) M. Chulov, «Isis: the inside story,» The Guardian, December 11, 2014, http:// www.theguardian.com/world/2014/dec/11/ ـ sp ـ isis ـ the ـ inside ـ story.

ودعم القبائل المحلية التي وقفت في وجه القاعدة. نتيجة الدعم المالي والقوة العسكريّة الأمريكية، تجمّعَت هذه القبائل ضد تنظيم القاعدة وحاربتهُ مباشرةً وقدّمت المعلومات الاستخباراتية للقوات الأمريكية. كان أحد الأجزاء الهامّة من الإستراتيجية الأمريكية، لكنّه غالبًا ما كان أقل انتشارًا، يتمثّل بالضربات الموسّعة لمكافحة الإرهاب التي تشنها قوات العمليات الخاصة الأمريكية على تنظيم القاعدة في العراق والتي أصبحت أكثر فاعليّة مع تحسّن المعلومات الاستخباراتيّة والدعم الشعبي.

كان التأثير ساحقًا، حيث أعلن الجيش الأمريكي أنه بحلول عام 2010، كان 80 % من قادة تنظيم القاعدة في العراق قد لقوا حتفهم أو أُسروا (كان 17 قائداً من أصل ال 25 قيادي الأكثر أهميّة في الدولة الإسلامية في عام 2014 قد قضوا بعض الوقت في السجون الأمريكية)[1]، كما أنّ بعض وثائق تنظيم القاعدة السريّة والتي تم العثور عليها في وقت لاحق قد كشفت حجم الدمار الذي أصاب التنظيم حينها.[2] تخلّى تنظيم القاعدة في العراق عن حرب العصابات الواسعة النطاق، واعتمد بدلاً من ذلك على الإرهاب لإبقاء القضيّة مستمرّة. أعلن مدير وكالة الاستخبارات المركزية مايكل هايدن في عام 2008 أن «القاعدة على وشك هزيمة استراتيجية في العراق» ـ وهو تقييم مدعوم بتراجع في هجمات المنظمة، وانهيار في قدرتها على السيطرة على الأراضي، وانتقاد واسع النطاق للمنظمة من داخل العالم الإسلامي الأوسع، بما في ذلك من العديد من المؤيدين الجهاديين السابقين.[3] وعلى الرغم من ذلك، ومع ضعف التنظيم الواضح في العراق، إلّا أنّه لم يتم القضاء عليه. في الواقع، سيعود التنظيم إلى العراق تحت اسم جديد وهو الدولة الإسلامية.

(1) «US Says 80 % of al ـ Qaeda leaders in Iraq removed,» BBC News, June 8, 2010, http://www.bbc.co.uk/news/10243585.

(2) «CIA Director Michael Hayden Says Al Qaeda Is on 'Verge' of Defeat in Iraq,» Fox News, May 30, 2008, http://www.foxnews.com/story/200830/05// cia ـ director ـ michael ـ hayden ـ says ـ al ـ qaeda ـ is ـ on ـ verge ـ defeat ـ in ـ iraq/; Bergen and Cruickshank, «The Unraveling».

(3) J. D. Clapper, «Unclassified Statement for the Record on the Worldwide Threat Assessment of the US Intelligence Community for the Senate Committee on Armed Services,» US Office of the Director of National Intelligence, February 16, 2012, http://www.dni.gov/files/documents/Newsroom/Testimonies/20120216_SASC %20Final %20Unclassified %20 %20 202012 % ـ ATA %20SFR.pdf.

كيف ينظر تنظيم القاعدة إلى إيران والشيعة؟

يتشارك تنظيم القاعدة وإيران الأعداء نفسهم، لكن الشكوك المتبادلة تحافظ على هذه الشراكة بشكلها التكتيكي فقط وتعطي الجانبين أسباباً لعدم الإعلان عنها. في حديثه أمام الكونغرس في عام 2012، وصَفَ مدير المخابرات الوطنية جيمس كلابر العلاقة بين إيران والقاعدة على أنها «زواج المصلحة».[1]

تُعتبر علاقة طهران بالقاعدة علاقةً ذات منطق استراتيجي. في أوائل التسعينيات، تدرّب عناصر من القاعدة في إيران ومع حزب الله في سهل البقاع في لبنان، وتعلموا كيفية استخدام السيارات المُفخخة والتكتيكات الإرهابية الأخرى.[2] عندما ذهب تنظيم القاعدة إلى أفغانستان في عام 1996، أصبحت إيران معبراً للمقاتلين للسفر من وإلى معسكرات القاعدة في أفغانستان، وإن كان أقل أهمية بكثير من الطريق عبر باكستان. في الأشهر التي سبقت 9/11، طُلب من مفتشي الحدود الإيرانيين غضّ النظر وعدم ختم جوازات سفر الجهاديين الذاهبين إلى أفغانستان والقادمين منها. كان الحفاظ على خلوّ جوازات السفر هذه من أيّ أختام أمرًا ضرورياً للحد من خطر الكشف عنهم والاعتقال في المملكة العربية السعودية ثم في الولايات المتحدة. وجدت لجنة الحادي عشر من أيلول أن ثمان إلى عشر أفراد من بين ال 14 خاطفاً سعوديًا والذين قدّموا دور «السيطرة الجسديّة» لعملية 11 أيلول، كانوا قد عبروا إيران بين تشرين الأول عام 2000 وشباط عام 2001.

كانت إيران تعمل أحيانًا كملاذ آمن للقاعدة أيضاً، خاصةً عقب أحداث 11 أيلول. عندما أُجبر تنظيم القاعدة على الخروج من أفغانستان في أعقاب سقوط طالبان في عام 2001، ذهب جزء من قيادة التنظيم إلى إيران. مع مرور الوقت، ستعمل إيران على الحدّ من أو توسيع هذا الملاذ الآمن جزئياً وذلك حسب تقلّبات العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران. في البداية، عندما أيّدت إيران بقوة الحرب الأمريكية ضد حركة طالبان، أعادت إيران العديد من الجهاديين المشتبه بهم إلى بلدانهم الأصلية، حيث غالباً ما واجهوا الإعتقال. في وقتٍ لاحق،

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 61.

(2) «Al ـ Zawahiri in Two Recent Messages: 'Iran Stabbed a Knife into the Back of the Islamic Nation;' Urges Hamas to Declare Commitment to Restoring the Caliphate,» Middle East Media Research Institute (MEMRI), Special Dispatch No. 1787, December 18, 2007, http:// www.memri.org/report/ en/02481/0/0/0/0/0/.htm.

انتقد الظواهري طهران بشكل علنيّ وذلك لوقوفها إلى جانب الولايات المتحدة، حيث صرّح قائلاً، «فجأة، اكتشفنا أنّ إيران تتعاون مع أمريكا» واتّهم إيران قائلاً «إيران طعنت سكينًا في ظهر الأمة الإسلامية».[1]

ومع ذلك، بدءًا من كانون الثاني 2002، بعد أن صرّحَ الرئيس جورج بوش علنًا أن إيران هي جزء من «محور الشر» في خطابه عن حالة الدولة السنوي (قرار ناتج عن قيام إيران بتوفير السلاح للجماعات الفلسطينية الضالعة في الإرهاب ضد إسرائيل)، خفّضت إيران جهودها للسيطرة على أعضاء القاعدة البارزين في إيران وتسليمهم. في الفترة التي سبقت الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003، شعرت إيران بأنها مُهددة بسبب قرب الغزو الأمريكي لجارتها والحديث عن تغيير النظام ضد الأنظمة «الفاسدة» في الشرق الأوسط، سمحت طهران للجهاديين السُنّة باستخدام البلد كقاعدة لإعداد المقاومة ضد القوات الأمريكية في العراق. وتسعى إيران أيضًا إلى عودة أعضاء جماعة مجاهدي «خلق» الإيرانية، وهي منظمة معارضة إيرانية تتّخذ مقرا لها في العراق منذ فترة طويلة، وعندما احتلّت القوات الأمريكية العراق في عام 2003، استغلّت إيران سيطرتها على بعض شخصيات القاعدة لتستخدمها كورقة مساومة في سبيل الضغط على الولايات المتحدة لتسليم مجاهدي «خلق». على الرغم من أن الولايات المتحدة قد اعتبرت منظمة مجاهدي خلق لسنوات عديدة منظمة إرهابية، إلا أنها مَنَحَت أعضاء هذه المنظمة في العراق حالة «الأشخاص المحميين» بموجب اتفاقية جنيف ولم ترسلهم إلى إيران حتى بعد فرض سيطرتها على العراق.

تضمنّت سياسة إيران تجاه القاعدة منذ ذلك الوقت مزيجًا من الصرامة والتساهل. يزعم سيف العدل، القيادي البارز في تنظيم القاعدة أنّه بسبب المطالب الأمريكية، فإن الضغط الإيراني «أربكنا وأحبط 75 في المئة من خطتنا» حيث كان هناك العديد من الاعتقالات ـ مما يشير إلى دور إيراني إيجابي في الحرب ضد القاعدة.[2] زعمت إيران أنها احتجزت شخصيات رفيعة المستوى في تنظيم القاعدة، ووصف مسؤول أمريكي في عام 2005 شخصيات القاعدة هذه بأنها تعيش تحت «الإقامة الجبرية الافتراضية». ومع ذلك، فقد خففت إيران في بعض

(1) As quoted in T. Joscelyn, «Analysis: Al Qaeda's interim emir and Iran,» The Long War Journal, May 18, 2011, http://www.longwarjournal.org/ archives/201105//analysis_al_qaedas_i.php.

(2) V. Brown, «Abu Ghaith and Al Qaeda's Dissident Faction in Iran,» Jihadica, March 11, 2013, http://www.jihadica.com/abu ـ ghaith ـ and ـ al ـ qaidas ـ dissident ـ faction ـ in ـ iran/.

الأحيان من قيودها على أعضاء القاعدة أو حتى أنّها سمحت للبعض بالمغادرة إلى باكستان. صرّح أحد أعضاء القاعدة أنه كانت هناك عدة مراحل من القيود وأنه في النهاية، لم تكن «إقامة جبرية بل ضيافة».[1] وقد حدّدت وزارة الخزانة الأمريكية مرارًا وتكرارًا وحاولت استهداف شخصيات القاعدة المتمركزة في إيران والتي تعمل هناك بدراية النظام الإيراني.[2]

بالإضافة إلى كونهم بمثابة أداة مأجورة في العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران، فقد تم استغلال أعضاء تنظيم القاعدة الذين يعيشون في إيران بنجاح من قبل النظام الإيراني وذلك لضمان حسن السلوك من قبل الحركة الجهادية السنّية الأوسع والتي تُعدُّ معادية لإيران وللشيعة. وكان الظواهري، في مراسلات سريّة مع زعيم تنظيم القاعدة في العراق، قد أكّد على عدم استهداف الشيعة في العراق أو استهداف المصالح الإيرانية لأن إيران كانت تحتجز أكثر من 100 عنصر من أعضاء القاعدة في البلاد وكان هؤلاء الأعضاء عرضةً للضغط الإيراني.[3] أوضَحَ أبو حفص الموريتاني، القيادي البارز في تنظيم القاعدة والذي كان في إيران منذ قرابة عقد من الزمان بعد الحادي عشر من أيلول، أن أعضاء القاعدة وافقوا على عدم تنفيذ هجمات من داخل إيران مقابل الحفاظ على ملاذ وملجأ لهم هناك.[4]

من وجهة نظر تنظيم القاعدة، فإن منطق الحفاظ على علاقة استراتيجية مع إيران وتأمين المساعدة الإيرانية هو أمرٌ مرحّب به. على الرغم من أن تنظيم القاعدة منظمة إرهابية هائلة، إلا أنها تفتقر إلى موارد دولة كبرى مثل إيران. إن امتلاك ميّزة العبور من خلال إيران مفيد بشكل استثنائي في المعارك في العراق وأفغانستان وباكستان. كما أن وجود الملاذ الآمن ضروري جداً بالنسبة لتنظيم القاعدة، حيث يحتاج إلى فترة راحة من جهود الولايات المتحدة وحلفائها المستمرّة لاعتقال وقتل أعضائه.

ومع ذلك، فإن كراهيّة الحركة الجهادية تجاه الشيعة وإيران توفر حافزًا قويًا لكل من

(1) T. Joscelyn, «Treasury Department Identifies another Iran ـ based Facilitator for Al Qaeda,» The Long War Journal, February 6, 2014, http://www.longwar ـ journal.org/archives/201402// treasury_department.php.

(2) Al ـ Zawahiri, «Zawahiri's letter to Zarqawi [English translation]».

(3) Brown, «Abu Ghaith and Al Qaeda's Dissident Faction in Iran».

(4) «Al ـ Zawahiri: 'Iran Stabbed a Knife into the Back of the Islamic Nation;' Urges Hamas to Declare Co,» LiveLeak, December 18, 2007, http://www. liveleak.com/view?i=9a5_1198012243.

إيران والقاعدة للحفاظ على سريّة العلاقة بينهما، حيث أن التنظيم سيعاني إلى حد كبير إذا علم المجنّدين والداعمين المحتملين أن له علاقة وثيقة مع الإيرانيين. في الواقع، في أيار 2014، انتقد تنظيم الدولة الإسلامية الظواهري لقيامه «بالامتثال لأوامر إيران» ـ واعتبار هذا التصرف بمثابة الخيانة القصوى.[1] بالنسبة لإيران، تختلف الحوافز لإبقاء العلاقة سرّية، ولكن لا تقل أهميّة. إنّ العديد من أعداء القاعدة هم دول تريدها إيران كأصدقاء (مثل روسيا) أو على الأقل لا ترغب في المزيد من العزلة عنها (مثل أوروبا). إضافة إلى ذلك، فإن العديد من الإيرانيين يكرهون المجتمع الجهادي السنّي بسبب أقواله وأعماله المعادية للشيعة، وبالتالي، فإن أي تحالف بين حكومتهم والجهاديين السنّة لن يكون مرحّب به في الداخل.

وفقاً لدراسة أُجريت على العديد من الوثائق التي تم الاستيلاء عليها في الغارة التي قتلت بن لادن، فقد وُصفت العلاقة بين إيران والقاعدة بأنها «محفوفة بالمصاعب» و«ليست علاقة تحالف، بل علاقة مفاوضات غير مباشرة ومزعجة تدور حول إطلاق سراح الجهاديين المحتجزين وعائلاتهم».[2] ولكن على الأرجح، ستستمر هذه العلاقة الغريبة في المستقبل المنظور. يتقاسم الطرفان أعداءً وأهدافاً مشتركة، وعلى الرغم من أنّ كلٌّ منهم سيسعى إلى حماية نفسه، إلّا أنّهم سيبقون شركاءً بدافع الحاجة.

هل تدعم المملكة العربية السعودية تنظيم القاعدة سرّاً؟

في تموز 2003، قدّم 191 من أعضاء مجلس النواب الأمريكي مشروع قانون لإدراج المملكة العربية السعودية ضمن القائمة الأمريكية الرسمية للدول الراعية للإرهاب وذلك نتيجة ارتباط المملكة بالقضية الجهادية. ومع ذلك، لاحظ مراقبون آخرون العداوة المميتة بين العائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية، آل سعود، وأسامة بن لادن ـ كما أعلن سفير الولايات المتحدة السابق لدى المملكة العربية السعودية تشارلز فريمان، «يمكنك أن تكون على يقين من أن كلّ عميل لتنظيم للقاعدة موجود على لائحة المطلوبين في السعودية.[3] كلاهما على حق، وكلاهما على خطأ: لقد حصل تنظيم القاعدة على مساعدة

(1) Lahoud et al., Letters from Abbottabad.

(2) As quoted (derisively) in R. Baer, Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude, New York, Three Rivers Press, 2004, p. 202.

(3) L. Beyer, «After 9: SAUDI ARABIA: Inside the Kingdom,» Time, September 15, 2003, http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171,1005663 6,00 ـ html.

كبيرة من الشعب السعودي، إلّا أنّ التنظيم كان معارضاً بشدة للنظام السعودي، وخاصة بعد عام 2003، حيث أصبح النظام السعودي عدوّاً مريراً للتنظيم.

في محاولةٍ منها لإضفاء الشرعية على قيادتها وبسبب إيمانهم الحقيقي بتعاليم الوهابية، جعلت عائلة آل سعود الحاكمة من الدين محوراً لحكمها. تُعتبر الشريعة الإسلامية هي قانون الدولة في المملكة العربية السعودية، كما يحظى المسؤولون الدينيون بتأثير هائل على الحياة اليومية. تعمل الكتب المدرسية في المدارس السعودية على تشويه صورة من هم من غير المؤمنين والغرب بشكل عام وتُمَجِّد الشهادة. على سبيل المثال، ذكرت مجلة التايم أن «كتابًا من الصف الثامن ينصّ على أن الله لَعَن اليهود والمسيحيين وحول بعضهم إلى قرود وخنازير. يتعلم تلاميذ الصف التاسع أن يوم القيامة لن يأتي «حتى يحارب المسلمون اليهود ويقتلونهم». كما أنّ أحد فصول كتاب الصف العاشر يُحذّر المسلمين من إقامة علاقات صداقة مع غير المسلمين قائلاً: «من الإلزامي على المسلمين أن يكونوا مخلصين لبعضهم البعض واعتبار الكفّار أعداءً لهم».[1]

ترتبط السعودية بمجموعة من القضايا الجهادية وقد حظي بعض هذا الدعم بمباركة الولايات المتحدة، كما حدث عندما قدَّم السعوديون المليارات للمجاهدين المناهضين للسوفييت في أفغانستان في الثمانينيات. ساهمت التعبئة الشعبية التي نشأت لدعم الأفغان في تنامي الشعور بالوحدة الإسلاميّة بين السعوديين، كما أنّ الصراعات اللاحقة في كشمير والشيشان والبوسنة وغيرها من مسارح الجهاد، شهدت جميعها دعماً سعودياً وانتقال مقاتلين سعوديين للقتال هناك. قبل الحادي عشر من أيلول، كان ما يقرب من 1000 سعودي في أفغانستان.[2] ولأن شرعيتهم مرتبطة بصورتهم كمناصرين للإسلام، فإن الزعماء السعوديين يخطون بحذر في عالم السياسة الإسلامية ويتردّدون في معارضة القضايا الجهادية.

ومع ذلك، فإن الدعم لتنظيم القاعدة والجماعات المتشابهة في التفكير يأتي من الشعب السعودي، وليس من النظام السعودي. أفادت لجنة الحادي عشر من أيلول أنها «لم تجد أيّ دليل على أن الحكومة السعودية كمؤسسة أو مسؤولين كبار داخل الحكومة السعودية قد

(1) Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia, p. 142.

(2) Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia, p. 142.

موّلوا تنظيم القاعدة».[1] على الرغم من ذلك، قبل 11 أيلول 2001، كان السعوديون يفتقرون إلى نظام الرقابة الماليّة ولم يشرفوا على عمل جمعياتهم الخيرية.

أعلن ديفيد أوفهاوسر، الذي قاد عملية إدارة بوش المشتركة بين الوكالات حول تمويل الإرهاب، في يونيو 2003 أن المملكة العربية السعودية هي «مركز» لتمويل القاعدة [2] وما زالت مهمة اليوم لجماعات مثل الدولة الإسلامية. وحتى عندما لا تذهب الأموال مباشرة إلى أيدي الإرهابيين، فإن النقّاد يهاجمون السعوديين لدعمهم الجمعيات الخيرية والمدارس والمؤسسات الدينية التي تؤيّد شرعيّة الجهاد العنيف والتي تنتقد السياسة الأمريكية والقيم الغربية. إن التبشير من قبل هذه المنظمات يُمكِّن تنظيم القاعدة وحلفائه من جذب المجندين الذين يميلون بالفعل إلى منظور تنظيم القاعدة.

يُعارض تنظيم القاعدة بعنف نظام آل سعود، والذي يعتبره التنظيم نظامًا مرتدّاً ويسعى للإطاحة به. ولكن على الرغم من الآراء القوية المناهضة للنظام، فإن التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة بالفعل للعائلة المالكة بدا محدوداً للغاية لسنوات عديدة، وخاصة في نظر القادة السعوديين. بدأت سلبيّة نظام آل سعود في مواجهة الدعم الشعبي للقضايا المتطرفة في التغير بعد هجمات 11 أيلول. مع تسليط الضوء على المملكة العربية السعودية في أعقاب الهجمات (ذلك لأن 15 من الخاطفين الـ 19 كانوا سعوديين وكان بن لادن في السابق مواطنًا سعوديًا)، بدأ نظام آل سعود في الابتعاد عن العديد من القضايا التي كان قد احتضنها من قبل. ومع ذلك، لم تواجه المملكة بعد خصومها الإسلاميين بقوّة، ولا يزال بعض كبار السعوديين ينكرون أن المملكة لديها مشكلة مع تنظيم القاعدة.

تصاعدت الحملة على تنظيم القاعدة بشكل كبير بعد أن أنشأ التنظيم مجموعةً تابعة له مقرها السعودية والتي قامت بشنّ هجمات داخل المملكة العربية السعودية نفسها. في 12 أيار 2003، شن مقاتلوا القاعدة هجمات متعددة على مجمّعات تضم الشخصيّات الأمنية

(1) «Overview of the Enemy,» National Commission on Terrorist Attacks upon the United States, June 16, 2004, p. 10, http://www.9 11 _commission.gov/ archive/hearing1211 _ 9/Commission_ Hearing_2004 16 _ 06 _.htm.

(2) Quoted by S. M. Collins in opening statement, «An Assessment of Current Efforts to Combat Terrorism Financing,» US Senate Committee on Governmental Affairs, June 15, 2004, http:// www.gpo.gov/fdsys/pkg/ CHRG 108 _shrg95189/html/CHRG 108 _shrg95189.htm.

الأمريكية ممّن يعيشون في المملكة، مما أسفر عن مقتل 34 منهم. وتبع ذلك هجمات أخرى، كما خاض تنظيم القاعدة العديد من المعارك بالأسلحة النارية مع قوات أمن النّظام التي تطاردهم.

رداً على هذا الارتفاع الملحوظ في العنف الإرهابي داخل المملكة، حسَّنت المملكة العربية السعودية قدراتها الاستخباراتية وعزّزت القوات شبه العسكرية التي تلاحق تنظيم القاعدة. كما أنشأت المملكة برنامج العفو لتشجيع المقاتلين على الانشقاق وعملت مع الدعاة المؤثرين لإقناع المقاتلين بإلقاء أسلحتهم. كانت المؤسسة الدينية السعودية تنتقد المتطرّفين بشدّة لمهاجمتهم إخوانهم المسلمين، على عكس الهجمات السابقة التي استهدفت الأميركيين في المقام الأول. حتى أنّ مثيري الفتنة السابقين مثل سفر الحوالي وسلمان العودة ـ وهم شيوخ كان بن لادن نفسه قد أشاد بهم في أوائل التسعينيات ـ أدانوا هجمات أيار 2003. كما قامت المملكة بعرض مسلحين تائبين على شاشات التلفزيون، مستخدمين قصصهم في تشويه قضية تنظيم القاعدة بالإضافة إلى عرض صور لأطفال موتى وتقارير عن مؤامرات لمهاجمة المساجد وذلك لتدمير الصورة البطولية التي حاول مقاتلو القاعدة زرعها. على الصعيد المالي، زاد السعوديون من تنظيمهم للتحويلات غير الرسمية للأموال، وحَسّنوا من مسؤولية إدارة الأموال، وزادوا من الحظر على التبرعات الخيرية خارج المملكة. بحلول نهاية عام 2005، تم سحق التمرّد الضعيف الذي رعاه تنظيم القاعدة في المملكة.

لسوء الحظ، لا تزال المملكة العربية السعودية دولة نامية حيث غالبًا ما يسود عدم الكفاءة بدلاً عن التميّز. لا تزال الرقابة على العطاء الخيري غير مكتملة، كما لم يتم التحقّق من العديد من مبادرات المملكة الجديدة. ولم تعالج المملكة العربية السعودية القضية المعقّدة المتمثلة في الدعاة والمؤسسات المُتطرّفة الذين نشروا التعصُّب الديني، ولم تقم المملكة أيضاً بأي محاولة قويّة لمنع الجهاديين الذين لا يهددون المملكة بشكل مباشر. لذا في حين أن الحكومة السعودية تستهدف القاعدة، فإن مواطنيها ما زالوا يلعبون دورًا مهمًا كمجندين وممولين للمنظمات الجهادية.

لماذا تدعم باكستان الإرهابيين؟

عندما انفصلت باكستان والهند في عام 1947، أثار الزعماء الباكستانيون حملة دينية واستخدموا متشددين يعملون سراً لمنع ولاية كشمير، المتنازع عليها بين البلدين الجديدين

(ومن جانب كشميريين يرغبون في الاستقلال عن كليهما)، من الانضمام إلى الاتحاد الهندي. لقد أدّت محاولة باكستان إلى نتائج عكسية دفعت المهراجا حاكم كشمير إلى الميول للجانب الهندي. على الرغم من هذا الدرس، ستستخدم باكستان الجماعات المتشددة مراراً وتكراراً كأداة للسياسة الخارجية على مدار السبعين عامًا القادمة، على أمل أن تعزز هذه الجماعات شرعية الحكومة في الداخل مع منحها إمكانية الانكار المقبول في الخارج.

تُهيمن الهند على تفكير الأمن القومي للدولة الباكستانية. يزعم الخبير الباكستاني سي. كريستين فير أن «مخاوف باكستان من الهند تاريخية وعصبيّة ووجودية للغاية».[1] ـ ومع مرور الوقت، تفوقت الهند على باكستان عسكريًا واقتصاديًا، مما زاد من اعتماد باكستان على الجماعات المسلحة افتراضيًا. خاض العدوان عدة حروب منذ عام 1947، وبدأت المرحلة الأخيرة من النزاع بعد اندلاع الاضطرابات في كشمير في عام 1989. دعمت باكستان مرة أخرى المتمردين هناك واستخدمت في النهاية الجماعات الجهادية مثل «جيش محمد» و«لشكر طيبة»، و«حركة الجهاد الإسلامي». وقد دعمت الحكومات المدنية والعسكرية في باكستان هؤلاء المتشدّدين.

تُعدُّ الجماعات المدعومة من باكستان مسؤولةً عن بعض أسوأ الهجمات على الهند، وخاصة هجوم جماعة لشكر طيبة في كانون الأول 2001 على البرلمان الهندي وهجومها في عام 2008 على الفنادق التي كانت تحتضن الغربيين، ومركز الجالية اليهودية، وغيرها من الأهداف في مومباي التي قتلت أكثر من 160 شخص. في عام 1999، عمل الجيش الباكستاني مع مسلحين للاستيلاء على ممرات رئيسة في منطقة كارجيل على الجانب الهندي من «خط السيطرة» (الحدود الفعلية بين الهند وباكستان) في كشمير. وجد بروس رايدل، خبير في شؤون الإرهاب وباكستان، أن الهجمات الإرهابية وأزمة كارجيل كادت أن تؤدي إلى رد عسكري هندي هائل، كان يمكن أن يتصاعد إلى حرب شاملة ـ وهو احتمال مرعب، لأن كلا البلدين يمتلكان القوة النووية.[2] ليست مثل هذه الهجمات شيئًا من الماضي وحسب:

(1) C. C. Fair, «Time for Sober Realism: Renegotiating U.S. Relations with Pakistan,» The Washington Quarterly, vol. 32, no. 2, April 2009, p. 160.

(2) For a review of the nuclear risk, especially as it relates to terrorism, see B. Riedel, Avoiding Armageddon: America, India, and Pakistan to the Brink and Back, Washington, DC, Brookings Institution Press, 2013.

حيث تقوم جماعة لشكر طيبة بانتظام وبالتعاون مع المخابرات الباكستانيّة بتنفيذ الهجمات على أهداف هندية، وتعطيل التحركات نحو السلام والسعي لإثارة رد من الجانب الهندي.[1] ومع ذلك، فإن هدوء الهند النسبي غير دائم، وهجوم آخر على المنشآت الهندية في الخارج أو المواقع الحساسة داخل الهند قد يشعل حربًا كبرى.

على الرغم من أن الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الباكستانية قد عملت مع هذه المجموعات مباشرة، إلا أن مستوى السيطرة غالبًا ما يختلف. وفقًا للباحث والمسؤول الأمريكي السابق آشلي تيليس، تتمتع المخابرات الباكستانية بحريّة كبيرة عند تخطيط العمليات وعادة ما تمنح عملاءها درجة عالية من الحريّة العملية. على الرغم من أن سياسة الدولة يتم وضعها من قِبل المسؤولين رفيعي المستوى، لكن غالبًا ما يتم التحكم في التنفيذ بعيداً عن سلطة القيادة.[2] كما أن الاستخبارات الباكستانية تستعين ببعض الدعم، بما في ذلك جمع الأموال، وتجنيد العملاء وحتى تدريب العديد من الجماعات الإسلامية المحلية. إنّ المنظمات المحلية القوية مثل جماعة علماء الإسلام والجماعة الإسلامية التي تسعى إلى أسلمة باكستان لديها أيضا الجماعات المسلحة المفضلة لديهم. كما يعمل القادة الباكستانيون مع الجماعات الطائفية بوضوح، مثل جماعة سباه سهابة أو(جيش الصحابة) الباكستانية المعادية للشيعة في مقابل دعمهم السياسي. تشترك هذه المجموعات في معاداة باكستان للهند، لكنها تنشر أيضًا الأفكار الجهادية ـ الحاجة إلى محاربة الظالمين الأجانب، وعدم شرعية الحكومات العلمانية، وواجب الشباب في تبنّي الجهاد ـ التي يناصرها تنظيم القاعدة أيضاً. (أعلم أن عدد المجموعات المعنية أمر مربك للقارئ، لكن ذكر الأشياء بمسمياتها يمنحنا شعوراً بمدى تعقيد وحجم الجهود الباكستانية.)

إن سياسات باكستان في أفغانستان مستمدة من الخوف النابع من الجانب الهندي: حيث تخشى باكستان أن تتعاون الحكومة المعادية في كابول مع الهند، في حين أن حكومة صديقة

(1) B. Riedel, «Tensions Rising Dangerously in South Asia,» The Daily Beast, October 19, 2014, http://www.brookings.edu/research/opinions/2014_ 19 /10/ tensions _ rising _ dangerously _ south _ asia _ riedel.

(2) A. J. Tellis, Pakistan and the War on Terror: Conflicted Goals, Compromised Performance, Washington, DC, Carnegie Endowment for International Peace, 2008, p. 18, http:// carnegieendowment.org/files/tellis_pakistan_ final.pdf.

ستساعد في تدريب الجنود، وتوفر عمقًا استراتيجيًا في حالة نشوب حرب، وتساعد على خلاف ذلك في العمليات ضد الهند. تحقيقًا لهذه الغاية، قامت باكستان بإنشاء حركة طالبان وساعدتها على التغلغل أفغانستان قبل أحداث 11 أيلول. بسبب الدعم الباكستاني العميق لطالبان ـ ودعم طالبان للقضايا الجهادية ـ بادرت طالبان عقب الإستيلاء على السلطة، لتوفير الدعم للمقاتلين المدعومين من باكستان الذين يقاتلون في كشمير.

في أعقاب أحداث 11 أيلول، انقلبت باكستان على تنظيم القاعدة وغيره من الجهاديين الأجانب وحاولت (مؤقتًا) تقييد أنشطة عدة مجموعات أخرى من أجل تجنب غضب أمريكا. في الوقت نفسه، بقيت باكستان على مقربة من حركة طالبان الأفغانية ومن تلك الجماعات التي اعتبرتها«جهاديين حقيقيين»، مثل لشكر طيبة، التي تساعدها في محاربة الهند في كشمير.[1] بعض هذه العلاقات مفيدة من وجهة نظر باكستان.: حيث أنّ القوات الأمريكية بدأت في التناقص بشكل كبير في عام 2015، وستلعب طالبان دوراً رئيساً في مستقبل البلاد ـ وهو واقع مؤلم أقره القادة الأفغان، بمن فيهم أشرف غني، الذي أصبح رئيسًا لأفغانستان في عام 2014. تعمل المخابرات الباكستانية مع الجماعات الإسلامية في باكستان التي تدير مدارس دينية، حيث يعملون معاً على جمع الآلاف من المجندين، بمن فيهم الانتحاريون، لمساعدة طالبان في قتالها ضد الولايات المتحدة والحكومة المدعومة من الولايات المتحدة في كابول.[2]

بغضّ النظر عن الخطر الذي يشكله هذا على الولايات المتحدة، فإن المشكلة بالنسبة لباكستان هي تشابك الجهاديين «الجيدين» و«السيئين»: تسعى بعض الجماعات التي تشترك في أهداف باكستان في الهند وأفغانستان إلى إقامة دولة إسلامية في باكستان نفسها ودعم القاعدة.[3] على الرغم من أن جماعة لشكر طيبة ظلت موالية للدولة الباكستانية، إلا أن

(1) C. C. Fair and S. G. Jones, «Pakistan's War Within,» Survival: Global Politics and Strategy, vol. 51, no. 6, 2009, p. 162.

(2) «Afghanistan: Crisis of Impunity: The Role of Pakistan, Russia, and Iran in Fueling the Civil War,» Human Rights Watch, vol. 13, no. 3, July 2001, http:// www.hrw.org/reports/2001/afghan2/Afghan0701.pdf.

(3) S. Shah, «Pakistan Moves to End Policy on 'Good Taliban',» Wall Street Journal, December 21, 2014, http://www.wsj.com/articles/pakistan ـ moves ـ to ـ end ـ policy ـ on ـ good ـ taliban 1419013453 ـ.

متطرفين آخرين انقلبوا عليها، وزرعوا الدمار في باكستان نفسها من خلال تفجيرات انتحارية وهجمات على أهداف عسكرية وحكومية (غالباً ما يتم تحديدها بشكل إجرامي لتشمل المدارس حيث يتم تعليم عوائل الجيش). ينتقد العديد من المتشددين الباكستانيين بشكل خاص تعاون باكستان مع الولايات المتحدة ضد القاعدة ويرون أن الحكومة نفسها تشكّل نظاماً مرتدّاً على الرغم من إعلانها على أنها حكومة مكوّنة من المسلمين ومن أجلهم. في عام 2007، تجمّع عدد من أكثر الفصائل رفضًا تحت لواء حركة طالبان الباكستانية (لا يتم الخلط بينها وبين حركة طالبان الأفغانية)، لكنهم ظلوا منظمين بشكل عشوائي. بدأت بعض هذه الجماعات المناهضة للدولة بمهاجمة الأقليات الدينية الباكستانية مثل المسلمين الشيعة والهندوس والسيخ والمسيحيين والأحمديين (جماعة منشقة مسلمة) وحتى بارلفيس، وهي حركة سنيّة متأثرة بالصوفيين ينتمي إليها معظم الباكستانيين ولكن الجهاديين المتشددين يعتبرونها حركة مُرتدّة. انتشر العنف في جميع أنحاء البلاد، حيث تعرضت مناطق أساسية مثل البنجاب لهجمات متكرّرة. قُتِل المئات في هذه الهجمات، وفي عام 2014، أعلن مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) باكستان كواحدة من أكثر دول العالم عدائية للأقليات الدينية.[1]

لقد حاربت الحكومة الباكستانية هؤلاء الجهاديين المناهضين للدولة، لكنها كانت تُهزم. نشرت باكستان عشرات الآلاف من القوات في العشرات من العمليات الهامّة، وعلى الرغم من أنّ هذه القوّات كانت في بعض الأحيان تبسط سيطرتها على بقعةٍ ما، إلا أنها غالبًا ما لم تستطع الإبقاء على هذه السيطرة، مما سمح للمتشددين بالعودة وإعادة التجمع. كان الجيش وحشيًا في عملياته ـ فقد تبين من أحد التحقيقات التي أجريت حول عملية في جنوب وزيرستان (منطقة من باكستان تقع في الشمال بالقرب من الحدود الأفغانية) أنه تم نزوح حوالي 200000 من السكان المحليين؛ كما تم تهجير الملايين في عمليات ضمن منطقة سوات المكتظة بالسكان.[2] عززت هذه العمليات دائرة العنف، حيث أصبحت التفجيرات الانتحارية والاغتيالات أكثر شيوعًا مع انتقام المسلحين وسعيهم إلى إضعاف الدولة. لجأت

(1) J. Kaleem, «Religious Minorities in Islamic Pakistan Struggle But Survive Amid Increasing Persecution,» Huffington Post, February 10, 2014, http://www.huff ـ ingtonpost. com/201410/02//religious ـ minorities ـ pakistan_n_4734016.html.

(2) Fair and Jones, «Pakistan's War Within,» pp. 174, 177.

الحكومة الباكستانية في بعض الأحيان إلى النهج المُهين المتمثل في منح الجماعات المسلحة ملاذاً في منطقة ما لإقامة وقف لإطلاق النار، الأمر الذي ساعد فقط على إضعاف مصداقية الحكومة. ومما كان مصدر قلق كبير للجيش أيضاً أن المتطرفين نجحوا بالوصول إلى صفوف الجيش والشرطة.[1] بالإضافة إلى ذلك، تقوم الجماعات المتطرّفة بمهاجمة الأهداف الهندية باستمرار، ممّا يخلق شعوراً من عدم الثقة ونسف الجهود التي يبذلها رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف وغيره لإحداث تقارب مع الجانب الهندي.[2]

منذ أحداث الحادي عشر من أيلول، توفي أكثر من 4000 جندي باكستاني في قتال المسلحين، أي ضعف عدد القتلى من قوات حلف شمال الأطلسي والقوات الأمريكية في أفغانستان. في نفس الفترة الزمنية، يزعم الإعلام الباكستاني أن باكستان فقدت أكثر من 40,000 مواطن بسبب العنف الجهادي ـ وهذا بالتأكيد أمر مبالغ فيه، لكن الأرقام الحقيقية بالتأكيد مرتفعة للغاية.[3] في النهاية، كانت باكستان، أكثر من أي من أعدائها، هي من دفعت الثمن الأعلى نتيجة الدعم الباكستاني للإرهاب.

ما العلاقة بين باكستان وتنظيم القاعدة؟

إنّ علاقة باكستان بالقاعدة معقدة ومتناقضة. فمن ناحية، تخوض باكستان حربًا مع القاعدة وحلفائها ـ حرب أسفرت عن مقتل الآلاف من الباكستانيين وساعدت في إضعاف

(1) D. Walsh, «Pakistan army officer held over suspected Hizb ut ـ Tahrir links,» The Guardian, June 21, 2011, http://www.theguardian.com/world/2011/ jun/21/pakistan ـ army ـ officer ـ hizb ـ ut ـ tahrir; K. Brulliard, «Pakistani mili ـ tary worried about collaborators,» Washington Post, May 27, 2011, http:// www.washingtonpost.com/world/pakistani ـ military ـ worried ـ about ـ collaborators ـ in ـ its ـ ranks ـ officials ـ say 27/05/2011 ـ/AGgN1oCH_story. html?hpid=z1; S. Rotella, «Terror Group Recruits From Pakistan's 'Best and Brightest',» ProPublica, April 4, 2013, http://www.propublica.org/article/ terror ـ group ـ recruits ـ from ـ pakistans ـ best ـ and ـ brightest.

(2) Riedel, «Tensions Rising in South Asia».

(3) Y. Trofimov, «In Its Own War on Terror, Pakistan Piles Up Heavy Losses,» Wall Street Journal, March 10, 2014, http://online.wsj.com/news/articles/SB1 0001424052702304691904579348820227129270; M. Raja, «Pakistani Victims: War on Terror Total Put at 49,000,» The Express Tribune with the International New York Times, March 27, 2013, http://tribune.com.pk/story/527016/ pakistani ـ victims ـ war ـ on ـ terror ـ toll ـ put ـ at 49000 ـ/.

جوهر القاعدة. من ناحية أخرى، عملت باكستان بشكل غير مباشر، وأحيانًا بشكل مباشر، على تحريض تنظيم القاعدة وذلك من خلال تقوية الحركة الجهادية الأوسع كجزء من نزاعها مع الهند. مكّنت هذه السياسات المتناقضة القاعدة من البقاء وفي بعض الأحيان مكّنت التنظيم من الازدهار في باكستان.

خلال الحرب ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، كانت باكستان هي التي صرفت الأموال الأمريكية والتي كانت تتحكم في تدفق المساعدات للمجاهدين. كما أشار العميد محمد يوسف، الذي ترأّس المخابرات الباكستانية في منتصف الثمانينيات، أنّه «على الرغم من أنهم [الأمريكيون] دفعوا الأموال، إلا أنه لم يكن لهم حقّ التصرّف بها. كانت القاعدة الأساسية لسياسة باكستان هي عدم مشاركة أي أمريكي في توزيع الأموال أو الأسلحة بمجرد وصولهم إلى البلاد. لم يُدرِّب أي أميركي على الإطلاق أو كان على اتصال مباشر بالمجاهدين ولم يذهب أي مسؤول أمريكي إلى داخل أفغانستان».[1]

قبل الحادي عشر من أيلول، ربما كانت باكستان بنفس أهمية أفغانستان بالنسبة للقاعدة، فقد كانت مدينة بيشاور الباكستانية، بعد كل شيء، هي المكان الذي تأسّس فيه تنظيم القاعدة في عام 1988. احتفظ تنظيم القاعدة ببيوت الضيافة ومعسكرات التدريب في باكستان. غالبًا ما كانت معسكرات التدريب في أفغانستان تحت حكم طالبان، والتي تديرها القاعدة، تدرّب المقاتلين الباكستانيين الذين يقاتلون في كشمير أيضًا، ورأت المجموعات المختلفة في مقاتلي القاعدة رفاقًا في الصراع الأكبر. سمحت الحكومة الباكستانية، المدنية والعسكرية على حد سواء، لتنظيم القاعدة وما يسمى بالعرب الأفغان بالحفاظ على وجودهم مع مرور العقد، على الرغم من أن هذا الوجود يتزايد ويتناقص بناءً على الضغط الخارجي واحتياجات الحكومة الباكستانية في الوقت الراهن. ربما كانت باكستان على علم بعودة بن لادن إلى أفغانستان في عام 1996 وربما سهلت ذلك أيضاً.[2]

في باكستان، أكثر من أي بلد آخر، يُعتبر فهم الروابط بين القاعدة والجماعات المتشابهة في التفكير أمراً ضرورياً. وُلد تنظيم القاعدة ونما وأصبح قوياً وسط بيئة جهادية داعمة. جاء معظم هذا الدعم من خلال الجماعات المتشددة المحلية الباكستانية والجماعات الجهادية

(1) Bergen, Holy War, Inc., p. 66.

(2) «The 911/ Commission Report,» p. 64.

التي دعمتها باكستان في معركتها ضد الهند، وليس بشكل مباشر من قبل النظام الباكستاني. لم يكن لدى تنظيم القاعدة (ولا يزال لا يملك) منظّمة باكستانية تابعة له، ولكن كما تزعم سي كريستين فير، «يعتمد التنظيم على شبكة من العلاقات الاستخباراتيّة مع مجموعات مقرها في باكستان» وذلك من أجل الحصول على المساعدة في العمليات داخل وخارج باكستان.[1] كما وجد الباحث زاهد حسين، أنّ «الجماعات العسكرية الباكستانية قدّمت للقاعدة الدعم اللوجستي والمنازل الآمنة والوثائق المزيفة وأحياناً القوى البشريّة».[2]

بعد سقوط طالبان في كانون الأوّل 2001، هرب جزء كبير من قياديي القاعدة إلى باكستان، حيث استقرّ البعض منهم في مدن باكستان الرئيسة. كان كلٌّ من خالد شيخ محمد، العقل المدبر لأحداث 11 أيلول، وعمر شيخ، الإرهابي البريطاني الباكستاني، قد اختبأوا في كراتشي، حيث اختَطَفوا وقتلوا الصحفي الأمريكي دانييل بيرل؛ كما قام متشددون آخرون بقصف فندق شيراتون وقتلوا مقاولين دفاعيين أمريكيين. استقرت شخصيات أخرى للقاعدة في مدن مثل كويتا وروالبندي، وبالطبع انتهى المطاف ببن لادن في أبوت آباد.

واجه القادة الباكستانيون معضلة بعد 11 أيلول: حيث كانوا حائرين في كيفية الاستمرار في استخدام الجماعات الجهادية لمحاربة الهند، واسترضاء الجماعات المحلية الرئيسة، وتشكيل السياسة الإقليمية، وفي الوقت ذاته، التعاون مع الولايات المتحدة في «الحرب على الإرهاب» وذلك لكسب الرضا والدعم الأمريكي (وتجنب غضب أمريكا في مزاج لا يتسامح مع المعارضة الباكستانية المفتوحة). حاولت باكستان فعل المستحيل: حيث حافظت على دعم بعض الجماعات المسلحة، وخاصة تلك التي تركز على الهند، لكنها سمحت للولايات المتحدة بتزويد قوات الولايات المتحدة وحلف الناتو في أفغانستان عبر باكستان ومنحت الولايات المتحدة حقوق العبور والطيران فوق أراضيها. قاتلت باكستان أيضًا تنظيم القاعدة والجماعات الأوزبكية التي يسيطر عليها العرب، حيث شنّت القوات الباكستانيّة عملياتٍ أدت إلى اعتقال أو مقتل العديد من شخصيّات القاعدة. في الواقع، خلال السنوات التي أعقبت الحادي عشر من أيلول مباشرة، كانت كل عملية اعتقال كبرى تقريبًا لشخصية في تنظيم

(1) C. C. Fair, «Militant Recruitment in Pakistan: Implications for Al Qaeda and Other Organizations,» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 27, 2004, p. 489.

(2) Z. Hussain, Frontline Pakistan: The Struggle with Militant Islam, New York, Columbia University Press, 2007, p. 122.

القاعدة، بمن في ذلك خالد شيخ محمد، ورمزي بن الشيبة، وشريب أحمد، تتم بمساعدة من الحكومة الباكستانية.

قادت هذه الموجة المستمرة من الاعتقالات ـ والتي شملت أكثر من 300 اعتقال في السنوات الخمس الأولى بعد 11 أيلول ـ تنظيم القاعدة إلى الهجرة إلى المناطق القبلية الخاضعة للإدارة الفيدرالية (FATA) وغيرها من المناطق النائية في باكستان. تعد منطقة FATA منطقة نائية تتمتع بحكم شبه ذاتي على الحدود بين باكستان وأفغانستان مع جبال شاهقة وممرات ضخمة وسكان متفرقون ميّالون إلى الشكّ في الحكومة ويتعاطفون بشكل عام مع الجهاديين. واصل أعضاء تنظيم القاعدة القتال هناك إلى جانب عدة مئات من العرب وغيرهم من الشعوب التي تبنّت أهداف وإيديولوجية القاعدة. تعاون هؤلاء المقاتلون بدورهم، وغالبًا ما تزاوجوا، مع القبائل الباكستانية المحلية التي كانت لها أجنداتها المناهضة للحكومة والمناهضة للغرب أيضاً.

واصل تنظيم القاعدة المركزيّ تنفيذ الهجمات في الغرب وضد أهداف في أماكن أخرى من العالم انطلاقاً من ملاذه الآمن نسبياً في المناطق القبلية. وجد الباحثان بروس هوفمان وفرناندو ريناريس في دراستهما لنشاط القاعدة في العقد الذي تلا 11 أيلول، أن التنظيم المركزي «بدا له ضلوع مباشر في العمليات الأكثر أهمية والتي يحتمل أن تكون ذات مردود مرتفع».[1] كان البعض من أهم العمليات بعد 11 أيلول، مثل هجمات 7 تموز 2005 التي وقعت في لندن، قد انطلقت من باكستان، وتضمّن العديد من هذه العمليات مشاركة تنظيم القاعدة المركزي الذي يعمل مع الجماعات المسلحة المتمركزة في باكستان. كما يشارك تنظيم القاعدة في تدريب محدود وتقديم العون لحركة طالبان الأفغانية في قتال القوات الحكومية الأمريكية والأفغانية.

عندما تم العثور على بن لادن وقتلِه في أبوت آباد، المدينة الهادئة في باكستان حيث كان يعيش في مجمّع سكني بالقرب من الأكاديمية العسكرية الباكستانية، تساءل الكثيرون عمّا إذا كانت أجهزة الاستخبارات الباكستانية غير كفؤة أو أنها وتنظيم القاعدة كانوا في حالة سبات. من الصعب الحصول على تفاصيل محددة حول دور باكستان. ومع ذلك، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن بن لادن تواصل باستمرار من مخبأه في أبوت آباد مع الملا عمر،

(1) Hoffman and Reinares, «Conclusion,» p. 618.

زعيم طالبان، وحافظ محمد سعيد مؤسس جماعة لشكر طيبة، وكلاهما يعملان عن كثب مع المخابرات الباكستانية وبالتالي من المرجح أن يكونوا تحت حماية ومراقبة المخابرات الباكستانية. بالإضافة إلى ذلك، قيل إن الأمن الباكستاني رافق بن لادن خلال اجتماعات مختلفة مع مساعديه في أماكن أخرى في باكستان. أخيرًا، ذكر التقرير أن المخابرات الباكستانية نفسها كان لديها ضابط خاص مُكلَّف بالسيطرة على بن لادن، وأنّ كبار المسؤولين العسكريين الباكستانيين كانوا على درايةٍ بذلك.(1)

باءت محاولة باكستان بتحجيم القاعدة بالفشل، حيث أنّ مجموعة المنظمات الجهادية التي يقال إنها تدعمها باكستان ضد الهند تناصر إيديولوجية تنظيم القاعدة، وتوفر لها ملاذاً، وتساعد في التدريب، وتعزز من وجود التنظيم، مما يُضعف جهود إسلام أباد الموجّهة ضد التمظيم. في الواقع، أحبطت باكستان جميع الأطراف عبر محاولاتها المستمرّة في إرضاءهم: حيث أصبحت الجماعات الجهادية تنشط أكثر فأكثر ضد الدولة والمجتمع الباكستانيين، في حين أن المؤيدين الخارجيين مثل الولايات المتحدة أصبحوا يشكّكون في التزام الدولة الباكستانية بمكافحة الإرهاب. وكما يؤكد فير، أنّ «أكبر عوائق» إنقاذ باكستان «هي نوايا الدولة الباكستانية نفسها ومصالحها ورؤيتها الاستراتيجية».(2)

لماذا لا تتعاون باكستان بشكل أكثر مع الولايات المتحدة الأمريكية؟

لم تُعر الولايات المتحدة اهتماماً للوضع الباكستاني إلّا بعد فوات الأوان. تم تجاهل باكستان إلى حد كبير في التسعينيات، وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول، كان تعاون إسلام أباد الأولي ضد تنظيم القاعدة يبدو وكأنّه محاولة لباكستان لفتح صفحة جديدة. أدركت واشنطن ببطء أن باكستان كانت لا تزال تلعب على كلا الجانبين، لكنها لم تدفع باكستان بقوة للعمل ضد طالبان الأفغانية حتى عام 2007، على الرغم من أن حركة طالبان الأفغانية استخدمت باكستان كقاعدة لشن هجمات على القوات الأمريكية في أفغانستان، كما أنّ قيادة حركة طالبان تتخذ مقرّاً لها في باكستان.

(1) C. Gall, «What Pakistan Knew about Bin Laden,» New York Times, March 19, 2014, http://www.nytimes.com/201423/03//magazine/what ـ pakistan ـ knew ـ about ـ bin ـ laden.html?_r=0.

(2) Fair, «Time for Sober Realism,» p. 154.

لقد ضخت الولايات المتحدة مليارات الدولارات في جهود باكستان لمكافحة الإرهاب: في السنة المالية 2000، منحت الولايات المتحدة باكستان أقل من 40 مليون دولار؛ بعد 11 أيلول حتى السنة المالية 2013، ارتفع إجمالي المساعدات المقدمة لباكستان إلى حوالي 30 مليار دولار، مما يجعل باكستان ثاني أكبر متلقٍ للمساعدات الأمريكية بعد أفغانستان.[1] وهذا الرقم لا يشمل المساعدات السرية، وذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز في عام 2009 أن وكالة الاستخبارات المركزية قدّمت مئات الملايين للمخابرات الباكستانية، حيث موّلت ما يُقارب ثلث ميزانيتها.[2] ذهب الكثير من الأموال لشراء معدات عسكرية تقليدية للصراع المستمر مع الهند، وبالتالي لم يتم الاستفادة منها في مساعدة باكستان في محاربة القاعدة أو الجهاديين الآخرين. قام المسؤولون الفاسدون باختلاس جزء كبير من المساعدات، وبالتالي، ولم تُطوِّر هذه الأموال من قدرة باكستان على محاربة الإرهاب.

على الرغم من هذا الضخّ النقدي، لا تزال باكستان تنتقد الولايات المتحدة، حيث تعمل الحكومة الباكستانية على غرس الفكر المعادي لأمريكا في البلاد. تطول قائمة المظالم الباكستانيّة: حيث تدّعي الحكومة أن الولايات المتحدة قطعت السلاح مرارًا وتكرارًا عن باكستان في لحظات حاسمة من تاريخ البلاد، وبصورة عامة، تخلت عنها عندما تحولت المخاوف الأمنية في اللحظة الراهنة. بالإضافة إلى ذلك، كانت الولايات المتحدة ميّالة إلى الهند بشكل واضح، وذلك نظراً إلى دور الهند الاقتصادي والسياسي الأكبر والأكثر أهميّة بالنسبة إلى العالم. بعد الحادي عشر من أيلول، عملت الولايات المتحدة أيضًا مع التحالف الشمالي المناهض لطالبان، والذي اعتبرته باكستان وكيلًا للهند في أفغانستان، ولم تفعل واشنطن الكثير لمعالجة مخاوف باكستان بشأن كشمير.

دفعت المؤسسة الأمنية الباكستانية إلى اتباع نظام ثابت من العداء لأمريكا، مما أدى إلى تضخيم أعداد الضحايا من جراء الغارات وإلقاء اللوم على الولايات المتحدة في العديد من مشاكل البلاد. لدى الباكستانيين عمومًا غضب وانعدام ثقة تجاه الولايات المتحدة أكثر

(1) Figures from «Direct Overt U.S. Aid Appropriations for and Military Reimbursements to Pakistan, FY 2002–FY 2015,» Congressional Research Service, http://www.fas.org/sgp/crs/row/pakaid.pdf.

(2) G. Miller, «CIA Pays for Support in Pakistan,» Los Angeles Times, November 15, 2009, http://articles.latimes.com/2009/nov/15/world/fg ـ cia ـ pakistan15.

من غضبهم تجاه تنظيم القاعدة.[1] ونتيجة لذلك، تحظى أجندات الجماعات المسلحة مثل القاعدة بمزيد من الدعم، بينما تُعتبر الجهود الأمريكية لمكافحة الإرهاب غير شرعيّة.

ما مدى أهميّة إسرائيل؟

لطالما كان تنظيم القاعدة معارضاً لوجود إسرائيل كما قام في بعض الأحيان بمهاجمة ما اعتبرهُ أهدافًا يهودية وإسرائيلية. ومع ذلك، لم تكن الدولة اليهودية من أولويات القاعدة أبدًا، وقد أثبتت إسرائيل فائدتها للقاعدة كغطاء إعلامي أكثر من كونها عدو فعلي.

يرفض تنظيم القاعدة وجود إسرائيل كغيره من الجماعات الإسلامية المتطرفة في الشرق الأوسط التي تشاركهُ هذا الرفض أيضاً وتتعاطف مع مِحنة الفلسطينيين. غالبًا ما تكون دعاية التنظيم الإعلامية معادية لليهود بشكل كبير، حيث تُصوِّر القضية بعبارات وجودية: حيث أعلن بن لادن قائلاً: «إن العداوة بيننا وبين اليهود تعود إلى زمن بعيد وتتجذر بعمق. لا شك في أن الحرب بيننا لا مفر منها».[2] يعتبر تنظيم القاعدة إسرائيل خنجرًا مغروساً في قلب المجتمع الإسلامي وأكثر من مجرّد «قاعدة عسكرية أمريكية ضخمة».[3] بالنسبة لتنظيم القاعدة، يُعتبر وجود الدولة اليهودية دليل واضح على أن الولايات المتحدة والغرب يريدون السيطرة على أراضي المسلمين.

على الرغم من ذلك وبعكس العديد من الجماعات الإرهابية المعروفة في الشرق الأوسط ـ مثل حزب الله وحماس ـ لا يعتبر تنظيم القاعدة إسرائيل أولوية له. بدلاً من ذلك، عمل تنظيم القاعدة فقط على تصوير إسرائيل كجزء من معركته ضد أمريكا: إسرائيل هي «طفل مدلل» لأميركا، وعلى العكس من ذلك، الأمريكيون عبيد اليهود، ويساعدون إسرائيل على البقاء والتوسع.[4] عندما كان تركيزه الحصري على الإطاحة بالنظام الفاسد في مصر وقبل أن يكون قائداً لتنظيم القاعدة، تعرّضَ أيمن الظواهري لضغوط من الإسلاميين الآخرين، بما

(1) Fair, «Time for Sober Realism,» p. 149.

(2) «Interview: Osama Bin Laden».

(3) Al ـ Zawahiri, Knights Under the Prophet's Banner.

(4) G. Kahn, «Al Qaeda Says No Recognition for 'Alleged' Israel,» Israel National News, June 16, 2011, http://www.israelnationalnews.com/News/News. aspx/144994#.U6MeYPldUeA; «Interview: Osama Bin Laden».

في ذلك زعيم الجهاد الإسلامي الفلسطيني، وذلك لدفعه لمهاجمة إسرائيل؛ ومع ذلك، على الرغم من هذا الضغط الكبير، أكدّ الظواهري بشدّة أن إسرائيل يجب أن تُحارب فقط عند وجود حكومة إسلامية حقيقية في مصر. هذه النظرة لإسرائيل كهدف غير مهم نسبياً استمرت حتى عندما تخلى الظواهري عن المشروع المصري واحتضن طموحات بن لادن العالمية. في رسالة عام 2005 إلى أبو مصعب الزرقاوي في العراق، أكّد الظواهري أن المعركة ضد إسرائيل يجب أن تُؤجَّل حتى يتم طرد أمريكا من العراق، وإنشاء دولة إسلامية هناك وإخضاع الدول المجاورة للعراق أيضًا.

كانت دعوة بن لادن في عام 1998 إلى الجهاد قد تمّت تحت مسمّى «الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين» ـ كان كلٌّ من الولايات المتحدة وإسرائيل مشمولين منذ البداية. في كل بيان دعائي تقريباً، كان بن لادن والظواهري يشيرون إلى القضية الفلسطينية لإثارة غضب المسلمين. هذا ليس صدفة، حيث أنّ الظواهري في أطروحته عن نجاحات وفشل الحركة الجهادية، «فرسان تحت راية النبي»، يوضّح أن تبنّي رسالة معادية لإسرائيل هو أفضل وسيلة لتعبئة الجماهير الإسلامية لدعم القضية الجهادية. صرح بأن «قضية فلسطين هي السبب الذي أثار مشاعر الأمة المسلمة من المغرب إلى إندونيسيا على مدى السنوات الخمسين الماضية. بالإضافة إلى ذلك، إنها نقطة تجمُّع لكل العرب، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، سواء أكانوا أخياراً أو أشرار».[1] إن استمرار إسرائيل في البقاء هو تذكير مؤلم بفشل الحكومات المسلمة في حماية المسلمين، وعندما تُوقّع هذه الحكومات على اتفاقيات سلام، والموافقة على وقف إطلاق النار، أو ببساطة تجاهُل الصراع مع إسرائيل، فإنّ هذا بمثابة دليل إضافي على استمرار خيانتهم.

يلعبُ موضوع القرب دوراً هامّاً أيضاً، حيث أنّ إسرائيل بلد صغير له حدود خاضعة لحراسة جيدة، وهي في حالة تأهب قصوى بالفعل بسبب كفاحها الذي لا ينتهي ضد حزب الله وحماس، وهما منظمتان إرهابيتان هائلتان، وبسبب التاريخ الطويل والمأساوي للاضطهاد الرهيب للشعب اليهودي. نتيجة لذلك، فإن قرار القاعدة بعدم مهاجمة إسرائيل له علاقة كبيرة بحقيقة أنه من الصعب على التنظيم الاقتراب بما فيه الكفاية للقيام بذلك. في عام 2002، هاجم مسلحون مرتبطون بتنظيم القاعدة فندقًا تعود ملكيّته لشخص إسرائيلي في

(1) Al ـ Zawahiri, Knights Under the Prophet's Banner.

كينيا، مما أسفر عن مقتل 13 شخصًا، وأطلقوا صواريخ على طائرة إسرائيلية دون جدوى.[1] وفي نفس العام أيضًا، فجّر عناصر القاعدة كنيس غريبا التاريخي في تونس، وقتلوا 19 شخصًا. في عام 2003، فجّر تنظيم القاعدة أيضاً معبدين يهوديين في اسطنبول، مما أسفر عن مقتل 27 شخصاً. ولكن كل هذه كانت أهداف بعيدة عن إسرائيل نفسها.

ولعلّهُ من المدهش أن وجود حماس وحزب الله على حدود إسرائيل قد جعل من الصعب على تنظيم القاعدة أن يهاجم إسرائيل مباشرةً. كلتا المنظمتين تعارضان إسرائيل بعنف، لكنهما أيضًا معاديتان للقاعدة وترغبان بالسيطرة على جميع أعمال العنف التي تنشأ في المناطق التي يسيطرون عليها. علاوة على ذلك، إذا كنت شابًا فلسطينيًا يعارض إسرائيل، فليس هناك حاجة للانضمام إلى تنظيم القاعدة ـ يمكنك ببساطة الانضمام إلى حماس إذا كنت تريد القتال: لقد تحارب التنظيم مع إسرائيل على نحو متقطع لمدة 30 عامًا.

على الرغم من ذلك، فإن الربيع العربي والأحداث المثيرة الأخرى التي حدثت في البلدان المجاورة لإسرائيل تعمل على تغيير المعادلة. حتى لو كانت لديهم صلات قليلة، إن وجدت، بالتنظيم المركزي للقاعدة (على الأقل في الوقت الحالي)، فإن الجهاديين ذوي الإيديولوجيات المتشابهة لتنظيم القاعدة ينشطون الآن في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، وكلاهما يقعان على مرمى حجر من إسرائيل،كما أنّ الحرب الأهلية في سوريا أدخلت الجهاديين المرتبطين بتنظيم القاعدة ضمن نطاق يسمح بضرب قذائف الهاون ضد الأراضي الشمالية لإسرائيل. إنّ احتمالات الهجمات على إسرائيل تتزايد أكثر فأكثر، وقد تصبح أكثر واقعيّة لأن المنظمة الأساسية تسعى لإثبات ارتباطها بالقضيّة. إنّ دور تنظيم القاعدة في تقديم الخدمة السطحيّة فقط لهدف مهاجمة إسرائيل قد يكون على وشك الانتهاء.

كيف ينظر المسلمون إلى تنظيم القاعدة وما هي أهميّة ذلك؟

نادراً ما نال تنظيم القاعدة شعبية كبيرة، ويعود ذلك جزئيًا إلى أن مقاتلي التنظيم ليس لديهم سوى روابط قليلة مع المجتمعات المحلية. سواء في السودان أو أفغانستان أو باكستان، كان تنظيم القاعدة وغيره من الأفغان العرب دائمًا من الدخلاء، حيث أنّهم في أحسن الأحوال

(1) «Evidence Links al ـ Qaeda to Kenya Attacks,» ABC News, December 3, 2002, http://abcnews.go.com/GMA/story?id=125556.

ينالون إعجاب السكان المحليين ولكن لا يصبحون جزءًا منهم أبداً. على النقيض من حماس أو حزب الله، لا يقدم تنظيم القاعدة خدمات اجتماعية، وبشكل عام، سعى إلى أن يكون منظمة طليعية قياديّة وليس حركة جماهيرية. قد يكون أداء الفروع التابعة لتنظيم القاعدة أفضل في هذا الصدد، حيث يميلون إلى التجنيد من المجتمعات المضيفة لهم وإنشاء قاعدة شعبية لهم هناك؛ قلة من هذه الفصائل تقدم خدمات اجتماعية، وبالتالي تتمتع بدعم جزئي من السكان. ومع ذلك، فإن العديد من المسلمين يعتنقون بعض أفكار وقضايا تنظيم القاعدة ويندّدون بالعديد من الأعداء الذين يحاربهم التنظيم.

يشير أحد الاستطلاعات إلى أن الدعم الموجّه لتنظيم القاعدة قد انخفض بشكل مطرد في عام 2003، وذلك عندما غزت الولايات المتحدة العراق وأشعلت المشاعر المعادية لأمريكا في معظم أنحاء العالم الإسلامي. تشير استطلاعات الرأي التي تسأل الفلسطينيين عن «الثقة في أسامة بن لادن» إلى انخفاض من 72 % في عام 2003 إلى 34 % في عام 2011، عندما قتل بن لادن.كما شَهِدت كلٌّ من مصر وباكستان وإندونيسيا ودول إسلامية أخرى انخفاضات مماثلة. تشير استطلاعات الرأي التي أُجريت في عام 2014 إلى أن التنظيم لم يسترد شعبيته نتيجة سلوكه التعسفي في العراق، بل أنّ العديد من المسلمين أصبحوا يحتقرونه.[1]

كان قتل تنظيم القاعدة للمدنيين أمراً مكروهاً جدّاً. في سلسلة من استطلاعات الرأي التي أجرتها مؤسسة غالوب (Gallup)، أدان أكثر من 90 % من المسلمين قتل المدنيين.[2] في الواقع، يتناقص الدعم لتنظيم القاعدة بعد كلّ هجوم ناجح. في أعقاب التفجيرات الانتحارية التي وقعت عام 2005 في عمان، الأردن، من قبل تنظيم القاعدة في العراق، انخفضت الثقة ببن لادن بين الأردنيين من ذروة بلغت 61 % إلى 24 % في العام التالي.[3]

لاتزال الإدانة المستمرة للمجموعة من قِبل علماء الدين المسلمين وقادة المجتمع

(1) «Osama bin Laden Largely Discredited Among Muslim Publics in Recent Years,» Pew Research Global Attitudes Project, May 2, 2011, http://www.pewglobal.org/201102/05//osama ـ bin ـ laden ـ largely ـ discredited ـ among ـ muslim ـ publics ـ in ـ recent ـ years/; I. Tharoor, «Study: Muslims Hate Terrorism Too,» Washington Post, July 1, 2014, http:// w w w.wash i ng tonpost. com/ blogs/worldviews/w p/201401/07// study ـ muslims ـ hate ـ terrorism ـ too/.

(2) Gerges, The Rise and Fall of Al ـ Qaeda, p. 113 (see pp. 113–117 for an in ـ depth look).

(3) «Osama bin Laden Largely Discredited Among Muslim Publics in Recent Years».

أحد أهم المصادر المؤثّرة في تراجع شعبيّة التنظيم. (هناك أسطورة تقول إن المسلمين المعتدلين لم يواجهوا أو يدينوا الإرهاب، في حين أنهم فعلوا ذلك علنًا وبشكل متكرر).[1] أدت هجمات 11 أيلول إلى إدانات في جميع أنحاء العالم: وكان أبرزها هو توقيع العشرات من قادة المنظمات الإسلامية مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان على بيان مشترك يعلنون فيه أنهم «يشعرون بالهلع» من هجوم 11/9 ويدينونه «بأقوى العبارات». أعلن أكثر من 100 مفكّر وقيادي إسلامي في الولايات المتحدة بشكل واضح، أنّ «تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن لا يمثّلون الإسلام». بعد هجمات القاعدة في المملكة المتحدة في 7 تموز 2005، قام أكثر من 500 باحث وقائد ديني من المسلمين البريطانيين بإصدار مرسوم ديني رسمي (فتوى) يعلن فيه أن «الإسلام يدين بشدة وبقوّة وبصرامة استخدام العنف وتدمير أرواح الأبرياء.... التفجير الانتحاري الذي أودى بحياة وجرح الأبرياء في لندن هو حرام ـ مرفوض بشدة في الإسلام، وأولئك الذين ارتكبوا هذه الأعمال الوحشية في لندن هم مجرمون، وليسوا شهداء».[2]

على الرغم من ذلك، فإن القول بأن المسلمين يدينون القاعدة والهجمات على الأبرياء هو حقيقة ومعلومات مُضلّلة في الوقت ذاته. يقف تنظيم القاعدة ضد أشياء كثيرة، وتتراوح أنشطته من الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة وإسرائيل إلى العنف ضد الحكومات في جميع أنحاء العالم الإسلامي والأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الغربية. تشجب تفرُّعات أخرى من الحركة الجهادية تسامح الغرب مع المثلية الجنسية ومعاملة النساء والطبيعة الكافرة. يعارض بعض المسلمين أيضًا بعض هذه القضايا أحياناً، حيث يستغل تنظيم القاعدة وحلفاؤه هذه المعارضة.

يتحسّن أداء تنظيم القاعدة وحلفاؤه عندما يكون موقف الولايات المتحدة ضعيفاً في أوساط الجماهير الإسلامية أو عندما يكون الوضع الراهن يتمحور حول مقاومة الأجانب. عندما اتّخذت الولايات المتحدة قرارها في بداية حرب العراق عام 2003، تردّد القادة المسلمون في

(1) For example, see M. Burns, «Fox Isn't Paying Attention: Muslims Across The World Have Condemned Kenya Attack,» Media Matters, September 24, 2013, http://mediamatters.org/research/201324/09//fox ـ isnt ـ paying ـ attention ـ muslims ـ across ـ the ـ wo/196058.

(2) For a valuable list, see the collection by Charles Kurzman at http://kurzman. unc.edu/bio ـ contact/.

إدانة تنظيم القاعدة، خوفًا من أن يتم اعتبارهم كذيول لأمريكا. يميّز العديد من المسلمين أيضًا بين ما يعتبرونه مقاومة مشروعة ـ أو ملاحقة، على سبيل المثال، للجنود الأمريكيين في العراق، والذين يعتبرونهم غزاة ـ وبين استهداف المدنيين، والذي يعتبرونه عملاً غير شرعي. ومع ذلك، تميل الولايات المتحدة إلى وصف جميع الهجمات التي تشنها مجموعة إرهابية على الأمريكيين بأنها «إرهاب»، متجاهلةً الفرق بين الهجمات على الجنود خلال الحرب والهجمات على المدنيين خارج منطقة الصراع.

أخيرًا، حتى الأعداد الصغيرة نسبيًا من المؤيدين للتنظيم يمكنها أن تسبب مشكلة كبيرة. مع وجود أكثر من مليار مسلم في جميع أنحاء العالم، فإن الحصول على تأييد 5 % منهم يعني الحصول على دعم من 50 مليون شخص. وفي الأراضي الفلسطينية وإندونيسيا ومصر وباكستان، حظي تنظيم القاعدة في كثير من الأحيان بمناصرة من أقليّات هامّة بين السكان، تتراوح عادة من 10 % إلى الثلث، وهذا يعتمد على الاستطلاع والعام الذي تم فيه.[1] حتى في الدول الغربيّة، يوجد مناصرين لمظالم تنظيم القاعدة. وقد أظهر استطلاع للرأي أجري بعد تفجيرات لندن في تموز 2005 أنه بينما تدين أغلبية ساحقة من المسلمين البريطانيين تلك الهجمات، فإن خمسهم على الأقل كان لديهم بعض التعاطف مع دوافع مُنفّذي العملية.[2] بالإعتماد على هؤلاء المناصرين المحتملين، يبحث تنظيم القاعدة عن المجندين والمال بالإضافة إلى التزام الصمت عندما يحاول عناصره الاختباء بين صفوفهم.

على الرغم من قدرة الإرهابيين على الإستمرار بأعداد صغيرة، إلا أنّ الرأي العام لا يزال مهمًا للغاية، حيث إذا تمّت إدانة تنظيم القاعدة على نطاق واسع، فمن المُرجّح أن تتعاون الحكومات المحلية مع الولايات المتحدة ضد التنظيم، حيث لن يكلفهم القيام بذلك أي ثمن سياسي. سيقدّم السكان المحليون معلومات استخباراتية أو يساهمون بطريقةٍ ما في ملاحقة تنظيم القاعدة إذا تم اعتبار عناصره مجرمين وليسوا أبطالاً ـ وهي معلومات يمكن أن تثبت أهميّتها في تفكيك الخلايا وتعطيل مخططات الإرهاب. وحتى داخل المجتمع الأكثر تطرفًا، يكون المجندون والمانحون أقلّ قابليّة للدعم عندما لا يحظون بالقبول الشعبي.

---

(1) «Osama bin Laden Largely Discredited Among Muslim Publics in Recent Years»; I. Tharoor, «Study: Muslims Hate Terrorism Too».

(2) «Muslims Poll,» ICM Research, February 2006, http://www.icmresearch. com/pdfs/2006_february_sunday_telegraph_muslims_poll.pdf.

كيف أثّر الربيع العربي على تنظيم القاعدة؟

في البداية، اعتقد الكثير من المحللين أن الربيع العربي سيصبح أسوأ كابوس لتنظيم القاعدة، لكن ثبت الآن أنه منحَ القاعدة فرصة جديدة للحياة. عندما أدت الاحتجاجات الشعبية إلى سقوط حكومة بن علي في تونس في كانون الثاني 2011 وبعد الانهيار المفاجئ لنظام مبارك في مصر بعد شهر واحد، أصبح تنظيم القاعدة في موقفٍ سيّء للغاية. في البداية أثنى بن لادن على مثل هذا «الحدث العظيم والمجيد». بدأت تعليقات الظواهري بالتوغّل في عقول أتباعه بعد انتهاء الأحداث بفترة طويلة نوعاً ما، وحتى بعد ذلك كانت هذه التعليقات عبارة عن سلسلة من الكلام غير المترابط حول التاريخ أكثر من كونها توجيهات حول كيفية تفسير هذا التغيير الثوري. تم الإطاحة بنظام القذافي في ليبيا في آب 2011، كما سقط علي عبد الله صالح في اليمن في شباط 2012، وبدا لبعض الوقت أن بشار الأسد في سوريا كان على مشارف الانضمام إلى صفوف المهزومين. في أيّار 2011، وفي خضمّ هذه الثورات، قتلت قوات البحرية الأمريكية بن لادن.

بدا تنظيم القاعدة ومهمّتهُ بمثابة شيء عديم الأهميّة. على الرغم من التخطيط ضد نظام مبارك منذ سبعينيات القرن الماضي وقتل المصريين الأبرياء بحجّة الإطاحة بالنظام من السلطة، فإن أيمن الظواهري وزملاءه لم يكن لهم أيّ دور في سقوط الدكتاتوريّة. في المقابل، كان الاحتجاج السلمي، وليس العنف، هو الذي أطاح مبارك من السلطة. بدا أن المتظاهرين في ميدان التحرير وأماكن أخرى في الشرق الأوسط يمثلون بصيص أمل للسياسة الجديدة. وكما قالت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون حول قادة القاعدة، «آمل أنهم كانوا يشاهدون على شاشات التلفزيون كيف أثبت الشباب المصري أنهم مخطئون».

عندما يسقط الديكتاتوريون مثل مبارك بسبب ضغوط المتظاهرين المؤيدين للديمقراطية، يفقد تنظيم القاعدة واحداً من أفضل مبرّرات التجنيد: وهو القمع الذي تمارسه الحكومات العربية على رعاياها. على الرغم من معارضة التنظيم للدكتاتوريين المحليين، إلا أنّه لم يكن مسروراً بالإنتخابات الحرّة. يُعارض تنظيم القاعدة مفهوم الديمقراطيّة بشدّة، حيث يعتقد قياديي التنظيم، مثلهم في ذلك مثل العديد من السلفيين (بمن فيهم المعارضون للعنف)، أن المؤسسات الديمقراطية تضع قانون الإنسانيّة فوق قانون الله ـ حيث يمكن لبرلمانٍ مُعيّن، بعد كل شيء، أن يُشرّع شرب الكحول أو أن يتعارض مع الشريعة الإسلامية. وبالمثل،

يرفض تنظيم القاعدة أي عرف قانوني خارج عن نطاق التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية. أعلن الظواهري أن الديمقراطية هي دين مُزيف وصرّح بأن دعمها «بمثابة ربط الأوثان بالله والانحدار إلى الكفر».[1]

على الرغم من أن صعود جماعة الإخوان المسلمين في مصر والإسلاميين المتشابهين في الفكر في ليبيا وتونس واليمن قد أخاف البعض في الغرب ممن يساوون بشكل خاطئ بين القاعدة وانتشار الإسلام، كان هذا الصعود في الواقع ضربة محتملة لمنظمة الظواهري. إنّ المذهب العملي لجماعة الإخوان المسلمين وتبنّيها للسياسة السلمية يُعدُّ بمثابة لعنة لتنظيم للقاعدة. في مصر، تخلّصت الجماعات السلفية من كرهها التقليدي للسياسة ودخلت المجال السياسي. يبدو أنّ انخراط هذه الحركات الإسلامية في السياسة يُظهر أنّ أفضل طريقة لإنشاء دولة إسلامية تدريجياً وبطريقة سلميّة يتم من خلال العملية السياسية. أعلن جهادي بارز سابق أنه ومجموعته قد دخلوا مجال السياسة لأن الحكم الإسلامي كان يتحقق من خلال الانتخابات.[2]

ولكن حتى من البداية كانت هناك صدوع في هذه الصورة الشكليّة. كانت الحكومات الاستبدادية التي سقطت، مثل نظام مبارك في مصر ونظام القذافي في ليبيا، تمثّل أعداءً أقوياء ووحشيّين بالنسبة إلى تنظيم للقاعدة. من جانبها، قامت تلك الأنظمة بحبس المئات من الجهاديين، إلى جانب عدد أكبر من الشركاء الثانويين والأبرياء الذين تم شملهم في الحملات الجماعية. عندما سقطت هذه الأنظمة القمعية، فقدت الولايات المتحدة شركاء استخباراتيين كانوا ملتزمين تمامًا بسحق الحركة الجهادية العالمية.

مع سقوط الديكتاتوريين، فتحت السجون أبوابها. تم إطلاق سراح مئات الجهاديين والذي يرتبط بعضهم بالقاعدة في مصر وليبيا، بما في ذلك شخصيات بارزة مثل محمد الظواهري، شقيق أيمن الذي كان أيضًا جهاديًا بارزًا. بشكل عام، أصبحت الحكومات ضعيفة، مما أدى إلى خلق أو تفاقم المساحات الخارجة عن السيطرة. في بعض المناطق التي كانت موطناً للدكتاتوريين الأقوياء، مثل سيناء في مصر، ازدهرت الجماعات الإرهابية. في الواقع، كان

(1) A. Al ـ Zawahiri, «Advice to Reject the Fatwa of Bin Baz,» reprinted in G. Kepel and J. P. Milelli, eds., Al Qaeda in Its Own Words, Cambridge, MA, Belknap Press, 2008, p. 184.

(2) M. Fick, «Insight: Ex ـ Qaeda allies ready to fight for Mursi in Luxor,» Reuters, June 23, 2013, http://in.reuters.com/article/201323/06//egypt ـ protests ـ ga maa ـ idINDEE95M04U20130623.

الربيع العربي مصحوبًا بحرب أهلية في ليبيا وسوريا واضطرابات كبيرة في اليمن، كما أنّ الأصوات والقوى الجهادية في ليبيا وسوريا على وجه التحديد، قد تحوّلت من أدوار ثانويّة ومهمّشة إلى أجزاء أساسية من المعارضة.

كان فشل الربيع العربي في إنتاج حكومات ديمقراطية ومستقرّة بمثابة نعمة كبرى للتنظيم. بعد أن فقدت مصداقيّتها ظاهرياً في عام 2011،يبدو أنّ حجّة تنظيم القاعدة المستمرة منذ زمن والتي تقول إن الدولة الإسلامية لا يمكن تحقيقها من خلال صندوق الاقتراع، قد تم إثبات صحّتها من خلال الانقلاب العسكري في مصر. إن قمع التطلعات السياسية لجماعة الإخوان المسلمين في مصر وفي أماكن أخرى يُشكّل خطر نفور الإسلاميين الأصغر سنا والأقل صبراً. قد ينجذب أولئك بدورهم إلى رسالة القاعدة، معتقدين أن الحكومات الجديدة التي يتم تشكيلها في جميع أنحاء العالم العربي هي غير إسلامية بطبيعتها وأنّ القوة هي الشيء المهم فقط.

يمكن اعتبار تونس كمثال وحيد للنجاح الديمقراطي حتى الآن، كما أن مكانتها الصغيرة والثانوية تحدُّ من قوّتها التأثيريّة ـ خاصة بالنظر إلى التحولات الفاشلة في أماكن أخرى في المنطقة والتي تُعزز حجة الأنظمة الاستبدادية بأن الديمقراطية لن تجلب سوى المزيد من الاضطرابات، والنتيجة هي أنه بعد مرور عدة سنوات على بدء الانتفاضات العظيمة في الربيع العربي، بدا أن ما تم الترحيب به في البداية باعتباره الضربة القاضية للقضية الجهادية قد عزّز الآن أيديولوجية تنظيم القاعدة وحسّن من مكانتها العمليّة. لقد أدت الثورة المضادة في مصر إلى تشويه سمعة التغيير السلمي كسبيل لتحقيق حكومة إسلامية. وفي الوقت نفسه، أعطت الحكومات الضعيفة والحرب الأهلية الشاملة تنظيم القاعدة حريةً أكبر بكثير وفرصاً جديدة للاستغلال.

الفصل السابع

ما وراء جوهر تنظيم القاعدة

من هي المنظمات الفرعيّة الرئيسة التابعة لتنظيم القاعدة؟

في خطابه الذي ألقاه في 23 أيار (مايو) 2013 حول مكافحة الإرهاب ـ والذي يُعتبر أهم بيان عام له حول هذه القضية حتى الآن ـ أكّد الرئيس أوباما، «اليوم، أصبح جوهر القاعدة في أفغانستان وباكستان على طريق الهزيمة». ثم تابع الرئيس ليحذّر من أن «ما رأيناه هو ظهور العديد من الجماعات الفرعية التابعة للقاعدة. من اليمن إلى العراق، ومن الصومال إلى شمال إفريقيا، أصبح التهديد اليوم أكثر انتشارًا، حيث أن المنظمة الفرعية لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ـ القاعدة في جزيرة العرب ـ هي الأكثر نشاطًا في التخطيط ضد وطننا».(1) في عام 2013، أربعة من أصل الجماعات الإرهابية الخمسة الأكثر فتكاً (وفقًا لقاعدة بيانات الإرهاب العالمية) كانت مرتبطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالقاعدة أو بالحركة الجهادية العالمية الأوسع: حركة الشباب والدولة الإسلامية وطالبان وحركة طالبان في باكستان.(2) هذا العنف جدير بالذكر بشكل خاص، حيث أنه في عامي 2012 و2013 لم ينفّذ تنظيم القاعدة نفسه أي هجمات. في الواقع، إنّ نجاح الحملة التي تقودها الولايات المتحدة ضد القاعدة يعتمد التركيز على قضية واحدة: العلاقة بين نواة القاعدة والمنظّمات التابعة لها.

---

(1) B. Obama, «Speech at the National Defense University,» Washington Post, May 23, 2013, http://articles.washingtonpost.com/2013 23 ـ 05 ـ/politics/ 39467399_1_war ـ and ـ peace ـ cold ـ war ـ civil ـ war.

(2) US Department of State, «Annex of Statistical Information,» Country Reports on Terrorism 2013, April 2014, p. 8, «Table 3: Ten perpetrator groups with the most attacks worldwide, 2013,» http://www.state.gov/documents/organization/ 225043.pdf.

عمِلَ تنظيم القاعدة منذ نشأته على دعم العناصر الجهاديين الآخرين، تماماً كما فعلت الجماعات الجهادية السابقة. ومع ذلك، في بعض الأحيان، يفعل التنظيم أكثر من هذا، حيث يخلق علاقات رسمية تتّخذ فيها جماعة مستقلة في السابق راية تنظيم القاعدة وتقبل، على الأقل اسمياً، بسلطة الظواهري (وقبل ذلك، بن لادن). تسارعت هذه العملية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، حيث أجبرت الضغوط الأمريكية النواة على البحث عن طرق جديدة للحفاظ على نشاطها. كان تنظيم القاعدة في العراق في وقت من الأوقات أحد أهم المنظّمات الفرعية التابعة للتنظيم الرئيس، لكنّ علاقته بالتنظيم الرئيس كانت مشحونة نوعاً ما، كما أنّ المنظمة التي ستخلفه سترفض قيادة الظواهري في عام 2014. في عام 2014، كان للقاعدة أربعة من الفروع الرئيسة: القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP)، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM)، حركة الشباب في الصومال، وجبهة النصرة في سوريا. في أيلول عام 2014، أعلن الظواهري أيضًا عن جماعة تابع لتنظيم القاعدة في شبه القارة الهندية، والذي حاول بسرعة ـ وفشل بنفس السرعة ـ في مهاجمة سفينة تابعة للبحرية الأمريكية (ولم تتم مناقشة هذه الجماعة في الكتاب لأنه من السابق لأوانه تحديد مدى خطورتها). على الرغم من أن المنظمات الفرعية الرئيسة تشترك في العديد من أوجه التشابه، إلا أن لكلٍّ منها تاريخ فريد وأهداف مميزة.

تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة

لطالما كان للقاعدة والحركة الجهادية الأوسع وجود في كلٍّ من السعودية واليمن. طوال التسعينيات، وحتى اليوم، كانت المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى مصدر تمويلٍ هام للقاعدة ولقضايا جهادية أخرى. كانت المملكة العربية السعودية مسقط رأس بن لادن ومسقط رأس الوهابية، بينما كانت اليمن موطن الأجداد لعائلة بن لادن وكانت مركزًا لوجستيًا لعمليات مثل تفجيرات سفارتي الولايات المتحدة عام 1998، بالإضافة إلى موقع هجوم عام 2000 على المدمرة الأمريكية يو إس إس كول. بالإضافة إلى ذلك، كان كلا البلدين من المصادر المهمة لإنتاج مجنّدي القاعدة.

تم إنشاء المنظمة الأصلية التي تتخذ من السعودية مقراً لها والمعروفة باسم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، من قِبل بن لادن بعد أحداث 11 أيلول حيث أصدر التنظيم تعليمات في عام 2002 للتحضير لحملة داخل المملكة. كان الكثير من مقاتليها من السعوديين الذين

تدربوا في أفغانستان وعادوا إلى المملكة بعد سقوط طالبان، وكان عدد كبير منهم قد قضى مدّة في السجون السعودية حيث تعرض بعضهم للمعاملة الوحشية.[1] أنشأت القيادة العليا لتنظيم القاعدة شبكاتً متماثلة داخل المملكة وقرّرت توقيت هجمات كلٌّ منها؛ وبالتالي، كانت المجموعة السعودية أول منظمة فرعيّة تجعل من اسم «القاعدة» جزءًا من اسمها الرسمي.

بعد سلسلة من الهجمات على الأهداف الغربية والسعودية التي بدأت بجديّة في عام 2003، انهارت المجموعة، مع انتهاء العمليات الفعّالة في عام 2006. شنّت الحكومة السعودية حملة مدمرة ضد الجماعة، واعتقلت أو قتلت العديد من أعضائها، كما أدان الحركة كلٌّ من المؤسسة الدينية السعوديّة والعديد من الزعماء الدينيين الذين بدوا في الماضي من المؤيّدين للقضية السلفية الجهادية. ساهمت هذه الإدانات إلى جانب قيام الجماعة بقتل المدنيين المسلمين بتشويه سمعتها داخل المملكة، مما أدى إلى انهيارها بشكل كامل.

فرَّ بعض أعضاء المجموعة إلى اليمن، حيث انضموا إلى الجهاديين المحليين الذين نهضوا مجدّداً بعد النكسات التي حدثت في وقت سابق من العقد. سرعان ما أعادوا بناء منظمتهم في الفترة 2006 ـ 2007 وبدأوا حملة إرهابية ومتمردة في عام 2008 تحت الاسم الجديد «تنظيم القاعدة للجهاد في جنوب شبه الجزيرة العربية» (حيث تقع اليمن). في عام 2009، انضمّت هذه المجموعة إلى بقايا التنظيم السعودي الأصلي وأعلنت عن نفسها باسم «تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية».

يرتبط تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية اليوم بشكل كبير بنواة القاعدة، وبنظرة أكثر عالميّة، وأكثر احترافية من سابقاتها اليمنية. كان ناصر الوحيشي، زعيم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، أحد مساعدي بن لادن قبل الحادي عشر من أيلول، وفي عام 2013، قيلَ أن الظواهري عيّنهُ مديراً عاماً لتنسيق الأنشطة العسكرية والدعائية لتنظيم القاعدة، مما يوحي بتوحيد القاعدة في شبه الجزيرة العربية مع النواة الرئيسة لتنظيم القاعدة. ومع ذلك، أظهرت الوثائق التي عُثر عليها أثناء الغارة التي أسفرت عن مقتل بن لادن أنه اعتبر تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية غير متمرّس، ومعرّض للأخطاء، وأنّه يركز بشكل كبير على اليمن.[2]

(1) T. Hegghammer, «Terrorist Recruitment and Radicalization in Saudi Arabia,» Middle East Policy, vol. XIII, no. 4, Winter 2006, pp. 41–46.

(2) Lahoud et al., Letters from Abbottabad, p. 29.

إنّ معظم هجمات القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة موجّهة ضد أهداف حكوميّة يمنيّة. يسيطر تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية على مواقع هامّة في المناطق النائية من اليمن، وخاصة في الجنوب، ويشن حرب عصابات ضد النظام اليمني الضعيف والمدعوم من قِبل الولايات المتحدة. عندما سقط نظام علي عبد الله صالح في عام 2012، استغل تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة فراغ السلطة الذي تلا ذلك لتوسيع عملياته. كما ضرب التنظيم عددًا من الأهداف الغربية في اليمن مثل السفارات والسيّاح الأجانب. يُنتج تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية دعاية إعلاميّة باللغتين العربية والإنجليزية، مما يجعله أكثر جاذبية للمجنّدين الأمريكيين والغربيين. تُعتبر مجلة إنسباير مثيرةً للإعجاب بشكل خاص، وهي مجلة الكترونيّة باللغة الإنكليزية من إنتاج تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. تتميز مجلة إنسباير بإنتاج عالي الجودة، وتتحدث بلغة عاميّة مصممة لتستقطب الشباب الغربيين، وتُظهر مراقبة دقيقة للغرب، كما تعرض بشكل مستمر اقتباساتً لخبراء ومسؤولي مكافحة الإرهاب الأميركيين، فضلاً عن آخر الأخبار، بدءًا من ضربات الطائرات المُسيّرة إلى صور عضو الكونغرس أنتوني وينر الفاضحة. تضمّن العدد الأول من المجلة مقالة تشرح كيفية «صنع قنبلة في مطبخ والدتك».

قام تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية باستهداف الأراضي الأمريكية مباشرةً، وهو من غير المألوف بالنسبة إلى تنظيم فرعي. في يوم عيد الميلاد 2009، قام أحد ناشطي تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وهو عمر فاروق عبد المطلب نيجيري الجنسيّة، بمحاولة تفجير المتفجرات البلاستيكية المخبأة في ملابسه الداخلية على متن رحلة دولية متجهة إلى ديترويت. على الرغم من أنه فشل (لم ينجح إلا في إحراق نفسه لفترة وجيزة)، إلا أن الهجوم كان وشيكاً جداً، حيث إن المتفجرات قد عبرَت الإجراءات الأمنية الأمريكية. في تشرين الأول 2010، حاول تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة تفجير طائرات الشحن المتجهة إلى الولايات المتحدة، وفي تشرين الثاني من العام نفسه، أعلنت المنظمة أنها ستشن العديد من الهجمات الصغيرة ضد أمريكا وذلك لإضعاف الاقتصاد الأمريكي. في عام 2012، أحبطت الولايات المتحدة ووكالات الاستخبارات المتحالفة معها محاولة للقاعدة لتهريب قنبلة على متن شركة طيران أمريكية. دفعت هذه المحاولات بالولايات المتحدة إلى تعزيز تعاونها في مكافحة الإرهاب مع حكومة اليمن وزيادة هجماتها بطائرات مُسيّرة على أهداف تابعة لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة داخل اليمن.

تنظيم القاعدة في المغرب العربي

زرعَ الجهاد الجزائري الذي اندلع في التسعينيات بذور الموت والدمار إلى درجةٍ أرعبت حتّى أكثر الجهاديين تشدّداً. قُتِلَ ما يقارب 200,000 جزائري، وكانت كلٌّ من الحكومة وخصومها الجهاديين يقومون بانتظام بتعذيب المدنيين وإساءة معاملتهم. ظهرت منظمات عديدة (وفصائل داخلها) أو اختفت أو انفصلت عن مجموعات قائمة. كانت «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» إحدى أبرز هذه المجموعات والتي تشكّلت في التسعينيات باعتبارها منشقة عن «الجماعة الإسلامية المسلحة» الوحشية ـ وهي جماعة معروفة بفظائعها.

بداية من عام 2003، بدأت «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» عملية من شأنها أن تجعلها في نهاية المطاف جوهر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. بدأت هذه العملية عندما تعهّد أحد القادة الرئيسين بالولاء لبن لادن واستمر بطريقة مُتقطّعة لعدة سنوات حتى أيلول 2006، عندما أعلن الظواهري عن «اتحاد مبارك» مع الجماعة السلفية للدعوة والقتال، مؤكداً على فرنسا كعدو مشترك وحاثّاً المجموعة على أن تصبح شوكة في حلق الأمريكيين والفرنسيين والصليبيين «[1] ـ في كانون الثاني 2007، أعلنت الجماعة السلفية للدعوة والقتال أنها ستغيرّ اسمها رسميًا إلى «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» (المغرب هو الكلمة العربية لـ «الغرب» و«المغرب الإسلامي». هو المصطلح التقليدي المستخدم للدلالة على الأراضي الواقعة غرب مصر والتي كانت تحت سيطرة المسلمين في القرن السابع ـ وهي ليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا والصحراء الغربية).

بأسلوبٍ مشابه لباقي لمنظمات الفرعية التابعة لتنظيم القاعدة، يشنُّ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي حرب عصابات ضد أهداف حكومية في وطنه الأم: وهو الجزائر في هذه الحالة. بعد اتّخاذ اسم القاعدة، وسّع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي عملياته الإقليمية وهاجم أهدافًا غربية مثل السفارات داخل الجزائر وبالقرب منها، لكنه لم يهاجم أوروبا أو الولايات المتحدة. يرى التنظيم أنّ الحكومات المحليّة هي حكومات مرتدة ولذلك يساعد الجماعات المحلية في قتالهم ـ هاجم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أو ساعد الجماعات في ليبيا ومالي وموريتانيا والنيجر، بالإضافة إلى العديد من البلدان الأخرى.

(1) «Al ـ Qaeda ‘issues France threat’,» BBC News, September 14, 2006, http:// news.bbc.co.uk/2/hi/europe/5345202.stm.

كان لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي دور فعال في مساعدة انتفاضة عام 2012 في مالي التي أدت، ما قبل التدخل الفرنسي في عام 2013، إلى خضوع أجزاء كبيرة من البلاد تحت سيطرة الإسلاميين. تعمل القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بشكل غير رسمي مع أعضاء الجماعات الجهادية الإقليمية الأخرى، وتساعدهم في التدريب واللوجستيات. يتميّز تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بعمليات الخطف الذي يستخدمه لترويع السكان وإبعاد الغربيين عن المنطقة، بالإضافة إلى جمع الأموال عن طريق المطالبة بفدية. يستخدم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وجوده العابر للحدود الوطنية أيضاً وذلك للانخراط في عمليات التهريب.

ينقسم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي إلى ألوية مختلفة تعمل بدرجة عالية من الحكم الذاتي. يعود ذلك جزئياً إلى ضمان حرية العمليات في مواجهة الرد الجزائري القاسي في مكافحة الإرهاب، لكن المنافسات الشخصية تلعب دورًا مهمًا أيضًا. ووصف الجنرال مارتن ديمبسي، رئيس هيئة الأركان المشتركة، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بأنها «نقابة للمجموعات التي تتجمع بشكل عرضيّ.... في بعض الأحيان تكون قضيتهم هي الإرهاب.. أو قد تكون الإجرام في أحيانٍ أخرى».[1] ابتعد مختار بلمختار، القائد ذو السمعة السيئة، مع أتباعه عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، واتّجه إلى مهاجمة منشأة الغاز في أمناس في الجزائر، حيث احتجز أكثر من 800 شخص هناك كرهائن، أغلبهم غربيون يعملون في المنشأة. أسفرت حملة الجيش الجزائري لتحرير الرهائن والقبض على المتشددين عن مقتل ما يقارب 23 رهينة و32 إرهابياً.

حركة الشباب

في شباط عام 2012، قامت المجموعة التي تتخذ من الصومال مقراً لها والمعروفة باسم حركة «الشباب» (والتي تعني من الناحية الفنية «الشباب الصغير» باللغة العربية ولكنها تستخدم بشكل أكثر عرضًا هنا ليعني شيئًا على غرار «الرجال») بإعلان الولاء لتنظيم القاعدة، وهي خطوة توجت بتحول العلاقة بين القاعدة والمقاتلين الصوماليين

(1) L. Panetta and M. Dempsey, «Press Briefing by Secretary Panetta and General Dempsey from the Pentagon,» US Department of Defense, January 24, 2013, http://www.defense.gov/transcripts/transcript.aspx? transcriptid=5183.

مرة أخرى إلى شراكة أكثر متانة.[1] في أوائل التسعينيات، حاول تنظيم القاعدة العمل في الدولة الصومالية المنهارة، ولكنه وجد في كثير من الأحيان أنّ الحرب الأهلية العنيفة كانت تسيطر على الوضع هناك ـ لدرجة أن عملائه لم يتمكنوا من تحقيق تقدم كبير، على الرغم من استخدام التنظيم للصومال كجزء من قاعدة إقليمية للهجمات ضد قوات حفظ السلام الأمريكية والأمم المتحدة ولتنفيذ وضربات في كينيا ضد أهداف أمريكية وإسرائيلية.[2]

انفصلت حركة الشباب عن اتحاد المحاكم الإسلامية، وهي جماعة إسلامية أكثر اعتدالاً كانت تسيطر على جزء كبير من الصومال ولكن تم طردها من السلطة عندما غزت إثيوبيا في عام 2006، بدعم من معارضي حركة الشباب ـ وهو غزو مدعوم من قِبل الولايات المتحدة. قامت حركة الشباب بتمرد فعال، وفي عام 2009، سحبت إثيوبيا قواتها. أصبحت حركة الشباب أكثر تطرفًا، وفي عام 2008، استخدمت كل من القاعدة وحركة الشباب مواقع الويب الخاصة بكل منهما للثناء على بعضهم البعض. في أيلول 2009، أصدرت حركة الشباب إعلانًا علنيًا بالولاء لبن لادن. استمرّت علاقة الحب هذه خلال السنوات التي تلت ذلك، حيث تعهدت حركة الشباب بدعم الظواهري بعد وفاة بن لادن، ثم في عام 2012، انضمّت إلى تنظيم القاعدة رسميًا بشكل أكبر من خلال إعلان أن أعضاء حركة الشباب «سوف يسيرون معكم كجنود أوفياء».[3] انتقل بعض المقاتلين الذين تدربوا في معسكرات القاعدة في أفغانستان إلى الصومال لتدريب أعضاء حركة الشباب، وتتعاون المجموعتان حاليًا عن كثب في كل شيء بدءًا من التلقين ومهارات المشاة الأساسية وصولاً إلى التدريب المتقدم على المتفجرات

(1) See N. Lahoud, «The Merger of Al ـ Shabab and Qa›idat ـ al ـ Jihad,» CTC Sentinel, February 16, 2012, http://www.ctc.usma.edu/posts/the ـ merger ـ of ـ al ـ shabab ـ and ـ qaidat ـ al ـ jihad.

(2) C. Watts et al., Al Qaeda's (Mis)Adventures in the Horn of Africa, Combating Terrorism Center at West Point, July 2, 2007, pp. 14–43.

(3) Shinn, «Al Shabaab's Foreign Threat to Somalia»; A. Kahan, «Al Shabaab's Rise in the Al Qaeda Network,» Critical Threats, American Enterprise Institute, August 9, 2011, http://www.criticalthreats.org/somalia/kahan ـ shabaab ـ rise ـ qaeda ـ network ـ august 2011 ـ 9 ـ; «Al ـ Shabaab joining al Qaeda, moni ـ tor group says,» CNN, February 10, 2012, http://articles.cnn.com/2012 09 ـ 02 ـ/africa/world_africa_somalia ـ shabaab ـ qaeda_1_al ـ zawahiri ـ qa eda ـ somali ـ americans?_s=PM:AFRICA.

والاغتيالات.[1] يُقال إن أعضاء تنظيم القاعدة يلعبون الآن أدوارًا مهمة في قيادة حركة الشباب ـ حيث أن الكثيرين من أعضاء المجلس التنفيذي لحركة الشباب هم من الأجانب،[2] وقد تبنت المنظمة بدورها المزيد من الخطابات والدعاية العالمية.

عانت حركة الشباب من انتكاسات في السنوات الأخيرة: حيث فقدت سيطرتها على مقديشو في آب 2011، وفي السنوات اللاحقة، قامت الحكومة الصومالية وقوة حفظ سلام أفريقية بمشاركة كبيرة من بوروندي وكينيا وأوغندا بتقليص مجال نفوذ حركة الشباب إلى حدٍّ كبير. ساهمت هذه الانتكاسات في العديد من الانشقاقات داخل المجموعة، كما رفض بعض قادة حركة الشباب الانتماء إلى تنظيم القاعدة، وأدى الاقتتال الداخلي إلى اشتباكات بين أتباع القياديين على اختلافهم بالإضافة إلى التخلّص من كبار القادة.

لم تقم حركة الشباب حتى الآن بمهاجمة الولايات المتحدة أو أوروبا، لكنها وسعت نطاق عملياتها الإقليمية. على وجه الخصوص، كثفت حركة الشباب الهجمات ضد كينيا. في 21 أيلول 2013، تصدّرت حركة الشباب عناوين الصحف العالمية عندما شنت قواتها هجومًا واسعًا ومنسقًا على مركز تجاري في نيروبي بكينيا، استمر أربعة أيام وخلّف 67 قتيلاً على الأقل وأكثر من 200 جريح.

جبهة النصرة

تُعدُّ جبهة النصرة واحدة من أحدث المنظمات الفرعية التابعة لتنظيم القاعدة، وقد تثبت أنها الأكثر تبعيّة. كانت جبهة النصرة في الأصل تحت سيطرة تنظيم القاعدة في العراق،لكن رغبةً منها في تعزيز مصداقيّتها، ادّعت الجبهة أنه ليس لديها أي صلة بتنظيم القاعدة في العراق أو بتنظيم القاعدة الرئيس. أعلنت جبهة النصرة عن نفسها في كانون الثاني 2012، وذلك بعد بدء القتال في سوريا بفترة طويلة، لكن قبل أن يصل إلى درجته العظمى التي أدت إلى مقتل أكثر من 200000 شخص وملايين اللاجئين ـ وهي حصيلات مستمرّة في الازدياد كل يوم.

---

(1) «Al Qaeda in Yemen and Somalia: A Ticking Time Bomb,» Report to the United States Senate Committee on Foreign Relations, January 21, 2010, p. 15, http://www.foreign.senate.gov/imo/media/doc/Yemen.pdf.

(2) Shinn, «Al Shabaab's Foreign Threat to Somalia».

العديد من أعضاء جبهة النصرة هم من السوريين الذين كانوا من المحاربين القدامى في القتال ضد القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها في العراق ـ ومما هو جدير بالسخرية، أنهم قاتلوا بطلب من الأسد نفسه في محاولةٍ لإضعاف موضع الولايات المتحدة المجاور. بحسب تفسير نعمان بن عثمان ورويسين بليك، «فإن العديد من كوادر جبهة النصرة تأتي من الشبكة الجهادية لأبو مصعب الزرقاوي [زعيم تنظيم القاعدة في العراق].... تم إرسال السوريين الذين كانوا مع الزرقاوي في هيرات بأفغانستان عام 2000 لإنشاء فروع لشبكته في سوريا ولبنان، مع ممارسة الزرقاوي لدور التحكم بهم من العراق. أسس هؤلاء الجهاديون «بيوت ضيافة» في سوريا لتوجيه المقاتلين المحتملين إلى العراق، وازدهرت البنية التحتية. خلال هذه الفترة، كانت سوريا بمثابة القناة الرئيسة لتمويل الشبكة».[1]

تسعى جبهة النصرة كمثيلاتها من الجماعات المتمردة السورية الأخرى، إلى الإطاحة بنظام الأسد، لكن وفقًا لدراسة أجرتها مؤسسة كويليام (Quilliam Foundation)، تسعى أيضًا إلى إقامة دولة إسلامية في سوريا ومنطقة المشرق الأوسع. يتم إنفاق الكثير من طاقتها على إدارة أجزاء سوريا التي تسيطر عليها ـ حيث تعمل على نشر التبشير، وتوفير الخدمات الاجتماعية، والعمل كشبه دولة هناك: وذلك نهج مختلف عن فلسفة «الطليعة الجهادية» التقليدية المُتّبع من قبل تنظيم القاعدة. لنشر أفكارها، تدير جبهة النصرة شبكة التلفزيون الخاصة بها وتصدر بانتظام مقاطع فيديو تمجّد أعمالها. على النقيض من العديد من الجماعات المرتبطة بالقاعدة في الماضي، فإن جبهة النصرة تستفيد من العمل مع مجموعات المعارضة السورية الأخرى لمحاربة النظام، وبصورة نسبية، تحاول تجنّب انتهاكات المدنيين في المناطق الخاضعة لسيطرتها. تؤكد فلسفتها على الأفكار السلفية الجهادية المؤثرة لأبو محمد المقدسي في إقامة دولة إسلامية والتبشير فيها، بدلاً من فرض وصاية الجماعة بوحشية على السكان.

تسعى جبهة النصرة إلى إضعاف النظام السوري عبرَ شنّها هجمات متواصلة، مستدنةً إلى استراتيجية عريقة لمقاتلي العصابات عبر التاريخ. في المناطق الريفية حيث سيطرة النظام ضعيفة، فإن جبهة النصرة إما تسيطر على الأراضي مباشرة أو تعمل كقوّة حرب عصابات قوية؛ أمّا في المناطق الحضرية، تعمل جبهة النصرة كمجموعة إرهابية سريّة. تُعتبر الغالبية العظمى من هجماتها موجّهة ضد القوات أو المنشآت الحكومية؛ كما أنها وراء العديد من

(1) N. Benotman and R. Blake, «Jabhat al ـ Nusra: A Strategic Briefing,» Quilliam Foundation, January 8, 2013.p.2.

التفجيرات الانتحارية، وكثيراً ما تستهدف شخصيات إعلامية مؤيدة للنظام وكذلك قادة النظام. تُعدُّ جبهة النصرة واحدةً من المجموعات القتالية الأكثر فعالية التي تعمل حالياً داخل سوريا. حارب العديد من أعضاء جبهة النصرة الأولين في العراق ضد القوات الأمريكية، كما أنّه لدى الجبهة معايير عالية لمجنديها.

مما ساهم في زيادة الأمر تعقيداً، كان رفض المنظمة الأم لجبهة النصرة، وهي تنظيم القاعدة في العراق (والتي سيُطلَق عليه في النهاية اسم الدولة الإسلامية)، استقلال جبهة النصرة في البداية، خشية أن تكون قد أصبحت محليّة فقط وأنّها تُركّز كثيرًا على سوريا. أراد تنظيم القاعدة في العراق الاعتراف به باعتباره الجهة الرسمية الوحيدة (التابعة) لتنظيم القاعدة في كل من العراق وسوريا، وفي عام 2013 طالب بإخضاع جبهة النصرة؛ قاومت جبهة النصرة واتجهت إلى الظواهري للحفاظ على استقلالها. ربما لأنه كان من المعروف أن تنظيم القاعدة في العراق كان وحشياً في تعامله مع إخوانه المسلمين ولأنّ قيادييه لديهم تاريخ حافل في تجاهل القيادة المركزية لتنظيم القاعدة، فقد رفض الظواهري مطلب القاعدة في العراق وانحاز إلى جبهة النصرة، مع الاعتراف بسلطة جبهة النصرة في سوريا. في عام 2014، أدى هذا النزاع بين الطرفين إلى نشوب العنف، حيث قامت كلٌّ من جبهة النصرة والدولة الإسلامية بمحاربة بعضهم البعض. أفادت التقارير أن القتال الداخلي بين الجماعتين قد أسفر عن مقتل ما يقارب 3000 شخص حتى الآن.[1]

ما دور الجماعات المشابهة في الفكر ولكن غير التابعة إلى تنظيم القاعدة؟

على الرغم من الطبيعة المغرية لحشد كل الجماعات الإسلامية العنيفة معًا، إلّا أنّ تنظيم القاعدة لا يضمّ سوى قسم محدد منها. لا يقوم تنظيم القاعدة بأي تعاون جاد مع الجماعات غير المسلمة، وكان له في أفضل الأحوال تعاون متقطع مع مجموعات غير سنّية مثل حزب الله الشيعي في لبنان. في كثير من الأحيان، تتسم علاقة المنظمة بالشيعة بالعداء الدموي. حتى داخل العالم السني، عادةً ما يكون تنظيم القاعدة معادياً للجماعات التي تقع أيديولوجيتها خارج الإطار السلفي، مثل جماعة الإخوان المسلمين.

(1) B. M. Jenkins, «Brothers Killing Brothers: The Current Infighting Will Test al Qaeda's Brand,» Perspective, RAND Corporation, 2014, p. 3, http://www. rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE123/RAND_ PE123.pdf.

على الرغم من أن جميع المنظمات الفرعية التابعة للقاعدة هي مجموعات سلفية جهادية، لا يمكننا التعميم بأنّ جميع المنظمات السلفية الجهادية هي منظمات فرعيّة للقاعدة: حيث أنّ بعض هذه الجماعات ترفض القاعدة، بينما يُرفض البعض الآخر من قِبل التنظيم نفسه. تُعارض بعض الجماعات أولويات تنظيم القاعدة، بينما تتعارض مجموعات أخرى حول قضايا أيديولوجية مثل شرعية استهداف المدنيين. على الرغم من أن بعض الجماعات قد ترغب في الانضمام إلى تنظيم القاعدة، إلا أن إمكانية القيام بذلك قد تكون محدودة بسبب عدم وجود تفاعل شخصي أو بسبب النزاعات القائمة بين القادة.

يوجد العديد من المجموعات المهمّة التي تتعاون مع تنظيم القاعدة ولكنّها ليست فرعية أو تابعة للتنظيم، حيث تُقدّم حركة طالبان وشبكة حقاني ولشكر الطيبة، بالإضافة إلى مجموعات أخرى ناشطة في المنطقة الأفغانية الباكستانية، العون لتنظيم القاعدة، وتتقاسم مرافق التدريب واللوجستيات، وتساعد عمومًا في العمليات. ومع ذلك، فإن هذه الجماعات لا تُقسم بالولاء للظواهري أو تأخذ اسم القاعدة، كما أنّ هيكلها القيادي يبقى مختلفًا عن تنظيم القاعدة. يتقاسم كلٌّ من بوكو حرام في نيجيريا وأنصار الدين في مالي وأنصار الشريعة في تونس وليبيا سمات عقائديّة مشتركة مع تنظيم القاعدة وربما يكون لديهم عناصر يشاركون في تدريبات محدودة تحت إشراف تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وإرشاده التكتيكي (مما يجعلهم ربما «منظمات فرعيّة من جيل آخر»)، ولكن هذه الجماعات لا تتّخذ اسم القاعدة أو تعد بالولاء لتنظيم الظواهري. عمل تنظيم القاعدة أيضًا مع عناصر من الحركة الإسلامية الأوزباكستانية، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، ومختلف الجماعات الناشطة في الشيشان. انضم بعض أعضاء هذه الجماعات إلى تنظيم القاعدة، ويُعتَقَد أن قلّة من الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة أصبحت جزءًا من الهيكل القيادي لتنظيم القاعدة. ومع ذلك، فإن المنظمات الأكبر التي يمثلها هؤلاء الأعضاء قد حافظت على استقلاليّتها ولم تتّخذ اسم القاعدة أو تُقدّم الولاء للظواهري. في جنوب شرق آسيا، احتضنت جماعات مثل «الجماعة الإسلامية» و«مجموعة أبو سياف» أعضاءً تم تدريبهم من قِبل تنظيم القاعدة، وكانت في بعض الأحيان تتقاسم التخطيط العملياتي ـ لكن كما سبق، لم تتّخذ هذه الجماعات اسم القاعدة ولم تُعلن الولاء للظواهري.

حاولت بعض المجموعات أيضًا اتّخاذ اسم القاعدة (ربما للحصول على الشرعية والمكافآت المالية المتصورة التي قد تأتي مع مزايا هذا اللقب)، ولكن لم تم قبولهم حتى الآن من قبِل

تنظيم القاعدة كمنظمات فرعيّة رسميّة. في الواقع، اشتكى قادة تنظيم القاعدة من أنّ هذه المجموعات تقوم بجمع الأموال أو يزعمون أنهم من تنظيم القاعدة ولكنهم في الواقع يسيئون إلى اسم التنظيم. كما صرّح أحد القادة بأنّه «من الواجب السيطرة على هذه الأفعال».[1]

ليس من المستغرب أن العديد من أعضاء الجماعات الجهادية يفضلون مواصلة تركيزهم على الأهداف الأكثر محليّة وبالتالي اختيار تجنب الانتماء إلى تنظيم القاعدة تمامًا. في الشيشان، جرت مراسلات بين زعيم المتطوعين العرب «خطّاب» وبن لادن في أواخر التسعينيات حول الاستراتيجية في المقام الأول ـ حيث كان كلاهما جهاديان، لكنهما فسّروا دورهما بشكل مختلف. ركّز بن لادن على التحالف الصهيوني ـ الصليبي المفترض و«العدو البعيد»، في حين أراد خطّاب إنشاء حكومة إسلامية في الشيشان والتي ستُستَخدم لاحقاً كقاعدة للتوسع في البلدان المجاورة. في النهاية، تسبب هذا الاختلاف الاستراتيجي (بالإضافة إلى الآراء المتباينة حول استهداف المدنيين) في إنهاء خطّاب لعلاقته مع تنظيم القاعدة.[2]

كيف يستفيد تنظيم القاعدة؟ وكيف تستفيد المنظمات الفرعيّة التابعة له؟

تُساهم المنظمات الفرعية في جعل تنظيم القاعدة منظّمة عالميّة فعّالة. من خلال شنّهم لهجمات في بلدانهم ومناطقهم الأصلية باسم القاعدة، تُساهم تلك المنظّمات الفرعية التابعة للقاعدة بتصوير الوضع وكأنّ القيادة المركزية لتنظيم القاعدة هي من يتحكّم بالأحداث في جميع أنحاء العالم الإسلامي. تمتلك المنظمات الفرعيّة المئات أو حتى الآلاف من المقاتلين، وتوفّر العلاقات مع المجتمعات المحلية، وتقدم المعرفة المناطقيَة (المادية والبشرية على حد سواء)، وتكون قادرة بشكل أفضل على القتال والعمل على أرضها، بينما قد يكون لدى تنظيم القاعدة الأساسي بضع مئات من العملاء فقط. نتيجةً لذلك، يمكن لتنظيم لقاعدة الادّعاء بأن رايته ترفرف عالياً في العديد من ساحات القتال المهمة التي قد يجد صعوبة في القيام بالعمليّات فيها.

(1) «Letter to Azmarai [English translation],» internal Al Qaeda correspon ـ dence, Harmony Project document #SOCOM 0000006 ـ 2012 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, n.d., https://www.ctc.usma.edu/posts/ letter ـ to ـ azmarai ـ english ـ translation 2 ـ. An easier to read copy is available at National Journal, http://assets.nationaljournal.com/pdf/OBL4.pdf.

(2) F. Gerges, The Far Enemy: Why Jihad Went Global (New York: Cambridge University Press, 2005), p. 58; Hegghammer, Jihad in Saudi Arabia.

عندما تصبح مجموعةٌ ما تابعة إلى التنظيم، فإنها تتّخذ ظاهريّاً أجندة القاعدة المعادية لأمريكا والغرب، وغالبًا ما تحول هدفها، خاصةً داخل مجال عملياتها الخاصّة. على سبيل المثال، في 8 آب 2009، وبعد ثلاثة أيام فقط من تحذير الظواهري من أن فرنسا «ستدفع ثمن جميع جرائمها»، نفّذ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي تفجيرًا انتحاريًا للسفارة الفرنسية في نواكشوط، موريتانيا.(1) في الواقع، تم تنفيذ بعض من أكثر هجمات «القاعدة» سوءاً منذ 11 أيلول من قبل مجموعات فرعيّة تابعة للتنظيم. وتشمل هذه الهجمات هجمات الفندق الذي قام بها «تنظيم القاعدة في العراق» عام 2005 في الأردن، ومحاولة «تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية» في تفجير طائرة يوم عيد الميلاد لعام 2009 فوق مدينة ديترويت، بالإضافة إلى مؤامرة طائرات الشحن لعام 2010. حتى عند استمرار هذه المجموعات بالتركيز على الأهداف المحلّية الخاصّة بهم، فإنّها تُعزّز أهداف تنظيم القاعدة المعادية لأمريكا والغرب.

قد تعمل الجماعات الفرعيّة التابعة للتنظيم على الاحتفاظ بشبكة من المساعدين لها خارج بلدها الأصلي، وعادةً ما يكون ذلك بقصد تأمين الدعم اللوجستي وجمع الأموال. غالبًا ما تتضمن هذه الشبكة الجالية المحلّية التابعة لتلك التنظيمات ممن يعيشون في الخارج. وبالتالي فإن التبعيّة تمنح تنظيم القاعدة الأساسي إمكانية الوصول إلى موارد وشبكات إضافية حول العالم. تدير الجماعات الجزائرية شبكة لوجستية واسعة في جميع أنحاء أوروبا، وذلك في المقام الأول لجمع الأموال من خلال الجالية هناك وأيضاً للتنسيق مع الشمال أفريقيين الذين يعيشون هناك، كما ترتبط حركة الشباب أيضاً بالجالية الصومالية المنتشرة بكثافة.

يُعتبَر التدريب أحد أهم العوامل التي تجذب الجماعات التابعة للقاعدة وهو ما يساعد على توطيد الروابط بينهما. في التسعينيات، أدار تنظيم القاعدة معسكرات تدريب في أفغانستان وباكستان والسودان قدمت دروسًا في صنع القنابل وتزوير جوازات السفر واستخدام الأسلحة الصغيرة وغيرها من المهارات القيّمة. في فترة ما بعد 11 أيلول، أصبحت قدرات التنظيم التدريبية محدودة جدّاً، لكنه استمرّ في تدرب عناصر في باكستان ـ على الرغم من أن حملة الغارات العدوانية قد قلّصت مقدار الوقت الذي يُقضى في معسكرات التدريب، حيث

(1) J. P. Filiu, «Al ـ Qaeda in the Islamic Maghreb: Algerian Challenge or Global Threat?» Carnegie Papers, vol. 104, October 2009, p. 14.

لا يمكن للمجندين البقاء لفترة طويلة دون المخاطرة في تعرّضهم للكشف.[1] ونظراً لتلك الصعوبات، شجّع تنظيم القاعدة أيضًا وساعد في إنشاء معسكرات تدريب من قبل الجماعات التابعة وغيرها من المجموعات المتحالفة معه. وبالتالي، فإن الانتماء إلى تنظيم القاعدة يمكن أن يساعد المقاتلين المحليين على اكتساب خبرة عسكرية وتعلم مهارات وأساليب جديدة كما يسمح للتنظيم الرئيس بمنح المقاتلين المحتملين مزيدًا من الخيارات للتدريب. تنقل شبكات اتصالات القاعدة المهارات والتكتيكات إلى جميع المنظمات التابعة المختلفة، وتتقاسم أفضل الخبرات. تُقدّم بعض أهم أجزاء العملية التعليمية على المستوى الاستراتيجي: حيث يقوم القادة الجهاديون بتدقيق نجاحاتهم وإخفاقاتهم ونقل الدروس المستفادة إلى الجماعات التابعة. كان «تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية» أكثر احتراماً للمظالم المحلية والهويّة القَبَليّة بالمقارنة مع جماعات أخرى مثل «تنظيم القاعدة في العراق» وذلك لأن تنظيم القاعدة تعلّم ونقل دروساً عن احترام الحساسيات المحليّة للجماعات والمنظمات الفرعية التابعة له.

يوفّر هذا الاندماج أيضًا لكلٍّ من التنظيم الأساسي والمجموعات المحلية فرصًا دعائية أفضل تساعدهم في الوصول إلى المزيد من المجندين المحتملين من خلال الإمكانيات الموجودة. يمتلك تنظيم القاعدة جهاز دعائي قوي ينتج مقاطع فيديو ويدير مواقع الويب، ويعمل على نشر القضايا بطريقة مترابطة. يختار تنظيم القاعدة ما يريده بعناية من بين أفعاله وأفعال المنظمات التابعة له، ويسلط الضوء على الأعمال الأكثر نجاحًا وبطولية (ويتجاهل أو يقلّل من الإخفاقات والأخطاء). يمتلك تنظيم القاعدة شهرة كبيرة وذلك نظراً لسمعته السيئة جدّاً في العالم. من الصومال إلى العراق، استغلّ تنظيم القاعدة شهرتهُ في جميع أنحاء العالم وذلك لجذب الانتباه إلى الصراعات المحلية، وبذلك، جذب المجنّدين والأموال إلى لمقاتلين المحليين.

يتمتّع تنظيم القاعدة باسم مميّز ذي مكانة خاصّة بين النّاس، خصوصاً في المناطق التي تكون فيها المشاعر المعادية للولايات المتحدة والغرب قوية بالفعل، بمعنى آخر، في معظم العالم الإسلامي. قد تسعى المجموعات إلى استبدال تسمياتها المحلية بإسم تنظيم

(1) N. Robertson and P. Cruickshank, «Al Qaeda's Training Adapts to Drone Attacks,» CNN, July 31, 2009, http://www.cnn.com/2009/CRIME/0730// robertson.al.qaeda.training/index.html?iref=topnews.

القاعدة، معتقدةً أن اسم القاعدة سيفرض سلطة أكثر على المجندين والممولين. وفقاً لكريس هارنيش، «أحد الموضوعات التي ترددت مرارًا وتكرارًا عبر مقاطع الفيديو التجنيديّة التابعة لحركة الشباب هي أيديولوجية الحركة المشتركة مع القاعدة. تبذل المجموعة جهودًا كبيرة لتصوير مهمتها كجزء من الجهود العالميّة التي يبذلها بن لادن لهزيمة «الصليبيين» في جميع أنحاء العالم وإنشاء خلافة إسلاميّة عالمية».[1]

تعمل التسمية العالميّة للتنظيم أيضاً على فتح إمكانيّات جديدة للمقاتلين الأجانب المميّزين أو ذوي الخبرة القتاليّة للانضمام إلى المعركة. اجتذبت جبهة النصرة مئات المقاتلين الأجانب إلى صفوفها، حيث يشكّل أولئك المقاتلين جزءاً كبيراً من الجبهة؛ تستخدم كلٌّ من حركة الشباب والقاعدة في شبه الجزيرة العربية المقاتلين الأجانب أيضاً، ويضاف إليهم تنظيم القاعدة في العراق. غالبًا ما يكون المقاتلون الأجانب متحمسين للغاية وأكثر استعدادًا لتولي الدور المهم للمفجّر الانتحاري، وغالبًا ما تكون الطرق المُستخدمة من قبل تلك الجماعات هي الطرق الأكثر فتكاً ووحشيّة.[2]

تُعتبر الأفكار والهويات الانتمائية المشتركة إحدى أهم العناصر الفعّالة في استراتيجية الانتماء التي يتبنّاها تنظيم القاعدة. تندرج كافّة الجماعات التابعة لتنظيم القاعدة تحت مسمّى الجماعات السلفيّة الجهادية، وبالنسبةِ إلى تنظيم القاعدة، فإنّ امتلاك العديد من المنظمات التابعة والتي تحمل اسم «القاعدة» يُعزّز من صورة التنظيم عالمياً على أنّه قائد للحركة الجهاديّة في العالم الإسلامي متجاوزاً المركز الرئيس للتنظيم في منطقة باكستان ـ أفغانستان. يبحث تنظيم القاعدة في سبيل دعم قضيّته الجهاديّة عن جماعات فرعيّة تابعه له في المناطق التي يرى فيها التنظيم أن المسلمين يتعرضون للهجوم من قِبل قوى غير إسلاميّة ـ وهذا بحسب تفسير التنظيم يمكن اعتباره أيّ مكان يتواجد به المسلمون. لقد جسد العراق هذا التصور؛ وبالمثل، فإن تجربة حركة الشباب في الدفاع عن الصومال من إثيوبيا

(1) C. Harnisch, «The Terror Threat from Somalia: The Internationalization of Al Shabaab,» Critical Threats, American Enterprise Institute, February 12 2010, p. 29, http://www.criticalthreats.org/sites/default/files %20/pdf_upload/ analysis/CTP_Terror_Threat_From_Somalia %20_Shabaab_Internationalization.pdf.

(2) A. Moghadam, The Globalization of Martyrdom, Baltimore, MD, Johns Hopkins University Press, 2011.

(المسيحية)، وفقًا لأحد المحللين، «كانت مناسِبة جدّاً لرواية التنظيم».[1] تعمل الجماعات الفرعيّة على مساعدة تنظيم القاعدة في تعزيز مطالبته بقيادة العالمين الجهادي والسلفي.

ما الأمور التي تعيق عمليّة التعاون؟

إنّ الحركة السلفية الجهادية منقسمة إلى حد كبير، كما أنّ العديد من هذه الانقسامات تحد من التعاون بين تنظيم القاعدة والجماعات التابعة له. قد يتفق كبار المفكرين الجهاديين ومختلف المجموعات المهمة على الأهداف الرئيسة، لكنهم يختلفون غالبًا فيما يتعلق بالأولويات وأفضل السبل لتخصيص الموارد. في حين أن جميع الجهاديين السلفيين تقريبًا يعتقدون بضرورة محاربة الغزاة الأجانب للأراضي الإسلامية، إلا أن البعض منهم فقط يركّز على محاربة ما يسمى بالأنظمة المرتدة. وبينما يشدد جوهر تنظيم القاعدة على الهجمات ضد الولايات المتحدة وأوروبا باعتبارها الخطوة الأولى لإسقاط هذه الأنظمة، فإن الجماعات التابعة له أكثر محليّة وإقليمية من حيث تركيزها العملي.

تنضمّ تلك الجماعات إلى تنظيم القاعدة مُحمّلةً بأحداث تاريخية وأجندة فكريّة خاصة بها، وغالباً ما تحافظ تلك الجماعات عليها حتى بعد أن تتّخذ اسم تنظيم القاعدة. بالنسبة لجوهر القاعدة، فإن التركيز المستمر من جانب جماعة تابعة له على القضايا المحلية ليس دائمًا بمشكلة ـ حيث ترحّب قيادة التنظيم أيضًا بفكرة الإطاحة بأنظمة المرتدين المحلية ـ لكنهم يختلفون حول مقدار مساهمة الجماعة التابعة في الكفاح العالمي الأوسع. حتى أن بن لادن انتقد تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ـ وهو أكثر جماعة فرعيّة مُقرّبة من تنظيم القاعدة والأكثر نشاطًا في استهداف الغرب بشكل مباشر ـ لتركيزه الشديد على النضال المحلي وليس بما يكفي على الهجمات ضد الغرب.[2]

غالباً ما يخلق هذا السؤال انقساماً داخل مجموعةٍ ما، ممّا يدفع بعض الأعضاء إلى الانفصال والانتماء إلى تنظيم القاعدة، بينما يختار الأعضاء الباقون إما مواصلة ممارستهم لأجندتهم المحلية أو التخلي عن القتال تمامًا. عارض بعض أعضاء الجماعة السلفية

---

(1) K. Menkhaus, quoted in T. Helfont, «The Foreign Fighters Problem: Recent Trends and Case Studies,» in M. P. Noonan, ed., The Foreign Fighter Problem, Recent Trends and Case Studies: Selected Essays, p. 5.

(2) Lahoud et. al, Letters from Abbottabad, pp. 33–35.

للدعوة والقتال، سلف القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، قرار الانضمام إلى تنظيم القاعدة، وقبل الكثيرون في النهاية عرض العفو الذي قدمته الحكومة. من وجهة نظر المجموعة المحلية، يفرض الانشقاق تكاليف هائلة: المجموعة تفقد الأعضاء (وأيًا من الخبرات والموارد التي جلبها هؤلاء الأعضاء إلى الطاولة) وتكتسب مصدرًا ثابتًا للنقد وغالبًا ما تكون منافسًا فوريًا.

عارض بعض أعضاء «الجماعة السلفية للدعوة والقتال»، سلف القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، قرار الانضمام إلى تنظيم القاعدة، بينما قبِل الكثيرون في النهاية عرض العفو الذي قدمته الحكومة. من وجهة نظر المجموعة المحلية، يفرض الانشقاق تكاليف هائلة: حيثُ تخسرُ المجوعة أعضاء (وأيًا من الخبرات والموارد التي جلبها هؤلاء الأعضاء) وتكتسب مصدرًا ثابتًا للنقد وغالبًا ما تكتسب منافساً مباشراً لها.

إنّ الاتّجاه نحو الهدف العالمي يُعدُّ بمثابة خسارة للفرصة البديلة: فكلّما ركزت المجموعة على الكفاح العالمي، كلّما قل عدد الموارد التي تخصصها لصراعها المحلي. في خطأ مذهل إلى حد ما، تعرّض تنتظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية للأذى عندما بدأ جوهر تنظيم القاعدة والعديد من رجال الدين السعوديين المتعاطفين معه إعطاء الأولوية للجهاد المناهض للولايات المتحدة في العراق في عام 2003. فضّل الكثير من المتطوعين المحتملين القتال الأكثر شعبية وشرعيّة دينية وهو قتال القوات الأمريكية في العراق فضلاً عن محاربة النظام السعودي، وخسر أولئك الذين يقاتلون نظام آل سعود المال والأفراد والشرعيّة.[1] ومن المفارقات المثيرة للسخرية، أن التركيز الخطابي المستمرّ لتنظيم القاعدة على محاربة الجهاد العالمي قد أدى إلى نتائج عكسية، وفي النهاية أحبط الطموحات المحلية للجماعة الفرعيّة السعودية التي سعى بكل قوّة لإيجادها.

تحاول المجموعات في كثير من الأحيان التوفيق بين هاتين الاستراتيجيتين المتعارضتين أحياناً وذلك من خلال توسيع هجماتها لتشمل المزيد من الأهداف الغربية (ولو كانت تلك التي تقع في مناطق نفوذها، مثل السفارات والفنادق) والانتقال من التركيز الوطني الضيّق إلى التركيز الإقليمي الأوسع. قامت المنظمة التي سبقت «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب

(1) T. Hegghammer, «The Failure of Jihad in Saudi Arabia,» Combating Terrorism Center at West Point Occasional Paper, February 25, 2010, pp. 22–25.

الإسلامي»، وهي «الجماعة السلفية للدعوة والقتال»، بالتركيز بشكل شبه كلي على الجزائر في السنوات الخمس التي سبقت حصولها على اسم القاعدة في عام 2007. ومنذ ذلك الحين، واصلت التركيز في المقام الأول على الجزائر، لكنها نفذت أيضًا عدداً كبيراً من الهجمات في مالي والنيجر وموريتانيا ودول إقليميّة أخرى.

حتى هذه الانتصارات المحدودة قد تكون قليلة ومتباعدة بالنسبة إلى تنظيم القاعدة الرئيس، حيث تقوم بعض المجموعات بالتوقيع على أجندة تنظيم القاعدة ـ وتقبل بسهولة المكانة والموارد الإضافية التي تأتي مع هذا التوقيع ـ لكن لا تفعل شيئًا في مقابل تعزيز الرؤية الاستراتيجية للتنظيم. أوجدت دراسة أجراها مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت (West Point's Combating Terrorism Center) أن المنظمات الفرعيّة غالباً ما تتطلع إلى نواة تنظيم القاعدة للحصول على إرشادات بشأن القضايا الاستراتيجية، مثل ما إذا كانت ستعلن عن دولة إسلامية، ولكنها تستشير نواة التنظيم بشكل قليل جدّاً بما يخصّ العمليّات الحربيّة وتتجاهل كثيرًا وبشكل واضح التعليمات التوجيهية لنواة التنظيم.[1] مما زاد خيبة أمل القيادة الأساسية لتنظيم القاعدة، أنّه حتى بعد تغيير الإسم عام 2007 إلى «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي»، لم يحاول قادة تلك الجماعة حشد المؤيدين في أوروبا نيابة عن الجهاد العالمي ولم يجلبوا «الحرب» إلى القارة الأوروبية.[2] كما يعلّق جان بيير فيليو (Jean ـ Pierre Filiu) على هذه القضيّة موضّحاً أن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي هي «فرع الجهاد العالمي الذي فشل بوضوح في اتباع إرشادات تأسيسه».[3]

على الرغم من أنه نادراً ما يتم ذكره في الخطابات الناريّة المصاحبة لمثل هذه القرارات، إلا أن قرار جماعةٍ ما بالانتماء إلى تنظيم القاعدة غالباً ما يأتي في أعقاب الفشل الكارثي لهذه الجماعة في موطنها. غالبًا ما تؤدي النكسات المدمرة في الكفاح ضد النظام المحلي إلى حدوث أزمة داخل المجموعة تدفع بها إلى تغيير النهج والانضمام إلى تنظيم القاعدة. وغالبًا ما تبحث تلك الجماعات عن التسمية الجديدة المتعلّقة بتنظيم القاعدة وذلك لأن صورتهم المحلية قد عانت من أضرار لا تُعوّض. ومع ذلك، يُمكن القول أن تنظيم القاعدة يحصل على ما يشبه البضاعة الفاسدة. بحسب ما يدّعي ليان كينيدي بودالي (Lianne Kennedy

(1) Lahoud et al., Letters from Abbottabad, p. 12.

(2) Burke, The 911/ Wars, p. 417.

(3) J. P. Filiu, «Al ـ Qaeda in the Islamic Maghreb: Algerian Challenge or Global Threat?» p. 14.

Boudali)، أنه بالنسبة لبعض المجموعات، يجب أن يُفهم «قرارهم بالانضمام إلى الجهاد العالمي لتنظيم القاعدة على أنه تصرُّف يائس».[1]

تؤيّد العديد من المنظّمات التابعة أيضًا أجندة اجتماعية مثيرة للانقسام معارضةً بذلك أولويّات القاعدة ـ ولأنهم يستخدمون اسم القاعدة، فإن هذه الأجندة التي لا تحظى بشعبية تشوّه صورة القاعدة. أحد أكبر الانقسامات في المجتمع السلفي الجهادي تتمحور حول موضوع من هو المسلم «الحقيقي» وما هي التزامات الجهاديين تجاه غير السلفيين. في كلٍّ من الجزائر في منتصف إلى أواخر التسعينيات وفي العراق خلال ذروة التمرّد السني في منتصف الألفية الثانية، تبنّت الجماعات أيديولوجية متطرفة تبرّر ذبحها للمدنيين المسلمين. في كلا البلدين، قلل هذا العنف من شعبيّة الجماعات، مما أدى إلى نفور الغالبية العظمى من المسلمين العاديين في الداخل والخارج.

بالنسبة للقاعدة، يمكن أن يرتدّ أثر الأعمال السيّئة للجماعات الفرعيّة على القضية الجهادية بشكل عام، مشوّهاً سمعة القاعدة ومحوّراً لأجندتها الجهاديّة. على الرغم من أن بن لادن فضّل الهجمات على أهداف مدنية مثل السفارات ومركز التجارة العالمي، إلا أنه كان قلقًا من أن الهجمات المنتظمة والعشوائية على المدنيين العاديين، مثل تلك التي يشنّها تنظيم القاعدة في العراق، يمكن أن تشوّه صورة الحركة بالإضافة إلى «تشويه صورة الجهاديين في نظر الأمّة [المجتمع الإسلامي] وإبعادهم عن قواعدهم الشعبية».[2] ومن المفارقات المثيرة للسخرية أيضاً أنّ الأعضاء الأساسيين لتنظيم القاعدة قد شعروا في بعض الأحيان أن المنظمات الفرعية التابعة لهم كانت متطرّفة للغاية. ومع ذلك، من الصعب على قيادة التنظيم المركزيّة أن تتبرّأ أو تنكر أي جماعة تابعة لها.

بالنسبة للمنظّمة الفرعيّة، فإن اتّخاذ اسم القاعدة يجلب الكثير من الجوانب السلبية، أهمّها غضب الولايات المتحدة والأعداء الآخرين لمنظمة الظواهري. كانت هجمات الحادي عشر من أيلول بمثابة كارثة على الجماعات الجهادية المحليّة التركيز التي حافظت على روابط تنظيمية محدودة مع تنظيم القاعدة، حيث قامت الولايات المتحدة بملاحقة تلك الجماعات

(1) L. K. Boudali, «The GSPC: Newest Franchise in Al Qa'ida's Global Jihad,» Combating Terrorism Center at West Point, April 2007, p. 1, http://www.dtic. mil/dtic/tr/fulltext/u2/a466539.pdf.

(2) As quoted in Lahoud et al., Letters from Abbottabad, p. 13.

بكامل قوتها. بحسب الخبير الإستراتيجي الجهادي أبو مصعب السوري، فإن هجمات الحادي عشر من أيلول دفعت «الجهاديين إلى الفرن الناري».... جحيمٌ التهم معظم قادتهم ومقاتليهم وقواعدهم».[1] لذلك، بالنسبة للمنظّمات الفرعية وكذلك القيادة الأساسيّة للتنظيم، فإن اتّخاذ اسم القاعدة هو سلاح ذو حدّين.

هل ما زالت القيادة المركزيّة لتنظيم القاعدة تسيطر على الحركة السلفيّة الجهادية إلى الآن؟

كثيراً ما يجد تنظيم القاعدة صعوبةً في السيطرة على المنظمات الفرعية التابعة له، ناهيك عن الأجزاء الأبعد من الحركة السلفية الجهادية. على الرغم من اعتبار التنظيم لنفسه منظمّة طليعية في الجهاد، إلا أن أعمال التمرد الجهادية في الجزائر والشيشان وكشمير قبل أحداث 11 أيلول ازدهرت جميعها مع دور بسيط جدّاً للقاعدة، بينما قام إرهابيون مهمّون مثل رمزي يوسف، الذي كان العقل المدبر لتفجير مركز التجارة العالمي عام 1993، بالعمل بشكل مستقلّ. ومع اكتساب تنظيم القاعدة لمكانته ـ ومع تطوّر براعته في جمع الأموال وازدياد شبكة معسكراته التدريبية ـ اجتذب المزيد من المقاتلين إلى رايته، لكن بن لادن لم يسيطر إلّا على جزء بسيط من الحركة الكليّة.

غالباً ما يستخدم تنظيم القاعدة الأموال للتأثير على قضايا الحلفاء المُحتملين وتشكيلها.

خلال معظم تاريخه، كان تنظيم القاعدة غارقاً بالنقود وفقًا لمعايير الجماعات الجهادية، حيث استخدم رأس المال هذا لدعم المقاتلين ذوي الفكر المشابه، ومساعدة القضية الجهاديّة العامة، وإقامة تحالفات مع مجموعات مختلفة. بالإضافة إلى قدراته الاحتياطيّة الخاصة، تمكنّ تنظيم القاعدة من الوصول إلى شبكة كبيرة من المانحين، معظمهم من العرب من دول الخليج الفارسي، والذين موّلوا مجموعة متنوعة من القضايا الجهادية. لقد ساعد اعتماد القاعدة على مساعدة الجماعات الأخرى في الحصول على التمويل من هذه المجموعة المهمة من المانحين.

ليس من المستغرب أن يقلّ التعاون المدفوع بالمال عندما يتوقف أو يقلّ التمويل.

(1) As quoted in Burke, The 911/ Wars, p. 156. For a broader look at al ـ Suri, see Lia, Architect of Global Jihad.

لقد ساهم ضغط الولايات المتحدة وحلفاؤها على المصادر المالية للقاعدة في تقليل قدرة المنظمة على توزيع الهبات الممنوحة لها، وغالباً إلى الحد الذي أجبر التنظيم على طلب مساعدة مالية من المنظّمات الفرعيّة التابعة له، أو فرض رسوم على المجنّدين المحتملين للتدريب، وبذلك إبطال دوره التاريخي كمنظمة ثرية نسبيًا توفر الموارد للمجموعات الأخرى. يشتكي الجهاديون الأوروبيون الآن من دفع أكثر من 1000 دولار مقابل بندقيّة من طراز AK ـ 47 وغيرها من الإمدادات أثناء التدريب في باكستان.[1] تُعتبر بعض القضايا الجهادية، مثل العراق بعد 2003 وسوريا بعد 2011، جذّابة للغاية بالنسبة للمانحين، في حين أن جماعات أخرى، مثل تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي، غالبًا ما يجمع الأموال من خلال أنشطته الخاصة، مثل القيام بعمليات الاختطاف بقصد الفدية أو العمل في التهريب.

ينبع جزء من المشكلة ببساطة من طبيعة إدارة منظمة عالميّة سريّة والتي يكون أعضاؤها الأساسيين في الغالب على بعد آلاف الأميال. يجب أن يتواصل تنظيم القاعدة مع الجماعات الفرعيّة التابعة له حيث يتم استخدام الهواتف المحمولة والإنترنت وحتى أجهزة الفاكس للقيام بذلك، لكن هذه الاتصالات يمكن أن تعترضها أجهزة المخابرات الأمريكية أو الحليفة، مما يكشف العمليات ويعرض النشطاء لخطر الغارات الجويّة أو الاعتقال. من ناحية أخرى، إذا حاول قادة تنظيم القاعدة التخفّي عن الأنظار، فإنّ هذا يجعل منهم قادة غير مؤثّرين. إنّ استخدام طرق الاتصال السرية، مثل استخدام ناقلي البريد، تقلل من هذا الخطر، لكنها أيضًا أقل فعالية بكثير. على سبيل المثال، عندما حاول بن لادن التواصل مع المنظمة السابقة للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في عام 2002، قتلت قوات الأمن الجزائرية مبعوثه السرّي.[2]

لعلّ أكثر وسائل السيطرة فعالية بالنسبة إلى تنظيم القاعدة تكمن في جهوده المبذولة لوضع أولويّات المجموعات المحلية عبر الدعاية والتدريب وتحسين صورته الشخصيّة. كانت القاعدة الآمنة التي يتمتع بها تنظيم القاعدة في أفغانستان تحت حكم طالبان ـ وبشكل متقطّع في العراق وباكستان ـ مفيدة في زيادة تأثير هذه المخططات. إن الافتقار إلى قاعدة آمنة يعمل التنظيم من خلالها، وقدرات المراقبة التكنولوجية الهائلة لأجهزة الاستخبارات

(1) Rotella, «Al Qaeda Recruits Back in Europe, but Why?»

(2) C. Whitlock, «Al ـ Qaeda's Far Reaching New Partner,» Washington Post, October 5, 2006, p. A1, http://www.washingtonpost.com/wp ـ dyn/content/ article/200604/10//AR2006100402006.html.

الأمريكية والحليفة، وصعود النزاعات الطائفية مثل تلك الموجودة في سوريا والعراق والتي تركز الانتباه بعيداً عن الولايات المتحدة، قد أعاقت قدرة تنظيم القاعدة في السيطرة على الحركة الجهاديّة.

أخيراً، على الرغم من نجاح تنظيم القاعدة في تحويل تركيز الجماعات التابعة له نحو أجندته الخاصّة المعادية للغرب، إلّا أنّ الأجندات الخاصّة لتلك الجماعات واهتماماتها لا زالت تستهلك معظم طاقاتها. لم ينجح تنظيم القاعدة بتحويل الجماعات التابعة له إلى بديل محلّي للتنظيم، كما أنّ الحركة الجهادية الأوسع لا تزال فوضوية ومنقسمة.

إذن ما الذي نتكلّم عنه عندما نتحدّث عن تنظيم القاعدة؟

يمكن تعريف معظم الجماعات الإرهابية من خلال بنية محددة وتسلسل هرمي ومجموعة من الأهداف ومجموعة من الأعضاء الملتزمين، ولكن جوهر القاعدة أكثر تنوّع كما أنّه قد تغيّر مع مرور الوقت، حيث أصبح يضم أعضاء أساسيين ومنتسبين ومجموعات متشابهة في الفكر والكثير من المؤيّدين له ممّا زاد من حيرة المراقبين على اختلاف أصنافهم. لكي نفهم ما يعنيه تنظيم القاعدة بدقّة، يجب علينا تقسيمه إلى عدة عناصر على الرغم من تداخلها إلّا أن كلُّ منها مميز بحد ذاته.

إنّ جوهر تنظيم القاعدة هو تلك النواة الصغيرة من الأتباع حول أيمن الظواهري. وعلى الرغم من أنّ أعدادهم تُقدَّر بالمئات فقط، إلّا أنّ تنظيم القاعدة لديه مجموعة من العملاء المتفانين والمهرة (معظمهم) ممّن أقسموا على ولائهم لبن لادن وعند وفاة بن لادن، للظواهري. إنهم يرون أنفسهم كطليعة: كادر النخبة من المقاتلين الذين يفهمون المصالح الحقيقية للجالية المسلمة ويُعدُّون روّاد للثورة. غالبًا ما تركز هذه المجموعة على الهجمات الإرهابية البارزة، مثل هجمات 11 أيلول.

على الرغم من ذلك، لا يمكن اعتبار تنظيم القاعدة على أنّه تلك النواة الصغيرة فقط. حيث أنّ التنظيم يدير معسكرات تدريب في أفغانستان وباكستان والسودان وأماكن أخرى منذ أواخر الثمانينات. تفيد لجنة الحادي عشر من أيلول أنه قبل الحادي عشر من أيلول، كان هناك ما يصل إلى 20 ألف مقاتل تدربوا في المعسكرات التي يدعمها بن لادن[1]، بينما

(1) «The 911/ Commission Report,» p. 67.

يشير إحدى وثلاثون تقريرًا آخر إلى أن العدد أعلى من ذلك بكثير. إنّ معظم الأفراد الذين تدربوا في معسكرات القاعدة معروفون لدى تنظيم القاعدة، سواء على المستوى الفردي أو البيروقاطي، والكثير منهم متعاطفون مع بعض جوانب الحركة على الأقل. على الرغم من أن التنظيم قد عمل مع هؤلاء الأفراد من حين لآخر، إلّا أنّهم ليسوا بالضرورة خاضعين لسيطرة جوهر تنظيم القاعدة التشغيليّة. يبدو أن أحمد رسام(Ahmed Ressam)، الذي أدين في عام 2001 بالتخطيط لتفجير مطار لوس أنجلوس، تدرّب في معسكر له صلة بتنظيم القاعدة في أفغانستان وكان على اتصال مع بن لادن نفسه. من الواضح أن عناصر تنظيم القاعدة قدّموا له مبلغ 12000 دولار كأموال مبدئية، وادعى رسام بأنّه قد تم إخبارَه مع آخرين بارتكاب جرائم مثل السطو على البنوك لتمويل عملية ما في الولايات المتحدة. ومع ذلك، لم تتم محاولة التفجير هذه تحت الإشراف المباشرة للقاعدة، ولم تكن مُدَبَّرَة من قِبَل كبار قادة القاعدة.

على الرغم من أن بعض الأشخاص مثل رّسام يتصرّفون من تلقاء أنفسهم، إلا أن جانبًا آخر من مهمّة تنظيم القاعدة يتمثل في مهمّته لدعم الجماعات الجهادية الأخرى. كما يزعم الباحثان بيتر بيرغن وبروس هوفمان، «إن خطر تنظيم القاعدة لا يأتي فقط من قيادته المركزية في باكستان، ولكن من خلال تعاونه مع مجموعات أخرى متشابهة في الفكر».[1] بالإضافة إلى فروعه الرسمية مثل «تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية»، دعم تنظيم القاعدة مجموعات أخرى مثل جيش عدن أبين الإسلامي والجيش الإسلامي في العراق والحركة الإسلامية في أوزبكستان والجماعة الإسلامية في إندونيسيا ولشكر طيبة في باكستان وطالبان في أفغانستان وباكستان.

يوجد أيضاً جماعات أخرى لديها بعض التعاطف مع تنظيم القاعدة وروابط مع بعض المقاتلين المستقلّين، وقد يتعاون بعضهم مع تنظيم القاعدة في عمليات إرهابية من وقت لآخر، لكن هناك علاقة قيادية مفقودة بينهم. ربما يكون بعض المقاتلين لهذه الجماعات قد تدربوا في معسكرات تديرها القاعدة في أفغانستان؛ ربما قاتل آخرون مع أعضاء القاعدة (الحاليين أو المستقبليين) في أماكن مثل البوسنة والشيشان، وبالطبع أفغانستان؛ لا يزال البعض الآخر لديهم روابط عائلية أو مجتمعية مع أعضاء القاعدة الأساسيين. تختلف كثافة

(1) P. Bergen and B. Hoffman, «Assessing the Terrorist Threat: A Report of the Bipartisan Policy Center's National Security Preparedness Group,» Bipartisan Policy Center, September 10, 2010, http://bipartisanpolicy.org/ library/report/assessing _ terrorist _ threat.

الروابط بالقاعدة، وعلاقة القيادة، وغيرها من العوامل المهمة حسب المجموعة والفترة التاريخية، حيث تُعتبر العديد من هذه العلاقات شخصيّة وتنظيميّة.

في بعض الأحيان، تهاجم الجماعات أهدافًا سيهاجمها تنظيم القاعدة أيضاً، وتستخدم تكتيكات كتلك المُستخدمة من قِبل التنظيم، وتشرك الأفراد الذين يعتنقون أيديولوجية تشبه عقيدة الظواهري وبن لادن، ومع ذلك، فإن علاقاتهم مع القاعدة قليلة إن وُجدت. تبدو حركة أنصار الشريعة، التي كان أعضاؤها بارزين بين أولئك الذين ارتكبوا الهجوم على السفارة الأمريكية في بنغازي في 11 أيلول 2012، للوهلة الأولى مثل تنظيم القاعدة، إلّا أنّ الحركة وأعضائها مستقلّين عن جوهر القاعدة وقد تلقُّوا مساعدة مباشرة قليلة أو معدومة. وكما علقت دانا ميلبانك (Dana Milbank)، «إن هذه المجموعة قتلت السفير الأمريكي وثلاثة آخرين في بنغازي مما جعلها وحشية وخطيرة. لكن وصفها بالقاعدة لا يجعلها أكثر وحشيّة حيث أنّ الموضوع واضح تماماً».[1]

يمكن أيضًا اعتبار تنظيم القاعدة على أنه يشمل هؤلاء الأفراد ـ وخاصة أولئك الذين يعيشون في الدول الغربية ـ الذين يتبنّون أيديولوجية القاعدة ويستجيبون لدعوتهم للعمل ولكنهم لم يذهبوا إلى أفغانستان أو باكستان للتدريب أو ربما التقوا بعضو ما في تنظيم القاعدة الأساسي. هؤلاء الجهاديون «المحليون» لا يشكلون تهديداً استراتيجياً كذلك الذي يفرضهُ تنظيم القاعدة، لكنهم أثبتوا في بعض الأحيان أنهم فتّاكون. قام دجوخار وتامرلان تسارنايف (Dzhokhar and Tamerlan Tsarnaev)، منفّذي عمليات ماراثون بوسطن، بتخطيط وتنفيذ هجماتهم دون إشراف مباشر من نواة تنظيم القاعدة. وفقًا للائحة الاتهام الصادرة حول الأخوين دجُوخار، تعلم المهاجمون صنع القنابل من مجلة إنسباير، وهي المجلة الألكترونية باللغة الإنجليزية التي يُنتجها تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية والمتاحة على الإنترنت. ومع ذلك، ولأن التكتيكات والأيديولوجية الأساسية للمفجرين تبدو

(1) D. Milbank, «With al ـ Qaeda, What's in a Name?» Washington Post, January 14, 2014, http://www.washingtonpost.com/opinions/dana ـ milbank ـ with ـ al ـ qaeda ـ whats ـ in ـ a ـ name/201415/14/01/dfa354 7 ـd5b 11 ـe3 93 ـc1 0 ـe8881 70b723_story.html. For a superb explanation of the complexity of the Benghazi attack, see D. Kirkpatrick, «A Deadly Mix in Benghazi,» New York Times, December 13, 2013, http://www.nytimes.com/projects/2013/benghazi/#/?chapt=0.

مشابهة لما يؤيده الظواهري ولأنهم تعلموا من الدعاية التي قدمتها إحدى الشركات التابعة لتنظيم القاعدة، فإن تسمية القاعدة تستخدم في بعض الأحيان. ومع ذلك، ولأن التكتيكات والأيديولوجية الأساسية للمفجرين تبدو مشابهة لما يؤيده الظواهري ولأنهم تعلموا من الدعاية التي قدمتها إحدى المنظمات التابعة لتنظيم القاعدة، فإن تسمية القاعدة تُستخدم في بعض الأحيان.

في هذا السياق، يمكن وصف تنظيم القاعدة أيضًا بأنه عبارة عن أيديولوجية: دعوة لمقاومة عنيفة ضد الولايات المتحدة والدول الغربية عموماً وإسرائيل والأنظمة المسلمة المرتدة. قد يستمع أحد الشباب المسلمين إلى محاضرة للظواهري على شبكة الإنترنت أو قد يقرأ مقطعًا من تأليف أبو محمد المقدسي أو ويستمع إلى واعظ محلي يمتدح المسلمين الذين يذهبون للقتال في سوريا أو قد يتعرّف على رسالة تنظيم القاعدة ويتحوّل إلى متطرّف. في الواقع، كان أحد نجاحات بن لادن هو أخذ أفكار مثل الجهاد ضد الغرب وضد الأنظمة المرتدة ونقلها من هامش التطرُّف إلى موقف أكثر انتشارًا.

ومع ذلك، فإن تسمية هؤلاء الأفراد على أنّهم عناصر «القاعدة» يبالغ في الدعوة المُحدّدة للتنظيم وقدرته على شن هجمات. لأن قضية تنظيم القاعدة الجهاديّة واسعة، فمن السهل المبالغة في عدد المتعاطفين معها. تشير استطلاعات الرأي إلى أن العديد من المسلمين، وخاصة في الشرق الأوسط، يرفضون شرعية إسرائيل ويعتقدون أن المقاومة العنيفة للقوات الأمريكية في العراق مُبرّرة وأنهم معجبون بالمقاتلين المعارضين لنظام الأسد في سوريا. في استطلاع عام 2009، وافق أكثر من ثلاثة أرباع المصريين والفلسطينيين والأغلبية القوية من الأردنيين على الهجمات ضد القوات الأمريكية المتمركزة في الدول الإسلامية.[1] ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الناس يتغاضون عن الهجمات على المدنيين الأبرياء أو يرغبون في رؤية إراقة الدماء في شوارع المدن الأمريكية، حيث أنّ قلّة قليلة منهم يتّسمون بالعنف أصلاً، وأقلّ من ذلك منهم مرتبط بشكل ما بمجموعة لها صلات بالقاعدة أو بتنظيم القاعدة نفسه. بالإضافة إلى ذلك، حتى داخل عالم المتعصبين والانتحاريين، غالباً ما تكون الاختلافات حادّة بين نواة القاعدة وغيرها وتؤدي في بعض الأحيان إلى نشوب العنف.

(1) S. Kull et al., «Public Opinion in the Islamic World on Terrorism, al Qaeda, and US Policies,» WorldPublicOpinion.org, February 25, 2009, http://www. worldpublicopinion.org/pipa/pdf/feb09/STARTII_Feb09_rpt.pdf.

من الصعب الحصول على أرقام دقيقة حول العدد الرسمي لأعضاء نواة تنظيم القاعدة. قد يكون عددهم بالمئات، لكن العدد يزداد باطّراد عندما يتضمّن أولئك الذين تدرّبوا من قبل تنظيم القاعدة بالإضافة إلى حركات التمرد التابعة لهم: عندئذ يكون الرقم أعلى بكثير من 100,000 جهادي ناشط وربما أكثر من ذلك بكثير، على الرغم من أنّه بالنسبة للغالبية العظمى من هؤلاء الأفراد فإنّ أي علاقة عمليّاتية هي علاقة كامنة وسريّة على الأكثر، كما أنّ قلّة منهم لديه اهتمام في الإرهاب العالمي. قد يزداد العدد ويزداد البعد عن عمليات القاعدة الفعلية أكثر إذا تم تصنيف تنظيم القاعدة على أنّه أيديولوجية وتم أيضاً احتساب من يقبلون أجزاء كبيرة من هذه الأيديولوجيّة. قد تصل الأرقام هنا إلى الملايين، ولكن في هذه المرحلة يصبح تنظيم القاعدة بمثابة مجموعة من القضايا الإسلاميّة المتشدّدة بدلاً من جماعة إرهابية منظمة، وغالبًا ما يكون الخطر الذي يشكله هؤلاء الأفراد بسيطاً أو حتى لا يُذكر بالنسبة للغرب. ومع وجود ما يقدر بنحو 1.6 مليار مسلم في العالم، فحتى بضعة ملايين من الجهاديين العنيفين يمثلون نسبة مئوية صغيرة فقط من المجموع الكلّي. ومع ذلك، كما رأينا في الحادي عشر من أيلول، فإنّ مجموعة صغيرة فقط من المتطرّفين يمكن أن تتسبّب في الدمار.

على الرغم من أن هذه الفئات منفصلة من الناحية التحليلية، إلا أنها تتداخل في نطاق الممارسة بشكل كبير. قد يتنقّل بعض الأفراد ذهابًا وإيابًا بين الجماعات المحليّة وتنظيم القاعدة ويتعاونون فيما بينهم نتيجة الروابط الشخصية التي نشأت في معسكرات التدريب أو بسبب التعاطف الإيديولوجي. قد يبدأ الجهادي المحلي بالتهليل للمقاتلين المعارضين للوجود العسكري الأمريكي في الخارج، ثم الانضمام إلى تمرُّد مرتبط بالجهاديين أو السفر إلى باكستان للتدريب تحت إشراف تنظيم القاعدة (أو كليهما). أثناء وجوده في باكستان أو ربما في بلده، قد يلتقي بعضو في تنظيم القاعدة ويتلقى بعض التعليمات. يُعتَبر محمد عطا، الزعيم المُخطّط لمؤامرة 9/11، مثالًا رئيسا على هذه الظاهرة: فقد كان أول من دافع عن استخدام العنف نتيجةَ الفظائع الروسية ضد المسلمين الشيشان وسافر إلى أفغانستان بقصد الانضمام إلى المعركة في الشيشان؛ أثناء التدريب في أحد معسكرات القاعدة، كان عطا مُميّزاً بسبب تصميمه وقدرته على العمل في الغرب وتم اختياره للانضمام إلى تنظيم القاعدة وقيادة عملية 11 أيلول. وهكذا، كان محمد عطا جزءًا من جميع المكونات المختلفة لتنظيم القاعدة.

إذاً ما الذي نتكلّم عنه عندما نتحدث عن تنظيم القاعدة؟ هذا الجواب يختلف من شخص لآخر ومن بيئةٍ لأخرى وإنّ إطلاق التسمية العامّة «القاعدة» على كل فئة هو أكثر إثارة للحيرة بدلاً من التنوير والمعرفة. يختلف الجهاديون في ليبيا عن تنظيم القاعدة في باكستان، وكلاهما يختلف عن الإرهابيين المُدَرَّبين من قِبَل تنظيم القاعدة في أوروبا والطامحين للانضمام إلى التنظيم في الولايات المتحدة. نتيجة لذلك، يجب أن تتنوع جهود مكافحة الإرهاب بشكل كبير بناءً على نقطتين أساسيّتين وهما: من هم الأهداف المطلوبة وما الهدف النهائي لجهود مكافحة الإرهاب. إن الإستراتيجية الأفضل لهزيمة التمرد المحلي المرتبط بالقاعدة في شمال إفريقيا قد لا تكون بالضرورة أفضل استراتيجية لمكافحة الأيديولوجية الأوسع لتنظيم القاعدة. في بعض الأحيان، إنّ الوسيلة التي تُساعد في محاربة إحدى جوانب تنظيم القاعدة قد تكون نفسها مُضرّة أو سيئة عند استخدامها لمحاربة جانب آخر.

الفصل الثامن

الدولة الإسلاميّة

تُعدُّ الدولة الإسلامية النتاج الأهم لتنظيم القاعدة والخصم الأكبر له في الوقت ذاته. نشأت الدولة الإسلامية من تنظيم القاعدة في العراق، حيث كان كلٌّ من الأهداف والأعداء والتكتيكات الحربيّة لكلتا المجموعتين جزءاً من الحركة الجهادية الأوسع التي سعى تنظيم القاعدة منذ وقت طويل إلى توحيدها وقيادتها. في الوقت نفسه، انفصل تنظيم الدولة الإسلامية وزعيمها أبو بكر البغدادي بعنف عن تنظيم القاعدة في أواخر عام 2013، منافسين بذلك تنظيم القاعدة حول قيادة القضية الجهادية وممارسين لبعض التكتيكات التي قد تأتي بنتائج عكسية على الحركة ككل.

ماذا يجب علينا أن نُسمّي هذه الجماعة؟

تغيّرت تسميات الدولة الإسلامية مرارًا وتكرارًا عبر تاريخها. عند تأسيسها في أفغانستان، ظهرت جماعة أبو مصعب الزرقاوي (جند الشام) لأشهر قليلة فقط قبل قيام الزرقاوي بتغيير اسمها إلى (جماعة التوحيد والجهاد). بعد وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول وتشتُّت الجهاديين عندما سقطت حركة طالبان، انتقل الزرقاوي والجهاديون المتشابهون في الفكر إلى شمال العراق وبدأوا بسرعة في قتال القوات الأمريكية بعد سقوط نظام صدام حسين. في عام 2004 وبعد المفاوضات وقرار الزرقاوي بقبول قيادة بن لادن، أصبحت الجماعة تُسمّى «القاعدة في أرض النهرين»، والتي يشار إليها عادةً باسم القاعدة في العراق. بحلول عام 2006، اندمجت مع عدة مجموعات صغيرة وتغيّر اسمها لفترة وجيزة إلى «مجلس شورى المجاهدين»، ثم اندمجت بسرعة مرة أخرى مع عدة مجموعات صغيرة أخرى، مع اتّخاذها لاسم «الدولة الإسلامية في العراق»، على الرغم من أنه كان يشار إليها في الغالب باسم تنظيم القاعدة في العراق.

احتفظت «الدولة الإسلامية في العراق» بهذا الاسم حتى عام 2013، عندما قادها وجودها الكبير في سوريا إلى إضافة «الشام» (المصطلح العربي لسوريا الكبرى)، حيث أصبحت تُسمّى بالدولة الإسلامية في العراق والشام أو الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، وغالبًا ما يشار إليها ببساطة باسم «داعش». قامت بعض وسائل الإعلام والحكومة الأمريكية بترجمة كلمة «الشام» إلى «بلاد الشام»، في إشارة إلى منطقة شرق البحر المتوسط التي تضم سوريا والأردن وإسرائيل ولبنان والتي تأتي منها تسمية «الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام». في عام 2014، غيّرت المجموعة اسمها مرة أخرى وبسّطته عما قبل، حيث أصبح «الدولة الإسلامية» فقط، وذلك للدلالة على أن طموحاتها وسيادتها لم تقتصر على حدود العراق وسوريا وأنها ترفض الحدود المفروضة على العالم الإسلامي من قبل القوى الاستعمارية.

يشير بعض أعداء الدولة الإسلامية إليها بسخرية مستخدمين مصطلح «داعش»، وذلك اعتماداً على اختصار اللغة العربية لمصطلح «الدولة الإسلامية في العراق وسوريا». في اللغة العربية، تبدو كلمة داعش مشابهة لكلمة داعس (شخص يسحق شيئًا ما تحت قدميه) وأيضاً لكلمة داحس (شخص يزرع الفتنة) وكلاهما وصف دقيق ومهين للدولة الإسلاميّة. إذاً، لدينا لحد الآن تسعة أسماء ممكنة للمجموعة والتي سأشير إليها في الأغلب باسم «تنظيم القاعدة في العراق» للدلالة على فترة ما قبل 2011 وباسم «الدولة الإسلاميّة» إشارةً إلى فترة السنوات الأخيرة، أملاً في جعل الأمر أقل إرباكاً بالنسبة إلى القارئ.

من هو أبو بكر البغدادي؟

على عكس بن لادن أو الظواهري، لا يُعرف سوى القليل عن أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية الذي يصور نفسه الآن باسم «الخليفة إبراهيم». وُلد إبراهيم عوض إبراهيم البدري في عام 1971 وكان لاعب كرة قدم ماهر في شبابه ـ حيث أشار إليه أحد زملائه السابقين في الفريق على أنه «ميسي فريقنا»، مقارناً إياه بالمهاجم الأرجنتيني الشهير ليونيل ميسي ـ لذلك لم يكن هنالك ما يشير إلى أن هذا الولد الخجول والمتديّن سوف يكبر ليصبح واحداً من أكثر الرجال المطلوبين في العالم.[1] يُعتبر البغدادي مثقّفاً بشكل جيّد كنظرائه

(1) R. Sherlock, «How a talented footballer became the world's most wanted man, Abu Bakr al ـ Baghdadi,» The Telegraph, July 5, 2014, http://www.tele graph.co.uk/news/worldnews/middleeast/iraq/10948846/How ـ a ـ talented ـ footballer ـ became ـ worlds ـ most ـ wanted ـ man ـ Abu ـ Bakr ـ al ـ Baghdadi.html.

بن لادن والظواهري. في الواقع، يمتلك البغدادي مؤهّلات دينية قويّة مقارنةً بقياديي تنظيم القاعدة، حيث حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية في بغداد.

انضم البغدادي إلى المقاومة الجهادية للقوات الأمريكية في العراق عام 2004، إن لم يكن قبل ذلك. احتجزته القوات الأمريكية لمعظم تلك السنة، لكنه اعتُبِر في النهاية أنّه لا يمثل تهديدًا خطيرًا للغاية ـ في الواقع، وفقًا لبعض الروايات، كان على علاقة جيّدة مع مسؤولي المعسكر ـ وتم إطلاق سراحه.[1] في عام 2006، انضمت مجموعته إلى المنظمة الجامعة للجهاديين العراقيين، والمعروفة باسم الدولة الإسلامية في العراق. (غالبًا ما أستخدم أنا وآخرون اسم «الدولة الإسلامية في العراق» بشكل متبادل مع «تنظيم القاعدة في العراق» الذي سيطر على المنظمة، رغم أنها من الناحية الفعليّة لم تكن المجموعة الوحيدة فقط.) أصبح البغدادي عضواً في مجلس القيادة العليا للمجموعة. لعدة سنوات، سيطر البغدادي على القوات في بلدة القائم غربيّ العراق، حيث يزعم البنتاغون أن البغدادي كان «له صلات بترويع المدنيين المحليين وتعذيبهم وقتلهم».[2]

أصبح البغدادي قائداً لتنظيم القاعدة في العراق عام 2010، قبل أن تبدأ المجموعة بالانتقال إلى سوريا. أشرف البغدادي بصفتهِ قائداً على إرهاب القاعدة في العراق ضد قوات الأمن العراقية ومختلف الجماعات الشيعية والحكومة العراقية والزعماء السُّنة الذين عملوا معها. لقد ساهم البغدادي في إعادة هيكلة تنظيم القاعدة في العراق بعد الدمار الذي عانى منه التنظيم خلال الحملة التي قادتها الولايات المتحدة والتي بدأت في عام 2006. قام البغدادي بتعيين عدد من ضباط الجيش والمخابرات السابقين الذين خدموا في عهد صدام ضمن مناصب عليا في تنظيم القاعدة في العراق. تحت قيادة البغدادي، أطلق تنظيم القاعدة في العراق أيضًا حملة «كسر الجدران»، التي أفرجت عن مئات من أعضاء القاعدة في السجون العراقية وجعلت مكانة البغدادي تسمو داخل المنظمة. لقد استغلّ البغدادي الحرب الأهلية السورية بذكاء لمواصلة إعادة بناء منظمته، مستخدماً القتال هناك للتطوير كملاذ له ومصدر لجذب الدعم والمجندين الجدد.

(1) Chulov, «Isis: the inside story».

(2) C. Freeman, «Meet al ـ Qaeda's new poster boy for the Middle East,» The Telegraph, January 11, 2014, http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/ middleeast/iraq/10566001/Meet ـ al ـ Qaedas ـ new ـ poster ـ boy ـ for ـ the ـ Middle ـ East.html.

حاول البغدادي رفع مستوى تنظيم القاعدة في العراق إلى مستوى جديد عندما أعلن في الليلة الأولى من شهر رمضان في عام 2014 عن عودة الخلافة الإسلامية مع تنصيب نفسه كزعيم لها. كخليفة، سيكون «قائد المؤمنين» وبالتالي ـ على الأقل من الناحية النظرية ـ سيتوجب على المسلمين في كل مكان أن يدينون له بالطاعة. ومع ذلك، فإن أنظمة الشرق الأوسط، والزعماء الدينيين السنّة، وحتى معظم الجماعات الجهادية ترفض قيادة البغدادي ـ ناهيك عن عشرات الملايين من المسلمين حول العالم الذين يجدون أن إعلانه سخيف، كما صرّح العالم الديني البارز يوسف القرضاوي أن إعلان البغدادي «باطل بموجب الشريعة».

من أين أتى تنظيم الدولة الإسلاميّة؟

بدأت الدولة الإسلامية كمنظمة عراقية، حيث انتشرت الجماعات الجهادية في العراق بعد الغزو الأمريكي عام 2003 وتجمّع العديد منهم في نهاية المطاف حول الجهادي الأردني أبو مصعب الزرقاوي. لقد أعطى بن لادن الزرقاوي أموالاً مبدئية ليؤسّس تنظيمه، لكن الزرقاوي في البداية رفض أن يقسم بالولاء لبن لادن، حيث أنّه شارك بن لادن في بعض الأهداف فقط وأراد أن يبقى مستقلاً. بعد أشهر من المفاوضات، أعلن الزرقاوي الولاء لأسامة بن لادن وفي عام 2004، اتّخذت مجموعته اسم القاعدة في العراق للدلالة على هذا الارتباط. بذلك، حصل بن لادن على منظّمة فرعية في أكثر مسارح الجهاد أهمية وخلال الوقت الذي كان فيه جوهر تنظيم القاعدة على وشك السقوط، حيث تلقّى الزرقاوي احترام القاعدة وتوصياتها لتعزيز شرعيّته.

على الرغم من ذلك، تخاصمت جماعة الزرقاوي في أيامها الأولى مع قيادة تنظيم القاعدة. دفع الظواهري وبن لادن إلى التركيز على الأهداف الأمريكية، في حين أكّد الزرقاوي (وأولئك الذين أخذوا مكانه بعد وفاته في عام 2006 إثر غارة جوية أمريكية) على الحرب الطائفية والهجمات على المسلمين السنة الذين اعتبروهم مرتدين، مثل أولئك الذين تعاونوا مع النظام العراقي الذي يقوده الشيعة. وانتقد الظواهري ذلك التصرُّف في مراسلات سريّة استولت عليها القوات الأمريكية: حيث سأل الزرقاوي، «ما هو سب قتل الشيعة العاديين باعتبارهم مغفور لهم بسبب جهلهم»؟، وأشار إلى أن هذا كان يصرف الإنتباه عن استهداف الأمريكيين.[1] لقد

(1) Al ـ Zawahiri, «Zawahiri letter to Zarqawi [English translation]».

تصرف الزرقاوي وأتباعه أيضًا بوحشية لا تصدق، وصنعوا اسماً لهم بنشر مقاطع فيديو لقطع الرؤوس ـ وهو تكتيك ستستخدمه المنظمة اللاحقة أيضًا لتوليد الصدمة ونشر الدعاية. على الرغم من شكوك الظواهري، بدا أن استراتيجية الزرقاوي تعمل بشكل جيد، حيث شنّ تنظيم القاعدة في العراق تمردًا واسعًا وسيطر لعدة سنوات على بعض المناطق السنيّة هناك.

أخيراً، وعلى الرغم من أن العنف العشوائي لتنظيم القاعدة في العراق ضد السنة العراقيين قد دفعهم إلى الاستياء والخوف من المجموعة، مما أدى إلى رد فعل عنيف، عندما اقترن بزيادة القوات الأمريكية في العراق التي بدأت في عام 2006 بهجوم شديد ضد تنظيم القاعدة في العراق. عندما اندلع النزاع السوري في عام 2011، عمل الظواهري وغيره على حثّ الجهاديين العراقيين على المشاركة في هذا الصراع، وأرسل البغدادي في البداية أعدادًا صغيرة من المقاتلين إلى سوريا لبناء منظمة هناك. كان أحد هؤلاء المقاتلين يُدعى أبو محمد الجولاني، الذي سينتهي به المطاف إلى تأسيس جبهة النصرة، وهي مجموعة بدأت كحليف للبغدادي لكن انتهى بها الأمر بالإنقلاب ضده.

كانت سوريا في حالة من الفوضى مما ساعد الجهاديين العراقيين على إنشاء قواعد آمنة للعمليات هناك، وبدأوا بجمع الأموال وكسب المجندين الجدد لقضيتهم. كان وضع الأساس أمراً سهلاً، لأن الحكومة السورية سمحت للجهاديين بالعبور وفي بعض الأحيان تمركزهم على الأراضي السورية كوسيلة لدعم التمرد المناهض للولايات المتحدة في العراق في العقد السابق: بالفعل، خلال حرب العراق عام 2003، ربما كانت سوريا أهم نقطة عبور للمقاتلين الأجانب الذين يدخلون العراق. تطورت طموحات الجهاديين إلى جانب تنظيمهم، حيث توسعت لتشمل سوريا والعراق. واجهت قوات تنظيم القاعدة في العراق، التي تطلق على نفسها الآن اسم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ضغوطًا أقل في العراق مع رحيل القوات الأمريكية في نهاية عام 2011. وفي الوقت نفسه، وضع رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي سلسلة من السياسات الكارثية لتعزيز الدعم بين قاعدته الشعبيّة الشيعية، مستخدماً خطاباً طائفياً متطرفاً ومستبعداً العراقيين السنّة بصورة منهجية من السلطة. تظاهر العديد من السنّة، مما أدى إلى حملة عنيفة من قبل الحكومة التي زادت من نفور المجتمع السنّي. وهكذا، تلقّت منظمة البغدادي بثبات الدعم الشعبي واستعادت شرعيتها في العراق وجدّدت صفوفها. كما زادت من هجماتها على الأهداف الحكومية وقوات الأمن وكثفت عمليات الاغتيال على وجه الخصوص، كما قامت بالعديد من العمليات الهامّة لتحرير السجناء مما

زاد في إهانة الحكومة العراقية وحرّرت العديد من كادر الجماعة الأكثر خبرة. في بداية عام 2014، أرسلت المجموعة قوات إلى العراق بدعوى أنها كانت تدافع عن السنة المحليين واستعادت وجودها في مدن مثل الفلوجة. في سوريا، استولت المجموعة على أجزاء كبيرة من الأراضي السوريّة مستفيدةً من تركيز النظام السوري على استهداف الجماعات الأكثر اعتدالاً بينما بقيت المعارضة السورية منقسمة ككل.

غيرت المجموعة اسمها مرة أخرى في صيف عام 2014 إلى «الدولة الإسلامية»، وبدعم من أهل السنة الآخرين المحرومين من حقوقهم، اجتاحت الدولة الإسلاميّة الأراضي العراقيّة. مستغلّين قدرتهم على التنقّل وروحهم المعنوية العالية، فاجأوا القوات الحكومية العراقيّة واستولوا على مساحات شاسعة من الأراضي في المناطق التي يسيطر عليها السنة؛ حيث قاموا بقتل أعداد كبيرة من الجنود وعناصر الشرطة العراقية وغيرهم من المرتبطين بالحكومة؛ والاستيلاء على المعدات التي قدمتها الولايات المتحدة للجيش العراقي. قُتل أكثر من 20.000 عراقي في الأشهر الثمانية الأولى من عام 2014، ونزح حوالي مليوني شخص.[1]

ما أسباب محاربة الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة؟

على الرغم من أن الصراع السوري أعاد إحياء الدولة الإسلامية، إلّا أنه أدى في النهاية إلى الانقسام بينها وبين قيادة تنظيم القاعدة. شجّع الظواهري تنظيم القاعدة في العراق على الانتقال إلى سوريا، لكنه أراد أيضًا أن يكون لديه مجموعة منفصلة تحت قيادة مستقلّة تعمل في سوريا مع وضع الأشخاص السوريين في واجهة الحركة وذلك لمنحها صفة محليّة. من المحتمل أن يكون قرار الظواهري حول إنشاء مجموعة سورية منفصلة يعود إلى شكوكه السابقة بشأن ولاء تنظيم القاعدة في العراق وخبرته. وهكذا، تم تأسيس جبهة النصرة باعتبارها فرعاً سورياً لتنظيم القاعدة في العراق.

ومع ذلك، سرعان ما بدأ تنظيم القاعدة في العراق بالقلق حيال تحوّل تركيز جبهة النصرة

(1) «Report on the Protection of Civilians in Armed Conflict in Iraq: 6 July– 10 September 2014,» Human Rights Office of the High Commissioner for Human Rights and the United Nations Assistance Mission for Iraq (UNAMI) Human Rights Office, September 10, 2014, p. i, http://www. ohchr.org/Documents/Countries/IQ/UNAMI_OHCHR_POC_Report_FINAL_6July_10September2014.pdf.

إلى مكان وجودها فقط وذلك نتيجة التركيز الأكثر من اللازم على سوريا والتصرف بشكل مستقل وتجاهل قيادة تنظيم القاعدة في العراق، وفي 9 نيسان/أبريل 2013، أعلن البغدادي أن جبهة النصرة جزء من تنظيم القاعدة في العراق. رفض القادة في جبهة النصرة هذا التصريح وتعهّدوا بالولاء المباشر للظواهري كوسيلة للحفاظ على استقلالهم. وجد الظواهري هذا الإنقسام مخيّباً للآمال وفي محاولة لتسوية الأمر، أعلن الظواهري أنّ جبهة النصرة هي الجماعة الرسميّة التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا وأنّ جماعة البغدادي هي الجماعة الرسميّة التابعة لتنظيم القاعدة في العراق، حيث أمر البغدادي بقبول هذا القرار والتركيز على العراق فقط. رفض البغدادي هذا القرار معلناً مرة أخرى أن جبهة النصرة تابعة له. أدّى هذا الخلاف إلى اشتباك عنيف قُتل فيه ما يقارب 3000 مقاتل من كلا المجموعتين. في شباط 2014، صرّح الظواهري رسمياً بأنّ منظمة البغدادي التي تطلق على نفسها الآن تسمية الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، «ليست فرعًا لتنظيم القاعدة... وليس لها علاقة تنظيمية به وأنّ تنظيم القاعدة غير مسؤول عن أعمالهم».[1]

تختلف القاعدة والدولة الإسلامية من حيث التكتيكات والإستراتيجية وحول من يجب أن يقود الحركة الجهادية الشاملة. كان هذا التوتر موجودًا عندما تم إنشاء تنظيم القاعدة في العراق عام 2004 ولم يختفِ أبداً. على الرغم من أن بن لادن والظواهري دعموا تنظيم القاعدة في العراق بشكل علني، إلا أنهم على الصعيد الشخصي لم يوافقوا على إعلان قيام دولة إسلامية في العراق وكان لديهم علاقات سيئة مع قادة المجموعة. على وجه الخصوص، كان الظواهري يخشى أن يكون تنظيم القاعدة في العراق قد استعجل الأمور: إنك بحاجة إلى السيطرة الكاملة على الأراضي والدعم الشعبي قبل إعلان دولة إسلامية، وليس العكس.[2] يشتبه الجهاديون أيضًا في أن قادة القاعدة في العراق كانوا يحاولون انتزاع القيادة العليا من بن لادن. بالإضافة إلى ذلك، قام الظواهري بمعاقبة الجهاديين العراقيين على وحشيّتهم، حيث رأى أن مثل هذا السلوك سيؤدي إلى نفور المجتمع الإسلامي الأوسع. في الواقع، اقترح

(1) L. Sly, «Al ـ Qaeda Disavows Any Ties with Radical Islamist ISIS Group in Syria, Iraq,» Washington Post, February 3, 2014, http://www.washingtonpost. c o m/wo r l d/m i d d le _ e a s t/a l ـ q ae d a ـ d i s avo w s ـ a ny ـ t ie s ـ w i t h ـ radical ـ islamist ـ isis ـ group ـ in ـ syria ـ iraq/20142/03/02/c9afc3a 8 ـcef 11 ـe3 8 9 ـab ـ fe5228217bd1_story.html.

(2) Al ـ Zawahiri, «Zawahiri letter to Zarqawi [English translation]».

المتحدث باسم القاعدة آدم غدن بشكل سرّي على بن لادن بأن «تقوم القاعدة علناً بقطع علاقاتها مع الدولة الإسلاميّة في العراق» بسبب العنف الطائفي الذي تمارسه هذه الجماعة.

يعتقد تنظيم الدولة الإسلامية (ومختلف أسلافه) أن القيادة في ساحة المعركة ـ وليس من القواعد البعيدة في أفغانستان أو باكستان ـ هو ما يهم. وعلى الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية يركز على محاربة الأنظمة المحلية، إلا أنه يكرّس طاقة كبيرة لمحاربة الجماعات المتنافسة، بما في ذلك المقاتلون السلفيون الآخرون. على النقيض من ذلك، كان الجزء الأساسي من مهمة تنظيم القاعدة دائمًا هو توحيد الحركة الجهادية تحت أهدافه العالمية. يرى البغدادي بتفكير مشابه لأسلافه أنّ تطهير المجتمع الإسلامي من خلال مهاجمة الشيعة والأقليات الدينية الأخرى وفرض المعتقدات والممارسات الإسلامية «الصحيحة» هو أولوية قصوى ويتجاهل إلى حد كبير عقيدة القاعدة في ضرب «العدو البعيد» (الولايات المتحدة الأمريكية) من أجل الإطاحة بالأنظمة التي تدعمها في الشرق الأوسط.[1] والأهم من ذلك، يعتقد البغدادي أن منظمته يجب أن تكون مسؤولة عن العمليات الجهادية في العراق وسوريا ولبنان والأردن على الأقل.

لربما تكون جبهة النصرة قد نشأت من نفس الحركة الجهادية العراقية التي أنتجت تنظيم الدولة الإسلامية، لكن المجموعتين تختلفان بشكل كبير. على عكس تنظيم البغدادي، تعمل قوات جبهة النصرة مع المقاتلين السوريين الآخرين ضد نظام الأسد وتُعتبر هذه القوات معارضة بشكل نسبي للهجمات ضد المدنيين ـ في الواقع، في الوقت الذي كانت الدولة الإسلامية فيه تتصدر عناوين الصحف لقيامها بقطع رؤوس الأمريكيين الأسرى، تصدّرت جبهة النصرة عناوين الصحف لإطلاق سراح قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. بعد أن تعلّمت من كارثة تنظيم القاعدة في العراق عندما انقلب الشعب ضده، تقوم جبهة النصرة بالتبشير بدلاً من نشر الرعب لإقناع المسلمين الذين يعيشون في المناطق التي تسيطر عليها بدلاً من إجبارهم على اعتناق الإسلام «الحقيقي».

يتنافس كلٌّ من الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة على دور المنظمة المهيمنة داخل

(1) A. Y. Zelin, «The War Between ISIS and al ـ Qaeda for Supremacy of the Global Jihadist Movement,» Research Notes, Number 20, The Washington Institute for Near East Policy, June 2014, p. 3, http://www.washingtoninsti ـ tute.org/uploads/Documents/pubs/ResearchNote_20_ Zelin.pdf.

الحركة الجهادية الحديثة. يحظى تنظيم القاعدة بدعم العديد من الأيديولوجيين الجهاديين التقليديين، بمن في ذلك الجهادي ذو النفوذ الكبير أبو محمد المقدسي. قام المقدسي بإرشاد الزرقاوي عندما كان الاثنان سوياً في الأردن لكنه رفض فيما بعد وحشيته ضد الشيعة وغيرها من الانتهاكات؛ وقد وصف المقدسي تنظيم الدولة الإسلامية، المنظمة الخلف لمجموعة الزرقاوي، بـالمجموعة «المنحرفة».[1] كما أن المنظمات الفرعية التابعة لتنظيم القاعدة تمنح التنظيم موقفاً قوياً ضمن حركة الجهاد العالمية، لكنّ الكثير من هذه المنظمات له صلات بالجهاديين العراقيين تعود إلى فترة قتالهم في العراق، وعلى أي حال، تجد هذه المنظمات أن الدولة الإسلامية مقنعة بشكل أكبر. بالفعل، تعهّدت بعض المجموعات الصغيرة وبعض الأفراد من المقاتلين المحليين بالولاء للدولة الإسلامية في أماكن متنوعة مثل غزة وسيناء والجزائر وليبيا وباكستان. يزعم البغدادي أنه يقود المعركة ضد المرتدين، وهي قضية شائعة بالنظر إلى موجة الطائفية التي تجتاح المنطقة. إن النجاح الذي حققه تنظيم الدولة الإسلامية مؤخراً ووجودها الكبير على وسائل التواصل الاجتماعي قد مكّنها من تجنيد أعداد كبيرة من المقاتلين الأجانب في سوريا والعراق، مما منحها قوة هائلة. وفي الوقت نفسه، فإن تنظيم القاعدة الأساسي يتم ملاحقته بالغارات الجويّة، كما أنّ قادتهُ أصبحوا متقدمين في السن. مع وفاة بن لادن، يزعم البغدادي الآن أن الظواهري، وليس هو نفسه، هو الذي ابتعد عن رؤية المؤسس(بن لادن). بالنسبة للعديد من الشباب الجهادي الطموح، فإن الظواهري، وليس الدولة الإسلامية، هو الذي يبدو ضعيفًا وغير ملائم.

قد يسيطر هذا الصراع داخل الحركة الجهادية على تركيز تنظيم القاعدة في السنوات القادمة، وقد تحاول كلتا المنظمتين استخدام أعمال إرهابية رفيعة المستوى لجذب الانتباه الدولي ولإقناع المجندين المُحتملين بأنهم القادة الشرعيين للقضية الجهادية.

ما طموح تنظيم الدولة الإسلامية؟

تسعى الدولة الإسلامية إلى بناء دولة إسلامية، لكن بشروطها الخاصة. على هذا النحو، فقد تجاوزت الإرهاب وحتى التمرد، حيث قامت بتكوين جيش وهياكل تشبه الدولة في الأراضي الشاسعة التي تسيطر عليها. على النقيض من تنظيم القاعدة، فإن الدولة الإسلامية

(1) Zelin, «The War Between ISIS and al ـ Qaeda for Supremacy of the Global Jihadist Movement,» p. 4.

لا ترى نفسها كطليعة تقاتل لإثارة العالم الإسلامي وإجبار الغرب على الانسحاب من الشرق الأوسط. بدلاً من ذلك، فهي تريد بناء دولة وتنقيتها ثم توسيعها: كما أنها تعتنق مصطلح «باقية وتتمدّد» كشعارٍ لها.[1] يُعتبر قتال أعدائها المباشرين مثل» النظام العلوي في سوريا، النظام الشيعي في العراق والأعداء المفترضين داخل أراضيها (مثل الأقليات الدينية والخونة من السنّة)، هو الهدف الأكثر أهمية للدولة الإسلامية.

تميل الدولة الإسلامية إلى تعزيز سيطرتها على المناطق السنيّة في العراق وسوريا والتوسُّع من هناك ولا يشمل هذا احتلال المزيد من الأراضي داخل هذين البلدين فحسب، بل يشمل أيضًا القيام بعمليات في الأردن ولبنان والمملكة العربية السعودية، وهي دول قامت فيها الدولة الإسلامية بتجنيد مقاتلين وشن هجمات إرهابية في بعض الأحيان. على الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية يروّع أعداءه، إلّا أنّ اعتبار هذا التنظيم كجماعة إرهابية، كما تفعل الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية الأخرى، يُعدُّ أمراً صحيحاً ومضللاً في نفس الوقت. كما تشير جيسيكا لويس من معهد دراسات الحرب، فإن إستراتيجية الدولة الإسلامية «تعتمد بشكل أساسي على التفوق العسكري».[2] إنّ هذا التنظيم يسعى خلف الغزو وفتح البلدان.

يُعدُّ وجود النزعة الطائفية أمراً هاماً لنجاح الدولة الإسلامية. مثلما قام الزرقاوي بخلق حركة جهادية عن طريق إثارة الحرب الطائفية في العراق، استغلّ خليفته البغدادي انتشار الطائفية في العراق وسوريا وتفاقمها من أجل حصد المزيد من الدعم. تعتبر الدولة الإسلامية الشيعة وغيرهم من «المنحرفين» المسلمين مثل اليزيديين (الذين تعتبرهم من المشركين) أنّهم أسوأ من الكفار وتعتقد أن المعركة ضد غير المسلمين يجب أن تُؤجّل حتى يتم تطهير الأقليات الدينية من الدين الإسلامي. عندما انفصلت الدولة الإسلامية عن القاعدة، فعلت ذلك باسم الطائفية، حيث أعلن أحد القادة أنه «لن يمنعنا أحد من محاربة العلويين والجهاد في سوريا!... السيارات المفخخة ستضرب الشيعة من ديالى إلى بيروت».[3] حتى أنّ جماعة

(1) Lister, «Profiling the Islamic State».

(2) J. D. Lewis, «The Islamic State: A Counter _ Strategy for a Counter _ State,» Institute for the Study of War, July 2014, http://www.understandingwar. org/report/islamic _ state _ counter _ strategy _ counter _ state.

(3) As quoted in C. Bunzel, «Islamic State of Disobedience: al _ Baghdadi Triumphant,» Jihadica, October 5, 2013, http://www.jihadica.com/the _ islamic _ state _ of _ disobedience _ al _ baghdadis _ defiance/.

إسلامية مشابهة مثل حماس تُعتبر منحرفة من وجهة نظر تنظيم الدولة، ذلك لأنها تتّبع الإخوان المسلمين وليس السلفية وبالتالي يجب محاربتها. لذلك، ليس من المستغرب هروب الأقليات من كل الأطياف وحتى الكثير من السنّة عند اقتراب قوات الدولة الإسلامية.

تتّسم راية تنظيم الدولة بلونها الأسود مع وجود لفظ الشهادة في العقيدة الإسلامية المكتوب بالخط العربي الأبيض ـ هو محاولة لإعادة إحياء راية النبي محمد(ص).[(1)] بالنظر إلى هذا التوجه الطائفي، فليس من المُستغرب أن الدولة الإسلامية تعتمد بشدة على التعاليم الوهابية. تستخدم المجموعة النصوص الوهابية من المملكة العربية السعودية في مدارسها وتُدمّر أضرحة الأنبياء المسيحيين وأماكن العبادة غير السنيّة ومثل المملكة العربية السعودية، لديها شرطة دينية لفرض الحضور في الصلوات. وقد وصفهم الباحث في جامعة برينستون برنارد هيكل (Bernard Haykel) بأنهم «الوهابيون الجامحون».[(2)] تعتمد الدولة الإسلامية أيضًا على مذهب الفنائيّة داخل الإسلام، حيث يعتمد المُجَنِّدون خطاباً مفاده أن نهاية العالم جارية وأن الصراع في سوريا هو المعركة بين أنصار الله وأعدائه. يعمل هذا النداء على تحفيز القليل ممن سيخوضون القتال، لكنه يعكس الرأي القائل بأن سوريا هي في قلب العالمين العربي والإسلامي تاريخياً ورمزياً. سرعان ما سقطت سوريا عندما انتشرت الجيوش المسلمة من شبه الجزيرة العربية بعد ولادة الإسلام،كما كانت سوريا مركزاً لواحدة من أكثر السلالات أهمية في الإسلام وهي: الأمويين ـ «أول سلالة مسلمة عظيمة حكمت إمبراطورية الخلافة (661 ـ 750 م)».[(3)] على هذا النحو، فإن معاناة سوريا ومصيرها النهائي هما جوهر الهوية الإسلامية لملايين البشر. تؤكد أحاديث النبي(ص) على أهمية سوريا كمشهد للمعارك الأخيرة كما يوضح الخبير في شؤون الإسلام ويليام ماكينتس (William McCants) قائلاً: سوريا

(1) See W. McCants, «Black Flag [Slide Show],» Foreign Policy, November 7, 2011, http://www.foreignpolicy.com/articles/201107/11//black_flag_al_ qaeda.

(2) D. Kirkpatrick, «ISIS' Harsh Brand of Islam Is Rooted in Austere Saudi Creed,» New York Times, September 24, 2014. http://www.nytimes.com/201425/09//world/ middleeast/isis ـ abu ـ bakr ـ baghdadi ـ caliph ـ wahhabi.html?_r=0; «The other behead ـ ers,» Economist, September 20, 2014, http://www.economist.com/news/middle ـ east ـ and ـ africa/21618918 ـ possible ـ reasons ـ mysterious ـ surge ـ executions ـ other ـ beheaders.

(3) «Umayyad dynasty,» Encyclopaedia Britannica, 2014, http://www.britannica. com/EBchecked/ topic/613719/Umayyad ـ dynasty.

مهمة جدا لهذه الرواية. في أوائل النبوءات الإسلامية حول نهاية العالم، كان هنالك القليل من المناطق المهمة أكثر من سوريا. يوصي النبي خلال المعارك الأخيرة بالقتال في سوريا إذا استطاع المرء؛ إذا لم يستطع، يجب الذهاب إلى اليمن. يتحدث النبي أيضًا عن مجموعة من المؤمنين ـ المؤمنون الحقيقيون ـ الذين سوف يقاومون حتى النهاية ويقاتلون في المعارك الأخيرة. سوف يجتمعون في سوريا ـ في دمشق ـ وحول القدس، حيث سيقاتلون من أجل الله حتى قيام الساعة.(1)

في الوقت الحالي، لا يركز تنظيم الدولة الإسلامية على صدام مباشر مع الولايات المتحدة والغرب، كما أنّ عقابه على الضربات الجوية الأمريكية يتمثّل في قتل الصحفيين الأمريكيين وعمال الإغاثة وغيرهم ممن قد يصادفون طريقه. إنّ تنظيم الدولة يعتقد أن الطريق إلى النصر يكمن في تعزيز وتوسيع سيطرته الإقليمية وليس في ممارسة الإرهاب ضد الولايات المتحدة.

ومع ذلك، تحاول الدولة الإسلامية من خلال دعايتها الإعلامية تشجيع ما يسمى «الذئاب المنفردة» للقيام بهجمات من تلقاء نفسها في بلدانهم الأصلية. بما أن دعاية الدولة الإسلامية وأفعالها تُعتبر جذابة لمجموعة صغيرة ولكنها حقيقية من الشباب المسلم في الغرب، يمكننا أن نتوقع القيام بهجمات تحمل اسم تنظيم الدولة بشكل منتظم. بالإضافة إلى ذلك، تحاول أن تحصد الفضل في شن الهجمات في الغرب، كما فعلت في أيّار 2015 عندما هاجم مسلمان أمريكيان مسابقة كاريكاتورية عن النبي محمد(ص) في جارلاند، تكساس، برعاية منظمة باميلا جيلر وهي ناشطة مناهضة للإسلام. لم تُقدِّم الدولة الإسلامية أي دليل على أنها نسقت الهجوم بأي طريقة مباشرة، لكنها تريد أن تنقل الصورة بأنها نشطة ضد الولايات المتحدة وأعداء الإسلام الآخرين.(2)

---

(1) W. McCants, interview with the author, April 7, 2014.

(2) M. Keneally, «Garland Shooting: Inside the Group Hosting the 'Draw the Prophet' Event,» ABC News, May 4, 2015, http://abcnews.go.com/ US/garland ـ shooting ـ inside ـ group ـ hosting ـ draw ـ prophet ـ event/ story?id=30779738; H. Yan, «ISIS claims responsibility for Texas shooting but offers no proof,» CNN, May 5, 2015, http://www.cnn.com/201505/05// us/ garland ـ texas ـ prophet ـ mohammed ـ contest ـ shooting/.

ما مدى قوّة تنظيم الدولة الإسلاميّة؟

من خلال الاستفادة من الطائفية المتنامية في الحرب الأهلية السورية وكذلك ضعف وفساد الحكومة العراقية، زادت الدولة الإسلامية من قوتها باطّراد. في غضون عامين ونصف العام قبل الاستيلاء المفاجئ على الموصل في يونيو 2014، أعلنت الدولة الإسلامية عن قيامها بحوالي 20 ألف هجوم في العراق.[1] تسارعت هذه الوتيرة مع انتشار تنظيم الدولة العراق. إنها الآن بمثابة «المنتصر» وأبرز مجموعة تقاتل الأنظمة في العراق وسوريا. أنتجت انتصاراتها زيادة هائلة في المجندين: تُقدّر وكالة الاستخبارات المركزية أنه اعتبارا من أيلول 2014، قد يكون لدى الدولة الإسلامية 31000 مقاتل.[2] في شباط 2015، صرّح رئيس المركز الوطني لمكافحة الإرهاب بأن أكثر من 20 ألف مقاتل أجنبي مما لا يقل عن 90 دولة ذهب إلى العراق وسوريا، بما في ذلك 3400 مقاتل من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وأن معظمهم يقاتلون من أجل قيام الدولة الإسلامية.[3] كما حازت الدولة الإسلامية على كميات هائلة من الأسلحة والمعدات عندما استولت على أراضي من الجيوش السورية والعراقية، بما في ذلك الأسلحة الأمريكية المقدمة للقوات العراقية، والآن لديها صواريخ أرض جو، وأسلحة مضادة للدبابات، وعربات همفي، وحتى دبابات. يبدو أن لديهم أيضاً طائرات استطلاع (غير مسلحة)، على الرغم من أنه من غير المعروف عدد هذه الطائرات أو مدى تطورها من الناحية التكنولوجية.[4]

يساهم التمويل الخارجي في دعم الدولة الإسلامية. قام المانحون الأثرياء في دول الخليج الفارسي مثل الكويت وقطر والمملكة العربية السعودية بتقديم المال عبر التاريخ لمجموعة من المتشددين السنّة، بمن فيهم الجهاديون السلفيون، بدافع التضامن الطائفي لمحاربة

(1) N. Lahoud et al., The Group That Calls Itself a State, p. 4.

(2) «Islamic State fighter estimate triples—CIA,» BBC News, September 12, 2014, http://www.bbc.com/news/world _ middle _ east 29169914 _.

(3) N. Rasmussen, «Countering Violent Extremism: The Urgent Threat of Foreign Fighters and Homegrown Terror,» prepared statement before the House Committee on Homeland Security, February 11, 2015, p. 1, http:// docs.house.gov/meetings/HM/HM00102901/20150211// HHRG _ 114 _ HM00 _ Wstate _ RasmussenN 20150211 _.pdf.

(4) N. A. Youssef, «Is ISIS Building A Drone Army,» The Daily Beast, March 18, 2015, http:// www.thedailybeast.com/articles/201518/03//is _ isis _ building _ a _ drone _ army.html.

إيران أو لأنهم تشاركوا عناصر أخرى من أهداف أولئك المتشددين، حيث غالباً ما تغاضت حكوماتهم عن هذا الدعم.[1] الأهم من ذلك، هو المال الذي تكسبه الدولة الإسلامية من خلال سيطرتها على المنطقة. تشرف الدولة الإسلامية على بعض موارد النفط الأكثر ربحية في سوريا والعراق، وتسيطر على 50 ألف برميل يومياً في الإنتاج، وتستخدم طرق تهريب طويلة الأمد لبيع النفط والمنتجات النفطية المكررة في السوق السوداء. قدّم تهريب النفط لتنظيم الدولة الإسلامية 2 مليون دولار يوميًا في أيلول 2014 (مع العلم أن ميزانية القاعدة الإجمالية قرابة 11/9 كانت 30 مليون دولار فقط في السنة)، على الرغم من أن هذا الوارد من المحتمل أن ينخفض بسبب الهجمات الأمريكية على المهربين المرتبطين بالدولة الإسلامية ونظراً للانخفاض في سعر النفط الذي بدأ في أواخر عام 2014. يحصل تنظيم الدولة الإسلامية، مثل سلفه تنظيم القاعدة في العراق، على عشرات الملايين كل عام من الفديات. أخيرًا، تحصل المجموعة أيضًا على أموال من فرض الضرائب على السكان المحليين والنهب. تشير بعض التقديرات إلى أن إجمالي دخلها يبلغ ملياري دولار في السنة.[2] تستخدم الدولة الإسلامية هذه الأموال لدفع أجور مقاتليها، حتى أنها تمنحهم الشقق السكنية ومكافآت عندما يتزوجون وينجبون أطفالًا، كما تستثمر هذه الأموال أيضاً لتجنيد مقاتلين جدد وتسهيل سفرهم إلى ساحة المعركة.[3] تتزايد رقعة السيطرة للدولة الإسلامية وتتناقص مع ثرواتها العسكرية، ولكن بحلول أواخر عام 2014، سيطرت على منطقة كانت في ذروتها بحجم بريطانيا تقريبًا ـ على الرغم من أن معظم المنطقة بالكاد مأهولة بالسكان. تنشط الدولة الإسلامية في المحافظات

(1) E. Dickinson, «Playing with Fire: Why Private Gulf Financing for Syria's Extremist Rebels Risks Igniting Sectarian Conflict at Home,» The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, Analysis Paper Number 16, The Saban Center at Brookings, December 2013, http://www.brookings. edu/~/media/research/files/papers/2013/12/06%20private%20gulf %20 f i na nci ng%20 sy r ia%20 ext rem i st%20 rebels%20 sectaria n%20 conflict%20dickinson/ private%20gulf%20financing%20syria%20extrem- ist%20rebels%20sectarian%20conflict%20 dickinson.pdf.

(2) L. Al ـ Khateeb, «The UN Strikes Back at ISIL's Black Economy,» Huffington Post, August 23, 2014, http://www.huffingtonpost.com/luay ـ al ـ khatteeb/ the ـ un ـ strikes ـ back ـ at ـ isil_b_5702240.html.

(3) R. Noack, «Here's How the Islamic State Compares with Real States,» Washington Post, September 12, 2014, http://www.washingtonpost. com/blogs/worldviews/wp/201412/09// heres ـ how ـ the ـ islamic ـ state ـ compares ـ to ـ real ـ states/.

السورية مثل الرقة وإدلب ودير الزور وحلب، وكذلك في أجزاء من غرب العراق، بما في ذلك المدن الكبيرة مثل الموصل. من خلال وجودها في كل من سوريا والعراق، يمكن للدولة الإسلامية تغيير قواعدها وقيادتها حسب الضرورة والاستفادة من ضعف مختلف خصومها مما يجعل من الصعب على الولايات المتحدة وغيرها تحديد مكان القادة المهمّين واستهدافهم.

لقد أثبت تنظيم الدولة الإسلامية فعاليته العسكرية أكثر من أعدائه المحليين لعدة أسباب. إن مقاتلي المجموعة ملتزمون للغاية، مما يجعلهم أكثر استعدادًا للمخاطرة (بما في ذلك القيام بهجمات انتحارية) مقارنة بخصومهم ـ الجرئة الذي تؤتي ثمارها في ساحة المعركة على الرغم من التكلفة الهائلة. كما استعان التنظيم بشكل ملحوظ بالمسؤولين العسكريين العراقيين السابقين، وكان الكثير من قادته متمرسين خلال سنوات القتال ضد القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها في العراق على عكس الجماعات الأخرى التي نشأت فقط في عام 2011. بأسلوب مشابه لتنظيم القاعدة، يُعدُّ تنظيم الدولة الإسلامية منظماً بشكل جيد. يتّخذ البغدادي منصب القائد لها، لكن لديه نائبان للرئيس (واحد للعراق والآخر لسوريا). هناك حكّام للمحافظات التي تسيطر عليهم المجموعة في العراق وسوريا، بالإضافة إلى مسؤولين آخرين يشكلون في مجموعهم عدداً كبيراً من القادة. تحت إمرة كل حاكم، توجد مجالس محلية تتولى الشؤون المالية والشؤون العسكرية والموظفين والمخابرات ووسائل الإعلام وما إلى ذلك. كما يعمل مجلس آخر على ضمان أن تمتثل القرارات المحلية للشريعة الإسلامية (كما تفسرها المجموعة).[1] كما أن لدى المجموعة وزيرًا للمقاتلين الأجانب والمفجرين الانتحاريين: وهو الوزير المسؤول عن الاثنين ـ بشكل عام، تتداخل المهام في نفس المجال.[2] يتم تجنيد المجندين الجدد الذين يدخلون التنظيم بطريقة دقيقة وبيروقراطية، حيث يتم تسجيل معلوماتهم الشخصية ونسخ جوازات السفر أو مصادرتها قبل منحهم أسلحة أو تدريب.[3]

---

(1) N. Thompson and S. Attika, «The Anatomy of ISIS,» CNN, September 18, 2014, http://www.cnn.com/201418/09//world/meast/isis ـ syria ـ iraq ـ hierarchy/.

(2) H. Al ـ Hashimi and Telegraph Interactive Team, «Revealed: the Islamic State 'cabinet', from finance minister to suicide bomb deployer,» The Telegraph, July 9, 2014, http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/mid ـ dleeast/iraq/10956193/Revealed ـ the ـ Islamic ـ State ـ cabinet ـ from ـ financ e ـ minister ـ to ـ suicide ـ bomb ـ deployer.html.

(3) C. Lister, «Profiling the Islamic State».

ومع ذلك، فإن الكثير من النجاح العسكري للدولة الإسلامية يرتبط بضعف أعدائها. على الرغم من أن الولايات المتحدة قدمت المليارات في المساعدات والتدريب للقوات العراقية، إلا أنّ رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي قام بتعيين الموالين السياسيين له كضباط كبار وليس القادة الأكفاء لتلك المهمة. بالإضافة إلى ذلك، أدى التمييز الذي يمارسه النظام ضد السنة في العراق إلى تقويض الروح المعنوية لدى الجنود السنّة الذين لم يكن لديهم اهتمام كبير بالقتال من أجل حكومة احتقروها (والتي احتقرتهم بدورها). نتج عن ذلك وجود جيش عراقي كان مسلحاً ومجهّز بشكل جيّد، لكنه انهار عندما واجهه مقاتلو الدولة الإسلامية في ساحة المعركة. حتى القوات العسكرية الكردية العراقية ذات الدوافع الأفضل (وتسمى البيشمركة) والتي صدّت لسنوات عديدة قوات صدام قد أصبحت أقل قوّة، ذلك لأن سنوات السلام النسبي في كردستان العراق قد ساهمت في تضائل حميّتها القتالية. في سوريا، يحارب تنظيم الدولة الإسلامية غالبًا الجماعات المسلحة الأخرى المنقسمة والأقل خبرة. سيكون من الصعب على التنظيم الوقوف أمام أعداد كبيرة من القوات العسكرية الماهرة، لكنه في الوقت الحالي لا يواجه هذا الخطر.

يستخدم تنظيم الدولة الإسلامية مزيجًا من التكتيكات. يحاول مقاتلوها اغتيال القادة وتخويف قوات الأمن كما يشارك أيضًا في عمليات تقليدية أكثر، وذلك باستخدام مزيج من التكتيكات التقليدية بالإضافة إلى التفجيرات الانتحارية لترهيب قوات العدو وهزيمتها. لقد تحسّنت المهارة العسكرية لتنظيم الدولة الإسلامية حيث قام بشكل منهجي بدمج ضباط الأمن السابقين من نظام صدام في قيادته كما شَغِل كلٌّ من نواب البغدادي مناصب عليا في الجيش العراقي سابقاً. يحاول تنظيم الدولة الإسلامية رشوة زعماء القبائل لكسب دعمهم.[1] نظراً لقيام الولايات المتحدة وحلفاءها بتصعيد وتيرة الغارات الجوية، قامت الدولة الإسلامية بتعديل تكتيكاتها والتي تضمّنت توزيع القوات، العمل أكثر في الليل وبشكل عام، محاولة تجنّب هجمات الولايات المتحدة.

يحاول تنظيم الدولة الإسلامية الحكم بطريقة وحشية ضمن المناطق الخاضعة لسيطرته. يقدم تنظيم الدولة الإسلامية شكلاً من أشكال الحكم القادم من العصور الوسطى، وهو ما قد يكون مقبولاً بالنسبة للعديد من المواطنين السنّة الذين يعيشون في منطقة حرب أو يخشون التمييز من الحكومة الشيعية في بغداد أو النظام العلوي في دمشق. يعمل أفرادها

(1) C. Lister, «Profiling the Islamic State».

على مراقبة المجتمعات المحلية، سواء لوقف الجريمة أو لضمان التقيد بالقواعد الصارمة لتنظيم الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى فرض عقوبات صارمة مثل بتر الأعضاء بتهمة السرقة والرجم حتى الموت بتهمة الزنا، فإن الدولة الإسلامية تجبر النساء على تغطية أنفسهن بالكامل (والذهاب إلى حد تغطية العارضات ذات المظهر الأنثوي في نوافذ المتاجر). في الوقت نفسه، تدير الدولة الإسلامية المدارس وتدعم المواد الغذائية الأساسية مثل الخبز وتوفر خدمات أساسيّة وتضمن إمدادات الكهرباء والغاز وإصلاح الطرق والبنى التحتية، حتى أنه لديها مكتب حماية المستهلك.[1] ولكن على الرغم من تطلعاتها إلى أن تكون دولة حقيقية، فمن غير الواضح مدى جودة أداء الدولة الإسلامية في تقديم الخدمات الأساسية أو ما إذا كان يمكنها الاستمرار في توفير مثل هذه الخدمات على المدى الطويل: هناك بالفعل تقارير عن النقص الحاد في المياه والكهرباء ونقص الخدمات الأخرى في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية. دعا البغدادي الأطباء والمهندسين والقضاة (الدينيين) وغيرهم من المتخصصين إلى الانضمام إلى الدولة الإسلامية.[2]

إنّ الدولة الإسلامية هي فاتحٌ وحشيّ، غالبًا ما تُعدم الجنود الأسرى. عندما اجتاحت الدولة الإسلامية العراق، فرّ مئات الآلاف من العراقيين من منازلهم (وخاصة الشيعة الذين يعيشون في المناطق التي سيطر عليها التنظيم حديثاً والأقليات الدينية مثل اليزيديين). تم إجبار العديد من النساء والفتيات اللائي تم أسرهن على تحويل أديانهن والزواج من المقاتلين أو أن يصبحوا عبيداً لممارسة الجنس. يجب على المسيحيين في إقليم الدولة الإسلامية تغيير دينهم أو دفع ضريبة دينية أو يتم قتلهم. يُعتبَرُ المسلمون السنة الذين عملوا مع الأنظمة السورية أو العراقية بأي شكل من الأشكال هم أيضا ضمن قائمة المُستَهدَفين بقوّة. أعلن المفوض السامي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة أن الدولة الإسلامية تقوم بإنشاء «بيت من دم» وترتكب انتهاكات وعمليات قتل على نطاق «لا يمكن تصوره».[3]

(1) A. Zelin, «The Islamic State of Iraq and Syria Has a Consumer Protection Office,»TheAtlantic,June13,2014,http://www.theatlantic.com/international/ archive/201406//the _ isis _ guide _ to _ building _ an _ islamic _ state/372769/.

(2) D. Milton, «The Islamic State: An Adaptive Organization Facing Increasing Challenges,» in Lahoud et al., The Group That Calls Itself a State, p. 75.

(3) «UN: ISIS wants to build 'house of blood,' » Al Arabiya, September 8, 2014, http://english.alarabiya.net/en/News/middle _ east/201408/09//U _ N _ ISIS _ wants _ to _ build _ house _ of _ blood _ .html.

لا بد من تواجد أعمال عنف لا معنى لها ووحشية لا توصف في كل نزاع مسلح تقريباً وهذه هي طبيعة الحرب. ومع ذلك، بالنسبة للدولة الإسلامية، فإن الوحشية مُتَعَمّدة وليست نتيجة ثانوية للحرب وتُمَارَس لأغراض استراتيجية محددة. لقد ترك الزرقاوي بصماته الإجراميّة عبر قيامه شخصياً بقطع رؤوس الأسرى في العراق، بما في ذلك في عام 2004 الفني الأمريكي الأسير نيكولاس بيرج. لقد تم إدانة قطع الرؤوس على نطاق واسع ـ حتى أن الظواهري انتقدهم ـ لكنهم قاموا بتجييش شريحة من الشباب المسلم الذين سارعوا إلى اتباع الزرقاوي المجرم والدموي: لقد كانوا مفتاح بروزه كزعيم وقائد. مع انحدار العراق إلى هاوية الحرب الأهلية، أصبحت القسوة سمة يومية واعتيادية، حيث قام المتطرفون الشيعة والسنة بتعذيب الأسرى وقطع رؤوس الأعداء وتسجيل مقاطع الفيديو حول كل ذلك لتخويف أعدائهم. يحمل أبو بكر البغدادي اليوم هذا التقليد المروع، حيث يتبنّى عملية قطع الرؤوس والوسائل المروعة الأخرى لإرهاب أعدائه. أدان المسلمون في جميع أنحاء العالم الدولة الإسلامية، واصفين أفعالها بأنها «جرائم حرب بشعة»[1] وبدأوا حملات وسائل التواصل الاجتماعي مثل حملة «ليس باسمي»(Not in my name). حتى أن تنظيم القاعدة قد ناشد تنظيم الدولة الإسلامية لعدم قطع رأس الرهينة البريطاني آلان هنينج (Alan Henning) لأنه كان عاملاً بريئاً في مجال الإغاثة يساعد المسلمين (وبالتالي فإن قتله سوف يصدُّ بدلاً من جذب الأتباع) ـ وهي حجة قوية تجاهلتها الدولة الإسلامية.

تم تصميم مقاطع الفيديو التي تبين قطع رؤوس مواطني الولايات المتحدة والمملكة المتحدة الذين تم أسرهم بشكل خاص بهدف توجيه رسالة إلى الشعبين الأمريكي والبريطاني مفادها: لا تتدخلوا في أعمالنا. في كل مرة يتم فيها قطع رأس رهينة غربي، تحاول المجموعة ربط العملية ببعض الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الأمريكية أو المملكة المتحدة للتدخل في النزاع. تعتقد الدولة الإسلامية أن الناس في هذه البلدان يترددون في الانخراط في حرب أخرى في الشرق الأوسط وأن قتل مواطن أمريكي أو بريطاني بوحشية في كل مرة تحاول فيها حكومة الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة التدخّل، سيجعلهم أكثر تردداً. تتشارك الدولة الإسلامية مع تنظيم القاعدة في المُعتقد القائل بأن الولايات المتحدة ليس لديها القدرة

(1) L. Markoe, «Muslim Scholars Release Open Letter to Islamic State Meticulously Blasting Its Ideology,» Huffington Post, September 24, 2014, http://www. huffingtonpost.com/201424/09// muslim ـ scholars ـ islamic ـ state_n_5878038.html.

على خوض معركة صعبة وسوف تنسحب من الصراع بمجرد أن يُقتَل الأمريكيون. ومع ذلك، فإن ما قد لا يفهمه تنظيم الدولة الإسلامية بالكامل ـ لكن بن لادن أيقنهُ بالتأكيد ـ هو أن هذا الأمر لا يذهب إلى أبعد من ذلك: فالأميركيون على وجه الخصوص لا يفضلون التهديد ويمكنهم استخدام القوة المفرطة بسرعة كبيرة عندما يُقتل الأمريكيون الأبرياء. في الواقع، تشير استطلاعات الرأي إلى أن الدعم الشعبي الأمريكي للغارات الجوية الأمريكية في العراق وسوريا قد زاد بشكل كبير بعد قطع رؤوس الصحفيَين الأمريكيين ستيفن سوتلوف (Steven Sotloff) وجيمس فولي (James Foley).[1]

كيف تروّج الدولة الإسلاميّة لقضيّتها؟

لقد ورث تنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه تركيز تنظيم القاعدة على التبشير ونشر الدعاية. قام الزرقاوي بصفته قائد تنظيم القاعدة في العراق، بنشر مقاطع الفيديو الاستشهادية وقطع الرؤوس ليصنع لنفسه شهرة في المجال الجهادي. أما اليوم، يقوم مقاتلو تنظيم الدولة بمشاركة مقاطع فيديو مبهرة على وسائل التواصل الاجتماعي (مستخدمين فيها النيران الإصطناعية والتفجيرات المماثلة للمخرج المعروف مايكل باي (Michael Bay) والانخراط في حملات علاقات عامة متطورة ـ حتى اختطاف علامات التمييز السلمية مثل # WorldCup2014 (كأس العالم 2014) وغيرها المرتبطة بحملة الاستقلال الاسكتلندية للترويج لرسالتهم. يتراوح المحتوى من طفل يحمل رأساً مقطوعاً إلى صور لمقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية الذين يوزعون الطعام.

على الرغم من أن بعضًا من هذا المحتوى ينتشر في صفوف الدولة الإسلامية، إلّا أن الجهاديين لديهم آلاف المتابعين الذين يعيدون نشر الرسائل ويستخدمون التطبيقات التي تسمح للدولة الإسلامية بالسيطرة على حسابات تويتر الخاصة بهم ونشر المحتوى الخاص

(1) D. Balz and P. M. Craighill, «Poll: Public supports strikes in Iraq, Syria; Obama's ratings hover near his all ـ time lows,» Washington Post, September 9, 2014, http://www.washingtonpost.com/politics/ poll ـ public ـ supports ـ strikes ـ in ـ iraq ـ syria ـ obamas ـ ratings ـ hover ـ near ـ his ـ all ـ time ـ lows/201469/08/09/c164d8 11 ـ 3789 ـe4 97 ـ 8601 ـba88884 ffd_story.html?hpid=z1; M. Murray, «Poll: Americans feel unsafe, support action against ISIS,» MSNBC, September 9, 2014, http://www.msnbc.com/ msnbc/poll ـ americans ـ support ـ action ـ against ـ isis.

بهم وتمكين المجموعة من الحشد للجهاد بأكبر عدد ممكن. يُعتبر العديد من مؤيدي الدولة الإسلامية الغربيين نشطون بشكل خاص. يتم نشر المحتوى بلغات متعددة بما في ذلك الإنجليزية والروسية وكذلك العربية لجذب أكبر عدد من المقاتلين الأجانب. تمتلك مجلة «دابق» الناطقة باللغة الإنجليزية قيم إنتاج رائعة وتنشر كم هائل من الخطاب الذي يدعو إلى التحريض والكراهية. يصدر تنظيم الدولة الإسلامية أيضًا مقاطع فيديو «معتدلة» مثل فيديو «نيران الحرب»، حيث تتميّز هذه الفيديوهات بقيم إنتاج متطورة نسبيًا وتعمل على عرض آخر الأخبار مع دمج صور لعمليات ومقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية. على الرغم من تكتيكاتها الهمجية، فإن استخدام الدولة الإسلامية للفيديو والوسائط الاجتماعية هو استخدام متطور وذو فائدة حقيقيّة.

في عام 2014، سجّلت الدولة الإسلامية عمليات إعدام اثنين من الصحفيين الأمريكيين وغيرهم من الأسرى الغربيين، مبررة عمليات القتل هذه كرد فعل على حملة القصف الأمريكية ضد قوات الدولة الإسلامية. لقد ألبسوا الرهائن ملابس برتقالية ـ وهي نفس الملابس الممنوحة للجهاديين المُحتَجَزين لدى الولايات المتحدة، بالإضافة إلى ظهور الأسير البريطاني خلال العديد من مقاطع الفيديو التي تُبرر أفعالهم. وبنفس الطريقة، يستخدم تنظيم الدولة الإسلامية وسائل التواصل الاجتماعي كسلاح في المعركة، حيث يُظهر نفسه منتصراً وفي بعض الأحيان يعامل خصومه بوحشية لنشر الإشاعة التي تقول إنه لن يعطي أي شبر من الأرض وبالتالي يخيف أعدائه.

لقد اكتسبت هذه الحملة الاحترام على مضض من مجموعة من المعلقين في الغرب الذين ـ على الرغم من أنهم يكرهون محتوى الرسائل بوضوح ـ أقرّوا بمستوى تطور استراتيجية التواصل الاجتماعي للمجموعة. تساعد مثل هذه التكتيكات الدولة الإسلامية على جمع الأموال والتجنيد ونشر التبشير بشكل أكثر فعالية من الجماعات المتمردة التقليدية. على الرغم من أن مقاطع الفيديو الخاصة بالقتل هذه تثير الغثيان في معظم أنحاء العالم، إلا أنها تجعل تنظيم الدولة الإسلامية يبدو «رائعًا» بالنسبةِ إلى شريحة معينة: الشباب المسلم الغاضب والذي يبحث عن المغامرة. إنّ استخدام مقاطع الفيديو التي تقدم القليل من الكراهية الطائفية وتُظهر القليل من الوعود بشأن الحكومة الإسلامية يساعد في الحفاظ على تزويد تنظيم الدولة الإسلامية بالمقاتلين الأجانب المنفعلين للقضية والعديد من الانتحاريين المخدوعين.

لكن هذا النهج له العديد من التكاليف والمخاطر، حيث قام الظواهري بتحذير سلف

البغدادي، الزرقاوي، من أن «لا يخدعهم مدح بعض الشباب المتحمسين ووصفهم لك كشيخ للمذابح». ودعا بدلاً من ذلك الزرقاوي إلى إدراك أهمية «النظرة العامة» في العراق وحذر بشكل صحيح من أن نفور الشعب كله من خلال التصرفات الوحشية سيأتي بنتائج عكسية.[1]

وسائل التواصل الاجتماعي هي أيضًا كابوس استخباراتي معاكس بالنسبة لمقاتلي الدولة الإسلامية، وخاصة المقاتلين الأجانب. على الرغم من أن التغريدات ومنشورات فيسبوك تلهمهم للقتال وتساعدتهم في الوصول إلى سوريا والعراق، إلّا أن هذه التقنيات يمكن مراقبتها بسهولة. كما يشير المسؤول السابق في مكتب التحقيقات الفيدرالي كلينت واتس (Clint Watts)، فإن وسائل التواصل الاجتماعي تقدم «نافذة على ما يجري في العراق وسوريا في الوقت الحالي». من الممكن أن تعمل المُفاخرة التي قامت بها المجموعة في سوريا لإلهام الآخرين بشكل عكسي: حيث يمكن لأجهزة المخابرات تحديد هويات المؤيدين والمجندين المحتملين وتحديد الأفراد الذين لم يسبق للحكومة معرفتهم؛ يمكنهم أيضًا تحديد متى قد يحاول المقاتلون الأجانب العودة إلى الوطن ثم تعقب تحركاتهم. يمكن للحكومات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لتتبع شبكات كاملة من جهات الاتصال وذلك باستخدام تحليل البيانات. يمكن لضباط المخابرات التواصل مع الإرهابيين الفعليين والمحتملين وتقديم المعلومات والتضليل لشبكاتهم.

ما علاقات الدولة الإسلامية بالحكومة السورية؟

يعلن نظام الأسد أنه في حالة حرب ضد «الإرهابيين» بينما تصور الدولة الإسلامية نفسها كمدافع عن المسلمين السنة في سوريا ضد الأنظمة «المرتدة» مثل أنظمة الأسد. لذلك يجب أن يكونوا أعداء، أليس كذلك؟

نعم ولا. هذا هو الشرق الأوسط الذي تُعتبر فيه العلاقات الغريبة شيئاً مألوف. إذا لم تكن هناك دولة إسلامية، فسيتعيّن على الأسد أن يوجدها ـ وفي الواقع، قد فعل ذلك نوعاً ما. عندما بدأت الاضطرابات في سوريا، تم تصوير الصراع على نطاق واسع (وبدقة) على أنه تمرد جماعي للأشخاص الذين سئموا من الوحشية والظلم. عندما اندلعت اضطرابات سلمية في عام 2011، أطلق النظام السوري عمداً سراح الجهاديين المتشددين من السجن لتحويل

(1) Al ـ Zawahiri, «Zawahiri letter to Zarqawi [English translation]».

الاحتجاجات إلى عنف وتصوير المعارضة على أنها متطرفة. صوّر الأسد هذا الصراع على أنه معركة طائفية ضد «الإرهابيين»، وهو يلعب على وتر مخاوف مجتمعه من الطائفة العلوية وكذلك المسيحيين السوريين والدروز والأقليات الأخرى.

لقد امتنع نظام الأسد في بعض الأحيان عن القيام بالعمليات العسكرية في بعض المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الإسلامية، واستخدم سلاحه الجوي في قصف قوات المعارضة المعتدلة التي تقاتل الدولة الإسلامية واشترى النفط من الدولة الإسلامية. يكره كل من الأسد والدولة الإسلامية بعضهما البعض، لكن كلاهما يعارضان أيضًا وجود المعارضة المعتدلة ومن خلال إضعاف هذه المعارضة، ينجح الأسد بتقويض أكبر تهديد طويل الأجل لحكمه. يدّعي عزت الشابندر الحليف الوثيق لنظام الأسد بأن الأسد كان يحاول (بنجاح) دفع الدولة الإسلامية إلى تدمير الجماعات الأكثر علمانية التي يدعمها الغرب وبذلك، يجبر العالم على الاختيار بين نظامه وأسوأ المتطرفين وجوداً. في الواقع، اعترف شهبندر أن الجيش السوري «يمنحهم في بعض الأحيان طريقًا آمنًا للسماح للدولة الإسلامية بمهاجمة الجيش السوري الحر [الذي تدعمه الولايات المتحدة] والاستيلاء على أسلحتهم».[1] مع مرور الوقت، أحدث خطاب نظام الأسد وتكتيكاته رد فعل عنيف بين المسلمين السنة الذين حولوا النزاع إلى صراع طائفي مع تقدُّم جماعات مثل الدولة الإسلامية وتراجع القوات المعتدلة. تُرِك الشعب السوري بشكل واضح مع الخيار البائس بين نظام الأسد أو الإسلاميين المتشددين. في الواقع، لقد ترددت إدارة أوباما في تسليح المعارضة السورية جزئياً لأنها تخشى أن ينتهي السلاح في أيدي جماعات مثل الدولة الإسلامية.

مع تقدم الدولة الإسلامية في العراق ودخول الولايات المتحدة الحرب، صعَّد الأسد غاراته الجوية على المناطق الخاضعة لسيطرة البغدادي. إنّ النظام العراقي هو حليف للأسد وفقدان المعابر الحدودية الاستراتيجية بالنسبة إلى الدولة الإسلامية يمنع تدفق الإمدادات والمقاتلين من الوصول إلى قوات الحكومة السورية عبر العراق. تساهم هذه الغارات بوضع الولايات المتحدة وسوريا على نفس الجانب، مما ساعد الأسد على الادعاء بأنه يمثل القوى المدنيّة المعادية للجهل والتشدّد.

(1) M. Abi ـ Habib, «Assad Policies Aided Rise of Islamic State Militant Group,» Wall Street Journal, August 22, 2014, http://online.wsj.com/articles/ assad ـ policies ـ aided ـ rise ـ of ـ islamic ـ state ـ militant ـ group 1408739733# ـ.

ما جماعة خراسان؟

إن جماعة خراسان[1]، التي قصفتها الولايات المتحدة أيضًا في أيلول 2014 عندما قصفت قوات الدولة الإسلامية في سوريا، مرتبطة بتنظيم القاعدة وفرعها في سوريا «جبهة النصرة» وليس لها علاقة بالدولة الإسلامية. يشير اسم «خراسان» إلى منطقة تاريخية تضم أجزاء من إيران وتركمانستان وأفغانستان وباكستان[2] وتستند إلى النبوءات الإسلامية التي تدعو المسلمين إلى «الانضمام إلى الجيش عندما يرون لافتات سوداء قادمة من خراسان» ومع ذلك، على الرغم من وجود تقارير تفيد بأن بعض الجماعات في باكستان تتبنى اسم خراسان، لا يبدو أن المجموعة التي تعمل حاليًا في سوريا والتي تسميها الحكومة الأمريكية «جماعة خراسان» تشير بالفعل إلى نفسها بهذا الاسم.[3] يلاحظ أحد المحللين في منظمة سايت الاستخباراتية بأن منطقة أفغانستان/باكستان «قد احتنضت أعضاء بارزين مثل زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن والزعيم الحالي أيمن الظواهري. وبالتالي، للتمييز بين فروع ومواقع تنظيم القاعدة المختلفة، يشير الجهاديون غالبًا إلى قيادة تنظيم القاعدة باسم «قيادة الخراسان» أو «الإخوة في خراسان»، بدلاً من استخدام اسم «القاعدة المركزية».[4] تعتبر التفاصيل قليلة نوعاً ما، لكن حوالي 50 ناشطًا في هذه المنظمة ينتمون إلى أفغانستان وباكستان وجنوب آسيا والشرق الأوسط ويبدو أنهم يقدمون تقارير إلى القيادة المركزية لتنظيم القاعدة في باكستان.[5] ومع ذلك، فإن المقاتلين مندمجين مع جبهة النصرة في سوريا. بحسب ما

---

(1) Not to be confused with «ISIL in Khorasan,» which is a «formal province» of the Islamic State (that is, they have pledged allegiance to Abu Bakr al ـ Bagh ـ dadi and their pledge has been formally accepted by the Islamic State) in the Afghanistan ـ Pakistan region that includes former members of Tehrik ـ e Taliban Pakistan (TTP) and the Afghan Taliban.

(2) A. Taylor, «The Strange Story behind the Khorasan Group's Name,» Washington Post, September 25, 2014, http://www.washingtonpost.com/ blogs/worldviews/wp/201425/09//the ـ strange ـ story ـ behind ـ the ـ khorasan ـ groups ـ name/.

(3) A. Taylor, «The Strange Story behind the Khorasan Group's Name».

(4) R. Katz, «The 'Khurasan Group': A Misleading Name in the Politics of War,» INSITE Blog on Terrorism & Extremism, SITE Intelligence Group, n.d., accessed on October 26, 2014, http:// news.siteintelgroup.com/blog/ index.php/about ـ us/21 ـ jihad/4432 ـ the ـ khurasan ـ group ـ a ـ misleading ـ name ـ in ـ the ـ politics ـ of ـ war.

(5) M. Levitt, «The Khorasan Group Should Scare Us,» Politico, September 25, 2014, http://

يقول المحللون، يبدو أن جماعة خراسان تستخدم المناطق التي تسيطر عليها جبهة النصرة لأنشطتها الخاصة، حيث تقدم المشورة للمجموعة وتحاول التنسيق مع المجموعات الباقية لتنظيم القاعدة في أماكن أخرى من المنطقة. يزعم المسؤولون الأمريكيون أن المجموعة موجودة لاستخدام الحرب في سوريا كملاذ يمكن أن تخطط منه لشن هجمات على الغرب وتجنيد الغربيين وتطوير تكتيكات ومتفجرات جديدة.[1] أغضبت الضربات الأمريكية على جماعة خراسان السوريين الذين يدّعون أنّ جبهة النصرة، على عكس الدولة الإسلامية، هي عدو قوي لنظام الأسد.

هل تُشكِّل الدولة الإسلامية تهديداً إرهابياً للأراضي الأمريكيّة؟

تُقدّم قنوات التلفاز الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي صوراً عن الحزن والمذابح في سوريا إلى منازل المسلمين الغربيين كل يوم. عندما أصبح الصراع السوري أكثر طائفية، ذهب العديد من المسلمين الغربيين للقتال في صراع رأوا فيه إبادة جماعية ضد المسلمين السنّة، حيث يقاتل عدة آلاف منهم الآن تحت راية الدولة الإسلامية.

مع مرور الوقت، أصبح مسؤولو الأمن الأوروبيون والأمريكيون أكثر انتباهاً وحذراً، حيث أعلن وزير الدفاع تشاك هاجيل أن تنظيم الدولة الإسلامية «يشكل تهديدًا وشيكًا لكل شأنٍ لدينا»،[2] كما حذّر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيمس كومي في أيّار 2014 من أنه «سيكون هناك نازحين من سوريا في مرحلة ما ونحن مصرّون على عدم إتاحة المجال من سوريا اليوم إلى إعادة إحياء حادي عشر من أيلول مُستقبلي».[3] يستذكر هؤلاء المسؤولون

www.politico.com/magazine/story/201409//why _ the _ khorasan _ group _ should _ scare _ us _ 111307.html#.VC610CldVZE.

(1) «What is the Khorasan Group?» BBC News, September 24, 2014, http://www. bbc.com/news/ world _ middle _ east 29350271 _.

(2) M. Mazzetti et al., «Struggle to Gauge ISIS Threat, Even as U.S. Prepares to Act,» New York Times, September 10, 2014, http://www.nytimes.com/ 201411/09//world/middleeast/ struggling _ to _ gauge _ isis _ threat _ even _ as _ us _ prepares _ to _ act.html.

(3) Quoted in C. Johnson, «FBI Director: Radicalization of Westerners in Syria Is of Great Concern,» The Two _ Way, NPR, May 2, 2014, http://www. npr.org/ blogs/thet wo _ way/2014309045229/02/05//f bi _ director _ radicalization _ of _ westerners _ in _ syria _ is _ of _ great _ concern.

تدفق المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى أفغانستان في الثمانينيات وارتباطهم بهجمات 11 أيلول ويشعرون بالقلق من أن الغربيين قد يذهبون إلى سوريا والعراق لمحاربة الدكتاتوريين المحليين، لكنهم سيعودون كعناصر متطرفة ومتشددة لصالح الجماعات الجهادية التي تتوق إلى إشعال الحرب في دول الغرب. قدَّم العديد من المسؤولين والمحللين وجهات نظرهم وقد أثّر هذا الإجماع على قرارات الولايات المتحدة بالتدخل ضد الدولة الإسلامية.

في الواقع، إنّ هذا الخطر حقيقي، حيث أنّ مشكلة المقاتلين الأجانب في العراق وسوريا هي ببساطة أكبر من الحالات السابقة ـ يصل عددهم أكثر من كل الجهاديين الجدد مجتمعين. تشير التقارير الحديثة إلى أن ما بين 2500 إلى 3000 مقاتل أجنبي من الدول الغربية قد سافروا إلى سوريا والعراق اعتبارا من آب 2014، بما في ذلك أكثر من 100 أمريكي؛ تمتلك كلٌّ من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وألمانيا أكبر عدد من المواطنين في المعركة ومع استمرار الحروب، من المرجح أن يزداد هذا التدفق.

لكن نظرة قريبة على الوضع توضّح أنه في حين أن تهديد المقاتلين الأجانب حقيقي، إلّا أنّه قد تم المبالغة فيه وربما يمكن السيطرة عليه ـ وليس القضاء عليه كلياً ـ من خلال سياسة فعالة. وقد أُثيرت مخاوف مماثلة بشأن المقاتلين الأجانب فيما يتعلق بالعديد من النزاعات السابقة، خاصة بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 ومع ذلك، فإن هذه الصراعات في معظمها لم تسفر عن تصاعد الإرهاب في أوروبا أو الولايات المتحدة.

لن تشكل الغالبية العظمى من المقاتلين الأجانب مشكلة خطيرة في أوطانهم. يُقتل الكثير من الأشخاص الأكثر تطرفًا، حيث يفجرون أنفسهم في هجمات انتحارية أو يلقون حتفهم في معارك نارية مع قوات معارضة. كما أنّ الكثيرين منهم لا يعودون إلى أوطانهم بل يواصلون القتال في منطقة النزاع أو في المعركة الجهادية التالية. سرعان ما يشعر بعض أولئك الذين يذهبون إلى سوريا والعراق بخيبة أمل، وحتى أولئك الذين يعودون غالباً ما يكونون غير عنيفين. تقوم الأجهزة الأمنية بالقبض على الآخرين أو تعطيل عملياتهم، خاصةً إذا كان العائدون يجتمعون معًا لمحاولة شن هجمات واسعة النطاق. في الواقع، إنّ التحول إلى مقاتل أجنبي ـ خاصة مع الاستخدام المكثف اليوم لوسائل التواصل الاجتماعي ـ يجعل الإرهابي أكثر عرضة لجذب انتباه الأجهزة الأمنية مقارنة بقائه في المنزل. تعمل الأجهزة الأمنية بشكل مستمر ومثابر على كشف الجهاديين وتعطيل مؤامراتهم في أماكن تتراوح من كوسوفو إلى أستراليا.

حتى الآن، فإن أجندة الدولة الإسلامية هي أولاً وقبل كل شيء محلية وإقليمية تُركّز على قتل العلويين والشيعة والإطاحة بالحكومتين في العراق وسوريا وما إلى ذلك حتى أنّ القصف الأمريكي لقوات الدولة الإسلامية الذي بدأ عام 2014 لا يغير هذه الأجندة بالضرورة. قام تنظيم الدولة الإسلامية بقطع رأس الصحفيين الأمريكيين، لكنه لم يحاول الهجوم خارج منطقة سيطرته وعلى الرغم من أن التنظيم الجهادي السابق في العراق قد قاتل القوات الأمريكية لسنوات عديدة بعد الغزو الأمريكي عام 2003، فإنه لم يهاجم الأراضي الأمريكية ولم يُنفّذ هجوماً كبيراً في أوروبا. على النقيض من تنظيم القاعدة الذي يدعو المسلمين إلى تنفيذ الهجمات في الغرب، فإن دعاية الدولة الإسلامية تحث المسلمين على القدوم للانضمام إليها في العراق وسوريا. ومع ذلك، فإن دعاية الدولة الإسلامية تشجع المسلمين بشكل متزايد على التصرف بشكل جماعي، حيث يستجيب بعض الأفراد المعزولين في الغرب لهذه الدعوة. لذلك يبدو أن هجمات الذئاب المنفردة المستوحاة من الدولة الإسلامية أمر مُحتمل، ومن المحتمل أيضاً أن تُكرّس الدولة الإسلامية المزيد من الموارد والأموال لمهاجمة الغرب.

لا يزال هذا التهديد الإرهابي المحتمل أمراً يتطلب الرد. تحتاج الحكومات الأمريكية والأوروبية إلى تحديد الفرصة المناسبة لتشجيع الأفراد الذين يحتمل أن يكونوا خطرين على اتّخاذ مسارات أكثر سلمية وتحديد الأفراد الذين يستحقون الاعتقال أو رفض التأشيرة أو الاحتجاز الوقائي أو غير ذلك من أشكال التعطيل. تشمل الخطوات زيادة جهود المشاركة الإجتماعية لثني المقاتلين المحتملين عن الذهاب إلى سوريا أو العراق والتعاون بشكل أكبر مع تركيا لتعطيل طرق العبور وتحسين برامج إزالة التطرف «لتحويل» عودة المقاتلين إلى مصادر استخباراتية أو جعلهم أقل عرضة للانخراط في أعمال عنف وتجنب جهود الملاحقة الشاملة عند عودة المقاتلين. كما يجب توفير المستلزمات المناسبة للأجهزة الأمنية وتنظيمها للتعامل مع الخطر المحتمل. إن هذه التدابير مجتمعة ستقلل من احتمال أن يرغب أي فرد في التوجه نحو طريق الإرهاب أو النجاح في التحوّل من مراقب للأحداث إلى مقاتل أجنبي ثم إرهابي.

ولكن بشكل أكيد تقريباً، سيكون هناك بعض الهجمات الإرهابية التي سيقوم بها العائدون من سوريا أو العراق، وقد يكون بعضهم منتميا إلى الدولة الإسلامية. تمتلك هذه التهديدات صفات الروليت الروسي: حيث قد تمنع أجهزة الأمن جميع المؤامرات من أن تصبح خطيرة

من خلال مزيج من المهارة والحظ، لكنها قد ترتكب أيضاً خطأً واحداً تكون له آثار كارثية على الرغم من أن عدد التهديدات الإجمالية منخفض. لقد أصبح الإرهاب للأسف سمة من سمات الحياة الحديثة، وسيؤدي تداعيات الحروب الأهلية في سوريا والعراق إلى جعل هذه المشكلة أكثر صعوبة. من المرجح حدوث هجمات للذئاب المنفردة بشكل خاص، ذلك لأن «روعة» الدولة الإسلامية تلهم المسلمين في جميع أنحاء العالم. لكن من غير المحتمل أن تكون هذه هجمات بحجم هجمات 11 أيلول أو أنّه سيتم تنفيذها ببراعة وإحكام. لقد تعاملت كلٌّ من الولايات المتحدة وأوروبا مع هذه المشكلة من قبل ولديها بالفعل إجراءات فعّالة للحد من تهديد الإرهاب القادم من الجهاديين العائدين إلى أوطانهم.

لماذا دخلت الولايات المتحدة في حرب ضد الدولة الإسلامية؟

كانت إدارة أوباما حريصة على مغادرة القوات الأمريكية للعراق في عام 2011 ومتردّدة حول المشاركة في الحرب الأهلية السورية اعتقادا منها، لسبب وجيه، أن محاولات الولايات المتحدة «لإصلاح» الشرق الأوسط قد فشلت أو كبّدت البلاد تكاليف باهظة. استمر هذا التردد حتى مع تزايد العنف والتمييز في العراق وتزايد دور الجماعات الجهادية في الحرب الأهلية السورية بشكل هائل. في كلتا الحالتين، كان الحلفاء المحتملين ـ النظام العراقي والمعارضة السورية ـ مُخطئين وبدا التهديد بعيدًا وكانت مخاطر التورط أكبر بكثير.

كان الشيء الأكثر أهمية بالنسبة للإدارة الأمريكية هو أن الشعب الأمريكي لم يكن ينادي لأي نوع من التدخل ـ على العكس من ذلك: أظهرت استطلاعات الرأي أن الجمهور يعارض بحزم أي حرب أخرى في الشرق الأوسط، كما عارض الكونغرس هذه الفكرة بشدّة باستثناء عدد قليل من أعضاء مجلس الشيوخ.[1] بالإضافة إلى الخوف من اعتبار الرئيس أوباما ضعيفاً في السياسة الخارجية، شعر فريق أوباما بالعزلة بعد الإطاحة الناجحة بنظام القذافي في ليبيا في عام 2011 ومقتل بن لادن في وقت سابق من نفس العام. أظهرت استطلاعات الرأي أنه

(1) P. Steinhauser and J. Helton, «CNN Poll: Public Against Syria Strike Resolution,» CNN, September 9, 2013, http://www.cnn.com/201309/09// politics/syria ـ poll ـ main/; A. Dugan, «U.S. Support for Action in Syria Is Low vs. Past Conflicts,» Gallup, September 6, 2013, http://www.gallup.com/ poll/164282/support ـ syria ـ action ـ lower ـ past ـ conflicts.aspx.

ولأول مرة منذ سنوات عديدة، كان يُنظر إلى الديمقراطيين على أنهم أكثر فاعلية في السياسة الخارجية من الجمهوريين.[1]

لكن منذ بداية ولاية أوباما الثانية، تغيّر كل هذا، حيث خَلَقَت سلسلة الأزمات الدولية منذ خطاب التّولية الثاني لأوباما في سوريا والعراق وأوكرانيا ونيجيريا وبحر الصين الجنوبي ـ وردوده المحدودة والتي تبدو فاترة تجاههم ـ شعوراً جماعياً بأن النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة قد تلاشى وضعفت ثقة الجمهور الأمريكي بسياسة الإدارة الخارجية. كان إعلان الرئيس عام 2012 عن «الخط الأحمر» فيما يتعلق باستخدام الأسلحة الكيميائية السورية ـ ثم قراره عام 2013 بقبول صفقة مع نظام الأسد والامتناع عن القصف عندما استخدم الأسد الأسلحة الكيميائية لقتل ما يقرب من 1500 مدني، بما في ذلك أكثر من 400 طفل ـ قد تمّت مهاجمته واعتباره قرار ضعيف وغير حكيم. قارن الكوميدي جون ستيوارت الرئيس بوالدٍ لا حول له ولا قوة يهدد مراهقًا بالعقوبة كما قارن الخط الأحمر بـ «شريط لا فائدة منه».[2]

زعم القادة الجمهوريون أن أوباما كان يساهم في نمو أزمة إنسانيّة أخرى بالإضافة إلى تسهيل فوز إيران وحلفائها وتوجيه أصابع الإتهام في الوقت الذي نما فيه الوجود إرهابي الشبيه بالقاعدة ـ وأن كل هذا كان دليلاً لضعفه الأوسع في السياسة الخارجية. تعرّض أوباما للمزيد من الإدانة السياسة عندما أوضح مسؤولون سابقون في إدارته مثل وزير الدفاع روبرت غيتس ووزيرة الخارجية (والمرشحة الديمقراطية الحالية للرئاسة) هيلاري كلينتون أنهم، على عكس الرئيس، فضّلوا المزيد من التدخل الأمريكي في سوريا. مع تواصل هذا الكم الثابت من النقد، أظهرت استطلاعات الرأي أنه بينما كان لدى الأمريكيين رغبة قليلة للتدخل العسكري في سوريا، شعروا أيضًا أن الرئيس كان يدير هذه الأزمة والسياسة الخارجية بشكل سيء.[3]

(1) D. Pletka, «Think Again: The Republican Party,» Foreign Policy, January 2, 2013, http:// www.foreignpolicy.com/articles/201302/01//think_again_the_repub ـ lican_party?wp_login_ redirect=0; «Fox News Exit Poll Summary: Obama's Key Groups Made the Difference,» Fox News, November 7, 2012, http://www. foxnews.com/politics/201207/11//fox ـ news ـ exit ـ poll ـ summary/.

(2) J. Stewart, «Whose Line Is It Anyway?» The Daily Show, April 30, 2013, http:// thedailyshow. cc.com/videos/8py17l/whose ـ line ـ is ـ it ـ anyway ـ .

(3) E. Swanson, «Syria Poll Finds Low Approval for Barack Obama, John Kerry,» Huffington

إن غزو الدولة الإسلامية للعراق والاستيلاء على الموصل قد غيّر الصورة الإستراتيجية والسياسية، مما أجبر الرئيس بشكل أساسي على التحرك. من خلال توسيع نطاق الحرب لتشمل العراق، هدّد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بتدمير الاستثمارات والقوات الأمريكية الضخمة في العراق. عند سحب القوات الأمريكية من العراق في كانون الأول 2011، أوضح أوباما أن هذا الاستثمار كان محميًا. عبّر مسؤولو الإدارة عن قلقهم من سقوط بغداد وانهيار الدولة العراقية بأكملها، مما سيتسبّب في أزمة إنسانية أكثر حدة في المنطقة والتي ستُعتبر خطأً حدث نتيجة تقاعس الإدارة عن التصرُّف.

بدأت الإدارة الأمريكية مباشرة بعد سقوط الموصل بوضع الأساس للتدخل وذلك بالإصرار على تشكيل حكومة جديدة في بغداد. ولكن قبل أن تكتمل هذه العملية، فرض التهديد الإنساني الفوري على اليزيديين تحرّكاً سريعاً. اليزيديون هم أقلية مسلمة، والدولة الإسلامية تعتبرهم مرتدين، حيث وعدت علناً بقتل الرجال اليزيديين واستعباد النساء اليزيديات، من بين الأعمال الوحشية الأخرى. وقد حوصر الآلاف من اليزيديين في جبل سنجار، حيث أعلن الرئيس الأمريكي أنه في مواجهة هذه المذبحة، «لا يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تغض النظر».[1]

قد تكون أزمة اليزيديين قد أجبرت الإدارة الأمريكية على التدخل، لكن حكومة الولايات المتحدة لم تكن لتلتزم بالقصف من أجل إنقاذ أقلية لم تسمع عنها من قبل لولا العديد من المخاوف الاستراتيجية الأوسع نطاقًا. خشي المسؤولون في الإدارة أن يستمر استهداف تنظيم الدولة الإسلامية للأقليات وأن تتضاعف معه الفظائع الإنسانية. إضافة إلى ذلك، كان مقاتلو الدولة الإسلامية يتجهون نحو بغداد وأربيل وعلى الرغم من أن التوازن العسكري كان لصالح القوات العراقية والكردية، إلّا أنّ انهيار هذه القوات في الموصل وأماكن أخرى يعني أن احتمال استمرار الدولة الإسلامية في الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي كان حقيقة.كان خطاب الإدارة يشير ضمنياً إلى أن الدولة الإسلامية تمثل تهديداً واسعاً. يشعر

Post, September 20, 2013, http://www.huffingtonpost. com/201320/09//syria - poll - obama_n_3957259.html.

(1) B. Obama, «Statement by the President,» Office of the Press Secretary, The White House, August 7, 2014, http://www.whitehouse.gov/the - press - office/201407/08//statement - president.

المسؤولون الأمنيون بالقلق من أن العدد الكبير من المتطوعين الغربيين في صفوف تنظيم الدولة قد جعل منه قادراً على مهاجمة الأراضي الأمريكية. كان التهديد أكثر وضوحًا لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، حيث برزت الدولة الإسلامية كقوة مهيمنة في منطقة هامة. أعلن أوباما في خطابه دفاعاً عن التدخل قائلاً «إذا كنتم تهددون أمريكا، فلن تجدوا ملاذاً آمناً».[1] «إذا تُرِك هؤلاء الإرهابيون دون رقابة، فقد يشكلون تهديداً متزايداً خارج تلك المنطقة، بما في ذلك للولايات المتحدة».[2]

ما بدأ كتدخل محدود لمساعدة اليزيديين والأقليات الأخرى المحاصرة تطوَّرَ بسرعة فائقة. رداً على حملة القصف التي شنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها، قامت الدولة الإسلامية بقطع رأس علني لأمريكيين ومواطن بريطاني سقطا في براثنهم ـ وهي أهوال أغضبت الشعوب وزادت من دعمها للتدخل العسكري. بالإضافة إلى ذلك، كان من المستحيل هزيمة الدولة الإسلامية طالما كانت تتمتع بملاذ لها في سوريا، لذلك أدى الغضب السياسي المقترن بالمنطق الاستراتيجي إلى توسيع الحملة لتشمل أهدافًا داخل سوريا.

إنّ الحملة العسكرية ضد الدولة الإسلامية لها حدود وتقييدات كثيرة. كان التدخل شائعاً ومدعوماً من قبل الشعب عندما بدأ، لكن هذا يمكن أن يتغير بسهولة ـ خاصة إذا كان ذلك، كما هو متوقع، لا يؤدي إلى نتائج ملحوظة بسرعة. نظراً لتذبذب الدعم الشعبي الأمريكي للتدخل، فقد تعهدت الإدارة الأمريكية أيضًا بتجنب «نشر القوات على الأرض»: أي يمكنهم تقديم المشورة والتدريب ولكن ليس القتال بشكل مباشر. يتلاءم هذا القرار مع الرأي العام الأمريكي الذي يريد أن يفعل شيئًا حيال تنظيم الدولة الإسلامية لكنه يشعر بالقلق من مستنقع آخر في الشرق الأوسط: تظهر الاستطلاعات التي أُجريت في أيلول 2014 أن 70% يؤيدون الغارات الجوية، لكن 38% فقط يؤيدون إرسال قوات برية للقتال وبالتالي، يجب أن تكون القوات المحلية هي التي تعمل على الأرض.

لا ترغب الولايات المتحدة العمل مع أو حتى مساعدة العديد من أعداء الدولة الإسلامية بشكل غير مباشر. يبدو أن الحملة غير النزيهة في سوريا تعكس وجهة نظر الإدارة المستمرة

(1) B. Obama, «Statement by the President on ISIL,» Office of the Press Secretary, The White House, September 10, 2014, http://www.whitehouse. gov/the ـ press ـ office/201410/09// statement ـ president ـ isil 1 ـ.

(2) Obama, «Statement by the President on ISIL».

وهي أنه لا يوجد شركاء مقبولون وفعّالون لتقديم الدعم لهم ولا يوجد حل أمريكي لعدم الاستقرار هناك. وعلى الرغم من أن نظام بشار الأسد وإيران وحزب الله اللبناني ـ اللذان عملت قواتهما البارعة كقوات حاسمة للأسد في عدة معارك مهمة ـ تقاتلان ضد الدولة الإسلامية، فإن الولايات المتحدة ليس لها أي علاقة معها. ومع ذلك، من خلال محاربة الدولة الإسلامية، أحد أعداء النظام السوري، تعطي الولايات المتحدة قوات النظام الحريّة لملاحقة أعداء آخرين لهم.

لا تزال استراتيجية الولايات المتحدة في حالة تغير مستمر، حيث يتم الآن إعادة النظر في التدخل الذي بدأ على عجل في آب 2014 بعد انتهاء الأزمة الضرورية. سواءً كانت مسألة مواجهة نظام الأسد في سوريا وما هو حجمه، دور القوات البرية الأمريكية وكيفية إعادة تشكيل القوى السياسية في العراق وغيرها كلها قضايا مطروحة على الأرجح مع استمرار التدخل الأمريكي في المنطقة.

الفصل التاسع

مكافحة الإرهاب

تستخدم الولايات المتحدة مجموعة واسعة من وسائل الأمن القومي لمحاربة الإرهاب بشكل عام وتنظيم القاعدة بشكل خاص. كل وسيلة لها نقاط القوة والضعف ولا يمكن استخدامها جميعاً في كل الظروف. ومع ذلك، تُقدّم هذه الوسائل مجتمعة حزمة قوية لمكافحة الإرهاب والتي دمّرت جوهر القاعدة منذ أحداث 11 أيلول. على الرغم من ذلك، بقي تنظيم القاعدة صامداً: إنه أضعف مما كان عليه في أيام الذروة، لكن تأثير حلفائه وأيديولوجيته لا يزال موجوداً، خاصةً في الشرق الأوسط. يشكل تنظيم الدولة الإسلامية تحديا جديداً ومتميزاً. إن مواجهة الدولة الإسلامية لا تتعلق بتقنيات مكافحة الإرهاب التي قدّمت نتائج جيدة في مكافحة تنظيم القاعدة بل أنها تدور حول أساليب الدفاع الداخلية التقليدية العسكرية منها والأجنبية.

ألا تُعتبَر الدبلوماسية عديمة القيمة عندما يتعلق الأمر بمكافحة الإرهاب؟

إن وجود الدبلوماسية في سياق مكافحة الإرهاب يبدو شيئاً تافهاً، إن لم يكن وجودها بحد ذاته شيء عجيب. على سبيل المثال، إن البدء بمسعى دبلوماسي مع أيمن الظواهري أو أبو بكر البغدادي يبدو أمراً مثيراً للضحك.كما أنّ الأمر لا يبدو أكثر منطقية على المستوى العالمي: حيث رفضت الأمم المتحدة لسنواتٍ عديدة إدانة الإرهاب بسبب التعاطف مع حركات التحرير الوطنية التي استخدمت الإرهاب كوسيلة لها، مثل منظمة التحرير الفلسطينية. لا تزال الأمم المتحدة تفتقر إلى وجود تعريف عملي للإرهاب، ولا تزال العديد من القرارات لوقف تمويل الإرهاب ودعمه غير واضحة. يمكن للحكومات العدائيّة أن تتجاهل القرارات الدبلوماسية وقرارات الأمم المتحدة بسهولة: في تشرين الأول 1999، أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً يطالب فيه حركة طالبان بتسليم بن لادن، لكنهم بكل بساطة تجاهلوا هذا القرار.

ومع ذلك وبحسب ما يؤكد الخبير في شؤون الإرهاب والمسؤول السابق في وكالة الاستخبارات المركزية بول بيلار بأنّ «الدبلوماسية مرتبطة بجميع عناصر مكافحة الإرهاب».[1] إنّ التعاون الاستخباراتي وتسليم المجرمين وإنشاء القواعد العسكرية والوصول إليها بالإضافة إلى الجهود المبذولة في مراقبة الأصول الإرهابية والاستيلاء عليها تحدث جميعها في سياق العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف بين الحكومات والتي يوجِدُها الدبلوماسيون ويحافظون عليها ويغذّونها. من خلال الدبلوماسية، تَمنح الدول الأجنبية للولايات المتحدة إمكانية الوصول إلى القواعد العسكرية، توافق على إغلاق مركز تمويل مرتبط بالإرهاب أو تُسهّل من حدوث عملية تسليم للمطلوبين ذات طبيعة صعبة نوعاً ما.

أحرزت الأمم المتحدة، بتأييد قوي من الولايات المتحدة، تقدماً منذ 9/11، حيث أصدرت قراراتٍ تحظر دعم الجماعات الإرهابية المُحدّدة، حيث تعتمد العديد من الدول الآن على قائمة الأمم المتحدة للمنظمات الإرهابية بغرض مراقبة جمع الأموال والتجنيد وكذلك صياغة أسلوبهم الخاص في جهود مكافحة الإرهاب.كما تُعزّز قرارات الأمم المتحدة والاتفاقات الأخرى المتعلقة بالإرهاب القواعد الدولية، مما يجعل الإرهاب تكتيكًا غير شرعي بشكل كبير. على الرغم من أن قرارات الأمم المتحدة وحدها قد لا تفعل شيئاً، فإنها تخلق إطاراً يمكن للحكومات من خلاله مطالبة الدول الأخرى بوقف الإرهاب باسم النظام الدولي، مما يمكّن القادة من اتخاذ خطوات في الداخل لمواجهة الإرهاب دون أن يُنظر إليهم على أنهم أتباع للإمبريالية الأمريكية أو الدمى التي تُسيطر عليها دولة قوية أخرى.

ما الدور الذي يلعبه النظام القانوني؟

بالنظر إلى عدم أخلاقية الإرهابيين والفظائع التي يرتكبونها، فقد يبدو من الصعب منحهم للحقوق في محكمة قانونية. أعلن نائب الرئيس السابق ريتشارد ديكتشيني في عام 2009، أنّه «عندما يكون لدينا أشخاص مستعدّون لقراءة الحقوق إلى إرهابي من تنظيم القاعدة أكثر من اهتمامهم بحماية الولايات المتحدة ضد أشخاص مستعدّون تماماً لفعل أي شيء يمكن أن يقتل الأميركيين، عندها سأشعر بالقلق».[2] ولكن مثل الدبلوماسية، فإن المحاكمات ونظام

(1) P. Pillar, Terrorism and U.S. Foreign Policy, Washington, DC, Brookings Institution Press, 2003, p. 73.

(2) J. F. Harris et al., «Cheney Warns of New Attacks,» Politico, February 4, 2009, http://www.politico.com/news/stories/020918390/.html.

العدالة الجنائية أمر ضروري لمكافحة الإرهاب. قد لا يكون العالم آمناً تمامًا الآن بعد أن أصبح رمزي يوسف ـ صانع القنابل الماهر والعقل المدبر لتفجير مركز التجارة العالمي عام 1993 ـ وراء القضبان في سجن مُشدّد الحراسة في ولاية كولورادو، ولكنه أكثر أماناً الآن. إن إدانة يوسف وإرهابيين آخرين تُبعدهم عن الوجود بين العامّة. وفقًا لتقرير صادر عن منظمة هيومن رايتس فيرست عام 2014، أُدين ما يقرب من 500 شخص بتهم تتعلق بالإرهاب في المحاكم الفيدرالية الأمريكية منذ 11 أيلول.[1]

يمكن أن تكون التحقيقات السابقة للمحاكمة عبارة عن ثروة استخباراتية تقود إلى خيوط ومعلومات جديدة تؤدي غالبًا إلى مزيد من الاعتقالات وتعطيل المزيد من المؤامرات. إنّ المنظمات الإرهابية الكبرى مثل تنظيم القاعدة هي عبارة عن بيروقراطيات مُصغّرة: فهي تحتفظ بسجلات الأفراد وإيصالات الدفع وملفات أخرى تدل على مواقع الهجمات المحتملة وما إلى ذلك. إنّ هذه الأشياء تُعدّ مكسباً كبيراً لمسؤولي مكافحة الإرهاب عندما يتم القبض على الإرهابيين المشتبه بهم أو جلبهم للاستجواب. تتمتّع المحاكمات أيضاً بالشرعية نظراً لوجود مستوى مُعيّن وعالي للإدانة، مع افتراض أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته. من المرجح أن يتعاون الحلفاء إذا علموا أن المشتبه فيه سيتم منحه الحقوق الكاملة والإجراءات القانونية الواجبة في محكمة مدنية أمريكية تقليدية. وأيضًا، يمكن استخدام تهديد الحكم القضائي لدفع أحد المشتبه فيهم على التعاون: قد يتعاون إرهابي منخفض المستوى مقابل عقوبة مُخفّفة بحقه، حيث يقود الجهات المعنية إلى معلومات قيمة عن إرهابيّ ما أكثر خطورة وعن المجموعة بشكل عام.

تتورّط العديد من الجماعات الإرهابية أيضًا في أنشطة إجرامية مثل الاحتيال والاختطاف ويمكن أن يؤدي تعقب هذه الأنشطة إلى لفت انتباه الشرطة إلى إرهابيين جُدد. لطالما كان تسهيل السفر، بما في ذلك تزوير الوثائق، جزءاً هاماً من أنشطة تنظيم القاعدة. لطالما واجه تنظيم القاعدة صعوبة في العثور على عملاء يتحدثون الإنجليزية بطلاقة أو يعملون في الغرب بدلاً عن ذلك، كما يمتلك التنظيم عدداً قليلاً من العملاء الذين يحملون جوازات سفر شرعية من الدول الغربية: إنّ الحد من التزوير يُصعّب القيام بالعمليات بالنسبة إلى التنظيم.

(1) «Trying Terrorist Suspects in Federal Court,» Human Rights First, June 18, 2014, http://www.humanrightsfirst.org/resource/trying ـ terrorist ـ suspects ـ federal ـ court.

تخشى الجماعات الإرهابية من أن يعترف العنصر الموقوف ويكشف ما يعرفه من معلومات لقوات الأمن (حتى أن الظواهري قد أفشى عن بعض الأسماء أثناء وجوده في السجن في مصر)، لذلك، إنّ كل عملية اعتقال تحدث تدفع المجموعة إلى تغيير كلمات المرور الخاصة بها والعثور على منازل آمنة جديدة والتأكيد على أن أسرارها لا تزال سريّة. تستغرق هذه الإجراءات وقتاً طويلاً، كما أنها مُكلفة مادّياً وتُعطّل فعالية المجموعة.

ومع ذلك، فإن استخدام النظام القانوني كأداة لمكافحة الإرهاب له حدود عديدة. على الرغم من أن التخطيط لهجوم إرهابي يُعتبر جريمة، إلا أن النظام القانوني لا يُعاقب في الغالب إلا بعد وقوع الهجوم. لذلك فهو يساعد على منع الإرهابيين من الهجوم مرة أخرى ولكنه أقل فاعلية في منع الهجمات من الحدوث في المقام الأول. وتأتي شرعية النظام القانوني ذاتها من أعلى درجات الإدانة. في بعض الحالات، قد تكون الأدلة ضد الإرهابي المشتبه به قوية بما يكفي لإقناع مسؤولي مكافحة الإرهاب بضرورة إلقاء القبض على المشتبه به، لكنها ليست قوية بما يكفي لتحقيق المعايير القانونية الصارمة المطلوبة لضمان الإدانة في محاكمة جنائية أمريكية. في بعض الحالات، قد توجد مثل هذه الأدلة ولكن من أجل تقديمها في المحكمة، يتعين على المدّعين العامين الكشف عن معلومات سرية قد تُعرّض المصادر الرئيسة أو أنظمة جمع المعلومات للخطر. غالبًا ما يُلاحق النظام القانوني من هم في أسفل السلسلة ـ أي العملاء ذوي المستوى المنخفض الذين ينفذون الهجمات ـ بدلاً من العناصر المهرة الذين يديرون اللوجستيات ويديرون تنظيم القاعدة. في تفجيرات سفارتي شرق إفريقيا عام 1998، نجحت الولايات المتحدة في مقاضاة العديد من الأفراد المتورطين في الهجوم، لكن بن لادن والظواهري والعديد من الأشخاص الآخرين الذين كانوا مهمين للغاية قد نجحوا بالفرار من العدالة. أخيرًا، من غير المحتمل أن يردع تهديد عقوبة السجن معظم الإرهابيين: بعضهم كانوا بالفعل مجرمين مُتمرّسين في البداية، والبعض الآخر مثالي ومستعدين للتضحية ليس فقط بحريتهم بل بحياتهم من أجل القضية الجهادية، كما أن الكثير منهم يأتون من مناطق الحرب أو المناطق التي تسودها الفوضى حيث يبدو النظام القانوني الأمريكي بعيداً (أو ليس بهذا السوء) مقارنةً بحقيقة حياتهم اليومية المتمثلة في الصراع المدني والغارات الجوية التي تحدث فوق رؤوسهم.

نظرًا لتمركز تنظيم القاعدة في الخارج وعمله على الصعيد العالمي، فإن استخدام

نظام العدالة الجنائية كأداة لمكافحة الإرهاب يعتمد اعتماداً كبيراً على دعم الحكومة الخارجيّة، ذلك لأن أجهزة الأمن المحلية وموظفي إنفاذ القانون هم عادة الذين يتعين عليهم إلقاء القبض على المشتبه به وتسليمه بالإضافة إلى مساعدة المحققين وجمع الأدلة الهامة. في قضايا تفجير السفارة عام 1998، ساعد المسؤولون الكينيون ضباط مكتب التحقيقات الفيدرالي في إجراء المقابلات والتفتيش وإرسال المشتبه بهم والأدلة الجنائية إلى أمريكا. في بعض الأحيان، تكون الحكومات الأجنبية غير راغبة سياسياً في التصرف أو غير قادرة على العمل لأنها أضعف من أن تعتقل الإرهابي. في أحيان أخرى، يكونون ببساطة متكاسلين وغير مدربين تدريباً جيداً ويتم إتلاف الأدلة الرئيسة أو فقدانها. قد تتردد الحكومات الأجنبية أيضاً في الكشف عن دورها أمام العلن، خاصةً إذا كان ينطوي على الكشف عن أساليب استخبارية حساسة.[1]

قد يكون تسليم المشتبه به إلى الولايات المتحدة للمحاكمة أمراً صعباً، حيث قد تستغرق هذه العملية وقتًا طويلاً: في عام 2004، طلبت الولايات المتحدة من حليفها الوثيق، بريطانيا، تسليم الداعية الديني أبو حمزة لتورطه في الإرهاب المرتبط بتنظيم القاعدة في اليمن ومحاولته إنشاء معسكر تدريبي في ولاية أوريغون. تمت الموافقة على هذا الطلب بعد ثماني سنوات.[2] منعت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان عملية تسليم هارون مساعد أبو حمزة، على أساس أن الحبس في سجن أمريكي شديد الحراسة سيُشكّل «معاملة لا إنسانية أو مهينة».[3] عادةً ما يكون الفاصل القانوني منخفضاً في الدول النامية مقارنةً بنظيره السياسي: نظراً لعدم شعبية الولايات المتحدة في العالم الإسلامي (في عام 2014، حصلت الولايات المتحدة على تصنيف «غير مرغوب فيه» بنسبة 85 % في مصر والأردن و59 % في باكستان) لذلك، تخشى الحكومات والمسؤولون القضائيون في كثير من الأحيان التعاون المفتوح مع الولايات المتحدة بسبب العواقب السياسية المترتبة على تشويه سمعة المرتبط بالتعاون

(1) Pillar, Terrorism and U.S. Foreign Policy, pp. 84–85.

(2) «Abu Hamza legal fight ـ timeline,» The Guardian, September 24, 2012, http:// www.theguardian.com/world/2012/sep/24/abu ـ hamza ـ timeline.

(3) O. Bowcott and V. Dodd, «Human rights court blocks extradition of UK ـ based terror suspect to US,» The Guardian, April 16, 2013, http://www.theguardian. com/law/2013/apr/16/human ـ rights ـ extradition ـ terror ـ suspect.

مع أمريكا.[1] في بعض الحالات، قد لا تكون الجريمة التي اتُّهِم بها المشتبه به في الولايات المتحدة، مثل دعم جماعة إرهابية أجنبية، غير قانونية في البلد المعني، ذلك لأنها لا تهدد بشكل مباشر رعايا ذلك البلد. في بعض البلدان الأخرى مثل باكستان، يشعر المسؤولون بالقلق أيضًا من أن الجماعات الجهادية القوية الناشطة في ذلك البلد ستنتقم من أي شخص يتعاون مع أمريكا.

ماذا عن المحاكم العسكرية، وغوانتانامو، وغيرها من التدابير القانونية التي تلت 11 أيلول؟

بسبب القيود العديدة لنظام العدالة الجنائية ونظراً لاعتباره نظاماً «رقيقاً» بالنسبة للإرهابيين، فقد سمح البيت الأبيض بقيادة بوش بعد أحداث 11 أيلول بتشكيل لجان عسكرية لمحاكمة المشتبه في كونهم إرهابيين، بحجّة أنّ تطبيق القواعد الموحّدة للأدلة والمبادئ من القانون المستخدم في القضايا الجنائية المدنية على القضايا المتعلقة بالإرهاب هو أمر «غير عملي» بالنظر إلى طبيعة الإرهاب.[2] قام الكونغرس لاحقاً بتنظيم وتعديل المحاكم العسكرية في سلسلة من قوانين اللجان العسكرية. أصبحت اللجان العسكرية الخيار القانوني الوحيد بخلاف الاحتجاز لأجل غير مسمى لمسجوني مُعتقل غوانتانامو، حيث أصدر الكونغرس أيضاً قانوناً يمنع الرئيس من نقل المُحتَجَزين إلى الولايات المتحدة لمحاكمتهم وبالتالي استبعاد النظام التقليدي للعدالة الجنائية المدنية.

نظرياً، كان من المفترض أن تكون هذه اللجان نشيطة وأن تتغلب على التأخيرات والحواجز العالية في النظام القانوني التقليدي لضمان قضاء الإرهابيين وقتاً كافياً في السجن، لكن هذه اللجان فشلت من الناحية العملية بشكل ملحوظ. على الرغم من أن الإجراءات المُتّبعة في اللجان العسكرية تختلف بعدة طرق عن المحاكم المدنية الفيدرالية، فإن المتهم لا يزال يتمتع بحقوق كبيرة معظمها مُدوّن في التشريع الذي أقرَّهُ الكونغرس. أثبت محامو الدفاع

(1) B. Stokes, «Which countries don't like America and which do?» Fact Tank, Pew Research Center, July 15, 2014, /http://www.pewresearch.org/ fact _ tank/201415/07//which _ countries _ don't _ like _ america _ and _ which _ do.

(2) «President Issues Military Order,» Office of the Press Secretary, The White House, November 13, 2001, http://georgewbush _ whitehouse.archives.gov/ news/releases/2001_ 20011113/11/ 27.html.

أيضًا أنهم عدوانيون للغاية بالنيابة عن موكليهم ـ كما قال محامي دفاع أحد المحتجزين، «هناك وجهة نظر شائعة مفادها أنه يُدفع لنا المال من قبل الحكومة لتحدي الحكومة»[1] بالإضافةِ إلى خوف الناشطين المدنيين من يكون مصطلح «العدالة العسكرية» هو عبارة عن مجرّد تناقض لا أساس له من الوجود. في الواقع، على الرغم من أن مقارنة الحالات بين الأنظمة أمر صعب، فقد أدانت اللجان العسكرية عددًا أقل بكثير من الأشخاص من النظام المدني، الذي يبلغ معدل الإدانة فيه نسبة 90 % تقريبًا.[2]

بالإضافة إلى المحاكم العسكرية، اعتمدت الولايات المتحدة بعد 11 أيلول على مواقع الاعتقال السرية في الخارج بالإضافة إلى مرافق الاحتجاز في غوانتانامو وباغرام وأماكن أخرى لاحتجاز الأفراد واستجوابهم. ومع ذلك، فإن انسحاب الولايات المتحدة من العراق وأفغانستان، الإستنكار الواسع الذي اندلع بسبب مُعتقل غوانتانامو، وبشكل أوسع، مسألة الإجراءات المناسبة للمحتجزين الأجانب كانت كلها قد دفعت إدارة أوباما إلى الابتعاد عن الاحتجاز كأداة لمكافحة الإرهاب ـ إن لم يكن الإستغناء عن الفكرة تماماً.

إنّ استمرار برنامج الاعتقال مثير للجدل في الداخل والخارج: حتى أنّ الحلفاء المقربين في أوروبا ينتقدون الاعتقال إلى أجل غير مسمى في مُعتقل غوانتانامو. ومع ذلك، فإن عدم وجود منهج مُعيّن للاحتجاز يعني أنه يتعين على الولايات المتحدة إما الإفراج عن أفراد يحتمل أن يكونوا خطرين ـ في الواقع، لا تزال الأرقام الدقيقة أمراً متنازعاً عليه، لكن ربما من الممكن محاكمة 100 شخص من معتقلي غوانتانامو الحاليين لجرائم متعلقة بالإرهاب أو اعتبارهم أخطر من أن يتم الإفراج عنهم.[3] بالإضافة إلى ذلك، لا تستطيع الولايات المتحدة بنفسها القبض على الإرهابيين المشتبه بهم في البلدان الأجنبية. لذلك، يتوجب على الولايات

(1) G. Urza, «Why Khalid Sheikh Mohammed's Lawyer Is Leaving the Defense Team—and the Army,» Slate, August 26, 2014, http://www.slate. com/articles/news_and_politics/jurisprudence/201408//khalid_sheikh_ mohammed_s_guantanamo_defense_lawyer_jason_wright_is_departing. html.

(2) D. Bennett, «Civilian Courts Are Way Better Than Military Courts at Convicting Terrorists,» The Wire, April 23, 2013, http://www.thewire/com/ politics/201304//civilians ـ courts ـ vs ـ military ـ courts ـ terrorism/64489/.

(3) «Q&A: Guantanamo detentions,» BBC News, April 30, 2013, http://www.bbc. com/news/world ـ us ـ canada 12966676 ـ.

المتحدة إما تركهم لمواصلة التخطيط للهجمات أو إلقاء القبض عليهم من قبل الشرطة أو أجهزة المخابرات الحليفة وهو أمر قد لا يكون الحلفاء في بعض الأحيان على استعداد أو قادرين على القيام به وقد يؤدي النهج الأخير أيضاً إلى انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان.

ما عمليات الترحيل السريّ ولماذا تُعتبر قضية مثيرة للجدل؟

نظرًا لأن عملية تسليم المشتبه بهم قد تكون صعبة أو مستحيلة من الناحية السياسية، لجأت الولايات المتحدة في بعض الأحيان إلى عمليات التسليم السري: النقل خارج نطاق القانون لأحد الإرهابيين المشتبه بهم من بلد أجنبي إلى بلد أجنبي آخر (مثل القبض على شخصٍ ما في شوارع باكستان ووضعه في طائرة وإرساله للمحاكمة في مصر). من الصعب الحصول على إحصائيات دقيقة، لكن المدير السابق للمخابرات المركزية جورج تينيت شَهِد أن هناك أكثر من 80 عملية تسليم سري تمّت قبل 11/9، كما أوضح تقرير لمنظمة حقوق الإنسان في عام 2005 أنه كان هناك ما بين 100 و150 عملية في السنوات الثلاث التي أعقبت 11 أيلول.[1] يتضمن هذا الرقم كلًا من الترحيل السري الذي يتم فيه نقل الفرد إلى الولايات المتحدة للمحاكمة وتلك التي يُنقل فيها الفرد إلى بلد أجنبي، حيث تتم محاكمته غالباً ولكن حيثما يكون النظام القضائي أكثر شبهة، حيث يُشار إلى هكذا عمليات غالباً وليس دائماً باسم «عمليات التسليم الاستثنائية».

يزعم مؤيدو الترحيل السري أنه إذا تم استخدامه بشكل مناسب، فإن هذا التكتيك يمكن أن يملأ فجوة مهمة من خلال الحفاظ على بعض مظاهر قوّة القانون بالنسبة للمشتبه بهم في بلدان ذات أنظمة قضائية ضعيفة مثل باكستان مع الاستمرار في إخراجهم من الشوارع واكتساب المعلومات عن نشاطاتهم (عادةً من ما يسمى «فضلات الجيب» ـ معلومات من هاتف خلوي أو ملاحظات مكتوبة بخط اليد أو مواد أخرى قد تكون في حوزة المشتبه به معه عند إلقاء القبض عليه).[2] تم العثور على رمزي يوسف ـ العقل المدبر لتفجير مركز

(1) G. Tenet, testimony before the National Commission on Terrorist Attacks upon the United States, March 24, 2004, http://www.9 11_commission.gov/ archive/hearing811 _ 9/Commission_ Hearing_2004 24 _ 03 _.htm; «U.S. Rendition Practice since 911/,» Human Rights Watch, n.d., http://www.hrw.org/legacy/ backgrounder/eca/canada/arar/3.htm.

(2) «Extraordinary Rendition in U.S. Counterterrorism Policy: The Impact on Transatlantic Relations,» Joint Hearing before the Subcommittee on International Organizations, Human

التجارة العالمي عام 1993 والذي خطط أيضا لعدة هجمات أكثر قوّة ـ في باكستان واعتُقِل من قبل مسؤولين باكستانيين ومسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية. نَقَل مكتب التحقيقات الفيدرالي والمخابرات الأمريكية يوسف إلى الولايات المتحدة، حيث تمت محاكمته وإدانته وهو الآن في السجن يقضي عقوبته مدى الحياة.[1] كانت أول عملية «تسليم غير عادي» يُنقل فيها المتهم من بلد إلى بلد أجنبي آخر قد نُفّذت بحق أبو طلال القاسمي الذي نُقل عام 1995 من كرواتيا إلى مصر، حيث أُعدِم هناك.[2]

على الرغم من ذلك، يرى النقاد أن عمليات الترحيل السري خاطئة من الناحية الإجرامية بسبب طبيعتها غير القانونية. أحد المفاهيم الخاطئة الشائعة حول عمليات الترحيل السري هي أنها تتم سراً وبدون الحكومة المضيفة. (تنشأ هذه الفكرة الخاطئة عندما يتم تسريب معلومات عن عملية تسليم ما، حيث تدّعي الحكومة المضيفة عدم معرفتها وتقدّم احتجاجات شكلية). في الواقع، وفقًا لما ذكره مايكل شوير، المسؤول السابق بوكالة الاستخبارات المركزية، فإن كل عملية تسليم في أوروبا وأماكن أخرى كان على علمٍ بها، قد تضمّنت دعماً من قبل الدولة المضيفة.[3] تُفيد مبادرة عدالة المجتمع المفتوح بأن أكثر من 50 حكومة أجنبية شاركت في برنامج الترحيل السري الاستثنائي.[4]

يتضمن النقد الأكثر جدّية تقاريراً عن عمليات التعذيب وغيرها من انتهاكات حقوق

Rights, and Oversight and the Subcommittee on Europe of the Committee on Foreign Affairs, US House of Representatives, US Government Printing Office, Washington, DC, April 17, 2007, http://www.fas.org/irp/congress/2007_hr/rendition.pdf.

(1) U.S. v. Yousef, et al., United States Court of Appeals for the Second Circuit, August Term, 2001, argued May 3, 2002, decided April 4, 2003, Docket Nos. 98 1041 ـ L, 98 ,1355 ـ 98 ,1197 ـ 1554 ـ 99 ,1544 ـ 99, pp. 15–16, available at FindLaw, http://fl1.findlaw.com/news.findlaw.com/cnn/docs/terrorism/ usyousef40403opn.pdf.

(2) S. Grey, «Five Facts and Five Fictions about CIA Rendition,» PBS Frontline, November 4, 2007, http://www.pbs.org/frontlineworld/stories/ rendition701/updates/updates.html.

(3) M. Scheuer, testimony in «Extraordinary Rendition in U.S. Counterterrorism Policy: The Impact on Transatlantic Relations».

(4) «Globalizing Torture: CIA Secret Detention and Extraordinary Rendition,» Open Society Justice Initiative, Open Society Foundations, February 2013, http://www.opensocietyfoundations.org/reports/globalizing ـ torture ـ cia ـ secret ـ detention ـ and ـ extraordinary ـ rendition.

الإنسان: فقد ورد أن العديد من المشتبه بهم الذين تم تسليمهم قد تم إرسالهم إلى مصر وليبيا وحتى سوريا، وهي دول تتراوح مستويات حقوق الإنسان فيها من سيء إلى مروّع. يُحتجز بعض المشتبه بهم بمعزل عن العالم الخارجي في أماكن سرية ويختفون فعليًا. إن الغرض من عمليات الترحيل السري بشكل جزئي هو إبعاد المشتبه بهم عن الشوارع، ولكن عن طريق إرسالهم إلى بلدان مثل مصر، حيث لا يَحترم النظام القضائي حقوق المُتّهَمين، يُصبح الناس الأبرياء أكثر عرضة للتعذيب والسجن بغير حق. يدّعي المواطن الألماني خالد المصري أنه في ليلة رأس السنة 2003 تم اختطافه أثناء سفره في مقدونيا وسجنه واستجوابه وتعذيبه أثناء وجوده في عهدة وكالة المخابرات المركزية في أفغانستان. عندما أدرك المحققون أنه ليس إرهابياً بل مجرد بائع سيارات من بافاريا ولم يكن لديه الكثير ليقوله، أطلقوا سراحه وتركوه وحيداً في جبال ألبانيا بطريقة فظّة جدّاً.[1] ولكن من وجهة نظر الحكومة الأمريكية، فإن إبعاد إرهابي مشتبه به عن الشارع والفوائد الاستخباراتية المرتبطة بهذه العملية تجعل من عمليات الترحيل السري ـ حتى إلى بلدان تكون مستويات حقوق الإنسان فيها مشبوهة ـ جديرة بالاهتمام على الرغم من المخاطرة الكبيرة التي قد تنجم عن وقوع الأخطاء.

كيف يمكننا أن نلاحق أموال تنظيم القاعدة؟

قبل الحادي عشر من أيلول، كانت قدرة أميركا على تعطيل تمويل الإرهاب واهتمامها بالموضوع في حدها الأدنى. منذ الحادي عشر من أيلول، قادت وزارة الخزانة الأمريكية مجهوداً عدوانياً ضد أموال القاعدة.[2] للحكم على فعالية هذه الحملة، من المهم الإشارة إلى أنه بينما يكون ارتكاب عمل إرهابي رخيصاً في كثير من الأحيان، فإن الحفاظ على جماعة إرهابية قد يكون أمراً مكلفاً للغاية. على هذا النحو، قد يكون الاستهداف الناجح لعمليات التمويل ذا تأثير ضئيل أو معدوم على أي عملية إرهابية منفردة، لكن عموماً، يمكن أن يُقلّل عدد الهجمات ويجعلها أقل فتكًا ويضعف المجموعة الإرهابية بطرق عديدة.

(1) A. Davidson, «Torturing the Wrong Man,» The New Yorker, December 13, 2012, http://www.newyorker.com/news/amy ـ davidson/torturing ـ the ـ wrong ـ man.

(2) For a review, see J. Zarate, Treasury's War: The Unleashing of a New Era of Financial Warfare, New York, Public Affairs, 2013.

سعت الولايات المتحدة عقب أحداث 11 أيلول لاستهداف الشركات الرائدة والجمعيات الخيرية والمانحين الرئيسين لتنظيم القاعدة. كما سعت إلى تعطيل شبكة تنظيم القاعدة المالية ومنعه من استخدام البنوك والسعاة وغيرها من وسائل تحويل الأموال. في 28 أيلول 2001، أي بعد أيام قليلة من هجمات 11 أيلول، اعتمد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم 1373 الذي يطالب الدول بتجميد أصول «الأشخاص الذين يرتكبون أو يحاولون ارتكاب أعمال إرهابية»، بالإضافة إلى تقديم العون في الاستهداف المالي لتنظيم القاعدة وطالبان والجماعات الإرهابية الأخرى.[1] أعطى الأمر التنفيذي الجديد EO13224 وزارة الخزانة صلاحيات جديدة لتجميد الأصول، في حين وسّع قانون باتريوت آكت سلطة مكافحة غسل الأموال وطَلَب من البنوك الإبلاغ عن مزيد من المعلومات حول الأصول والتحويلات، كما قدّم لوزارة الخزانة مجموعة جديدة من الأدوات المالية. شهدت الفترة التي تلت أحداث 11 أيلول أيضًا تطورات مهمة من قبل فرقة العمل المعنية بالإجراءات المالية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومؤسسات أخرى لمكافحة تمويل الإرهاب.

تساهم عملية تَتَبّع تمويل الإرهاب في مساعدة الاستخبارات أيضاً: من خلال معرفة من هم الذين يدفع لهم تنظيم القاعدة، يمكنك معرفة من هم المنتمين للقاعدة. إن اكتشاف الإيصالات أو تقارير المعاملات المصرفية أو حتى دفاتر الحسابات بأكملها يمكن أن يساعد ضباط المخابرات في العثور على عناوين وأسماء ومعلومات أخرى ـ ما وصفه خوان زاراتي الذي قاد حملة وزارة الخزانة ضد تمويل الإرهاب بعد 11 أيلول بأنه «منجم ذهب للمعلومات».[2] تم العثور على معلومات تظهر الروابط المالية بين نواة القاعدة ورضوان عصام الدين (المعروف باسمه الحركي: حمبلي) الذي قاد الجماعة الإسلامية في جنوب شرق آسيا وكان مسؤولاً عن هجمات 2002 على الملاهي الليلية في بالي والتي أسفرت عن مقتل أكثر من 200 شخص، حيث كان لهذه المعلومات دور كبير في اعتقاله.

عندما تصبح المجموعات في حاجة للأموال، فإنها تتحول أكثر إلى ممارسة الجريمة. إن الاختطاف والابتزاز والسرقة و«فرض الضرائب» على المناطق الخاضعة لسيطرتها تجعلها

(1) Full text of the resolution available at http://www.un.org/en/sc/ctc/ specialmeet i ngs/2012/ docs/Un ited %20 Nat ions %20 Securit y %20 Council %20Resolution %201373 %20 (2001).pdf.

(2) Zarate, Treasury's War, p. 48.

أقل شعبية بين ناخبيها وتجعل من الصعب على الإرهابيين تصوير أنفسهم على أنهم من يدافع عن الفقراء في وجه الحكومة. قد تفقد أجهزة الاستخبارات التي تطارد الإرهابيين أثر المطلوبين، إلّا أن الشرطة التي تحقق في تزوير بطاقات الائتمان تتعثر بهم بسبب جرائمهم المالية. قام غريغوري فيرنون باترسون وبعض أصدقائه بسرقة محطة وقود لتمويل سلسلة من الهجمات الإرهابية التي كانوا يخططون لتنفيذها في منطقة لوس أنجلوس، لكن باترسون أسقط هاتفه الخلوي في مكان السرقة مما دفع الشرطة إلى تفتيش شقته والعثور على العديد من الوثائق الجهادية التي ربطوها في النهاية بمؤامرة إرهابية.

إنّ ملاحقة مصادر التمويل ليس بالأمر السهل. حتى المجموعات الإرهابية الكبيرة مثل تنظيم القاعدة يُعدُّ صغيراً نسبياً من الناحية المالية، حيث بلغت ميزانية التنظيم في ذروته حوالي 30 مليون دولار. وبالمقارنة، في نفس الفترة الزمنية تقريباً، كان للمخدرات غير المشروعة حصة قدرها 400 مليار دولار من الاقتصاد العالمي.[1] لذلك، فغالبًا ما تكون أموال الإرهابيين مجرد قطرة في بحر من الأموال غير المشروعة. أيضًا، عند تعطيل الجهات المانحة، هناك خلافات حول مدى أهمية النوايا: بعد أحداث 11 أيلول، دفعت الولايات المتحدة لوقف أي عملية تمويل مشبوه، بينما أراد حلفاء الولايات المتحدة التأكد من معاقبة أولئك الذين يعتزمون دعم الإرهاب فقط.

يتم تحويل بعض الأموال أيضاً خارج النظام المالي العالمي. في المناطق النائية حيث يكون للبنوك وجود قليل (ولكن حيث تنشط الجماعات الإرهابية في الغالب)، توجد شبكات الحوالة وهي شبكات غير رسمية لتحويل الأموال غالباً ما تشمل أفراد الأسرة الذين يعملون على تجهيز الأموال المُودَعَة في بلد ما ليتم دفعها من قبل فرد آخر من أفراد الأسرة في بلد آخر. تُعدّ مثل هذه الشبكات ضرورية بالنسبة لمجتمعات الشتات الذين يحتاجون إلى إرسال الحوالات المالية إلى أوطانهم خصوصاً في بلدان مثل الصومال التي تفتقر إلى البنوك، ولكن خطورة هذه الشبكات تكمن في إمكانية استخدامها لتحويل الأموال بشكل غير مشروع. لا تتضمن شبكات الحوالة العمل الورقي المكثّف وغالبًا ما تكون غير منظمة وخارجة عن سيطرة الحكومة مما يجعلها جذابة للإرهابيين.

(1) «Economic and Social Consequences of Drug Abuse and Illicit Trafficking,» United Nations Office on Drugs and Crime (UNODC), Technical Series Number 6, January 1, 1998, p. 3, https://www.unodc.org/pdf/ technical_series_1998 1_01 ـ 01 ـpdf.

يُعتبر استهداف شرعية الإرهاب نفسه أحد الأمور اللازمة في عملية وقف التمويل. إذا كان الأفراد ينظرون للإرهابيين على أنهم أبطال، فمن المرجح أن يقدموا المال لهم. لقد سمحت بعض الحكومات ولا سيما المملكة العربية السعودية في الدعم الشعبي لمجموعة من القضايا التي يدعمها تنظيم القاعدة، مثل مساعدة المتمردين في الشيشان وكشمير، في حين أن مواطني دول الخليج قد موّلوا الدولة الإسلامية بدافع طائفي بحت. في الأعوام التي سبقت 9/11، كانت الحكومة السعودية متساهلة في مراقبة المساعدات للقضايا مرتبطة بالجهاديين، مما مكّن الإرهابيين من جمع الأموال واستغلال الجمعيات الخيرية دون علم الحكومة. لإيقاف هذا التمويل، كانت الولايات المتحدة بحاجة إلى إقناع المملكة العربية السعودية بمواجهة جماعات المصالح المحلية المهمة التي دعمت هذه القضايا ورأت أن الجهود الأمريكية لوقف جمع التبرعات هي محاولة ضمنية لمنع المسلمين من الوفاء بالتزامهم الديني بإعطاء الصدقة. حدث تغيير رئيس في عام 2003، وذلك عندما هاجم تنظيم القاعدة السعودية بشكل مباشر. أدى ذلك الهجوم إلى غضب العديد من السعوديين على المجموعة ودفع العديد من رجال الدين المناهضين للولايات المتحدة إلى إدانته، مما قلل من شرعية التنظيم الإجمالية. على الرغم من ذلك، لا يزال العديد من المواطنين في دول الخليج حتى يومنا هذا يدعمون ما يشعرون أنه كفاح شرعي، مثل المعركة ضد الأسد في سوريا أو قتال طالبان ضد الحكومة الأفغانية ونصيرتها الولايات المتحدة، حتى ولو أن الجماعات التي يدعمونها قد يكون لها صلات بـتنظيم القاعدة أو الدولة الإسلامية.

كان التأثير التراكمي لجهود مكافحة جمع الأموال جديراً بالاعتبار. مُنع بعض المانحين من التمويل من خلال إعتقالهم أو تعطيل شبكة المدفوعات، بينما تم ردع آخرين خوفًا من العقوبة. واجه تنظيم القاعدة صعوبةً في دفع المستحقات لعوائل عناصره، وهو أمر أساسي للحفاظ على الروح المعنوية وضمان ولائهم، حيث قُتِل عدد متزايد من العملاء أو تعرضوا للسجن بينما انخفضت الميزانية الإجمالية للتنظيم.[1] يجب أن يدفع الأشخاص الذين يبحثون عن التدريب من مالهم الخاص، وهو حاجز أمام العديد من المسلمين من البلدان النامية والأسر الفقيرة في الغرب. تشير الوثائق المكتشفة في مجمع بن لادن السكني في أبوت آباد إلى أن نواة القاعدة تعتمد الآن على المنظمات الفرعية للحصول على التمويل، وليس العكس.

(1) Zarate, Treasury’s War, p. 43.

بدورها، غالباً ما تنخرط المنظمات الفرعية في جرائم مثل الاختطاف أو السرقة لكسب المال، مما يجعلها أقل شعبية ويعرّضها للتعطيل عن طريق إنفاذ القانون.

مثل وسائل مكافحة الإرهاب الأخرى، فإن تعقب الأموال بمفرده لا يوقف الإرهاب. وعلى الرغم من محدوديّته، فإنه يوفر معلومات قيمة عن أعضاء القاعدة ويجعل المجموعة أكثر عرضة للتعطيل. بالنسبة للدولة الإسلامية، فإن هذا الجهد قد بدأ للتو. ولأن تنظيم الدولة الإسلامية يعتمد اعتماداً كبيراً على الضرائب واستغلال الموارد في المناطق التي يسيطر عليها، فإن النجاح سيتطلب تغييرات على الأرض، وليس فقط ملاحقة الجهات المانحة.

ما دور القوة العسكرية الأمريكية؟

يشتمل دور العمليات العسكرية «الحركية» (المصطلح العسكري للعمليات التي تقتل الناس أو تدمر الأشياء) في مكافحة الإرهاب ضد تنظيم القاعدة وحلفائه على ثلاث طرق: الطائرات المُسيّرة والغارات الجوية الأخرى، العمليات العسكرية التقليدية والغارات التي تشنها قوات العمليات الخاصة مثل تلك التي أدت إلى مقتل أسامة بن لادن. تُعدُّ القوة العسكرية المألوفة أمراً قيماً أيضاً في مواجهة الدولة الإسلامية.

يمكن للقوات العسكرية حرمان الجماعات الإرهابية من الحصول ملاذ آمن لها. ساهم الغزو الأمريكي الذي أطاح بحركة في حرمان تنظيم القاعدة من الحصول على قاعدة عمليات آمنة وعلى الرغم من أن التنظيم قد نفّذ غارات محدودة في باكستان وأماكن أخرى، إلا أنها تعد ثانوية وسيئة مقارنةً بالحرية التي كان يتمتع بها في أفغانستان. لم يَعُد تنظيم القاعدة قادراً على تدريب الآلاف وإحاكة المؤامرات بدون الإفلات من العقاب كما فعل قبل 11 أيلول. يحظى تنظيم الدولة الإسلامية بملاذ مؤقّت الآن وذلك نتيجة لمقاومة الهجمات من الحكومتين العراقية والسورية (ومؤخراً، من الولايات المتحدة وغيرها من شركاء التحالف) بالإضافةِ إلى مختلف القبائل وجماعات المعارضة.

عندما تحتل القوات العسكرية أرضاً ما، يصبح بإمكان تلك القوات أن تُدمّر مجموعة إرهابية انخرطت داخل مجتمع ما. من المحتمل أن يتعاون السكان الآمنون مع القوات الحكومية وأن يبلغوا عن الإرهابيين ويعملوا ضدهم. يمكن للقوات العسكرية أيضًا إجبار السكان المحليين أو تمكين المسؤولين الحكوميين من استخدام سلطتهم ـ لمنح تصاريح السفر وتراخيص

العمل والسماح للذهاب إلى المستشفى أو الذهاب إلى جامعة، وما إلى ذلك ـ لإجبارهم على التعاون. اكتسبت القوات الأمريكية غربيّ العراق ثقة السكان في عامي 2006 و2007، حيث عملوا مع القبائل المحليّة ضد تنظيم القاعدة في العراق وساعدوا الحكومة في تعزيز سلطتها. ساهمت هذه الجهود في القضاء على تنظيم القاعدة في العراق، على الأقل مؤقتاً.

على الرغم من ذلك، يُعتبر النجاح كقوة احتلال أمراً صعب المنال. تفتقر بعض الجيوش إلى المعلومات الأساسية حول الإرهابيين في حي معيّن ولا تبذل جهداً يذكر لمعرفة ذلك، بل تعتقل الشباب بشكل عام وتقتُل الأبرياء. إنّ هذه الأساليب الشاملة عادةً ما تأتي بنتائج عكسية مما يؤدي إلى نفور المجتمعات. يلعب الإرهابيون دورهم في تحدي الجيش الأجنبي ممّا يجعل تصرفاتهم أكثر شرعية كما يحظون بالدعم الشعبي. يُعزّز الاحتلال الأجنبي رواية القاعدة بأن الأراضي الإسلامية تتعرض للهجوم ويعمل بمثابة نقطة جذب للمقاتلين الأجانب. في وقت السلم، يُعَدّ نشر وحدة عسكرية أمراً مكلفاً، لكن في زمن الحرب، يكون الأمر مربكاً بشكل كبير. في السنة المالية 2008، كلّف نشر لواء قتالي واحد في أفغانستان ـ يضم حوالي 4000 جندي ـ المواطنين الأمريكيين ممن يدفعون الضرائب أكثر من 8 مليارات دولار.[1] تُعدُّ هذه التكلفة أمراً ثانوياً مقارنةً بالخسائر البشرية، حيث أنّ التفجيرات الانتحارية والأجهزة المتفجرة المرتجلة وغيرها من الهجمات كانت تتسبّب بخسائر بشريّة مستمرّة.

نظراً لاعتبار الإنتشار العسكري على أنّه أمر فظّ، فإن الأداة الأمريكية البديلة الأكثر شيوعًا هي استخدام قوات العمليات الخاصة لقتل أو القبض على الإرهابيين المشتبه بهم. في عام 2004، أصدر وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمراً سرياً يأذن لقوات العمليات الخاصة بشن ضربات في سوريا واليمن وباكستان[2] وأصبحت مثل هذه الغارات شائعة في ساحات الحرب في العراق وأفغانستان. أفاد مجلس العلاقات الخارجية أنه كان هناك 2200 مهمة من هذا القبيل في عام 2011، كانت الغالبية العظمى منها عمليات اعتقال لم تتضمن إطلاق النار.[3]

(1) A. Belasco, «Troop Levels in the Afghan and Iraq Wars, FY2001–FY2012: Cost and Other Potential Issues,» Congressional Research Service, p. 54, http://fas. org/sgp/crs/natsec/R40682. pdf.

(2) E. Schmitt and M. Mazzetti, «Secret Order Lets U.S. Raid Al Qaeda,» New York Times, November 9, 2008, http://www.nytimes.com/200810/11// washington/10military.html?pagewanted=all.

(3) J. Masters, «Targeted Killings,» CFR Backgrounders, Council on Foreign Relations, May 23, 2013, http://www.cfr.org/counterterrorism/targeted ـ killings/p9627.

تعتمد هذه الغارات على معلومات استخبارية ممتازة: حيث أنّ المعلومات الخاطئة يمكن أن تؤدي إلى وفاة الأبرياء وتعرُّض أعضاء الفريق للخطر. ومع ذلك، عندما تكون المعلومات الاستخباراتية قوية، فإن مثل هذه الغارات تمنح الفرصة لقتل أو احتجاز الإرهابيين والحصول على شرائح ضخمة من الوثائق التي قد تكشف عن أسماء ومواقع وأدوار الإرهابيين الآخرين، مما يتيح المزيد من الغارات والاعتقالات الأخرى. يمكن لهذه العمليات أن تتعمق في جذور تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة بها عندما يتم تنفيذها بوتيرة ثابتة.

يمكن أن تكون القوة العسكرية مثيرة للإعجاب أيضًا لأنها تثبت أن قيادة البلاد تعمل بقوة في مواجهة الإرهاب وهو ما قد يساعد في تعزيز الروح المعنوية الوطنية. قد تعزّز هذه القوة أيضاً من تصنيفات استطلاعات الرأي لرئيس أو رئيس وزراء ما ـ رغم أن فشل عمليات كهذه قد ينطوي على خطر وقوع كارثة سياسية.

ومع ذلك، فإن نشر القوة العسكرية التقليدية يأتي مع مجموعة من الجوانب السلبية التي تجعلها في كثير من الأحيان ممنوعة. عادةً ما يكون للإرهابيين أنفسهم بعض الأصول المادّية: معسكرات تدريبهم بدائية وبسباطة، فإن تدمير مرافقهم بالكاد يعيقهم. بالإضافة إلى ذلك، يصعب ردع الإرهابيين: فهم لديهم دوافع كبيرة ويعيشون في بيئات خطرة بالفعل، وبالتالي فإن تهديد القوة الأمريكية قد لا يعني الكثير بالنسبة لهم. في معظم أنحاء العالم، سيكون استخدام القوة العسكرية انتهاكاً صارخاً وغير ضروري للسيادة: إذا كان الإرهابيون ناشطين في ألمانيا أو ماليزيا أو الأردن، فإن أسهل ما يمكن فعله هو مطالبة الحكومة باستخدام قوات الأمن الخاصة بها. حتى في المناطق التي تكون فيها الحكومات معادية أو تمارس سيادتها المحدودة، يعتبر استخدام القوة أيضاً أقل شرعية حتى من قبل العديد من حلفاء الولايات المتحدة، مما يولد سوء النية تجاه جهود أمريكا في مكافحة الإرهاب والسياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام. كما هو موضح في الفقرات اللاحقة، تُعتبر القوة العسكرية أمراً ضرورياً عند مواجهة الدولة الإسلامية، لأنه بخلاف تنظيم القاعدة، فإن الدولة الإسلامية تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي وتنخرط في صراع عسكري تقليدي.

ماذا عن الطائرات بدون طيار والضربات الجوية الأخرى؟

ربما لا يوجد أي وسيلة أمريكية لمكافحة الإرهاب يُساء فهمُها مثل حملة الطائرات المُسيّرة. خلال معظم الفترة تحت إدارة بوش، أجرت الولايات المتحدة حفنة من الضربات

الجوية باستخدام الطائرات المُسيّرة، والتي كانت كلها تقريباً في باكستان، لكن عندما تولّى الرئيس أوباما منصبه في عام 2009، أصبحت الطائرات المُسيّرة سلاح أمريكا المفضّل. ارتفعت وتيرة ضربات الطائرات المُسيّرة في باكستان من عدد قليل في عام 2007 إلى أكثر من 120 في عام 2010.[1] تضاءل عدد الضربات منذ ذلك الحين، لكن الإدارة الأمريكية استخدمت أيضاً طائرات بدون طيار في مناطق أخرى، وخاصةً اليمن.

تتخلّص حملة الطائرات المُسيّرة من الشخصيات الرئيسة في صفوف تنظيم القاعدة دون أي خطر على الأمريكيين المعنيين. قتلت الطائرات المُسيّرة أكثر من 3000 عنصر من القاعدة وطالبان وغيرهم من الجهاديين، بما في ذلك أكثر من 100 شخصية بارزة.[2] على الرغم من اتّساع القاعدة القيادية لتنظيم القاعدة، إلّا أنها ليست بلا حدود. عندما يصعد القادة الجدد، فإنهم غالباً ما يفتقرون إلى خبرة ومهارة أسلافهم. في رسالة وجدت في الغارة على مجمع بن لادن، أوضح بن لادن لأحد نوّابه الأساسيين (الذي قُتل لاحقاً في غارة بطائرة مُسيّرة) أن موت القادة ذوي الخبرة يؤدي إلى «صعود الزعماء الأدنى الذين ليسوا من ذوي الخبرة مثل القادة السابقين»، وحذّر بن لادن من أن «هذا سيؤدي إلى تكرار الأخطاء».[3] على الرغم من أن العلاقة تقريبيّة فقط، إلّا أن زيادة عدد الهجمات بطائرات بدون طيار من 2008 إلى 2012، ترافقت مع انخفاض عدد الهجمات المرتبطة بنواة تنظيم القاعدة، بالإضافة إلى انخفاض دمويّة ووحشية الهجمات بشكل عام: في الفترة ما بين عام 2005 إلى 2008، تُظهر قاعدة بيانات منظمة ستارت (START) للهجمات الإرهابية أربع هجمات في

---

(1) «Drone Wars Pakistan: Analysis,» International Security Data Site, New America Foundation, accessed on September 9, 2014, http://securitydata. newamerica.net/drones/pakistan/analysis.

(2) «Drone Wars Pakistan: Analysis».

(3) O. B. Laden, «Letter from UBL to ‘Atiyatullah Al ـ Libi 3 [English translation],» internal Al Qaeda correspondence between Osama bin Laden and Abu Abd al ـ Rahman Atiyyat Allah (a/k/a «Atiyya»), Harmony Project document # SOCOM 0000015 ـ 2012 ـ, Combating Terrorism Center at West Point, October 21, 2010 (date on original letter), p. 3, https://www.ctc.usma.edu/posts/ letter ـ from ـ ubl ـ to ـ atiyatullah ـ al ـ libi ـ 3 ـ english ـ translation ـ 2. An easier to read copy is available at National Journal, http://assets.nationaljournal.com/pdf/OBL13.pdf. On the death of Atiyya in a drone strike, see W. McCants, «Al Qaeda After Atiyya,» Foreign Affairs Report: After Bin Laden, Foreign Affairs, August 30, 2011, http://www.foreignaffairs.com/articles/68236/ william ـ mccants/al ـ qaeda ـ after ـ atiyya.

السنة مرتبطة بنواة التنظيم والتي أسفرت عن مقتل 165 شخصاً. في السنوات الأربع التي تلت ذلك، كان هناك هجومان فقط أسفرا عن مقتل شخصين فقط، مما يشير إلى أن الزيادة في ضربات الطائرات المُسيّرة مرتبطة بانخفاض عدد هذه الهجمات.(1) كشفت دراسة أوسع لتكتيك مكافحة الإرهاب المعروف باسم قطع رأس القيادة (أي قتل أو إلقاء القبض على كبار القادة) أن الجماعات الإرهابية التي تعاني من فقدان كبار قادتها من المرجح أن تنهار أكثر من الجماعات التي لا تعاني من ذلك.(2)

ومع ذلك، فإن التأثير الأكبر للطائرات المُسيّرة لا يشمل مقتل المتطرفين وحسب، بل كيف يجب أن يتكيف تنظيم القاعدة من أجل حماية أفراده. أكّدت ورقة كُتب عليها مجموعة نصائح وتم العثور عليها بين الجهاديين في مالي على تجنُّب الطائرات المُسيّرة من خلال الحفاظ على «إيقاف جميع الاتصالات اللاسلكية»، «تجنب التجمع في المناطق المفتوحة»، واتخاذ تدابير مضنية لاجتثاث الجواسيس بالإضافة إلى العديد من الإقتراحات الأخرى. وأوصت الإرشادات أيضًا بأن «لا يجب على كبار القادة استخدام معدات الاتصالات»، مما يشير إلى أن الإرهابيين أنفسهم قد يكونون على دراية بالآثار الموهنة التي يمكن أن تحدثها خسارة كبار القادة على المنظمة.(3) تُعتبر هذه النصائح معقولة، ولكن الآثار المترتبة على فعالية المجموعة قد تكون مربكة نوعاً ما. في جوهر الأمر، لا يمكن لقادة المجموعة أن يمارسوا القيادة الفعلية، حيث يتعين عليهم الاختباء أو البقاء بمعزل عن العالم الخارجي. التدريب على نطاق واسع يُعتبرُ أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً، لأن التجمعات الكبيرة قد تكون قاتلة. في القتال، لا يمكنهم التجمع أو جلب تعزيزات كبيرة.

من منظور مكافحة الإرهاب، تُعَدُّ الطائرات المُسيّرة تطوراً كبيراً مقارنةً بالأشكال السابقة للغارات الجوية. أطلقت الولايات المتحدة صواريخ كروز ضد السودان وأفغانستان بعد تفجيرات السفارة في عام 1998 من أجل ضرب ما اعتبرتهُ أهدافاً مرتبطة بتنظيم القاعدة.

(1) Incidents and fatalities can be accessed at the START database at http:// www.start.umd.edu/gtd/search/Results.aspx?chart=overtime&casualties_ type=&casualties_max=&perpetrator=20029.

(2) B. C. Price, «Targeting Top Terrorists: How Leadership Decapitation Contributes to Counterterrorism,» International Security, vol. 36, no. 4, Spring 2012, pp. 9–46.

(3) «The Al Qaida Papers ـ Drones,» internal Al Qaeda documents, n.d., pro ـ vided by the Associated Press, http://hosted.ap.org/specials/interactives/_ international/_pdfs/al ـ qaida ـ papers ـ drones.pdf.

نظرًا لأن صواريخ كروز لا توفر المعلومات مباشرةً بالطريقة التي تقوم بها الطائرات المُسيّرة كما أنها تستغرق ساعات للوصول إلى الهدف، كان من الصعب التأكد من أن هذه الضربات تضرب الأهداف الصحيحة في الأوقات المناسبة. من المحتمل أن يكون الأفراد الذين تعرضوا للضربة هم من المتدربين العاديين، ونتيجةً لذلك، أصبحت المنظمة في حالة تأهب قصوى وأصبح استهدافها أمراً أصعب بكثير.[1] كما سمحت هذه الضربات لأعضاء تنظيم القاعدة بالظهور كأبطال، بدعوى أنهم تحدّوا الولايات المتحدة بنجاح. في الواقع، لقد تم تشجيعهم بدل أن يتم ردعهم.

لا يزال النقاد يشعرون بالشك حيال الانتقادات الشائعة للطائرات المُسيّرة على أنّها تقتل الأبرياء، حيث أنها في الواقع تفعل كذلك. ومع وجود هذه الحقيقة الملموسة، يصبح السؤال أكثر تعقيداً إذا ما تم النظر إليه عن كثب. يدّعي مسؤولو الإدارة أن الطائرات المُسيّرة لا تقتل أي مدنيين. في يونيو 2011، ادّعى جون برينان، مستشار الرئيس لمكافحة الإرهاب في ذلك الوقت، أن عاماً كاملاً من الضربات لم يسفر عن مقتل أي شخص من غير المقاتلين.[2] في المقابل، يزعم مكتب الصحافة الاستقصائية أنه حتى كانون الثاني 2015، قُتل ما يصل إلى 959 مدنياً، من بينهم ما يقارب 204 أطفال في غارات بطائرات مُسيّرة في باكستان وحدها بين عام 2004 ونهاية عام 2014، بالإضافة إلى مقتل العشرات في اليمن والصومال كذلك.[3]

ما الذي يفسر التفاوتات الشاسعة؟ أولاً، تُسفر العديد من هذه الضرابات عن مقتل الشبان الذين لا يُعرف عنهم سوى القليل. تَوَصّل مسؤولو الإدارة إلى عدد القتلى المدنيين المنخفض عن طريق اعتبار جميع الذكور في سن الخدمة العسكرية في منطقة الانفجار كمقاتلين ما لم تُثبت المعلومات الاستخبارية بعد الحدث أنهم من الأبرياء ـ ولم يتم عادة البحث عن معلومات استخباراتية بشأن هذا السؤال. يتبنى آخرون النهج المعاكس، بافتراض أن جميع القتلى الذين لم يتم التأكد من أنهم مسلحون هم أبرياء، حتى لو كانوا شبان يحملون الأسلحة

(1) Pillar, Terrorism and U.S. Foreign Policy, p. 103.

(2) S. Shane, «C.I.A. Claim of No Civilian Deaths from Drones is Disputed,» New York Times, August 11, 2011, http://www.nytimes.com/201112/08// world/asia/12drones.html?pagewanted=all&_r=0.

(3) «Get the Data: Drone Wars,» The Bureau of Investigative Journalism, accessed January 7, 2015, http://www.thebureauinvestigates.com/category/ projects/drones/drones ـ graphs/.

ويتعونون مع الإرهابيين المعروفين. وممّا يجعل الأمر أكثر تعقيداً، إن الغالبية العظمى من الضرابات في باكستان تحدث في المناطق القَبَلية حيث يمنع المسلحون والحكومة الباكستانية الصحفيين والعاملين في مجال حقوق الإنسان من الإقتراب، مما يدفع كلا هذين المَصدرين ولأسباب مختلفة إلى تضخيم عدد الإصابات في صفوف المدنيين الناجمة عن هجمات الطائرات المُسيّرة.[1]

تنتقد الخبيرة في شؤون الإرهاب أودري كورث كرونين الاعتماد على الطائرات المُسيّرة، مشيرةً إلى أن هذه الهجمات تقتل الأبرياء ممّا يجعل من الصعب على الولايات المتحدة الاحتفاظ بالمبادئ الأخلاقية العالية: كيف يمكن أن ينتقد الأمريكيون تنظيم القاعدة لقتله للأبرياء في حين أن الولايات المتحدة تفعل الشيء ذاته؟ كما أن حلفاء الولايات المتحدة لا يوافقون على الطائرات المُسيّرة، ويشير بعض الإرهابيين إلى تلك الهجمات باعتبارها سبباً لمهاجمة الولايات المتحدة.

تستنكر أنظمة الحلفاء، وخاصة القادة في باكستان، برنامج هجمات الطائرات المُسيّرة. ولكن كما هو الحال مع معظم جوانب السياسة الأمريكية تجاه باكستان، فإن الواقع أكثر تعقيداً وإرباكاً. أخبر قائد الجيش الباكستاني أشفق برويز كياني سراً القادة العسكريين الأمريكيين أن الجيش الباكستاني يريد «تغطية ضارية مستمرة» في المناطق التي كان الجيش يحارب فيها المسلحين.[2] في كلٍّ من باكستان واليمن، تقتل الطائرات المُسيّرة المسلحين الذين يقاتلون الحكومة المحلية، مثل حركة طالبان الباكستانية وتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية: في الواقع، تعمل أمريكا كقوّة حلفائها الجويّة لمكافحة التمرد. تريد باكستان الاستفادة من برنامج الطائرات المسيّرة مع تجنب أي مسؤولية، وبالتالي يلعب قادتها بشكل علني دوراً مزدوجاً: قال رئيس وزراء باكستان في عام 2008 للسفير الأمريكي، «سنحتجّ في الجمعية الوطنية ثم نتجاهل هذا الاحتجاج».[3]

(1) E. Voeten, «The Problems with Studying Civilian Casualties from Drone Usage in Pakistan: What We Can't Know,» The Monkey Cage, August 17, 2011, http://themonkeycage.org/201117/08//the _ problems _ with _ studying _ civilian _ casualties _ from _ drone _ usage _ in _ pakistan _ what _ we _ can %E2 % 80 %99t _ know/.

(2) P. Z. Shah, «My Drone War,» Foreign Policy, February 27, 2012, http://www. foreignpolicy.com/articles/201227/02//my_drone_war.

(3) Shah, «My Drone War».

في حين أن الحكومات قد تكون ذات وجهين، إلّا أن غضب شعوبها أكثر حقيقة. تُعتَبر الإصابات في صفوف المدنيين ـ حتى الأعداد الصغيرة ـ إهانة كبيرة، خاصةً عندما تكون هذه الإصابات على أيدي حكومة أجنبية، حيث يمكن أن تلهب شعور الوطنيّة بين الناس. أضف إلى ذلك عدم شعبية الولايات المتحدة فيصبح لديك وصفة جاهزة لتقليل شرعية الحكومة. يخشى بعض النقاد أيضاً أن تكون هذه الهجمات بمثابة حجج تجنيد للمتمردين. يشير الخبير في شؤون اليمن غريغوري جونسن إلى أن غارات الطائرات المُسيّرة في اليمن والتي تقتل السكان المحليين غالباً ما تغضب قبيلتهم بأكملها، ممّا يزيد بدوره من الدعم للأنشطة المعادية للولايات المتحدة.

في بعض الأحيان، يمكن أن يكون هذا الغضب المحلي مُبالغاً به. اعتمدت بعض الدراسات على المقابلات التي أجرتها المنظمات المناهضة للطائرات المُسيّرة، حيث كانت نتائجها مُتحيّزة لمعلومات تلك المنظمات. في الواقع، إن العديد من التقارير التي تستند إلى الدراسات الاستقصائية التي تُظهر عدم شعبية الطائرات بدون طيار تفتقد إلى حقيقة أن الكثير من الباكستانيين لا يعرفون سوى شيء قليل عن البرنامج ولا يدركون أنه يقتل العديد من المتشددين الذين ألحقوا الدمار بباكستان نفسها. ولعلّ الأهم من ذلك أن الحكومات الباكستانية والصومالية واليمنية لا تحظى بشعبية بين مواطنيها لأسباب عديدة، وبذلك تغدو هجمات الطائرات المُسيّرة جزئاً بسيطاً من المعادلة الكُليّة لمناهضة الحكومة المحليّة والولايات المتحدة.

بقدر ما يمكن أن تكون ضربات الطائرات بدون طيار مُفيدة، فهي أدنى مقاماً من عمليات الاعتقال. وكما تشير كرونين، «لا تستولي الطائرات بدون طيار على محركات الأقراص الصلبة أو المخططات التنظيمية أو الخطط الإستراتيجية أو المراسلات السرية».[1] إذا كان هناك جهاديون نشطون في أوروبا أو دولة شرق أوسطية مُنظّمة مثل الأردن، فيمكن للولايات المتحدة أن تطلب من الحكومة القبض عليهم. من الناحية النظرية، يمكن للولايات المتحدة حشد فريق من قوات البحرية الأمريكية للقبض على كل مشتبه به في باكستان واليمن، ولكن في الواقع العملي، سيكون هذا محفوفاً بالمخاطر بشكل كبير، إن لم يكن مستحيلًا.

(1) A. K. Cronin, «Why Drones Fail: When Tactics Drive Strategy,» Foreign Affairs, July/August 2013.

قد يُقدّم المسؤولون الحكوميون المتعاطفون معلوماتٍ للجهاديين عن المقاتلين الأمريكيين الذين سيكون وجودهم على الأرض أكثر إهانة للسيادة المحلية من هجمات الطائرات بدون طيار. وبالطبع، فإن بعض الجهاديين (أو مؤيديهم) سيقاتلون حتماً، مما يؤدي إلى المزيد من الخسائر الأمريكية وربما حتى مقتل المشتبه بهم والمدنيين الأبرياء.

إنّ البديل الأكثر منطقية لضربات الطائرات بدون طيار هو عدم التحرّك أبداً. في بعض الحالات، قد يُشَكّل الإرهابيون المستقلّون في الخارج تهديداً مباشراً بشكل بسيط للولايات المتحدة. في حالات أخرى، قد يكون خطر التسبب في خسائر بشرية وزيادة نزع الشرعية عن الحلفاء أو خلق سوابق خطيرة مرتفعاً للغاية. ولكن في بعض الأحيان هناك تهديدات حقيقية، والطائرات المُسيّرة هي أفضل وسيلة للقضاء عليها.

هل تؤدي الطائرات المُسيّرة وغيرها من وسائل مكافحة الإرهاب المثيرة للجدل إلى «رد فعل سلبي»؟

غالباً ما تفشل أدوات مكافحة الإرهاب، حيث أنه وبالرغم من كل شيء ممكن، يبقى الإرهابيون أهدافاً صعبة المنال. لكن في بعض الأحيان، يمكن لهذه الأدوات أن تأتي بنتائج عكسية، حيث يمكن أن تتخذ «ردود الفعل السلبية» هذه أشكالًا عديدة ومن الصعب قياسها وتحديدها.

في الوقت الحالي، يُستخدم مصطلح «النكبة» بشكل شائع للإشارة إلى العواقب الوخيمة الناتجة عن استخدام أدوات معينة لمكافحة الإرهاب: إغضاب أعداد ضخمة من الشعب وبالتالي خلق المزيد من التعاطف مع الإرهابيين ممّا يساهم بدوره في زيادة قدراتهم على جمع الأموال والتجنيد وبشكل عام، تسهيل نشاطهم الإرهابي. أدى الغزو الأمريكي للعراق إلى تصاعد الغضب بين المسلمين في جميع أنحاء العالم وتم اعتبارهُ سبباً رئيساً لشن هجمات إرهابية. كان كلٌّ من فيصل شهزاد(Faisal Shahzad) الذي حاول القيام بتفجير ساحة تايمز سكوير ورجل الدين اليمني الأمريكي اليمني أنور العولقي والأخوان تسارنايف، الذين نفذوا تفجير ماراثون بوسطن، قد أشاروا جميعاً إلى الحرب الأمريكية في العراق باعتبارها أحد الدوافع وراء تصرفاتهم ضد الولايات المتحدة.

تعرَّضت غارات الطائرات الأمريكية المُسيّرة، وخاصة تلك التي نُفِّذت في باكستان،

لانتقادات بسبب إغضاب السكان المحليين وخلق المزيد من التعاطف مع الإرهابيين. قال الجنرال المتقاعد من مشاة البحرية الأمريكية جيمس إ. كارترايت نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة والمستشار السابق للرئيس أوباما، «إننا نشهد هذا الرد.... إذا كنت تحاول أن تشقّ طريقك إلى حلٍّ ما وبغضّ النظر عن الدقة التي أنت عليها، فسوف تُزعج الناس حتى لو لم يكونوا هم المُستَهدَفين».[1] في أعقاب غارة أمريكية بدون طيار رفيعة المستوى استهدفت زعيم حركة طالبان الباكستانية حكيم الله محسود، أفادت إحدى الصحف أن «نجم الكريكيت السابق عمران خان، رئيس حزب التحريك والإنصاف الباكستاني قد حشدَ جمهوراً هائلاً في حملة التنديد بالتيار المستمر لضربات الطائرات المُسيّرة الأمريكية في بلده الأصلي».[2] في الواقع، إنّ هذه الإجراءات الأمريكية التي تُغضب السكان تسمح للإرهابيين بتصوير أنفسهم على أنهم أبطال المُجتمع وتجعل من الشعوب أكثر استعداداً للتغاضي عن وحشيتهم وإيديولوجيتهم المتطرفة والهجمات المتكررة على إخوانهم المسلمين.

قد تؤدّي مهاجمة تنظيم القاعدة إلى زيادة الهجمات على الولايات المتحدة. يحظى تنظيم القاعدة بالعديد من الأعداء، وفي حال تعرّض التنظيم لضربات قوية من أمريكا، فقد يقرّر تحويل موارده وعملياته بعيداً عن هؤلاء الأعداء الآخرين وتوجيهها نحو الولايات المتحدة فقط. نظراً للعداء الشديد بين قيادة التنظيم المركزية وأمريكا، فإن هذا الجدال ذو تأثير معروف مُسبقاً عندما يتعلق الأمر بالظواهري وأقرب أتباعه، لكنه ينطبق بقوّة على المنظّمات التابعة لتنظيم القاعدة والمجموعات التي لها أيديولوجيات مماثلة ولكن ليس لها علاقة عمليّة مع القاعدة، مثل حركة أنصار الشريعة في ليبيا. من ناحية، لا يريد مسؤولو مكافحة الإرهاب الوقوف مكتوفي الأيدي ريثما تزداد الجماعات قوّةً ومن ثم ّيجدون أنفسهم فجأة في مواجهة تهديد كبير. من ناحية أخرى، على الرغم من أن هذه الجماعات تشترك في كراهية القاعدة للولايات المتحدة، إلا أن طاقاتها تتركز محلياً وإقليمياً فقط. حتى أنّ تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، وهو الفرع الوحيد لتنظيم القاعدة الذي استهدف الولايات المتحدة بشكل

(1) Quoted in M. Mazzetti and S. Shane, «As New Drone Policy Is Weighed, Few Practical Effects Are Seen,» New York Times, March 21, 2013, http:// www.nytimes.com/201322/03//us/ influential ـ ex ـ aide ـ to ـ obama ـ voices ـ concern ـ on ـ drone ـ strikes.html?ref=us&_r=1&.

(2) P. D. Shinkman, «Blowback Likely from Latest U.S. High Profile Drone Strike,» U.S. News & World Report, November 1, 2013, http://www. usnews.com/news/articles/201301/11// blowback ـ likely ـ from ـ latest ـ us ـ high ـ profile ـ drone ـ strike.

مباشر، يكرّس الكمية الهائلة من موارده لتنفيذ هجماته في اليمن. يرتبط هذا النقاش بشكل خاص بقضية الهجمات الأمريكية على الدولة الإسلامية: حيث يخشى المسؤولون الأمريكيون من أن تُركّز هذه المجموعة في النهاية على مهاجمة الأراضي الأمريكية، لكنهم قلقون أيضاً من أن الهجمات الأمريكية على الجماعة قد تجعل حدوث هذا التركيز أكثر احتمالًا.

يزعم ناشطوا حقوق الإنسان والباحثون القانونيون أن التعذيب والقتل خارج نطاق القضاء والاحتجاز إلى أجل غير مسمى يفسد صورة الولايات المتحدة كبلد ضامن لسيادة القانون. في كانون الأول 2014، أصدرت لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ تقريراً كبيراً يتضمن تفاصيل عن العديد من الانتهاكات التي كانت جزءاً من عمليات الترحيل والاعتقال وجمع المعلومات التي قامت بها وكالة الاستخبارات المركزية، حيث قدّمت تفاصيل مروعة عن استخدام التعذيب والاعتقال السري للمشتبه فيهم الذين لم يتم اعتبارهم لاحقاً كإرهابيين رئيسين. مع قدر أقلّ من الشرعية، يمكن للولايات المتحدة أن تخسر التعاون الدولي الذي يعد أساسياً جداً لتعطيل تنظيم القاعدة. ومع ذلك، فإن هذا غير مرجح: حيث أنّ تنظيم القاعدة يعارض العديد من الأنظمة، وحتى أولئك غير المدرجين في قائمة أعدائها عادة ما يعارضون الإرهاب. التحدي الأكبر هو أن تراجع الشرعية يجعل من الصعب على الحلفاء التعاون علناً مع الولايات المتحدة. تعمل الأحداث البارزة مثل فضيحة التعذيب في سجن أبو غريب وتقارير عن غارة أمريكية بطائرة بدون طيار تستهدف بشكل خاطئ حفل زفاف في اليمن [1] على جعل التعاون أكثر تكلفة سياسياً بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة.

قد يكون الضرر الذي لحق بالولايات المتحدة أكبر حجماً خارج مجال مكافحة الإرهاب. كتب الرئيس السابق جيمي كارتر في افتتاحية عام 2012 في صحيفة نيويورك تايمز أنه بسبب حملة الطائرات بدون طيار، «لم يعد بوسع بلدنا التحدث بلسان السُلطة الأخلاقية» حول قضايا حقوق الإنسان.[2] تأتي النظرة العامة حول نفوذ الولايات المتحدة في قضايا حقوق الإنسان من تصورات بأن الولايات المتحدة تلتزم بمعايير السلوك الدولية في سياستها

(1) C. Friedersdorf, «The Wedding That a U.S. Drone Strike Turned into a Funeral,» The Atlantic, January 9, 2014, http://www.theatlantic. com/ international/archive/201401//the _ wedding _ that _ a _ us _ drone _ strike _ turned _ into _ a _ funeral/282936/.

(2) J. Carter, «A Cruel and Unusual Record,» New York Times, June 24, 2012, http://www. nytimes.com/201225/06//opinion/americas _ shameful _ hu man _ rights _ record.html.

الخارجية. في الواقع، تنتقد العديد من برامج مكافحة الإرهاب قدرة الولايات المتحدة في الضغط على الدول الأخرى للحد من انتهاكات حقوق الإنسان.

من السهل المجادلة باستخدام الروالات المنقولة بطريقة أو بأخرى، لكن تقييمات الاتجاهات الأوسع عادة ما تعاني من نقص البيانات والمعلومات. يفتقر علماء الإرهاب إلى نظرية عامة للتجنيد ـ وإذا كنا لا نعرف حقاً سبب تحول الناس إلى إرهابيين بشكل عام (تذكر أنه لا يوجد ملف تعريف واحد للإرهابي)، فمن الصعب الحكم على كيفية تأثير أداة مكافحة الإرهاب المثيرة للجدل على عمليّة التطرّف والتجنيد.

يمكننا أن نُعاين ونتفحّص البيانات الفردية للإرهابيين عن سبب انضمامهم. يستشهد الكثيرون بمجموعة مألوفة من المظالم، مثل دعم الولايات المتحدة لإسرائيل أو الوجود العسكري الأمريكي في العالم الإسلامي. المشكلة هي أن القائمة طويلة ومن الصعبِ معرفة ما إذا كان سيتم ببساطة استبدال أحد هذه المظالم بأخرى بالنسبةِ إلى متطوّعٍ شاب غاضب ومُتحمّس. فبدلاً من كره أمريكا أو الغرب لعشرة أسباب، يكرهون الغرب الآن لتسعة أسباب. تُعتَبَرُ هذه المشكلة متفاوتة بشكل خاص وذلك لأن نظريات المؤامرة منتشرة في العالم الإسلامي. لا يوجد أكثر من 30 % من الناس يعتقدون في أي دولة إسلامية أن العرب هم من نفّذ هجمات الحادي عشر من أيلول.[1] يعتقد الكثير من المسلمين أن هجوم الحادي عشر من أيلول كان عملاً داخلياً، إمّا مُدَبّر من اليهود لتعزيز الدعم الأمريكي لإسرائيل ضد المسلمين أو من إدارة بوش لتبرير حرب العراق (أو تبرير آخر من الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد: بأن الغرب يُدمر الغيوم المطريّة الإيرانية)[2] مع وجود مثل هذه العقلية التآمرية، حتى التحركات الأمريكية المُعتدلة والمُسالمة تُعتبر مشبوهة. إن التدخل الذي قادتهُ الولايات المتحدة في كوسوفو والذي حرّرَ العديد من المسلمين من النظام الصربي الوحشي في

(1) «Muslim ـ Western Tensions Persist,» Pew Research Global Attitudes Project, July 21, 2011, http://www.pewglobal.org/201121/07//muslim ـ western ـ tensions ـ persist/.

(2) D. Soni, «Survey: ‘government hasn’t told truth about 77/’,» Channel 4 News, June 4, 2007, http://www.channel4.com/news/articles/society/religion/survey+government+hasnt+told+truth+about+77545847/.html; R. Tait, «Mahmoud Ahmadinejad accuses the West of destroying Iran’s rain clouds,» The Telegraph, September 10, 2012, http://www.telegraph.co.uk/ news/ worldnews/middleeast/iran/9533842/Mahmoud ـ Ahmadinejad ـ accuses ـ the ـ West ـ of ـ destroying ـ Irans ـ rain ـ clouds.html.

بلغراد قد تمّ اعتبارهُ من قبل الكثيرين على أنه خطة أمريكية مُتَعَمّدة للسماح للصرب بقتل المسلمين، وعندما تتم عملية القتل، تبدأ الولايات المتّحدة بالتظاهر بالتدخّل.

إنّ الهدف من حَمْلة الطائرات المُسيّرة يعتمد بشكل جزئي على مبدأ أنّه إذا تمّ تصفية القادة أو إجبارهم على البقاء هاربين، فلن يتمكن أتباعهم من العمل. لذلك، حتى لو كانت وفاة قائد ما قد ألهمت خمسة أشخاص آخرين للانضمام إلى المجموعة في حالة غضب، قد تظل المجموعة بحالة أضعف مما كانت، حيث لا يمكن استبدال العضو الماهر بسهولة.

على الرغم من صعوبة تحديد رد الفعل وقياسه، فإن هذا لا يعني أنه غير موجود ـ كما أنّ بعض الأشياء مثل التعذيب هي خاطئة بطبيعتها، حتى لو كان رد الفعل ضئيلاً. يجب أن تكون الولايات المتحدة وحلفاؤها في بحثٍ مستمر عن علامات رد الفعل، وذلك عبر مراقبة الخطاب بين الجهاديين من خلال بياناتهم وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر لمعرفة أي الأعمال مكروهة بشكل خاص. من المهم بشكل خاص أيضاً الحكم على كيفية تأثير جهود مكافحة الإرهاب على أعمال الجماعات الإرهابية المختلفة. على سبيل المثال، فإن قتل أحد قادة حركة الشباب باستخدام طائرة مُسيّرة سيكون له نتائج عكسية إذا ما أقنع المجموعة ككل بتغيير تركيزها والبدء في استهداف الولايات المتحدة بقوّة. تكمُنُ هذه الحكمة في صميم التفكير الاستراتيجي لمكافحة الإرهاب: تحتاج الولايات المتحدة إلى التأكد من أن الرواية الإرهابية غير قابلة للتصديق كما تحتاج إلى هزيمة الإرهابيين الأفراد أيضاً.

كيف يمكننا جمع المعلومات الاستخباراتية عن تنظيم القاعدة؟

إنَ معظم أعمال مكافحة الإرهاب اليومية تتم من خلال العمل المُنَسّق بين أجهزة المخابرات والشرطة. ازدهرت استخبارات مكافحة الإرهاب على قدمٍ وساق داخل حكومة الولايات المتحدة منذ 11 أيلول ـ في عام 2010، حدّدت الحكومة الأمريكية التكلفة الإجمالية لتمويل أجهزة الاستخبارات الأمريكية في ذلك العام وحده بأكثر من 80 مليار دولار.[1] عندما يتم تحديد خلية إرهابية ما، تعمل الأجهزة الأمنية على مراقبتها واعتقال

(1) K. Dozier, «Total U.S. intelligence bill tops $80 billion,» Seattle Times, October 28, 2010, http://seattletimes.com/html/politics/2013281602_apusintelli ـ gencebudget.html; see also D. Priest and W. Arkin, Top Secret America: The Rise of the New American Security State, New York, Hachette Book Group, 2011.

الأفراد. يتمثّل دور الولايات المتحدة غالباً في توفير المعلومات والمساعدة في التنسيق عبر الحدود الوطنية.

كما هو الحال مع جمع المعلومات الاستخبارية المعياريّة، تُستخدم مجموعة متنوعة من الأساليب ـ ما يُرمز لهُ بـ«INTs» ـ لجمع المعلومات الاستخباراتية عن الإرهاب. قد يتراوح هذا من الجواسيس البشرية (HUMINT)، إلى التنصُّت على المكالمات الهاتفية والبريد الإلكتروني وإشارات أخرى (SIGINT)، إلى الصور المُتعلقة بالأنشطة الإرهابية(IMINT). بدأ عمل الجواسيس منذ آلاف السنين (حيث يُشار إلى التجسس غالباً باسم «ثاني أقدم مهنة»)[1]، بينما كان يتم استخدام SIGINT وIMINT بانتظام في الحرب الباردة ضد أهداف غير إرهابية.

إنّ اختراق تنظيم القاعدة باستخدام جواسيس أمر من الصعب تحقيقه. تحاول المنظمة الأساسية فحص وتدقيق الأعضاء المُحتملين بعناية، ولم تحظَ أجهزة المخابرات الغربية على الكثير من الحظ في تقريب عملائها من تنظيم القاعدة. ومع ذلك، فإن أحد أهم مصادر المعلومات حول الإرهاب يأتي من استجواب الإرهابيين ومؤيديهم، وبحسب ما ورد، قامت الاستخبارات الأمريكية بتحويل بعض سجناء غوانتانامو باي إلى عملاء مزدوجين.[2] وقد أصبحت هذه القضية متشابكة بشكل واضح مع مسألة التعذيب في أعقاب روايات مختلفة بأن وكالة الاستخبارات المركزية قد أغرقت أو أساءت معاملة أعضاء القاعدة المشتبه بهم. ومع ذلك، فقد أسفر الاستجواب دون استخدام التعذيب عن معلومات هائلة تتعلّق بالإرهابيين، وقد يقول الكثيرون إن الوسائل الأكثر لطافة كانت أكثر فعالية من التعذيب في كافة الأحوال.

تُعدُّ الاستخبارات المُتعلقة بالإشارات ومراقبتها (SIGINT) مهمة بشكل خاص لمكافحة الإرهاب. يجادل البعض بأن SIGINT كانت أكثر أهمية بكثير بالنسبة لمكافحة الإرهاب من

(1) In the Bible (Joshua 2: 1–2), Joshua sent two spies to Jericho. They stayed with a prostitute, who practiced the oldest profession.

(2) A. Goldman and M. Apuzzo, «CIA Turned Some Guantanamo Bay Prisoners into Double Agents Against al ـ Qaeda,» Washington Post, November 26, 2013, http://www.washingtonpost.com/world/national ـ security/cia ـ turned ـ s ome ـ guantanamo ـ bay ـ prisoners ـ into ـ double ـ agents ـ against ـ al ـ qaeda ـ ap ـ reports/201326/11//e98163b2 56 ـac 11 ـe3 ـ 8304 ـ caf30787c0a9_story.html.

HUMINT في فترة ما قبل 11 أيلول: ساعدت SIGINT الاستخبارات الأمريكية على تحديد مسؤولية بن لادن عن تفجير أسفر عن مقتل خمسة متعاقدين أمريكيين في المملكة العربية السعودية وتفجيرات 1998 لسفارتين أمريكيتين في أفريقيا التي أودت بحياة 224 شخص أيضاً. بالإضافة إلى تحديد هوية منفذي العمليات الإرهابية، يمكن لـ SIGINT المساعدة في الكشف عن الكثير من البيانات المتعلّقة بشبكات الدعم المالي والتعرُّف على هويات الداعمين. تُستخدم SIGINT أيضاً في تحديد موقع الأفراد، مما يتيح إمكانية القبض عليهم، حيث أن كلٌّ من العقل المدبّر لهجمات الحادي عشر من أيلول خالد شيخ محمد والمنسق الجهادي أبو زبيدة قد تم تحديد موقعهما بشكل جزئي بفضل استخدام SIGINT. ربما الأهم من ذلك أنه يمكن أن توفر SIGINT معلومات عن هجوم مخطط له مما يسمح بتعطيله. في عام 1998، ساعدت معلومات من SIGINT في إحباط هجمات القاعدة على قاعدة جوية أمريكية في المملكة العربية السعودية بالإضافة إلى أهداف أخرى.[1] تُوفّر SIGINT إمكانية الوصول إلى المعلومات عندما تعجز الجواسيس البشريّة عن القيام بذلك: بالنظر إلى أن جوهر تنظيم القاعدة يختبئ في أجزاء نائية من باكستان، فإن هذا الوصول المعلوماتي أمر ضروري جداً.

في فترة ما بعد 11 أيلول، أصبحت SIGINT أكثر أهمية. مع تزايد استخدام الطائرات بدون طيار لقتل أعضاء القاعدة، ازداد دورSIGINT أيضاً. في حين أن الطائرات بدون طيار يمكن أن تقدم صورة للأنشطة المحلية التي تُنفّذ، إلا أن استكمال ذلك باستخدام SIGINT أمر ضروري. يمكن أن تساعد SIGINT في تحديد موقع الأفراد في المقام الأول والتأكيد على أن الأفراد الموجودين في المشاهد التي بثّتها الطائرة بدون طيار هم الأشخاص المطلوبين.[2] والأهم من ذلك هو ازدياد حجم الاتصالات الإجمالي مع انتشار تكنولوجيا المعلومات: إنّ المعلومات الاستخباراتية التي تم جمعها على الإنترنت وما يرتبط بها من الميزات والتطبيقات، بدءاً من البريد الإلكتروني إلى أحدث وسائل

(1) M. Aid, «All Glory is Fleeting: Sigint and the Fight Against International Terrorism,» Intelligence and National Security, vol. 18, no. 4, 2003, pp. 75–105.

(2) G. Miller et al., «Documents Reveal NSA's Extensive Involvement in Targeted Killing Program,» Washington Post, October 16, 2013, http://www. washingtonpost.com/world/national _ security/documents _ reveal _ n sas _ extensive _ involvement _ in _ targeted _ killing _ program/201311 _ 3674 _ 29775278 /16/10/e3 8 _a0e 4 _e2cf80831fc_story.html.

التواصل الاجتماعية تُعتبر جميعها شكلاً من أشكال SIGINT (استخبارات الإشارة). على الرغم من أن هذه التقنيات توفّر للإرهابيين العديد من الوسائل الجديدة للتواصل وجمع الأموال ونشر خطط الهجوم، إلّا أنها تُقدّم لمسؤولي مكافحة الإرهاب فرصاً وفيرة للكشف عن الإرهابيين وتعطيل عملياتهم. كشف إدوارد سنودن، وهو مقاول مع وكالة الأمن القومي (NSA) عن معلومات مهمة حول قدرات SIGINT الأمريكية، لكن تنظيم القاعدة والإرهابيين الآخرين لا يبدو أنهم قد زادوا من تحصينهم الأمني رداً على ذلك.[1] بالطبع، يمكن أن تكون استخبارات الإشارة غير دقيقة ومخيّبة للآمال في كثير من الأحيان.

قبل الحادي عشر من أيلول، استقطبت المخابرات الأمريكية معلومات عن وجود تمرُّد، وفي أواخر عام 2000، أخبر أحد عملاء القاعدة ناشطاً آخر عن عملية «هيروشيما» المخطط لها ضد الولايات المتحدة.[2] بعد فوات الأوان، تم انتقاد مجتمع الاستخبارات الأمريكي لتجاهل هؤلاء القتلة. ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن مثل هذا النشاط الإرهابي قد أخبر المسؤولين بما يعرفوه بالفعل ـ أي أنّ تنظيم بن لادن كان يخطط بنشاط لشنّ ضربات ـ لكنه لم يخبرهم أين أو متى أو كيف سيتم تنفيذ الهجوم.

أثار التطوّر في جمع المعلومات الاستخبارية منذ 11 أيلول مخاوف بشأن كل من التبذير في الإنفاق وانتهاكات الحريات المدنية. حاول مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد 11 أيلول منع الهجمات الإرهابية بدلاً من مجرد التحقيق فيها بعد أن تنفجر القنابل، لكن ذلك أدى إلى بذل جهد أكثر مغامرة لتجنيد الجواسيس بين الجالية المسلمة الأمريكية. أبدى المدافعون عن الحريات المدنية قلقهم حيال الاستخدام المُكثّف لمخبري مكتب التحقيقات الفدرالي الذين عمِل بعضهم على تشجيع الجُناة المحتملين من خلال اقتراح خطة مُعيّنة وتوفير متفجرات (مزيفة) وتشجيعهم على أداء قسم الولاء لتنظيم القاعدة، مما أدى إلى انتقادات بأنهم قاموا

(1) «Measuring the Impact of the Snowden Leaks on the Use of Encryption by Online Jihadists,» Flashpoint Partners, September 16, 2014, https://fpjintel. com/public ـ reports/measuring ـ the ـ impact ـ of ـ the ـ snowden ـ leaks ـ on ـ the ـ use ـ of ـ encryption ـ by ـ online ـ jihadists/.

(2) J. Risen and S. Engelberg, «Failure to Heed Signs of Change in Terror Goals,» New York Times, October 14, 2001, p. A1, http://www.nytimes. com/200114/10//international/14INQU. html.

بإنشاء مؤامرة لم يكن لها وجود أصلاً (يعترض مسؤولو مكتب التحقيقات الفيدرالي على هذا الإتهام مُدّعين أن المشتبه بهم مُنحوا فرصًا متعددة للتراجع).[1]

ينتقد المدافعون عن الحريات المدنية أيضاً انتقاء المجتمعات الإسلامية والمساجد للمراقبة فضلاً عن المراقبة الشاملة للأمريكيين. على سبيل المثال، قامت إدارة شرطة نيويورك بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية ببناء قواعد بيانات حول المكان الذي يعيش فيه المسلمون ويعملون ويمارسون طقوس العبادة؛ اخرقوا المجموعات الطلّابية؛ راقبوا الخطابات وتجسّسوا على المساجد ـ منهج عدواني فشل في توليد أي دليل أو إدانة عن التورط بالإرهاب.[2] كشفت مجموعة من وثائق الأمن القومي التي سرّبها إدوارد سنودن عن الكم الهائل من المعلومات التي تجمعها الحكومة الأمريكية منذ أحداث 11 أيلول حول الأفراد في الداخل والخارج باسم مكافحة الإرهاب. تعرّضت مجموعة «البيانات الوصفية» ـ وهي معلومات حول من اتصل بمن ومتى ولكن مع عدم ذكر مضمون المحادثة ـ لانتقاد بشكل خاص ذلك لأنها تتم بدون إصدار أي أمر قضائي.

أخيرًا، يجب علينا أن نعترف بأن بعض الأموال المُستثمرة في مكافحة الإرهاب قد تم إهدارها بدون سبب. كشف تقرير لمجلس الشيوخ من الحزبين الجمهوري والديمقراطي عن «مراكز الانصهار» التابعة لوزارة الأمن الداخلي والتي تم إنشاء أكثر من 70 منها منذ عام 2003، أنّ المعلومات التي تم جمعها كانت «في كثير من الأحيان رديئة، ونادراً ما تأتي في الوقت المناسب، وتُعرّض أحياناً الحريات المدنية للمواطنين وحماية قانون الخصوصية للخطر... وفي كثير من الأحيان لا يكون لها أي علاقة بالإرهاب».[3]

(1) T. Aaronson, «The Informants,» Mother Jones, September/October 2011, http://www.motherjones.com/print/125137.

(2) A. Goldman and M. Apuzzo, «NYPD: Muslim Spying Led to No Leads, Terror Cases,» Associated Press, August 21, 2012.

(3) US Senate Permanent Subcommittee on Investigations, «Federal Support for and Involvement in State and Local Fusion Centers—Majority and Minority Staff Report,» US Senate Committee on Homeland Security and Governmental Affairs, October 3, 2012, p. 1, http://www.hsgac.senate. gov/download/report_federal ـ support ـ for ـ and ـ involvement ـ in ـ state ـ and ـ local ـ fusions ـ centers.

كيف تتغيّر وسائل مكافحة الإرهاب عند محاربة التنظيمات والجماعات الفرعيّة؟

تتغيّر المجموعة التقليدية لوسائل مكافحة الإرهاب أو يجب أن تتغير عند محاربة الجماعات الفرعية التابعة لتنظيم القاعدة. تختلف الجماعات الفرعية عن جوهر تنظيم القاعدة في العديد من الأمور المهمة من منظور مكافحة الإرهاب. تتألّف المنظمات الفرعيّة عادةً من المتمردين الذين لديهم مئات أو حتى الآلاف من الرجال الجاهزين للقتال، على عكس جوهر القاعدة الأقل عدداً بكثير. كما أن الجماعات التابعة للتنظيم لا تعطي الأولوية للهجمات على الولايات المتحدة وأوروبا، حيث تحصر أنشطتها المعادية للغرب في مسرحها المحلي أو الإقليمي.

نظرًا لحجم الحركات الفرعيّة، فإن استخدام الطائرات بدون طيار أو الوسائل «الحركية» الأخرى لاستهداف المنظمات التابعة يُعتبر غير مؤثّر بشكل كبير، ذلك يعود ببساطة لامتلاكهم الكثير من الأعضاء والقادة المُحتملين: لذلك، يجب أن تكون حملة الطائرات بدون طيار أكثر شمولاً حتى يكون لها تأثير مماثل لنتائج هجمات الطائرات بدون طيار على جوهر تنظيم القاعدة. استهدفت الولايات المتحدة قادة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وحركة الشباب في الصومال، لكن هذه الجهود كانت محدودة وأقل فاعلية بكثير من الجهود المبذولة ضد جوهر التنظيم في باكستان. في الواقع، يتمثل خطر اتباع النهج الأكثر حركيّة في أنه يمكن أن يؤدي إلى أسوأ ما في العالم: بالكاد يُقلّل من قدرات المجموعة بينما يجعل المجموعة تعطي الأولوية لمهاجمة الولايات المتحدة.[1]

بالنظر إلى أنّ تركيز الجماعات الفرعية هو أكثر محلية وإقليمية، فإن التهديد يختلف أيضاً. من وجهة النظر الأمريكية، فإن التهديد الذي تشكله الجماعات الفرعية التابعة هو تهديد لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، حيث يؤثّر العنف الذي تتسبّب به هذه الجماعات على الاستقرار الإقليمي. يجب أن تشتمل استجابة الولايات المتحدة على مساعدة الحكومات المحلية في الحكم والقتال بشكل أكثر فعالية. لدى الولايات المتحدة برامج مكثّفة لتدريب وتجهيز القوات العسكرية، ويمكن لواشنطن أيضاً تقديم المساعدة الاستخباراتيّة وبناء قوات الشرطة وغيرها من أساسيات مكافحة الإرهاب والتمرُّد.

(1) J. Brennan, «Open Hearing on the Nomination of John O. Brennan to be Director of the Central Intelligence Agency,» US Senate Select Committee on Intelligence, February 7, 2013, http://www.intelligence.senate.gov/130207/ transcript.pdf.

على الرغم من أن هذه الإجراءات تبدو بسيطة عند مناقشتها، إلّا أنها في الواقع صعبة للغاية. إن وجود أو عدم وجود تمرُّد مرتبط بالقاعدة ليس عشوائياً ويتطلّب إصلاحه أكثر من إغراق أحد الحلفاء بالمال وأشكال الدعم الأخرى. إنّ الأنظمة الحاكمة في هذه البلدان، حتى لو تم انتخابها بشكل ديمقراطي، تُعتبرُ غيرَ شرعية من جانب شريحة واحدة على الأقل من السكان. تحصل بعض الفئات الاجتماعية على ميّزات الترف في أحضان الحكومة، حيث تتمتّع بالفرص التعليمية والعقود الحكومية المربحة والمكافآت الأخرى، بينما يتم استبعاد المجموعات الأخرى. تعتمد الأنظمة الحاكمة على الفساد لمكافأة المؤيدين وفي الوقت نفسه لضمان ولائهم عن طريق إشراكهم بالفساد. يعود السبب جزئياً وراء عودة الجهاديين إلى السلطة في المناطق التي يسكنها السُنّة في العراق في صيف عام 2014 إلى تصرُّف حكومة المالكي التي استبعدت واضطهدت بشكل عام السكان السُنّة في البلاد.

تعمل هذه المشاكل السياسية والاجتماعية على إضعاف الفعالية العسكرية. إنّ التهديد الأكبر للقادة لايأتِ من طرف المتمرّدين، بل عبر الانقلاب من داخل صفوفهم. في مصر ومالي وباكستان واليمن ودول أخرى تتعامل مع الجهاديين، استولى الضباط العسكريون على السلطة من الحكومات المدنية في أوقات مختلفة. لتجنّب حدوث هذه الإنقلابات العسكريّة، يتأكد القادة المدنيون من أنّ الجيش يديره الموالون والمخلصون للحُكم: في المملكة العربية السعودية على سبيل المثال، يمكننا ملاحظة أنّ العديد من كبار الضباط العسكريين هم أفراد في العائلة المالكة، في حين أن الضباط الآخرين لديهم علاقات وثيقة بالعائلة المالكة وذلك بالزواج والعلاقات الأخرى. يتم تشجيع التنافس وليس التعاون بين القادة العسكريين، مما يجعل من غير المحتمل أن تتمكن الوحدات العسكرية من تنسيق عملياتها. قد تكون هذه استراتيجية رائعة لمنع الإنقلاب العسكري، لكنها ليست أفضل طريقة لإنشاء جيش قادر على هزيمة التمرّد.

تتعثّر محاولات الجهات الخارجية مثل الولايات المتحدة لإصلاح النظام في مثل هذا النوع من المشاكل. إذا قمنا بدعم الديمقراطية، فنحن نهدد قوة الزعيم ومؤيديه. من خلال تشجيع حقوق الأقليات، فإننا نهدد امتيازات وتحيزات المجتمع المُهيمن. من خلال الدعوة إلى وضع حد للفساد وإلى الشفافية في الحكومة، فإننا نهدد قدرة القائد على السيطرة على قاعدة السلطة. من خلال تشجيع الإصلاح العسكري، فإننا نجازف بجعل الجيش المؤسسة الوحيدة التي تعمل في بلد ضعيف، مما يجعل الانقلاب أكثر احتمالًا. ومع ذلك، إذا فشل الحليف في

الإصلاح، فمن المرجح أن يستمر التمرد وأنّ الولايات المتحدة سيتم اعتبارها مماثلة للحليف: أي سيُنظر إليها على أنها تدعم الديكتاتور. لذلك يجب علينا أن نتقبّل حقيقة أننا غالباً ما نختار بين محاربة الأشرار ومساعدة حكومة سيئة.

كيف يُمكننا أن ننتصر في حرب الأفكار؟

لقد صدم الدمار الذي خلّفته هجمات الحادي عشر من أيلول معظم الأمريكيين، لكن وبعد انقشاع غيمة هذا الهجوم الغاشم، كان ما يذهل الكثيرين هو استمرار عدم شعبية الولايات المتحدة بين المسلمين في جميع أنحاء العالم وخاصة في الشرق الأوسط. حاولت الولايات المتحدة تحسين صورتها بعدة طرق، غالباً تحت شعارات مثل «الدبلوماسية العامة» و«الفوز في حرب الأفكار». ومن بين الجهود التي بذلتها أمريكا كانت «مبادرة القيم المشتركة»، والتي تضمّنت الإعلانات التي تُظهر مسلمين أمريكيين يمارسون طقوس عبادتهم بحُريّة ويظهرون نجاحهم وسعادتهم في العيش في الولايات المتحدة. شملت الجهود اللأخرى دبلوماسيين أمريكيين يحاولون الدفاع عن السياسات الأمريكية وجهود مكافحة الإرهاب أمام الجماهير في جميع أنحاء العالم. مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، بدأت الولايات المتحدة في تطوير طرق جديدة لإشراك العالم بأسره: على سبيل المثال، أنشأت وزارة الخارجية الأمريكية حملة بعنوان «فكر مرة أخرى وابتعد» وذلك لثني المقاتلين الأجانب عن الذهاب إلى سوريا أو العراق.

في الواقع، فشلت هذه الجهود إلى حدٍّ كبير. وحتى عندما عرضت الدعاية الحكومية صوراً لمجتمع أمريكي مسلم سعيد، فقد تم أيضاً نشر الحقيقة الأكثر تعقيداً على نطاق واسع. ليس من المستغرب أن الصور الإخبارية للانتفاضة الفلسطينية الثانية والحرب في العراق قد أغرقت هذا الإعلان الموجّه. بعد الحادي عشر من أيلول، كان هناك تصاعد في النقد اللاذع والعنف ضد المسلمين في الولايات المتحدة. قبل 9/11 كانت هناك 28 حادثة معادية للإسلام تم الإبلاغ عنها.

ارتفع هذا الرقم إلى 500 حادثة عام 2001 تقريباً ثم انخفض إلى بضع مئات في السنوات التي تلت ذلك، وهو رقم أقل من عام 2001 ولكنه أعلى بكثير مما كان عليه في فترة ما قبل 11 أيلول. (إنّ معظم الجرائم المتلّقة بالكراهية لا يتم الإبلاغ عنها، وبالتالي قد تكون الأرقام الحقيقية أعلى من ذلك بكثير).[1]

(1) M. Potok, «FBI: Anti ـ Muslim Hate Crimes Still Up,» Salon, December 10, 2012, http:/

لم تنجح أيّ من هذه الهجمات في جعل الجالية المسلمة في أمريكا تنقلب ضد الحكومة ـ في الواقع، يشير استطلاع تلو الآخر إلى وجود القليل من التطرف بين المسلمين الأمريكيين ـ لكن الصور والخطابات المرتبطة بهذا الأمر لا تتوازى مع الصورة الورديّة التي قدمتها جهود الحكومة. علاوة على ذلك، حسب تصميم النظام الأمريكي، يجب أن يكون فيه تنوّع من الأصوات والأديان. لذلك، حتى عندما شدّد الرئيس جورج دبليو بوش على مدى الترحيب بالمسلمين الأميركيين، صوّر العديد من السياسيين الأمريكيين والأصوات السياسيّة البارزة المسلمين الأميركيين على أنّهم طابور خامس يريد فرض الشريعة الإسلامية في الولايات المتحدة ودعم بن لادن. في عام 2010، خطّط المسلمون لبناء مركز اجتماعي ومسجد على بعد كتلتين سكنيّتين من مجمع مركز التجارة العالمي، مما أدى إلى نشوب حملة انتقاد ضخمة. قارن رئيس مجلس النواب السابق نيوت غينغريتش منظّمي المساجد بالنازيين.[1] إنّ هذا العداء المنتظم وتنافر الأصوات جعل من الصعب على أي مسار علاقات عامة أن ينغرس وينجح هناك.

لكنّ المشكلة الأعمق هي أن الكثير من عدم الرضا عن الولايات المتحدة يرتبط بالسياسات الأمريكية في العالم الإسلامي. إنّ اتهام بن لادن بأن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل وتدعم الأنظمة العربية القمعية صحيح. عندما غزت الولايات المتحدة العراق في عام 2003 ـ وهي خطوة عزّزت من المشاعر المعادية لأمريكا إلى مستويات أعلى في العالم الإسلامي ـ عزّزت أيضاً ادعاء بن لادن بأن الولايات المتحدة كانت قوة إمبريالية قمعية عازمة على إخضاع العالم الإسلامي وسرقة موارده. إن عدم شعبية السياسة الأمريكية هذا لا يعني أن تلك السياسة خاطئة: فمعظم الأميركيين فخورون بدعم بلادهم لإسرائيل، وقد قبلت إدارة تلو الأخرى حقيقة أنهم يجب أن يتعاملوا مع أنظمة قمعية مثل آل سعود. لكن عدم الشعبية على المستوى الشعبي هو نتيجة ثانوية لهذه السياسات.

---

www.salon.com/201210/12//fbi_anti ـ Mulsim_hate_crimes_still_up/; C. Friedersdorft, «Was There Really a Post 11/9 ـ Backlash against Muslims,» The Atlantic, May 4, 2012, http://www.theatlantic.com/politics/archive/201205// was ـ there ـ really ـ a ـ post ـ 11 ـ 9 ـ backlash ـ against ـ muslims/256725/.

(1) N. Wing, «Newt Gingrich Calls 'Ground Zero Mosque' Organizations 'Radical Islamists' Seeking 'Supremacy,' Compares Them to Nazis,» Huffington Post, August 16, 2010, http://www.huffingtonpost.com/2010/ 0816//newt ـ gingrich ـ calls ـ groun_n_683548.html.

إنّ المنهج القيادي الناجح سيركّز على تنظيم القاعدة وأيديولوجيته والعديد من أخطائه. يعارض تنظيم القاعدة فكرة الديمقراطية بشدة، والتي يفضُّلها معظم العرب والمسلمين.[1] كما قتل تنظيم القاعدة وشركاؤه العديد من المسلمين ـ أكثر بكثير من عدد الغربيين المسيحيين واليهود الذين قتلهم التنظيم. علاوة على ذلك، فإن ميول الحركة الجهادية الأوسع، بما في ذلك الجماعات الجديدة مثل الدولة الإسلامية، إلى إعلان المسلمين الآخرين بأنهم غير مؤمنين هو أمرٌ لا يحظى بشعبية كبيرة. ساعدت هذه الإجراءات في توليد رد فعل عنيف في الأوساط الإسلامية ضد الجماعة وأدت إلى تراجع الدعم لتنظيم القاعدة والجهاديين الآخرين. بمعنى آخر، أصبح الجدل حول مدى سوء الجهاديين، وليس عن مدى روعة أمريكا.

وللمساعدة في هذه العملية، ينبغي على الولايات المتحدة العمل مع الحلفاء في العالم الإسلامي لدعم النقاد الإسلاميين لتنظيم القاعدة. إنّ هؤلاء الأفراد والجماعات، سواء كانوا في التيار الرئيس أو بين العناصر الأكثر تطرُّفاً، يحملون مصداقية أكبر بكثير من أي بيان رسمي أمريكي. إن نشر انتقاداتهم في وسائل الإعلام يضع تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية في موقف دفاعي: فكلما كان النقاش يدور حولهم أكثر منا(كأمريكا)، كان ذلك أفضل: أي دع الجهاديين يشوهون سمعتهم بأيديهم.

يستمدّ تنظيم القاعدة والجماعات الجهادية الأخرى قوتهم من الظروف الصعبة والقمعية الشائعة في العديد من الدول الإسلامية. سواء أكان ذلك فساداً وسياسة فاسدة في باكستان أم ديكتاتورية عسكرية في أماكن مثل الجزائر ومصر، فإن الجهاديين قادرون على توجيه الغضب نحو عدم شرعيّة (وغالبًا عدم كفاءة وركود) الأنظمة التي يعارضونها. لدى الولايات المتحدة سجلّ حافل بالسوء في تعزيز التغيير السياسي في الشرق الأوسط، كما أن انهيار الربيع العربي يجعل هذا الأمل يبدو بعيد المنال. ومع ذلك، يجب على الولايات المتحدة أن تشجّع الإصلاح السياسي عندما يكون ذلك ممكناً وأن تتذكر أنّه في حين أن الديكتاتوريين يمكن أن يكونوا حلفاء مناسبين على المدى القصير، فإن مكافحة الإرهاب على المدى الطويل تعتمد على الحكم الفعّال والمشروع.

(1) See, for example, «Most Muslims Want Democracy, Personal Freedoms, and Islam in Political Life,» Pew Research Global Attitudes Project, July 10, 2012, http://www.pewglobal.org/201210/07//most ـ muslims ـ want ـ democracy ـ personal ـ freedoms ـ and ـ islam ـ in ـ political ـ life/.

يعتمد الكثير من دعوة الدولة الإسلامية على نجاحاتها في سوريا والعراق. من خلال تحقيق الانتصارات ضد الحكومة العراقية والمرتدّين المُفتَرضين مثل الشيعة والعلويين، برز تنظيم الدولة الإسلامية كبطل للمجتمع المسلم السنّي. يُبدي العديد من المؤيدين إعجابهم بشجاعة الدولة الإسلامية أكثر من تعاليمها. لذلك، إنّ التغلب عليها وإلحاق الخسائر في ساحة المعركة سيكون انتصاراً دعائياً وعسكرياً في الوقت ذاته. وقد حدّدت المجموعة أيضاً مكانتها كدولة إسلامية: إذا فقدت سيطرتها على الأرض، فسيكون هذا الادعاء فارغاً وكاذب.

ما دور الحكومات الحليفة التي تتعرّض لتهديد الإرهابيين؟

منذ الحادي عشر من أيلول، أصبح العالم بأسره ساحة معركة ضد تنظيم القاعدة. لا يقتصر الصراع على قلب الوطن العربي من حيث برزَ معظم قادة تنظيم القاعدة. هاجم التنظيم أو حلفاؤه بشنّ هجماتٍ في إندونيسيا والفلبّين وفي أوروبا الغربية وبشكل متزايد في إفريقيا وكذلك في الشرق الأوسط والولايات المتحدة. تم القبض على جهاديين من حوالي 70 جنسية مختلفة في حوالي 100 دولة.[1]

تُعَدُّ الشراكات الأجنبية أمراً ضرورياً لمكافحة الإرهاب، وليس من المستغرب أن يكون لدى كل من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية ووزارة العدل برامج تهدف إلى تحسين قدرة الشركاء الأجانب في مكافحة الإرهاب.[2] في عام 2005، صرّح مسؤول رفيع في وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه) أن كل عملية اعتقال أو قتل إرهابي مشتبه به خارج العراق كانت تتم جزئياً على الأقل نتيجة للمساعدة من أجهزة الاستخبارات الأجنبية.[3] عادةً ما تقوم الحكومات أجنبية بمراقبة أراضيها فقط حيث غالباً ما تنشط الجماعة الجهادية المحلية في المقام الأول ضد الحليف المحلي وتقف ضد الولايات المتحدة بشكل ثانوي فقط ـ وهذا هو الحال مع الدولة الإسلامية بالتحديد. يمكن للحلفاء الاستفادة من القانون

(1) A. Bauer quoted in Silber and Bhatt, «Radicalization in the West: The Homegrown Threat,» p. 13.

(2) «Annual Report on Assistance Related to International Terrorism: Fiscal Year 2013,» US Department of State, February 11, 2014.

(3) D. Priest, «Foreign Network at Front of CIA's Terror Fight,» Washington Post, November 18, 2005, http://www.washingtonpost.com/wp_dyn/content/ article/200517/11//AR2005111702070.html.

في جهودهم المبذولة للقضاء على الإرهاب ومصادر التجنيد على أرضهم. إنّ الانتماء إلى جماعة إرهابية هو أمر غير قانوني ويمكن للدول ببساطة اعتقال واستجواب من تعتقد أنهم مرتبطون بالإرهاب. بالإضافة إلى ذلك، يمكنهم تحديد ومتابعة أو على الأقل تهديد المُمَوّلين الرئيسين للإرهاب. هذه الأعمال الأساسية على ما يبدو هي شيء لا تستطيع الولايات المتحدة القيام به بسهولة خارج حدودها.

يمكن للحكومات المحلية الاعتماد على أجهزة الشرطة والمخابرات المحلية لجمع المعلومات ـ وهو عدد كبير من الأفراد مقارنةً بعدد صغير من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومسؤولي المخابرات الأمريكية الآخرين الذين قد يركّزون على بلد واحد. تتمتّع أجهزة الاستخبارات الحليفة أيضاً بميّزة كبيرة نظراً لمعرفتها باللغات المحلية. يتم انتقاد المخابرات الأمريكية بشكل مستمرّ بسبب قلّة عدد الناطقين باللغة العربية أو البنجابية أو غيرها من اللغات التي يتحدث بها العديد من أعضاء تنظيم القاعدة.[1]

قد يكون للقوات المتعاونة والحليفة وصول أفضل إلى مرتع الإرهابيين وذلك يعود إلى جغرافيا البلد والروابط التاريخية. تعد الملاذات والملاجئ أمراً حيوياً بالنسبة لتنظيم القاعدة والحركات الإرهابية الأخرى وغالباً ما يكون من الصعب على الولايات المتحدة الوصول إليها ـ في الواقع، إن تمكنت أمريكا من ذلك، فقد لا تكون ملاذات آمنة أبداً. ليس من المستغرب أن تعرف المخابرات الباكستانية أفغانستان وتضاريسها بشكل جيّد. بحسب تقارير صحفية، فقد عملت الولايات المتحدة مع جهاز المخابرات الأثيوبي ضد تنظيم القاعدة في إفريقيا.[2] ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال أن الولايات المتحدة «اعتمدت على شبكة استخبارات سعودية تمتد في عمق المناطق القَبَلية في اليمن».[3] في الواقع، تتعاون الولايات المتحدة

(1) For the problem with insufficient linguists, see »Joint Inquiry into Intelligence Community Activities before and after the Terrorist Attacks of September 11, 2001,» House Permanent Select Committee on Intelligence and Senate Select Committee on Intelligence, p. 382.

(2) M. R. Gordon and M. Mazzetti, «U.S. Used Base in Ethiopia to Hunt Al Qaeda,» New York Times, February 23, 2007, http://www.nytimes.com/2007/ 0223//world/africa/23somalia.html?pagewanted=all; S. D. Naylor, «The Secret War: Tense Ties Plagued Africa Ops,» Army Times, November 28, 2011, http://www.armytimes.com/news/201111//army ـ tense ـ ties ـ plagued ـ africa ـ ops 112811 ـw/.

(3) E. Knickmeyer and S. Gorman, «Behind Foiled Jet Plot, Stronger Saudi Ties,» Wall Street Journal, May 9, 2012, http://www.wsj.com/articles/SB10001424052 702304543904577394373945627482.

في بعض الأحيان مع شبه الدول وذلك بالنظر إلى أهمية التعاون الاستخباراتي ـ في الصومال على سبيل المثال، تعاونت المخابرات الأمريكية مع بونتلاند وصوماليلاند، على الرغم من أن هذه الدول غير مُعترف بها.[1]

بالنظر إلى هذه الميّزات، فليس من المستغرب أن يكون الحلفاء في كثير من الأحيان قد حققوا نجاحاً أكبر في اختراق إلى تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة به، مُعتمدين على مواطني بلادهم في ذلك. وبحسب ما ورد اخترقت كل من مصر والأردن والمغرب وسوريا وباكستان تنظيم القاعدة بأصول بشرية.[2] تتمتّع الخدمات المحلية بميّزتين رئيستين على الولايات المتحدة في هذا المجال. أولاً، لديهم معرفة ثقافية أعلى ـ من الأرجح أن يعرفوا ما الذي يجعل الفرد إرهابياً وبنفس القدر من الأهمية، كيف يحولونه من إرهابي إلى مصدر نفع. ثانياً، إنهم قادرون على استخدام سلطة الدولة لإجبار الفرد على الكشف عن المعلومات. يمكن أن يتراوح ذلك من تهديدات بالسجن إلى الضغط على العائلات ـ حجب أو منح تصريح عمل أو الحق في الالتحاق بجامعة ـ والتي يمكن أن تقود الفرد إلى الكشف عن المعلومات.

عندما تكون الدولة المحلية مشتركة في الحملة ضد الإرهاب، يمكن اتّخاذ إجراءات مكافحة الإرهاب المؤثّرة والواسعة النطاق. بعد تصاعد الإرهاب في المملكة العربية السعودية في عام 2003، اعتقلت الحكومة السعودية ما يقرب من 10000 من المشتبه بهم. من الصعب بشكل خاص متابعة تجنيد الإرهابيين وجمع الأموال دون دعم الدولة الحاضنة بالنظر إلى الطبيعة الهائلة للأنشطة اللوجستية. ساهمت الجهود السعودية في مراقبة جمع التبرعات الإرهابية وإصدار جوازات السفر والتجنيد داخل المملكة دوراً أساسيّاً في الحد من قدرة تنظيم القاعدة على السفر إلى الخارج.[3]

غالبًا ما تعمل المخابرات الأمريكية كقائد لخدمات التعاون الاستخباراتي العالميّة. على

(1) «Counter ـ Terrorism in Somalia: Losing Hearts and Minds?» International Crisis Group, Africa Report No. 95, July 11, 2005, pp. 8–11, http:// www.crisisgroup.org/~/media/Files/ africa/horn ـ of ـ africa/somalia/ Counter ـ Terrorism %20in %20Somalia %20Losing %20 Hearts %20and %20 Minds.pdf.

(2) M. Rudner, «Hunters and Gatherers: The Intelligence Coalition Against Islamic Terrorism,» International Journal of Intelligence and Counterintelligence, vol. 17, no. 2, 2004, p. 217.

(3) A. Gendron, «Confronting Terrorism in Saudi Arabia,» International Journal of Intelligence and Counterintelligence, vol. 23, 2010, pp. 491–492; «The 911/ Commission Report,» p. 373.

سبيل المثال، فإن إلقاء القبض على الناشط في تنظيم القاعدة والقيادي البارز في الجماعة الإسلامية المعروف باسم حمبلي شمل التنسيق الأمريكي للمعلومات والعمل بين إندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند.[1] أنشأت الاستخبارات الأمريكية مراكز عمليات مشتركة في أكثر من عشرين دولة لتعقُّب الإرهابيين والقبض عليهم بالتعاون مع الحكومات الأجنبية، كما تقوم الولايات المتحدة بتدريب شركاءها الأجانب لتحسين قدراتهم على جمع البيانات وتحليلها.[2]

ومع ذلك، فإن خدمات التعاون الاستخباراتي، وخاصّةً في العالم النامي، غالباً ما تشارك في الفساد والقمع. إنّ الأجهزة الأمنية التي تُعطّل الإرهابيين هي الأجهزة نفسها التي تتجسس على المعارضة السلمية وتقمع المظاهرات. على سبيل المثال، ذكرت صحيفة الواشنطن بوست أن وكالة الاستخبارات الأمريكية عملت بشكل وثيق مع أوزبكستان على الرغم من سجلها السيء في مجال حقوق الإنسان.[3] في عام 2005، استضافت إدارة بوش رئيس الاستخبارات السودانية على الرغم من وحشية أجهزة المخابرات السودانية في دارفور، وذلك بسبب تعاونهِ في الجهود المبذولة ضد تنظيم القاعدة.[4] إنّ تعاون الولايات المتحدة مع هذه الأجهزة الأمنية وتمويل أنشطتها يدعم بشكل غير مباشر الأجزاء الأكثر قمعاً من هذه الأنظمة القمعية.

يمكن أن تتعارض مكافحة الإرهاب أيضاً مع الحساسيات السياسية لنظام حليف. في التسعينيات، كان النظام السعودي متردداً بخصوص تقديم معلومات مُفصّلة عن مكافحة الإرهاب إلى الولايات المتحدة. اعتقد الكثير من المسؤولين الأمريكيين أن هذا التردُّد يعود لاحتماليّة أن تلك المعلومات ستورّط أعضاء مهمين في المجتمع السعودي في دعم القضية الجهاديّة، بما في ذلك أفراد العائلة المالكة.

بدورهم، يتحفّظ الحلفاء على العديد من الإتهامات حول الولايات المتحدة. غالبًا ما يتم الإشارة إلى التسريبات المتكررة للمعلومات الحساسة كسبب لعدم الوثوق بالولايات المتحدة.

---

(1) Rudner, «Hunters and Gatherers,» p. 219.

(2) Priest, «Foreign Network at Front of CIA's Terror Fight».

(3) Priest, «Foreign Network at Front of CIA's Terror Fight».

(4) S. Shane, «C.I.A. Role in Visit of Sudan Intelligence Chief Causes Dispute within Administration,» New York Times, June 18, 2005, http://www.nytimes. com/200518/06//politics/18sudan.html?_r=0.

بالنظر إلى عدم شعبية الولايات المتحدة في أماكن مثل اليمن وباكستان، فإن التسريبات التي تكشِف أنّ هذه الحكومات تدعم برنامج الطائرات المُسيّرة وغيرها من جهود مكافحة الإرهاب الأمريكية تُعتبَر مُحرجة جداً للحكومة المحليّة. يلعبُ تصنيف المواد الحساسة دوراً أساسياً في الحد من تبادل المعلومات. غالباً ما يتم تصنيف SIGINT بشكل سرّي جداً، مما يجعل من الصعب نقلها إلى الحكومات الأجنبية (ناهيك عن المسؤولين الإقليميين والمحليين ذوي المستوى الأدنى)، على الرغم من كونهم في كثير من الأحيان جهات فاعلة رئيسة على أرض الواقع.

تُعدُّ الحكومات الأجنبية مهمة جداً لدرجة أنه يمكن تصنيف أكبر مشاكل الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب بناءً على مدى نجاح هذه العلاقة. في دول معادية مثل إيران، لا يوجد أي نوع من التعاون. وفي درجةٍ مشابهة بالسوء لإيران تقريباً تندرج دول مثل باكستان واليمن، حيث تتسامح الحكومة غالباً مع الإرهابيين لأغراضها الخاصة، أو الصومال، حيث لا توجد حكومة عاملة على أرض الواقع. ومع ذلك، فإن التعاون الاستخباراتي يعمل عموماً بشكل جيد، كما تمتلك الولايات المتحدة أصدقاءً وحلفاء مستعدّين وقادرين على تقديم العون في معظم البلدان التي ينشط فيها تنظيم القاعدة.

كيف يتكيّف تنظيم القاعدة مع الضغوط الأمريكيّة؟

لقد أثبت تنظيم القاعدة مرونة ملحوظة وكما لاحظ الباحثان بروس هوفمان وفرناندو ريناريس، «لقد صَمَد جوهر تنظيم القاعدة الأساسي بشكل مذهل في مواجهة أكبر هجوم دولي موجّه ضد منظمة إرهابية في التاريخ».[1] تعود قوّة التنظيم بشكل جزئي إلى التماسك والإبداع الذي أظهره في مواجهة الضغوطات التي تقودها الولايات المتحدة.

يتّضح تكيُّف تنظيم القاعدة من خلال عملياته التي يُنفّذها. كما يعلم أي شخص زار المطار منذ أحداث الحادي عشر من أيلول، فإن أمن المطار واسع النطاق وشامل ودقيق. ومع ذلك، لا يزال تنظيم القاعدة يستهدف الطيران المدني وللقيام بذلك ابتكر التنظيم طرقاً لتجنُّب الإجراءات الأمنية الغربية. في كانون الأول 2001، نجح ريتشارد ريد، «مُفجر الأحذية» الشهير في تهريب متفجرات على متن رحلة من باريس إلى ميامي: لقد فشل في تفجير

(1) Hoffman and Reinares, «Conclusion,» p. 636.

القنبلة لأن الركاب اليقظين وأفراد الطاقم منعوه من ذلك. في عام 2009، قام عمر فاروق عبد المطلب على متن رحلة من أمستردام إلى ديترويت وبدعم من القاعدة في شبه جزيرة العرب، بتهريب المتفجرات على متن الطائرة بملابسه الداخلية: لقد فشل أيضاً في تفجير المتفجرات، حيث أعاقهُ الركّاب اليقظون مرة أخرى. في عام 2006، ابتكر نشطاء القاعدة طريقة لإخفاء المتفجرات من خلال تهريبهم في زجاجات المياه لكي يعبرو التفتيش الأمني ـ كان هدفهم تفجير ربما 10 رحلات جوية من المملكة المتحدة إلى الولايات المتحدة وكندا. أحبطت المخابرات البريطانية والأمريكية هذه المؤامرة (والآن لا يمكننا أخذ السوائل عبر نقاط التفتيش الأمنية في المطارات)، لكن تنظيم القاعدة أظهر إبداعه مرّةً أخرى. إنّ هذه الإبتكارات وغيرها هي شهادة على مهارة تنظيم القاعدة، حيث على الرغم من الاهتمام الهائل بأمن الطيران، إلّا أن التنظيم قد استمرّ بخلق طرق جديدة لتدمير الطائرات، ولو حظي بالقليل من الحظ فقط لكان نجح في تنفيذ مخططاته.

نظراً لأن المنظمة الأساسية كانت تحت ضغط شديد، فقد كرّس بن لادن والظواهري الكثير من جهودهما بعد 11 أيلول لدعم المجموعات الأخرى في كل من الترتيبات الرسمية وغير الرسمية ـ محاولين جعل هذه المجموعات أكثر توافقاً مع أهدافهم. لتحقيق هذا الهدف، كان لا بد على التنظيم إظهار نوع من التسامح والرضوخ، حيث عمل تنظيم القاعدة مع أفراد مثل أبو مصعب الزرقاوي، مؤسس تنظيم القاعدة في العراق، رغم أنه تبنّى أجندة معادية للشيعة وإيران لم تتوافق مع أولويات القاعدة. داخل التنظيم الأساسي، خفّفَ تنظيم القاعدة من تركيزه على التسلسل الهرمي: بعد القضاء على كل من بن لادن والظواهري، مُنحَ النوّاب الأوائل والحلفاء حُريّة أكبر من حيث العمليات مكّنتهم من الهجوم بتوجيه أقلّ مركزيّة.

يعمل تنظيم القاعدة باستمرار على استعراض الانتقادات الجديدة للغرب والأعداء الآخرين، مع التركيز أيضاً على موضوعات مُثبَتة وحقيقية مثل نوايا أمريكا الخبيثة في العالم الإسلامي وارتداد الحكومات الإقليمية. بعد الحادي عشر من أيلول، انتقد كلٌّ من بن لادن والظواهري الولايات المتحدة لقيامها «بتدمير الطبيعة» ولعدم توقيعها على ميثاق كيوتو (Kyoto Protocol) (اتفاقية دولية تهدف إلى الحد من انبعاثات الغازات الدفيئة)، كما دعوا المسلمين إلى مقاطعة الدنمارك ودول أخرى لقيامها بنشر رسوم كاريكاتورية سخرت من

النبي محمد (ص).[1] على الرغم من فشل الكثير من هذا الخطاب في إلهام الآخرين أو عدم الالتزام به، إلّا أنه يظهر استعداد تنظيم القاعدة لإعادة صياغة دعايته الإعلامية عندما تقتضي الضرورة.

على الرغم من ذلك، فإن القول بأن تنظيم القاعدة يتكيف مع الضغط الأمريكي هو صحيح ومُضلِّل في الوقت نفسه: إن العديد من عمليات التكيُّف الخاصة بالتنظيم محدودة ومُكلِفة وتجعل المنظمة أقل خطورة. يمكن للمنظمة أن تستبدل القادة المفقودين، لكن على الرغم من أن ترسانة التنظيم البشرية عميقة بالنسبة لجماعة إرهابية، لكنها ليست غير محدودة. بإمكان التنظيم أن يستمرّ من دون قاعدة شبيهة بتلك التي في أفغانستان ولكن على الرغم من أنه يتمتّع ببعض الملاذ الآمن في باكستان، إلّا أن التننظيم أقل قدرة على التخطيط والتدريب والسيطرة على الحركة العامة وتنظيم الجيش المصغر الذي بنتاه قبل أحداث 11 أيلول. يوسّع التنظيم من نقده الأيديولوجي ليشمل مجموعة من القضايا الأخرى ولكن بذلك تخاطر الحركة بفقدان تماسكها الفكري ـ خاصةً بالنظر إلى قيادتها المبعثرة بشكل كبير. لذلك، يمكن لتنظيم القاعدة أن يتكيّف ويستمرّ في البقاء مواجهاً الضغوط الأمريكية، لكنه غالباً ما يُشكّل تهديداً أقل نتيجةً لذلك.

كيف يمكننا محاربة التطرُّف؟

في السنوات التي تلت أحداث 11 أيلول، ظهرت مجموعة من البرامج تهدُف إلى «مكافحة التطرّف العنيف» والتي يُرمز لها بـCVE في محاولةٍ لتثبيط التطرّف وعمليات التجنيد. بحسب مُنسّق شؤون مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت دانييل بنيامين، فإنّ الهدف من «مكافحة التطرّف العنيف» هو «جعل المجتمعات غير متسامحة مع الإرهابيين الذين يسعون إلى استغلالهم».[2] قد تحاول جهود CVE منع الناس من سماع أو

(1) See «Full text: bin Laden's 'letter to America',» The Guardian, November 24, 2002, http:/www.theguardian.com/world/2002/nov/24/theobserver; Agence France ـ Presse (AFP)/Reuters, «Al Qaeda tape urges boycotts over cartoons,» Australian Broadcasting Corporation (ABC) News, March 4, 2006, http://www.abc. net.au/news/2006 05 ـ 03 ـ/al ـ qaeda ـ tape ـ urges ـ boycotts ـ over ـ cartoons/811522; «Bin Laden: Goal Is to bankrupt U.S.,» CNN, November 1, 2004, http://www. cnn.com/2004/WORLD/meast/1101//binladen.tape/.

(2) D. Benjamin, «U.S. Government Efforts to Counter Violent Extremism,» testimony before the

رؤية الدعاية التي تنشرها الجماعات الإرهابية (الأمر الذي يزداد صعوبةً في عصر المعلومات هذا)، وتشويه سمعة الإرهابيين ورسالتهم وتشجيع المشاعر الإيجابية حول الولايات المتحدة أو غيرها من البلدان المُحتمل استهدافها بالإضافةِ إلى معالجة مشاكل أخرى مثل التمييز العنصري أو العرقي الذي يُعزّز من الغضب الشعبي.[1] يمكن لبرامج مكافحة التطرُّف الناجحة أن تُبعد المجندين المحتملين عن الإرهاب وبالتالي التمكّن من منع حدوث المشكلة في المقام الأول وفي الوقت نفسه جعل المجتمعات معادية للإرهاب والسماح للقوات الأمنية بتحديد وتعطيل أي تهديد بسرعة.

تختلف هذه البرامج على نطاق واسع، حيث أن الكثير منها يحاول إظهار المجتمع المحلي في الصورة، مُعتقدين (بشكل صحيح) أن الزعماء الدينيين والعاملين في المراكز الإجتماعية وغيرهم من الزعماء المحليين لديهم علاقات ومصداقية أكبر مع المجتمع ويمكنهم نشر رسالة عن اللاعنف بصورة أفضل مما قد يقدمها أشخاص غرباء كضبّاط مكتب التحقيقات الفدرالي أو عمال الإغاثة. وعلى نحو مماثل، غالبًا ما تكون الشرطة المحلية مُتداخلة بالمجتمع ويمكنها تحديد المُجنّدين المُعرّضين لخطر التطرُّف بقصد مراقبتهم أو التحدث إليهم أو القبض عليهم بناءً على قرارات الشرطة. تؤكّد البرامج الأخرى على مكافحة الجهاد على الإنترنت ومنع التطرف في السجون والعمل مع مجموعات معينة (كالشباب والنساء وما إلى ذلك). تعقد جمعيّة راديكال ميدل واي (Radical Middle Way)، ومقرها لندن، فعاليات عامّة بحضور رجال دين من مدرسة الأزهر المصرية المرموقة لتقويض الدعم لأنشطة مثل التفجيرات الانتحارية. يعمل النشطاء عبر الإنترنت في الشرق الأوسط على مكافحة نظريات المؤامرة هناك، كما تم تصميم بعض البرامج لأخذ المتطرفين الحاليين وتحريرهم من غسيل الأدمغة الذين تعرضوا له وإبعادهم عن العنف.

إن الجهود التي تُقدمها هذه البرامج صعبةً جداً وذلك يعود لعدم وجود طريق أو منحى ثابت للتطرف، حيث أنّ بعض المجندين مدفوعون بسبب قتل المسلمين في الحروب، بينما

Emerging Threats and Capabilities Subcommittee of the Senate Armed Services Committee, March 10, 2010, http://www.state. gov/j/ct/rls/rm/2010138175/.htm.

(1) W. McCants and C. Watts, «U.S. Strategy for Countering Violent Extremism: An Assessment,» E ـ Notes, Foreign Policy Research Institute, December 2012, http:// www.fpri. org/articles/201212//us ـ strategy ـ countering ـ violent ـ extre mism ـ assessment.

يمتنع آخرون عن التمييز. يعيش البعض من أولئك المجّندين في عزلة عن المجتمع، في حين أن البعض الآخر يبحث ببساطة عن التشويق وتفجير الأشياء وقتل الناس. كما يشير كلٌّ من ويليام ماكينتس وكلينت واتس بأنّه «يمكن لأي شخص ببساطة أن يتعاطف مع منظمة إرهابية إذا كانت الظروف مُحقّة».[1]

بغضّ النظر عن مدى جودة الحجّة، فلن تتمكّن من الإقناع إذا لم يكن الشخص الذي ينقلها موضع ثقة.[2] استخدمت بريطانيا الجهاديين السابقين لتوضيح كيف قامت الجماعات المتطرفة بخداعهم وعملت مع جماعة الإخوان المسلمين لمناظرة أبطال تنظيم القاعدة المحليين.[3] ومع ذلك، فإن بعض هذه الأصوات تُعتبر معتدلة فقط بالمقارنة مع تنظيم القاعدة: فقد يكونون أيضاً معاديين لليهود وإسرائيل وقد تعارض هذه الأصوات أيضاً السياسات الغربية في الشرق الأوسط وتعارض حقوق المرأة وهلُمّ جرّا. لذا فإن منحهم الشرعية وحتى الأموال لنشر رسالة معادية للقاعدة يمكن أن يضر بأهداف أخرى، ناهيك عن الصعوبة السياسية للقيام بمثل هذه الجهود.

تُعتبر مكافحة إيديولوجيةٍ ما أمراً صعباً في بلدٍ حُر، حيث يُعدّ التعبير الحر في أمريكا وفي معظم الدول الغربية من القيم الأساسيّة. توفّر هذه الحريّة مجالاً كبيراً لنشر الدعاية من جميع الأنواع ـ النازيين الجدد وكذلك الجهاديين ـ لنشر الأفكار البغيضة. يعمل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على جعل هذا الأمر أسهل. قد لا تُقدّم الرقابة الإجتماعية شيئاً إذا تفاعل المتطرفون بشكل أساسي عبر الإنترنت وكانوا في مجموعات صغيرة تعمل بعيداً عن جيرانهم. بالإضافة إلى ذلك، إنّ الإرهاب هو ظاهرة مرتبطة بمجموعة صغيرة، لذلك، حتى إذا انخفضت شعبية القاعدة (كما حدث منذ 11 أيلول) في حين ازدهرت شعبية أمريكا، فقد يستمرّ التجنيد بالإزدياد لأن الاتجاه العام قد لا يؤثر على مجموعة صغيرة من الأفراد الذين تم تجنيدهم.

أخيراً، يمكن أن يؤدي التدقيق المتزايد ضمن مجتمع معيّن إلى خلق المشكلة التي

(1) McCants and Watts, «U.S. Strategy for Countering Violent Extremism: An Assessment».

(2) O. Ashour, «Online De ـ Radicalization? Countering Violent Extremist Narratives: Message, Messenger and Media Strategy,» Perspectives on Terrorism, vol. 4, no. 6, 2010, http://www.terrorismanalysts.com/pt/index. php/pot/article/view/128.

(3) Bergen and Cruickshank, «The Unraveling».

ترغب في تجنّبها. يمكن أن تخلق بعض التدابير المكروهة «مجتمعات مشبوهة» حيث يكون التطرّف أكثر احتمالا وحيث يكون أفراد المجتمع أقل احتمالا لتقديم التعاون مع الشرطة والحكومة بشكل عام.[1] إذا قيل للشباب المسلمين باستمرار أنهم مختلفون وخطرون، فقد يصبحون مختلفين وخطرين فعلاً. يشير ماكينتس وواتس إلى أن برنامج «المنع» البريطاني، وهو جهدٌ مشهودٌ بجدارته في منع التطرّف على نطاق واسع، قد أثار غضب العديد من المسلمين البريطانيين في البداية، ممّا جعل المواطنين العاديين يشعرون وكأنه يتم النظر إليهم على أنهم يشكّلون تهديد أمني، لذلك توجّب على الحكومة البريطانية إعادة النظر في هذا البرنامج.

ما التهديد الذي يُشكّله تنظيم القاعدة اليوم على الولايات المتحدة وأوروبا؟

نظراً لقيام تنظيم القاعدة بإثبات قدرته على البقاء والثبات، فمن الصعب استقصائه بشكل نهائي. أعلن المسؤولون مراراً وتكراراً زوال تنظيم القاعدة، لكن وبعد مرور 25 عاماً على إنشائه، لا يزال التنظيم موجوداً حتى يومنا هذا.

على الرغم من ذلك، لا يمكننا اعتبار الثبات والمقاومة كنظيرٍ للازدهار والتطوّر. نفّذ تنظيم القاعدة عدداً قليلاً من الهجمات بعد هجمات الحادي عشر من أيلول بالنظر إلى شهرته الافتراضية والتركيز الموجّه نحوه من جهود مكافحة الإرهاب. اعتبارا من شباط 2014، نفّذ التنظيم أقل من 80 هجوماً: بمعدل ثلاثة هجمات تقريباً كل عام. في عامي 2012 و2013، لم يقم تنظيم القاعدة بتنفيذ أيّ هجمات إرهابية.

لقد تقلّصت قدرة تنظيم القاعدة على ضرب الولايات المتحدة بشكل كبير منذ الحادي عشر من أيلول. إن الضغط المستمر على القيادة، وتعطيل الخلايا في جميع أنحاء العالم، والجهود الأكثر عدوانية لردع الإرهاب وتعطيله في الداخل تجعل من تكرار سيناريو الحادي عشر من أيلول أمراً صعب المنال. في السنوات التي سبقت وتلت 11 أيلول مباشرةً، تولّت نواة تنظيم القاعدة مسؤوليّة السيطرة المباشرة على المؤامرات ضد الولايات المتحدة. عمِلت الإخفاقات المتكررة بعد 9/11 على تغيير الصورة العامّة، حيث أصبح التهديد الأكثر أهمية الآن ينبعُ من المتطرّفين المُستقلّين المحليين ذوي القدرات المحدودة. ومع ذلك، بقي اهتمام

(1) F. Vermeulen, «Suspect Communities: Targeting Violent Extremism at the Local Level,» Terrorism and Political Violence, vol. 26, 2014, pp. 286–306.

نواة التنظيم بمهاجمة الولايات المتحدة قائماً بشدّة. في عام 2009، تم اعتقال نجيب الله زازي لمحاولته مهاجمة قطار الأنفاق في نيويورك؛ كان زازي قد تدرّب في معسكرٍ للقاعدة في باكستان، حيث أشرف على جهوده عدد من كبار قادة تنظيم القاعدة. في عام 2010، كان فيصل شهزاد على وشك النجاح في تفجير سيارة مفخّخة في ميدان التايمز في نيويورك. وقد تدرّب شهزاد أيضاً في باكستان، حيث تمّ تجنيده من قبل حركة طالبان الأفغانية، حليف تنظيم القاعدة.[1] كما استهدف تنظيم القاعدة وفرعها اليمني بشكل متكرر الطيران المدني الأمريكي محاولين تهريب القنابل على متن الطائرات لتفجيرها. ومع ذلك، حتى لو نجح العديد من تلك المحاولات، فكان الدمار أقل بكثير مما كان متوقعاً بعد 11 أيلول، حيث خشي المسؤولون الأمريكيون من أن تنظيم القاعدة سيشنّ حملةً من العمليات الإرهابية الضخمة.

من الجدير القيام بتجربة فكرية حول ما إذا كان من الممكن تخطيط أحداث 11 أيلول مرة أخرى وتنفيذها بنجاح اليوم. أولاً، لا يوجد مكان مناسب وآمن مثل أفغانستان في عهدة حركة طالبان حيث يمكن للمجنّدين الذهاب للتدريب هناك، كما أنّه من المرجّح أن يتم تحديد هوية المجندين القادمين من ألمانيا على سبيل المثال، مثلما فعل محمد عطا، قبل أن يغادروا أراضيهم. تؤدي باكستان هذا الدور اليوم على نطاق أقلّ، ولكن حتى إذا سافر المجندين إلى هناك، فسيكون التدريب أكثر صعوبة لأن أي مجموعة كبيرة من الأجانب ستتعرّض لخطر الكشف والاستهداف في باكستان نفسها. على افتراض أن المجندين قد عبروا مرحلة التدريب، فإن اجتماعات المتابعة في أماكن مثل ماليزيا وإسبانيا والحصول على أموال من المانحين في الخليج ستكون أكثر صعوبة، حيث أصبحت أجهزة الأمن في جميع هذه البلدان في حالة تأهب الآن لمثل هذه الأمور. كما سيكون دخول الولايات المتحدة والعمل بسريّة لعدة أشهر كما فعل مختطفو الطائرات في هجمات 11 أيلول أمراً صعباً، خاصّةً إذا احتاجوا إلى التواصل المستمر مع المنظمة الأساسية وكان عليهم القيام بهذا عبر الهاتف أو الإنترنت. لن يكون من المستحيل تكرار أي عنصر من عناصر مؤامرة 9/11، لكن تحقيق كل عنصر على حدى قد أصبح الآن أصعب بكثيرٍ مما كان عليه ـ وإذا أخذنا في الاعتبار هذه العناصر مجتمعة، فإن فرص تنفيذ مؤامرة مماثلة اليوم ستكون أقل بكثير.

على الرغم من أن عشرات الأمريكيين قد حوكموا بسبب جرائم متعلقة بالإرهاب، إلّا أن

(1) Hoffman and Reinares, «Conclusion,» p. 637

القليل منهم كانوا من العقول المدبرة للإرهاب. ارتكب العديد منهم أخطاءً غبيّة، تتراوح من اصطحاب فيديو جهادي إلى متجر ما ليتم استنساخه، إلى استخدام منصة فيسبوك للبحث عن رفاق الجهاد.[1] في الواقع، إلى حين وقوع تفجير ماراثون بوسطن في عام 2012، لم يثبت الإرهابيون أنهم قادرون حتى على تفجير قنبلة بدائية ـ على النقيض الحاد من سبعينيات القرن الماضي عندما كان هناك عشرات التفجيرات في كل عام.[2] وكان أخطر وأولئك الذين اقتربوا من النجاح، مثل «مفجر الأحذية» و«مفجر الملابس الداخلية»، قد حصلوا على مساعدة أجنبية في عملياتهم.

يُعتبرُ الخطرُ كبيراً بالنسبةِ إلى أوروبا. على النقيض من انخفاض مستويات التطرف بين المسلمين الأمريكيين، فإن المجتمعات الإسلامية الأوروبية أقل اندماجاً وأعلى استياءً. كما أنّ أوروبا هي أقرب إلى المكان الذي يوجد فيه تنظيم القاعدة وأرخص تكلفة للدخول. أثبت تنظيم القاعدة مهارته في العمل مع الجماعات التابعة لهُ والحلفاء الباكستانيين لتجنيد عملاء محليين. تُعتبرُ الإرتباطات الباكستانية مهمّة بشكل خاص في بريطانيا، حيث يعيش أكثر من مليون باكستاني: كان ثلاثة من أصل الأربعة أشخاص الذين قاموا بتفجيرات نظام النقل العام في لندن عام 2005 من أصل باكستاني، كما ساعد تنظيم القاعدة الأساسي في باكستان في تنظيم هذا الهجوم. كما يزعم هوفمان وريناريس، «إن اندماج المتطرفين المحليين مع اليد المُحرّكة لمنظّمة تابعة للقاعدة ومرتبطة بالنواة في باكستان [أصبح] سمة دائمة للإرهاب الدولي بعد 11 أيلول».[3]

لا تزال الهجمات ذات التقنية المنخفضة ممكنة الحدوث ويمكن أن تكون قاتلة للغاية. وكما تشير موجة إطلاق النار التي لا تنتهي في المدارس الأمريكية، فإن شخصاً واحداً يحمل سلاحاً يمكنه أن يخلق الرعب. لا يزال بإمكان أحد أعضاء تنظيم القاعدة الذي أُرسِل إلى الولايات المتحدة لارتكاب مثل هذا الهجوم، أو أي شخص مُغفّل وجد مصدر إلهام في خطبة

(1) For a discussion, see J. Mueller and M. G. Stewart, «The Terrorism Delusion: America's Overwrought Response to September 11,» International Security, vol. 37, no. 1, Summer 2012, pp. 81–110.

(2) B. M. Jenkins, Would ـ Be Warriors: Incidents of Jihadist Terrorist Radicalization inthe United States Since September 11, 2001, Santa Monica, CA, RAND, 2010, pp.8–9.

(3) Hoffman and Reinares, «Conclusion,» p. 628.

للظواهري أو زعيم جديد مثل البغدادي، أن يقوم بقتل الناس. بعض الإرهاب على غرار تفجير ماراثون بوسطن ربما لا مفر منه في السنوات القادمة. لكننا نحتاج إلى التمييز بين الضرر المحدود الذي يمكن أن تحدثه هذه الهجمات والآثار الهائلة لهجمات 11/9 أو حملة إرهابية دائمة يمكن أن تُضعفَ الثقة في الحكومة.

ومع ذلك، فإن السؤال الرئيس يتجاوز حدود الولايات المتحدة وحتى حياة المواطنين الأمريكيين: كيف يؤثر الإرهاب المرتبط بالقاعدة على المصالح الأمريكية في الخارج؟ لم يتسبّب تنظيم القاعدة بخلق الحروب الأهلية في العراق وليبيا وسوريا واليمن، لكن مقاتليه الفرعيين أو المتشابهين في التفكير جعل هذه الحروب أكثر دموية وجعلوا المفاوضات أكثر صعوبة: فقد مات عشرات إذا لم يكن لم يكن مئات الآلاف من المسلمين نتيجة لذلك. تؤثر أيديولوجية القاعدة أيضاً على الإرهابيين في مصر وغزة والمملكة العربية السعودية وتونس وغيرها من المناطق الأكثر استقراراً، مما يؤدي إلى تحريف السياسة في هذه البلدان بالإضافة إلى المساهمة في مقتل المسلمين هناك. إنّ العديد من هذه المنظمات لا يمكن اعتبارها «تنظيم القاعدة» بالمعنى التقليدي للكلمة: حيث أنّ القتلة ليسوا تحت قيادة الظواهري أو بتمويل من المنظمة الأساسية أو مرتبطين بطريقة أخرى. ومع ذلك، فإنّ جزء كبير من هدف بن لادن سابقاً والظواهري حالياً يتمثّل في إلهام الجماعات المتشابهة في التفكير لتنفيذ أجندتها في العالم الإسلامي وخارجه. إلى الحد الذي تتضمن فيه مصالح الولايات المتحدة تعزيز الحكم الرشيد والاستقرار في جزء هام من العالم، تشكل عمليات القاعدة وخاصة المنظمات التابعة لها خطراً وشيكاً. وإلى الحد الذي يمثل فيه القتل الوحشي للأبرياء إهانة للحشمة الإنسانية الأساسية، فإن تنظيم القاعدة والأشخاص الذين تُلهمهم يشكلون تهديداً لنا جميعاً، بصرف النظر عن المكان الذي نعيش فيه.

هل يمكننا هزيمة القاعدة والدولة الإسلامية والحركة الجهادية الأوسع؟

تعتمدُ هزيمة تنظيم القاعدة على فهم معنى الانتصار. إذا عرّفنا النصر بأنه موت أو اعتقال كل عضو في القاعدة ووقف تام لجميع الهجمات من الأفراد والجماعات التابعة والأفراد والجماعات المتشابهة في التفكير أو المُلهَمين، فإننا بعيدين كلّ البُعد عن الانتصار ـ وسنبقى كذلك في المستقبل المنظور. لا تزال أجزاء من أيديولوجية القاعدة جذابة بالنسبة للبعض كما يوجد هنالك عدة مجموعات في جميع أنحاء العالم الإسلامي تُناصر أجزاء مُعيّنة

من أجندة الظواهري، مع وجود أنظمة حكم إقليمية ضعيفة وغير شرعية غالباً ما تكون غير قادرة على قمع هذه المجموعات. وحتى لو تأثّر جوهر التنظيم، فإن مجموعات جديدة مثل الدولة الإسلامية تجتذب العديد من الشباب المسلم وتُقنعهم بالانضمام إلى الجهاد وغالباً ما تتصرف بوحشية. كما أنّ الأفراد في أوروبا والولايات المتحدة، على الرغم من صغر عددهم، إلّا أنّهم مُعرّضين للتطرف والعنف أيضاً، غالباً ما يكون هذا التحوّل بمثابة تحوّلهم إلى ذئاب منفردة أو انضمامهم كجزء من خلايا صغيرة يصعب تحديدها وتعطيلها. لذلك، من المرجح أن تستمر الاضطرابات والحروب الأهلية في العالم الإسلامي، والهجمات الإرهابية العرضية في الداخل الأوروربي والأمريكي.

يُظهرُ عرضٌ سريع للوضع الجهادي أجراه العالم البريطاني بيتر نيومان صورة مُقلقة جدّاً. في تشرين الثاني 2014 ـ شهر واحد فقط ـ نفّذ الجهاديون من مختلف المشارب ما يقرب من 700 هجوم وقتلوا أكثر من 5000 شخص: أكثر من عدد الأشخاص الذين قُتِلوا في 11 أيلول. لقد عانت كلٌّ من سوريا والعراق أكثر من غيرهم وكذلك فعلت نيجيريا وأفغانستان واليمن والصومال وباكستان. كما اتّضحَ لنيومان أن «الغالبية العظمى» من ضحايا الجهاديين كانوا إخوانهم من المسلمين. وقد تمّت معظم أعمال العنف من قبل جماعات كانت لها علاقة رسمية ضئيلة أو معدومة بنواة تنظيم القاعدة. كانت الدولة الإسلامية الأكثر دموية بينهم، لكن جماعة بوكو حرام النيجيرية قتلت حوالي 1000 شخص أيضاً. كما قامت حركة طالبان، والتي بدت مهزومة في عام 2002، بقتل ما يقرب من 800 شخص بينما كانت الولايات المتحدة تستعدُّ لسحب معظم قواتها من أفغانستان.[1]

ومع ذلك، فإن تنظيم القاعدة بعيد كل البعد عن تحقيق أهدافه الخاصة ـ حتى أبعد مما كانت عليه في الحادي عشر من أيلول. تعرَّضَ التنظيم الأساسي للقاعدة لهجماتٍ قوية وعنيفة، حيث قُتِلَ العديد من قادته أو اعتُقِلوا أو لا يزالون متوارين عن الأنظار باستمرار. إنّ الولايات المتحدة ليست خانعة ولا زالت تحافظ على نشاطها في الشرق الأوسط. بالنسبة لمعظم الأميركيين والغربيين عموماً، لا يُؤثّر تهديد الإرهاب على حياتهم اليومية كما بدا الأمر في أعقاب أحداث 11 أيلول. في الشرق الأوسط، تُسيطر المنظمات المرتبطة بتنظيم

(1) P. R. Neumann, «The New Jihadism: A Global Snapshot,» The International Centre for the Study of Radicalisation and Political Violence, December 2014, http://icsr.info/wp ـ content/uploads/201412//ICSR ـ REPORT ـ The ـ New ـJihadism ـ A ـ Global ـ Snapshot.pdf.

القاعدة على مساحات شاسعة من الأراضي، لكنها لا تسيطر على أي حكومة. كما أن العديد من الجماعات التابعة المحلية تدافع عن وجود أجندة أكثر محليّة أو إقليميّة أو تؤيد الطائفية وهي أولويات سعى تنظيم القاعدة لإبعاد الجهاديين عنها عندما تم تأسيسه لأول مرة في عام 1988. يرفض معظم المسلمين التنظيم وغيره من الجماعات المُشابهة، معتقدين ـ بشكل صحيح ـ أنه المسؤول عن وفاة العديد من المسلمين الأبرياء وكذلك الغربيين وأن أيديولوجيته في النهاية ستؤدي إلى الخراب. في الواقع، لقد حققت الدولة الإسلامية بطريقتها المنحرفة أكثر بكثير مما حقّقه تنظيم القاعدة على الإطلاق. لكن على الرغم من أن الدولة الإسلامية قد تطلق على نفسها اسم الدولة وتحاول أن تتصرف كحكومة شرعية، إلّا إن هنالك القليل فقط ممّن يقبلها على هذا النحو ومن غير المرجح أن نرى الدولة الإسلامية تحصل على مقعد في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو ترسل رياضيين لتتنافس على ميدالية ذهبية في الألعاب الأولمبية.

لا تستطيع الولايات المتحدة إنهاء الهجمات من خلال استرضاء القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية. إنّ منظمة الظواهري طموحة للغاية: لذلك سيتعيّن على الولايات المتحدة أن توقف نفوذها السياسي في الشرق الأوسط وأن تنهي دعم الحلفاء هناك وتقطع العلاقات مع إسرائيل وما إلى ذلك ـ لن يكون أي منها مقبولاً سياسياً في الداخل أو معقولاً كهدف للسياسة الأمريكية. قد تحدث تغييرات صغيرة في السياسة بما يخصّ هذه القضايا، لكن أيّ منها لن يرضي الظواهري. ولأنّه وأتباعه يرون أن الولايات المتحدة شريرة ومخطئة في سياساتها، فإنهم سيفترضون الأسوأ دائماً في أي تحرُّك أمريكي. في أفضل الأحوال، قد تجد الولايات المتحدة نفسها في مكان منخفض ضمن قائمة الأولويات، حيث تقترفُ بعض الدول الأخرى أفعالاً يعتبرها تنظيم القاعدة جديرة بالاهتمام. قد يتضمن ذلك هجمات على المسلمين المحليين أو قرارات مثيرة للجدل حول حرية التعبير مثل نشر رسوم كاريكاتورية تسخر من النبي محمد(ص) وغيرها من الاستفزازات. ولكن بسبب الأهمية الثقافية والسياسية لأمريكا، من المحتمل أن تظل الولايات المتحدة على مقربة أو أن تكون بشكل كلّي مركز اهتمام تنظيم القاعدة. على الرغم من أنّ الدولة الإسلامية أقل اهتماماً بأمريكا في الوقت الحالي، إلّا أنها تسعى للسيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي، وإذا نجحت بذلك، فإنها تريد المزيد والمزيد ـ ولمرة أخرى، لا يصبُّ هذا في مصلحة أمريكا.

تبقى الآمال الأكبر في أن تصبح الأيديولوجية التي يتبنّاها أمثال تنظيم القاعدة والدولة

الإسلامية بالية أو حتى مثيرة للسخرية. في مطلع القرن الماضي، ساهمت الحركة اللاسلطويّة في شنّ سلسلة من الهجمات الإرهابية التي أودت بحياة العديد من رؤساء الوزراء الأوروبيين والرئيس الأمريكي ويليام ماكينلي. ألهمت أيديولوجيّة الحركة اللاسلطوية الملايين، لكنها تقتصر اليوم على عدد قليل من الجهات الفاعلة الهامشية التي لا تمارس أي تأثير حقيقي بالإضافةِ إلى بعض المراهقين الذين يعتقدون أن شراء قميص يحمل رمز الحركة اللاسلطويّة يجعلهم «ثوريين». استولى الشيوعيون على السلطة بشكل قويّ في الاتحاد السوفييتي والصين وأماكن أخرى، حيث قتلوا الملايين من مواطنيهم وشاركوا في كل من الحروب الأهلية والإقليمية، وكذلك الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة التي هدّدت باستخدام الأسلحة النووية. أمّا في يومنا هذا، أصبح عدد الشيوعيين الحقيقيين قليلاً جداً مع وجودهم في أماكن متباعدة. (يحب المراهقون أيضاً شراء قمصان تشي جيفارا من الأسواق). فرضت هذه التراجعات الأيديولوجية على الولايات المتحدة البقاء صامدة فيما يخصّ معتقداتها الخاصة وأن تدعم حلفائها وفي بعض الأحيان تتصرف من تلقاء نفسها أثناء انقسامات خصومها وأعمال العنف والفشل التي مزّقتهم.

كيف تختلف محاربة الدولة الإسلاميّة عن محاربة تنظيم القاعدة؟

يُعَدُّ تنظيم القاعدة تحدياً رئيساً لمكافحة الإرهاب، كما تُشكّل الدولة الإسلامية بدورها تحدٍّ عسكري أيضاً. على الرغم من الوجود العالمي الذي تحظى به نواة تنظيم القاعدة، إلّا أنها منظّمة صغيرة. في معظم أنحاء العالم، تعمل الولايات المتحدة مع الحلفاء للعثور على أي وجود للقاعدة وتعطيله، بينما توجد في باكستان حملة عنيفة من الطائرات المُسيّرة المُستخدمة لمطاردة القيادة وإجبارهم على الاختباء. تحاول الولايات المتحدة أيضاً تعزيز قدرة مكافحة الإرهاب والدفاع الداخلي للحلفاء الذين يواجهون حركات التمرد المرتبطة بتنظيم القاعدة، حيث تتعاون مع الحكومات اليمنية والصومالية والحكومات الأخرى لتحسين جيوشهم وأجهزة استخباراتهم.

على النقيض من ذلك، تُعدُّ الدولة الإسلامية تنظيماً ضخماً مع وجود أكثر من 30000 مقاتل بين صفوفها في تشرين الأول 2014، كما ينطوي أسلوبها العدائي بشكل خاص على احتلال الأراضي. في هذه الحالة، يُصبح دور الولايات المتحدة والحلفاء أكثر وضوحاً. فمن ناحية، تُستخدم الضربات الجوية الأمريكية لتخريب قوات الدولة الإسلامية ممّا يجعل من

الصعب عليهم احتلال الأراضي وتهريب النفط. على الرغم من إن الضربات الجوية تُضعف الدولة الإسلامية، إلّا أنها غير قادرة وحدها على استعادة السيطرة على الأرض: يجب على أحد ما أن يَطرُد الدولة الإسلامية على الأرض. لذلك، في الوقت نفسه، أرسلت الولايات المتحدة مُدرّبين لتعزيز بعض (وليس كل) أعداء الدولة الإسلامية ولا سيما الجيش العراقي والأكراد العراقيين والقبائل العراقية الغربية وعناصر مختارة من المعارضة السورية. بالإضافة إلى ذلك، ربطَ تنظيم الدولة الإسلامية قضيّته بالحكم وذلك من خلال السيطرة على مفاصل الدولة، على هذا النحو، إذا تمكّنت الولايات المتحدة وحلفاؤها من إعاقة قدرة تنظيم الدولة الإسلامية على تقديم الخدمات، فإن شعبيته ستنخفض حتماً.

أنشأت إدارة أوباما تحالفاً ضخماً لمحاربة الدولة الإسلاميّة ضمّ أكثر من 60 دولة اعتباراً من تشرين الأول 2014. يشمل هذا التحالُف حلفاءً أوروبيين طويلي العهد مثل المملكة المتحدة وفرنسا، كما يضم أيضاً دولاً إقليمية هامّة مثل الأردن والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والإمارات العربية المتحدة. يقوم بعض الحلفاء بقصف الدولة الإسلامية مباشرةً بينما يقوم آخرون بتقديم دور المساعدة في تدريب القوات المحلية أو توفير الأسلحة والإمدادات. على الرغم من أن الولايات المتحدة تقوم بمعظم الضربات الجوية، إلا أن الحلفاء لهم أهمية سياسية. إن مساهماتهم تساعد الولايات المتحدة على تبرير التدخل في الداخل وتقوية التصور بأن الحرب ضد الدولة الإسلامية ليست تمويه للإمبريالية الأمريكية.

ممّا يزيدُ المشكلة صعوبةً هو امتلاك الدولة الإسلامية مسرحين للقيام بالعمليات ـ العراق وسوريا ـ حيث تواجه الولايات المتحدة وحلفاؤها تحدياتٍ مختلفة في كلٍّ منها. في العراق، دخَلت الولايات المتحدة بناءً على طلب من حكومة حليفة: مسألة سليمة من الناحية القانونية. ومع ذلك، كانت الحكومة العراقية في عهد المالكي ضعيفة وفاسدة ومُتحيّزة ضد السكان السنّة ـ مما خلق فرصاً للدولة الإسلامية لاستغلالها من خلال تقديم نفسها كمناصر للسنّة ضد نظام شيعي قمعي. كما قام المالكي بتسييس القوات المسلحة العراقية، مما جعل من الصعب عليهم الحصول على ولاء السنّة في العراق أو القتال بشكل جيد. يبقى أن نرى ما إذا كان رئيس الوزراء العراقي الجديد حيدر العبادي سيحاول تصحيح هذه الأخطاء والبدء في تصحيح مسار البلاد أو ما إذا كان سيواصل السياسات الكارثية لسَلَفه. دعمت الولايات المتحدة الميليشيات الكردية العراقية وصولاً إلى الجماعات القَبَلية السنّية وذلك بسبب حاجتها الماسّة لوجود قوّة فعالة على الأرض. يُعتَبَرُ وجود هذه الجماعات القَبَلية ضرورياً لردّ تنظيم الدولة

الإسلامية في ظل الوضع الضعيف للجيش العراقي، ولكن كلّما زادت قوّة هذه الجماعات، ازداد ضعف سيطرة الحكومة المركزية على البلاد أكثر. إنّ التحدي الذي تواجه الولايات المتحدة هو بناء القدرات المحلية والمركزية على حد سواء حتى تتمكن القوات العراقية من استعادة الأراضي من الدولة الإسلامية والحكم بشكل فعّال لعدم خسارتها مرّة أُخرى. أرسلت إدارة أوباما مستشارين لتحسين الجيش العراقي، لكن من المرجح أن يكون التقدم بطيئاً وغير منتظم. إنّ الجزء الأكبر من التحدّي هو سياسيّ، كما أنّ الولايات المتحدة تضغط على حكومة العبادي حتى تصبح شاملة للسُنّة بشكل أكثر وبذلك إبعادهم عن الدولة الإسلامية.

يبدو التحدي العراقي بسيطاً عند مقارنته بسوريا، حيث أنّ سوريا ليست فقط في خضمّ حرب أهلية، ولكن حكومتها معادية للولايات المتحدة أيضاً: في الواقع، تؤكّد سياسة واشنطن على أن الأسد يجب أن يترك السلطة. إذاً، فإن شرعية التدخل الأمريكي غير واضحة لأنها لا تساعد حكومة صديقة ولا تلاحق جماعة إرهابية مرتبطة بأحداث 11 أيلول أو تُشكّل تهديد مباشر للولايات المتحدة. بصرف النظر عن القضايا القانونية، لا يزال من غير الواضح أيضاً من هم حلفاء الولايات المتحدة في سوريا. كما هو الحال في العراق، لن تساهم الغارات الجوية وحدها بالكثير من التغيير في الوضع الميداني في سوريا. تحتاج الولايات المتحدة إلى قوات يمكنها مساعدتها في طرد الدولة الإسلامية من الأراضي التي تحتفظ بها وملء الفراغ بسرعة. المعارضة السورية مجزّأة وضعيفة، كما أنّ الكثير من المجموعات الأكثر أهميّة مرتبطة بالجهاديين. في سوريا، غالباً ما تكون الخطوط التي تفصل بين المعارضة «الجيدة» (الجماعات العلمانية، المؤيدة للديمقراطية) والمعارضة «السيئة» (الجهاديون الإسلاميون) غير واضحة، حيث تعمل المجموعات المختلفة مع بعضها أو تتقاسم المعلومات الاستخباراتية والمُعدّات حسب الضرورة ـ ما يهمّ في النهاية إنهم جميعاً يقاتلون ظاهرياً على نفس الجانب ضد الأسد. يسبّب هذا القلق مشاكل كبيرة لجهود الولايات المتحدة في تسليح وتجهيز المعارضة السورية، حيث لا يوجد ضمان بأن الأسلحة الممنوحة لجماعة موثوقة من المعارضة لن يتم استخدامها في نهاية الأمر من قبل مجموعة غير معروفة. ربما يكون الأمر الأكثر صعوبة هو حقيقة أنّه في نهاية المطاف، تركّز معظم جماعات المعارضة السورية على إسقاط نظام الأسد أكثر من محاربة الدولة الإسلامية وبالتالي، فإن جهود الولايات المتحدة لدعم المعارضة السورية قد لا تُثمر في النهاية بتأثير كبير على الدولة الإسلامية. علاوة على ذلك، نظراً لقيام الولايات المتحدة بقصف الجماعات المرتبطة بالقاعدة مثل جبهة النصرة ـ

والتي يراها الكثير من السوريين على أنها خصم قويّ لنظام الأسد وليست مسيئة في معاملتها للمدنيين ـ بالإضافة إلى قصف الدولة الإسلامية، أصبح السوريون قلقين حيال نوايا الولايات المتحدة. يعتقد البعض أن واشنطن تريد سرّاً مساعدة الأسد. لذا فإن واشنطن تُكثّف دعمها للمعارضة السورية وتطلب من حلفائها أن يفعلوا ذلك أيضاً، ولكن هذا في أفضل الأحوال يبقى مشروعاً طويل الأجل.

يُعَدُّ الحلفاء المحليون المفتاح الرئيس في المعركة ضد كل من تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية. لا تريد إدارة أوباما نشر قوات برية أمريكية لمحاربة الدولة الإسلامية، حيث يحظى هذا الحذر بدعم من الشعب الأمريكي أيضاً. عندما يكون الحلفاء أقوياء، يمكن للولايات المتحدة الاعتماد عليهم في حراسة حدودهم وإعاقة التمويل الجهادي وتعطيل أي وجود جهادي. عندما يكون الحلفاء ضعفاء، تحاول الولايات المتحدة تطويرهم وتعزيزهم وفي بعض الأحيان قد تستخدم قواتها للهجوم بشكل مباشر (عادةً من الجو). يوجد بعض الحُلفاء المُخادعين نوعاً ما مثل باكستان التي سمحت للجهاديين بالازدهار والعراق الذي تجعل سياساته مجموعات مثل الدولة الإسلامية مُرحّباً بها من الشعب والكويت التي تُجيز جمع التبرعات الجهادية.

إنّ استراتيجية الولايات المتحدة لمحاربة الدولة الإسلامية ما زالت في سياق التطوّر. عَمِلت إدارة أوباما بشكل ثابت على زيادة تدخُّل الولايات المتحدة بعد آب 2014، مما زاد من جهودها الدبلوماسية والعسكرية، كما طرح القادة العسكريون فكرة اتّخاذ القوات الأمريكية دوراً قتالياً محدوداً مرّة أخرى لتعزيز القوات العراقية وجعل القوات الجوية الأمريكية أكثر فعالية. إذا فشلت الجهود الحالية في صد تنظيم الدولة الإسلامية، فمن المرجّح أن تحظى هذه الزيادات في التدخّل الأمريكي وغيرها بالمزيد من الدعم.

الفصل العاشر

اقتراحات لمزيد من القراءة

لقد تجاوز عمر تنظيم القاعدة 25 عاماً، كما إنّ الحركة الجهادية الأوسع لا زالت نشطة حتى الوقت الراهن. ازداد الإقبال على الكتب التي يمكن أن تُفسّر طبيعة هذه المجموعة والظاهرة الجهادية العامّة بشكل كبير بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، حيث ظهرت العديد من الأعمال البارزة. على الرغم من أنّ كميّة الأعمال الموجودة حول الدولة الإسلامية تُعتبرُ ضئيلةً نوعاً ما، إلّا أن تاريخها متشابك مع تاريخ أمثالها من الجهاديين.

تُقدّمُ أربعة كتب تقييماً ممتازاً للفترة ما قبل 11 أيلول وتوضّح تطوّر تنظيم القاعدة ومسار الحركة الجهادية الأوسع واستجابة الولايات المتحدة المُتمثّلة في مكافحة الإرهاب. وما يميّز هذه الأعمال بشكل أكثر هو أنّه تمت صياغتها بشكل رائع، حتى أن اثنين منهم قد نالا جائزة بوليتزر الأدبية. في مقدّمة هذه الأعمال يأتي عمل الكاتب ستيف كول(Steve Coll) بعنوان: *Ghost Wars: The Secret History of the , Afghanistan, and bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001 (Penguin, 2004)*، وهو عمل مذهل ويركّز بشكل خاص على سياسة الولايات المتحدة تجاه باكستان وأفغانستان وكذلك على القاعدة ومكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة. أمّا العمل الثاني فهو للكاتب لورنس رايت(Lawrence Wright) بعنوان: *The Looming Tower: Al Qaeda and the Road to 9/11 (Vintage, 2007)* وهو عمل مثير للإعجاب يتميّز بوصفه الدقيق لدور المصريين في تنظيم القاعدة وقدرته على الدخول في سياسات الحركة الجهادية. يندرجُ تقرير اللجنة الوطنية للهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة (المعروف باسم «تقرير لجنة 9/11») في المرتبة الثالثة ضمن قائمة الأعمال الهامة التي يجب قراءتها أيضاً (مع الأخذ بالعلم أنني عملت كواحد من موظفي اللجنة ـ رغم ذلك، للأسف، لا يمكنني القول بأنها كانت ناجحة). يتّسم هذا

التقرير بكونهِ ذا أسلوبٍ عصريّ وبالإمكان الوصول إليه، وهو شيء غير مألوف بالنسبة لوثيقة حكوميّة. يوضّح هذا العمل بشكل خاص تفاصيل مؤامرة 11 أيلول وردّ الحكومة الأمريكية: ماذا عَلِمنا ومتى علمنا بذلك؟ وأود أن أخصّ بالذكر الدراسات التي أعدّتها اللجنة حول سفر الإرهابيين وتمويل الإرهاب وكلتاهما تنظران بتعمّق في موضوعات يصعب فهمها في مجال غير مُحدّد. يبقى آخر هذه الأعمال الأربعة كتاب بيتر بيرغن(Peter Bergen) بعنوان: *The Osama bin Laden I Know: An Oral History of al Qaeda's Leader (Free Press, 2006)*، وهو عمل يتميّز في طريقة طرحه للموضوع وقيمته بين الأعمال الأخرى. يمكن وصف هذا العمل على أنّه خلاصة وافية عن المقابلات التي أجراها بيرغن مع شخصيات مرتبطة بتنظيم القاعدة إلى جانب وثائق سريّة مهمة وغيرها من معلومات المصدر الأساسي التي أصبحت متاحة حول المجموعة. والنتيجة هي تاريخ شامل يكشف عن مدى تعقيد هذه الحركة وفقاً للمنهج التي تتّبعهُ.

بالإضافة إلى ما سبق، يوجد هناك العديد من الكتب الأخرى التي تُناقش فترة ما قبل 11 أيلول. أنا شخصياً من محبّي عمل مايكل شوير. *Through Our Enemies' Eyes (Potomac Books, 2002)*. على الرغم من أن الكثير من كتابات شوير جدليّة، إلّا أن هذا العمل والعديد من أعماله الأخرى حول تنظيم القاعدة تتّسم بالوضوح والتعاطف المثير للدهشة مع تنظيم القاعدة من قِبل رجل كان مسؤولاً عن استهداف قيادات التنظيم عندما كان في وكالة الاستخبارات المركزية. تُقدم مجموعة من الأعمال الأكاديمية الأصغر حجماً العديد من الأفكار أيضاً، كما أنّني قد سَرَقتُ بعض الأفكار منها بحرّية عند كتابة هذا الكتاب ومنها عمل ر. كيم كراجين بعنوان *«Early History of Al ـ Qa'ida» in The Historical Journal* والذي يتّسم بكونه عملاً تفصيلياً حول الفترة التكوينية لتنظيم القاعدة، بالإضافة إلى *«Jihadist Strategic Debates before 9/11» in Studies in Conflict & Terrorism* للكاتب ستيفن بروك الذي يُقدّم العديد من الأفكار حول الأساليب المختلفة التي يتّخذها تنظيم القاعدة.

يوجد أعمال للجهديين نفسهم تصف هذه الفترة أيضاً، حيث يتوافر العديد من المراجع التي تحتوي على خطابات بن لادن الخاصة وبالنسبةِ لي شخصياً، أعتقد أن كتاب أيمن الظواهري «فرسان تحت راية النبي» هو عملٌ شامل ووافٍ. لإلقاء نظرة مختلفة على أفكار الظواهري الحقيقية، يمكن قراءة عمل آلان كوليسون بعنوان *«Inside Al Qaeda's Hard Drive» in The Atlantic (2004)* حيث أن تفاصيل الكتاب مبنيّة على اكتشاف كوليسون

لجهاز كمبيوتر عن طريق الصدفة كان ينتمي إلى أيمن الظواهري. يقدّم هذا العمل دراسة رائعة عن تنظيم القاعدة كمؤسسة مع ذكر الاقتتال الداخلي والمشاحنات وغيرها.

يناقشُ العديد من المؤلّفين الآن مواضيع الإسلام والسلفية والمتغيرات الجهادية، ومن بين هذه الأعمال يبرز العمل الشامل والواضح للكاتب كوينتان ويكتوروفيتش بعنوان: *«Anatomy of the Salafi Movement» in Studies in Conflict & Terrorism*. كما إنّني أستند إلى أعمال ويكتوروفيتش الأخرى لشرح النقاشات الدينيّة السريّة داخل الحركة الجهادية. على الصعيد الشخصي، أنا مُغرم بشكل خاص بمقالتِه المُشتركة مع جون كالتنر تحت عنوان: *«Killing in the Name of Islam: Al ـ Qaeda's Justification for September 11» in Middle East Policy*.

أمّا بالنسبة لفترة ما بعد 11 أيلول، فقد كانت وافرة بالأعمال أيضاً وأكثر انتشاراً من قبلها. لعلّ أفضل كتابٍ يصف أنشطة القاعدة بعد 11 أيلول كمجموعة إرهابية هو المُجلّد الذي حرره بروس هوفمان وفرناندو ريناريس تحت عنوان: *The Evolution of the Global Terrorist Threat: From 9/11 to Osama bin Laden's Death (Columbia University Press, 2014)*، والذي يدرس بشكل منهجي مجموعة واسعة من الهجمات ويقيّم دور نواة تنظيم القاعدة. على الرغم من أنّ قائمة الأعمال الأكثر تركيزاً على فترة ما بعد 11 أيلول قد تطول، إلّا أنّني أودّ أن أنتقي الكاتب توماس هيغامر الذي يُعدُّ عمله عن المملكة العربية السعودية والمقاتلين الأجانب رائعاً ويستند إلى مجموعة من المصادر الجديدة لإلقاء الضوء على بعض الأسئلة الأكثر أهمية ولكنها الأكثر غموضاً حول تنظيم القاعدة. عادةً ما تكون كريستين فير أول شخص أتوجه إليه عندما أرغب في فهم القوّة المحرّكة المُذهلة للمجموعات الجهادية في باكستان. كما برزَ جريجوري د. جونسن كباحث مثير للإعجاب في شؤون اليمن والجماعات المسلحة هناك. من أبرز الإنجازات بعد 11 أيلول هو إنشاء مركز مكافحة الإرهاب (CTC) في ويست بوينت. يعمل الكثير من الباحثين المثيرين للإعجاب هناك أو أنهم قد عملوا هناك في السابق وعادةً ما تعتمد أعمالهم المنشورة على الوثائق التي تم الاستحواذ عليها والتي تكشف الأعمال السريّة لتنظيم القاعدة؛ كما أتاح مركز مكافحة الإرهاب الكثير من هذه الوثائق في قاعدة بيانات قابلة للبحث على الإنترنت. كمثال على ذلك، عملت نيللي لحود وزملاؤها على الوثائق التي اكتُشِفت في أبوت آباد خلال الغارة التي قتلت بن لادن بعنوان، *Letters from Abbottabad: Bin Laden Sidelined? (Combating Terrorism*

Center at West Point, May 3, 2012)، وهو منظور آخر على كيفية رؤية تنظيم القاعدة للعالم، لكن هذه المرة بالاعتماد على ما يقوله قادتها لبعضهم البعض سراً. إذا كنت تبحث عن شخص ميّال إلى الشكّ ـ وذي معلومات جيّدة ويكتب بشكل جيّد ـ فلا يمكنك أن تجد أفضل من جون ميلر، الذي تتساءل أعماله بشكل عام عن مدى خطورة تهديد الإرهاب للوطن الأمريكي اليوم.

نظرًا لأن الدولة الإسلامية تنظيم جديد نسبيًا (على الأقل مقارنةً بتنظيم القاعدة)، فإن المطبوعات المُتعلّقة به محدودة نوعاً ما، لكن العديد من الباحثين الذين أعرفهم وأُقدّرهم قد أنتجوا مؤخراً أعمالاً رائعة توفّر نظرة شاملة عن المجموعة. يُقدّم كتاب جيسيكا ستيرن(Jessica Stern) وجي ام بيرغر(J.M. Berger) بعنوان: *ISIS: The State of Terror*، نظرةً في كيفية استغلال المجموعة للدعاية ووسائل التواصل الاجتماعي لتجنيد الآلاف من المقاتلين بما في ذلك العديد من الغرب. كما يبحث كتاب شارلز ليستر بعنوان Profiling the Islamic State، في أصول المجموعة وتطوّرها ويوفر معلومات مفصلة عن قيادتها وتكتيكاتها وقدراتها. أخيراً، يأتي كتاب وليام ماكانتس *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State (Palgrave Macmillan, forthcoming 2015)*، حيث يستند الكتاب بشكل كامل تقريباً إلى وثائق من المصدر الأساسي باللغة العربية ويُجسّد دراسة رائعة لنبوءات نهاية العالم الدينية التي تُغذّي نهوض الدولة الإسلامية وتقود حملتها الدمويّة.

هناك مجموعة من الكتب أيضاً التي تبحث في استجابة الولايات المتحدة ضمن إطار مكافحة الإرهاب، أو على الأقل بعض جوانبها. وهي تتراوح بين كتاب Manhunt لـ بيتر بيرغن، الذي يروي قصة الجهد الطويل لتحديد مكان وقتل بن لادن، إلى أعمال مثل The *Dark Side* للكاتبة جين ماير التي تكشف عن عالم عمليات الترحيل والتسليم السجون السريّة. يقدّم عمل جاك جولدسميث، بعنوان *The Terror Presidency*، رؤى ممتازة حول النهج القانوني لإدارة بوش في مكافحة الإرهاب وما يرتبط به من خلافات. يُقدّم كتاب *The Art of Intelligence* لهانك كرومبتون وجهة نظر حرفيّة حول كيف يمكن وينبغي لجمع المعلومات أن يتمّ عند محاربة الإرهابيين. أخيرًا، يُقدّم عمل مارك مازيتي بعنوان *The Way of the Knife*، شرحاً تفصيلياً عن عالم الطائرات المُسيّرة والمُحاربين السرّيين.

قد يكون للأشخاص المهتمّين بقضايا مثل تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية اهتمام خاص بالمواضيع المُتعلّقة بالإرهاب بشكل عام. لا يزال كتاب بروس هوفمان *Inside Terrorism* أقوى كتاب شامل حول منطق الإرهاب وتاريخه والقوى المُحرّكة. كما يندرج كتاب جاكوب شابيرو بعنوان: *The Terrorist's Dilemma: Managing Violent Covert Organizations*، تحت قائمة الأعمال الحديثة ولكنها أكثر أكاديمية من غيرها، حيث يتعّمق في المشكلات التنظيمية التي تواجهها الجماعات الإرهابية. ينظر كتاب *How Terrorism Ends: Understanding the Decline and Demise of Terrrist Campaigns* للباحث أودري كورث كرونين إلى مكافحة الإرهاب من منظور مختلف، حيث يُفسّر الأسباب المختلفة التي تؤدي إلى انهيار الجماعات أو وقف القتال واستخلاص الدروس القيمة منها.

إنّ ما سبق ذكره من أعمال ليس سوى عيّنة بسيطة من الكم الهائل الموجود حول تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية وغيرها. على الرغم من أن عملي هذا يركّز على مكافحة الإرهاب، إلا أنه يوجد الآن الكثير من الأعمال مما لا يمكنني قراءتها بالكامل، ولا أتوقع من الآخرين القيام بذلك. لكن إذا استمدّيتم المعلومات من المؤلفين والباحثين المذكورين أعلاه، فسوف تفهمون تنظيم القاعدة والحركة الجهادية والدولة الإسلامية بشكل أفضل بكثير وسيكون لديكم آراء جيّدة حول إيجاد أفضل الطرق لمحاربتهم.

فهرس الأعلام

- اللواء 055 (مقاتلي تنظيم القاعدة في الحرب الأهلية الأفغانية) 38.
- حول تواصل القاعدة مع نظام صدام حسين 153.
- حول التفاصيل العمليّة لهجمات 9/11 في سبتمبر 2001 49، 53، 158.
- حول السعودية وتمويل القاعدة 145، 161.
- حول التفجيرات التي استهدفت الولايات المتحدة في السودان وأفغانستان 45.
- حول تمويل أمريكا للأفغان العرب خلال الحرب الأفغانية في الثمانينيات 18، 19.
- حول فشل الحكومة الأمريكية ما قبل هجمات 2001 55.
- حيدر العبادي 294.
- عمر فاروق عبد المطلب (مفجّر الملابس الداخلية) 64، 186.
- آبوت أباد (باكستان) 170، 171، 255، 299 .
- خالد أبو الدهب 43.
- مصطفى أبو اليزيد 129.
- سجن أبو غريب (العراق) 266.
- أبو حمزة 247.
- أبو سياف 193.
- أبو زبيدة 270.
- مايكل أديبولاجو 79.
- مايكل أديبول 79-80.
- تفجيرات الفندق في عدن (اليمن) 1992 30، 45.
- سيف العدل 35، 158.
- القاعدة 11، 15، 18، 20، 26-27، 36-39، 42، 50-51.
- «الأفغان العرب» (المقاتلين الأجانب في حرب الثمانينيات ضد الإتحاد السوفييتي) 17,11-19، 23، 176.
- بن لادن 44، 57، 169، 243.
- إجراءات وكالة المخابرات المركزية بعد 2001 56، 61، 251.
- الحرب الأهلية في التسعينيات 27، 36-38.
- الديوبندية 98.

- المقاتلين الجهاديين الأجانب بعد 2001 138.
- المجاهدين خلال الحرب ضد الإتحاد السوفييتي 15-20، 74، 115، 137، 161، 168-169.
- سياسات باكستان 165-167، 170-171، 279.
- جماعة بشتون العرقيّة 37.
- التسهيلات المقدمة للسجن الأمريكي السرّي 249.
- الغزو والإحتلال السوفييتي في الثمانينيات 11، 15-20، 27، 33-34، 37، 72-73، 103، 115، 119، 123، 137، 161، 169-170.

أفغانستان (تابع)

- الهجمات الإنتحارية 94.
- هجمات طالبان منذ 2001 255، 290.
- نظام طالبان (1996-2001) 62.
- معسكرات التدريب 62,22، 88، 121، 124، 127، 136,147، 169، 196، 208.
- الإستهداف الأمريكي لتنظيم القاعدة.
- الغزو الأمريكي والحرب اللاحقة (2001-2014) 60-61، 67، 71، 75، 82، 112، 129، 136-137، 152، 166، 170-172، 244، 256-257.
- غارات القوات الخاصة الأمريكية 257.
- ارتكاب تنظيم اقاعدة للجرائم 11، 29، 34-35، 38، 41-44، 47-49، 50، 121-122، 146، 270.
- دور بن لادن 41-42، 50، 121، 246.
- تكاليف 146.
- التخطيط لــ 41-43، 121-122.
- استخبارات الإشارة بخصوص 270.
- حصيلة الأضرار 42-43.
- استجابة الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب 38-43، 57-58.
- أهل الحديث 99.
- شريب أحمد 171.
- محمود أحمدي نجاد 267.
- العلويين 220، 236، 278.
- ألبانيا 34، 41، 252.
- حلب(سوريا) 225.
- آلفورد، سيدني 82.
- الجزائر 108، 110، 118، 187.

القاعدة و

- القاعدة في المغرب الإسلامي 187-188، 196، 200.
- الحرب الأهلية و وفيات المدنيين 109-111، 154، 187، 201.

- مكافحة الإرهاب 62.
- المنظمات الجهادية العالمية 30، 201.
- الدولة الإسلامية 219.
- الديكتاتوريّة العسكريّة 277.
- الجماعة السلفية للدعوة والقتال 187، 199.
- الهجمات الإنتحارية 71.
- التكيُّف 282-284.
- الحرب الأهلية الأفغانية 37، 83.
- الحرب بين باكستان والإتحاد السوفييتي 15,83.
- معارضة الحكّام العرب «المرتدّين» من قبل 60، 68، 72-74، 100، 107.
- الربيع العربي(2011) 180-182.
- استراتيجية الاستنزاف 72-74.
- تجارب الأسلحة الكيميائية والبيولوجية 238، 89.
- حرب البوسنة (1992-1995) 28.
- طموح الخلافة 151.
- الجمعيات الخيرية 145، 36.
- الشيشان 30، 86، 136-137، 193-194.
- الجدال الذي حصل بشأن الرسوم الكارتونية الدانماركية بحق النبي محمد (ص) 70.
- معارضة الديمقراطية من قبل 180، 276.
- صعوبات التواصل 204، 254، 260.
- حركة الجهاد الإسلامي المصريّة 35-36، 43، 123-124.
- القادة المصريين (انظر أيضاً إلى أيمن الظواهري) 28، 31-35.
- تفجيرات السفارات (1998) في كينيا وتنزانيا 11، 30، 39.
- شخصية الأمير القيادية 126، 129.
- استهداف أوروبا 64، 74، 136، 278، 282، 289.
- الحياة العائلية 148.
- تأسيس 20-23، 26، 27.
- تأسيس 142-145، 203، 252-253، 238.
- الحركة الجهادية العالمية 40.
- حرب الخليج(1991) 29.
- حركة حماس 174.
- حزب الله 77، 157، 174، 193.
- العقائد 85-86.
- اختراق وكالات الإستخبارات 278-279.
- الرأي العالمي بخصوص 178-179.
- الإنترنت 88، 116، 134، 140-143، 148-149.

- إيران 156-159، 223.
- نقد القادة الإسلاميين 177-178، 255، 276-277.
- الدولة الإسلامية 12، 70، 148، 154، 183، 211، 216-219.
- إسرائيل 23-29، 60، 67-68، 107، 125، 136، 174-176، 178، 207.
- جبهة النصرة 190-197، 215، 217، 218، 296.
- الجماعة الإسلامية 71، 144، 193-194، 205.
- إعلان الأهداف الجهادية 26-29، 67-72، 116.
- نقد الجهاديين لـ 83-87.
- التبريرات 58-61، 112-114.
- «قيادة خراسان» 233.
- هجمات الذئاب المنفردة «لون وولفز» 80، 81.
- المدارس 134.
- إحصائيات عدد الأعضاء 206.
- الطبيعة القابلة للتعرض للوقوع في الأخطاء 94، 130-133، 142.
- الإخوان المسلمين 221، 105-106، 181، 192.
- تفسير المسلمين 176-178، 283.
- القوميّة 131-132، 136.
- الأسلحة النووية 88-91.
- الهيكل التنظيمي 126-129.

باكستان و

- هزيمة 290-293.
- الهجمات ما بعد 9/11 والاستراتيجيات 63-73، 282-284، 287، 290-292.
- الشكل النموذجي للعنصر أو العضو 133-135.
- الدعاية الإعلاميّة 115، 121، 126، 135، 140.
- اتهام الولايات المتحدة بتمويل 19-20.
- دراسة القرآن 85، 113-114.
- سيد قطب 103.
- الشباب (الجناح الإعلامي) 115.
- السلفية 37، 68، 74، 97-98، 100، 104، 192-193، 196-197.
- السعودية 24-25، 29، 38، 64-66، 69، 85، 255.
- الشيعة 76، 109، 154، 159-160.
- الصومال 28، 45، 64، 137-138، 140.
- الهجمات الإنتحارية 77-78.
- مذهب التكفير 109، 131.

- كُتيّبات التدريب 63-64، 90.
- مبدأ «الطليعة» القيادية 35.
- الوهابية 101.
- الحرب كهدف رئيسي 137-140.
- علاقات نواة تنظيم القاعدة مع 184-185، 198.
- العولقي 142.
- بن لادن 184-185، 198.
- مخطط تفجير طائرة النقل (2010) 186.
- هجمات الطائرات المُسيّرة ضد 186، 263، 272.
- ظهور 2.
- المقاتلين الأجانب 197.
- مجلة إنسباير 186، 206.
- عمليات الاختطاف 146.
- أوباما 183.
- السياسات القَبَلية 197.
- الحرب الأمريكية في العراق 199.
- البغدادي 212-216.
- بن لادن 214، 217-218.
- حملة «كسر الجدران» (عملية تحرير السجناء) 213.
- وحشية الهجمات 102، 227.
- المقاتلين الأجانب 17، 38، 103، 275.
- تمويل 155-156، 215.
- المناطق الخاضعة لسيطرة 227، 232، 253.
- القاعدة في المغرب الإسلامي 203.
- تأسيس 109، 118، 211.
- في مالي 130، 140، 188، 193، 200، 260.
- الجماعات الإرهابية في شمال إفريقيا 130، 145، 147، 183 195، 209، 291.
- الجماعة السلفية للدعوة والقتال 187، 199، 200.
- الهجوم الإرهابي على السفارة الفرنسية في 195 .
- تنظيم القاعدة للجهاد في جنوب شبه الجزيرة العربية (انظر أيضاً إلى تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية) 184-186.
- حركة الشباب 12، 132، 183 - 184، 189 - 198، 268.
- الغزو الأثيوبي للصومال 189، 198.
- التجنيد بقصد 48، 133.
- الصومال كقاعدة لـ 45، 132، 189.
- مجتمع الشتات الصومالي 254.

- الإجراءات الصارمة للحكومة الصومالية ضد 190.
- عبد الله أنس 19.
- أنصار الشريعة 193، 206، 265.
- أنصار الدين 193.
- الآراء المعادية لأمريكا 177.
- وضع الدخلاء الأجانب 65.

في باكستان

- التمويل الخاص لــ 17، 119.
- الربيع العربي(2011) 180.
- الفشل الديمقراطي اللاحق 181-182، 276.
- تأثّر أمن إسرائيل بسبب 176.
- الإخوان المسلمين-الأنظمة الحاكمة التابعة لهم 104.
- الجماعة الإسلامية المسلحة(الجزائر) 187.
- بشار الأسد 131، 180، 241.
- القاعدة و 131، 141، 149.
- الحرب الأهلية السورية 13، 71، 213، 223، 237.
- حافظ الأسد 106.
- عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ 59.
- هارون أصوات 247.
- محمد عاطف 35، 62، 129.
- محمد عطا 51، 52، 54، 86، 93، 139، 208,209، 288.
- التجنيد في ألمانيا 140، 288.
- ديفيد أفهاوسر 162.
- أبو بكر البغدادي 69، 211، 212، 228، 243.
- حملة «كسر الجدران» (عملية تحرير السجناء في العراق) و213.
- إعلان الخلافة من قِبل 70، 212.
- تفجيرات بالي (إندونيسيا2002) 147.
- أبو عبيدة البنشيري 21، 35، 42.
- عمر حسن أحمد البشير 23.
- وادي البقاع (لبنان) 157.
- هجمات بنغازي (ليبيا) الإرهابية (2012) 206، 12.
- دانييل بينيامين 284.
- نعمان بن عثمان 121، 191.
- نيكولاس بيرج 228.
- بيتر بيرغن 20، 22، 29، 62، 121، 134، 205، 298، 300.
- صاموئيل بيرغر44.
- محمد بن عوض بن لادن 119.
- الشباب 190.

- عزام و 21-22.
- معركة جاجي (1987) 19-20، 119.
- الصراع في الشيشان و194.
- حركة الجهاد الإسلامي المصرية 35.
- انتقاد فضل لـ 190.
- حرب الخليج (1991) 29.
- حول أهمية الإعلام والدعاية الإعلامية 135.
- حول اليهود والمسلمين 175.
- مجلة الجهاد 115، 135.
- خالد شيخ محمد 46، 47، 49، 54، 129، 170، 171، 270.
- التساؤل حول ما موّلته الولايات المتحدة 18-20.
- قطب 102.
- رسام 205.
- حركة طالبان و 21، 42، 187.
- الحرب الأمريكية في العراق (2003-2011) 152، 202، 276.
- الأسلحة البيولوجية 89، 92.
- الحصاد المر (للظواهري) 106-107.
- هجوم «بلاك هوك داون» (الصومال 1993) 30، 45 .
- رويسين بليك 191.
- «الشيخ الأعمى» (انظر إلى شيخ عمر الرحمن) 23، 45، 46.
- النتائج العكسية 264-265، 268.
- مؤامرة بوجينكا (استهداف طائرات النقل الأمريكية عبر المحيط الهادئ) 46-48، 64 .
- بوكو حرام 71، 193، 291.
- آندي بورويتز 129.
- حرب البوسنة (1992-1995) 28.

القاعدة و

- حركة الجهاد العالمية و 18، 30.
- التمويل السعودي في 161.
- تفجيرات ماراثون بوسطن (2013) 79، 94، 142، 206، 289.
- دور مجلة إنسباير في تحفيز 142، 207.
- منفذي الهجمات 12، 79، 81، 142، 207، 264.
- ليان كينيدي بودالي 200.
- محمد بويري 70.
- جون برينان 261.
- الهجوم على متحف اليهود في بروكسل (2013) 81.
- جايسون بورك 63.
- بروندي 190.

- جورج دبليو بوش 276.
- حول المسلمين الأمريكيين 276.
- خطاب «محاور الشر» 158.
- حرب العراق و55.
- برودينس بوشنيل 42.
- الخليفة إبراهيم 212.
- جيمي كارتر16، 266.
- جيمس إي كارترايت 265.
- بن لادن و 19.
- التحقيقات الكينية في المخططات الإرهابية 42.
- مديرية الشرطة في مدينة نيويورك 272.
- التمام الإرهابيين ما بعد 11 سبتمبر 2001 61.
- تينيت حول الأولويات 44.
- ريتشارد ديكتشيني 244.
- جيمس كلابر157.
- بيل كلينتون 45.
- هيلاري كلينتون 180.
- ديفيد كوهين 149.
- جيمس كومي 79، 212.
- الجامع في طلب العلم الشريف (فضل) 109.
- روبن كوك 19.
- مكافحة التطرّف العنيف 284.
- قلق الناشطين في الحقوق المدنية حيال 270-271.
- النظام القانوني 244-248.
- هجمات «الذئاب المنفردة» 79-81.
- حرب الأفكار 275.
- كرواتيا 251.
- أودري كورث كرونين 262، 301.
- آلان كوليجن 132.
- مجلة دابق 230.
- محافظة دير الزور (سوريا) 225.
- مارتن ديمبسي 188.
- وزارة الدفاع 278-279.
- وزارة الأمن القومي 271.
- وزارة العدل 92، 278-279.
- لجنة مراقبة الإعتماد 41.
- هجمات السفارات في أفريقيا 41-42.
- حملة «فكر مجدداً واهرب» 275.
- اعتقال يوسف في باكستان 250.
- وزارة الخزانة 252-253.
- عصام دراز 124.
- «القنابل المشعّة» 92.

- وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم (فضل) 109.
- كارتر16، 266.
- قتل المدنيين 261-263، 266.
- عبد المالك دروكدال 130.

مصر

- الطبيعة المتسلّطة لنظام مبارك 20، 31، 102.
- مهاجمة الأعمال والكنائس المسيحية 71.
- الأحزاب الإسلامية السياسية. (انظر ايضا الإخوان المسلمين) 138.
- إسرائيل 31.
- الرأي العام بخصوص القاعدة 179.
- الرأي العام بخصوص بن لادن 177.
- الرأي العام بخصوص الولايات المتحدة 247.
- قطب حول 102.
- السودان و 23-25.
- انتقاد فضل لــ 109.
- اغتيال السادات و32، 123.
- رابطة الدفاع الإنجليزية 81.
- أربيل (العراق) 239.
- إريتريا 25.
- كتاب العمدة في إعداد العدة (فضل) 109.
- إيران و160.
- الجماعات الجهادية 205.
- الترحيل السري للمشتبه في تورطهم بالإرهاب 250.
- انتقاد السياسة الأمريكية لمكافحة الإرهاب 294.
- المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان 247-248.
- الأمر التنفيذي 13224 (الولايات المتحدة) 251.
- التبرئة (الظواهري) 109.
- الترحيل السرّي 250-252.
- الدكتور سيد إمام شريف (فضل) 109-111.
- جمال أحمد الفضل 148.
- محمد حسين فضل الله 59.
- ناصر الفهد 90.
- كريستين فير 134، 164، 170، 299.
- الفلوجة (العراق) 216.
- محمد عبد السلام فرج 32، 103، 115.
- ليا فارال 127.
- مكافحة الإرهاب منذ 2011 271.

- تشارلز فيرجسون 92.
- جان بيير فيليو 200.
- فرقة العمل المعنية بالإجراءات المالية 253 نيران الحرب (فيديو الدولة الإسلامية) 230.
- جيمس فولي 229.
- مؤامرة فورا ديكس الإرهابية (الولايات المتحدة 2007) 94.

فرنسا

- مؤامرة القاعدة(2001) 46.
- مقاتلي الدولة الإسلامية 294.
- اختطاف مواطني 146.
- الجيش السوري الحر 232.
- آدم جادان 82.
- الجماعة الإسلامية.
- روبرت غيتس 238.

غزة

- حماس 106-107.
- الدولة الإسلامية و 170.
- النشاط الجهادي في 176.
- الرأي العام بخصوص القاعدة 179.
- فواز جرجس 32، 35.
- ألمانيا 139، 235، 288.
- أشرف غني 166، 213، 288.
- نيوت غينغريتش 276.
- «السلسلة الذهبية» المموّلين من شبه الجزيرة العربية 120، 144.
- بريطانيا العظمى. انظر أيضا إلى المملكة المتحدة.
- سجن غوانتانامو (كوبا) 248، 249، 269.
- أبيميل غوزمان 120.
- وديع الحاج 145.

حماس

- غزة و 105، 107.
- إسرائيل كهدف 175، 176.
- العنف السياسي و 106.
- إدانة هجمات 11 سبتمبر من قبل 59.
- إنتقاد هجمات 11 سبتمبر من قبل 113.
- الخدمات الاجتماعية 177.
- عمر حمامي 87.
- هاني حنجور 51، 52.
- شبكة حقاني 193.
- الحرمين 145.
- كريس هارنيش 197.
- نضال مالك حسن 79.

- الحوالة(نظام دفع غير رسمي) 144، 254.
- سفر الحوالي 163.
- مايكل هايدن 156.
- برنارد هيكل 221.
- نواف الحازمي 51.
- توماس هيغامر 17، 20، 104، 139، 299.
- قلب الدين حكمتيار 19.
- آلان هنينج 228.

حزب الله

- القاعدة و 77، 156، 176.
- تفجير ثكنات المارينز في بيروت (1983) 30، 59، 71-77.
- بروس هوفمان 9، 91، 127، 171، 205، 282، 299، 301.
- صدام حسين 138، 151، 153، 211.
- زاهد حسين 170.
- محمد بن سعود 101.
- تقي الدين ابن تيمية 101.
- محافظة إدلب (سوريا) 225.
- الإستخبارات باستخدام الصور المتعلقة بالأنشطة الإرهابية 269.
- هجوم أمناس (الجزائر) 187.
- هجوم مومباي الإرهابي (2008) 164.
- الولايات المتحدة و 173.

إندونيسيا

- اعتقال حمبلي 281.
- تفجير فندق ماريوت (2009) جاكرتا 147.
- مجلة إنسباير 116، 186، 206.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر 153.
- صندوق النقد الدولي 253.
- جمع الأموال 142.
- مخاطر العمليات 142.
- تسهيل التطرف من قبل 141، 286.
- مجاهدي خلق إيران 158.
- عدوانية السلفية تجاه 223.
- السعودية و 30، 223.
- الحرب الأمريكية في أفغانستان (2001-2014) 157.
- هجمات السيارات المفخخة 94.
- آلات التفجير البدائية 152.
- الباحثين الإسلاميين حول الحرب ضد أمريكا 151-152.
- الأكراد 294.
- مصادر النفط 224.

- النزاع الطائفي 294.
- رضوان عصام الدين «حمبلي» 253.
- جيش عدن أبين الإسلامي 205.
- جيش العراق الإسلامي 205.
- مجلس شورى الجيش الإسلامي 24، 45.
- مقترح وقف إطلاق النار 34.
- إعلان الخلافة من قبل 69.
- داعش اسم سخرية 212، 239.
- راية 221.
- إحصائيات الأعضاء 222، 294.
- الفعالية العسكرية 274.
- مذهب الفنائيّة 221.
- توفير الخدمات الإجتماعية 227.
- مذهب التكفير 110.
- السياسات القبلية 227.
- الوهابية 98.

إسرائيل

- الربيع العربي (2011) 107.
- نظريات المؤامرة بخصوص 54.
- جماعة خراسان 233، 234.
- توفير الخدمات الإجتماعية 191.
- مايكل جاكوبسون 142.
- جيش محمد 164.
- معركة جاجي (1987) 119.
- جماعة التوحيد والجهاد 211.
- الجماعة الإسلامية (باكستان).
- جماعة علماء الإسلام (باكستان) 165.
- زياد جراح 51.
- إدراك القائد لــ 280.
- تفجيرات بالي(2002) 64، 71، 253.
- العمل المرتبط 145.
- الإجراءات المالية لمكافحة الإرهاب 253.
- براين جينكينز 140.
- رابطة الدفاع اليهودية 95.
- مجلة الجهاد 102، 135.
- جريجوري جونسن 299.
- أبو محمد الجولاني 215.
- جند الشام 213.
- جون كالتنر 60، 113، 299.
- منطقة كارجيل (الصراع الهندي الباكستاني) 164.
- الحروب الهندية الباكستانية 173، 164-166.
- أشفق برويز كياني 262.
- كينيا 41، 43، 47، 189.

- هجوم حركة الشباب الإرهابي(2013) 189.
- تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالي في تفجيرات السفارات (1998) 42، 247.
- خلدن (معسكر تدريب القاعدة في أفغانستان) 38.
- عمران خان 265.
- سمير خان 142.
- خطّاب (قيادي جهادي في الشيشان) 194.
- لحسين خيرشتو 148.
- آية الله خميني 120.
- عمر خيام 86.
- كوسوفو235، 267.
- الكويت 49، 105، 106، 224، 296.
- حرب الخليج(1991) 29.
- جمع الأموال للجهاديين 296.
- الإخوان المسلمين 106.
- ميثاق كيوتو 283.
- ويليام لانجويش 91.
- لشكر طيبة 164-166، 172، 205.
- أهل الحديث 99.
- غهجمات مومباي الإرهابية (2008) 164.
- وكالة الإستخبارات الباكستانية 99.
- تفجيرات ثكنات المارينز (1983) 58,30، 77.
- «رسالة إلى الشعب الأمريكي» (بن لادن 2006) 31، 45.
- مونيكا لوينسكي 45.
- جيسيكا لويس 220.
- جبهة نمور تحرير تاميل إيلام 76، 120.
- أبو أنس الليبي 87.
- أبو فرج الليبي 129.
- هجوم أنصار الشريعة على قنصلية الولايات المتحدة (2002) 12، 205-206.
- الحرب الأهلية في 182، 289.
- الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة 193.
- تفجيرات القاعدة في لندن (2005) 289، 64، 79، 171، 178.
- مؤامرة تفجير مطار لوس أنجلوس (1999) 47، 85، 205.
- الهجوم على معبد الأقصر (1997) 33، 46.
- مدريد (إسبانيا) 74.
- هجوم قطارات نقل البضائع(2004).
- ماليزيا 281.

- الإنقلابات العسكرية 274.
- نوري المالكي 215، 226.
- دليل مانشستر87، 128، 129.
- أبو محمد المقدسي 191، 207، 219، 104.
- خالد المصري 252.
- أحمد شاه مسعود 38.
- أبو حفص الموريتاني 159.
- ويليام ماكينتس221، 286، 72.
- ستانلي ماكريستال 154.
- تيري مكديرموت 52.
- وليام ماكينلي 293.
- حكيم الله محسود 265.
- خالد المحضار 51.
- دانا ميلبانك 206.
- قوانين اللجان العسكرية 248.
- المحاكم العسكرية 248-249.
- جون ميلر 116، 120، 300.
- مقديشو (الصومال) 190.
- خالد شيخ محمد 129، 46، 47، 49، 170، 171، 270.
- المنظمة الفرعية لتنظيم القاعدة 50.
- مؤامرة «بوجينكا» 46-47 .
- جريمة قتل بيرل 170.
- يوسف و 46.
- جبل سنجار (العراق) 239.
- جون ميلر 116، 120، 300.
- محمد. انظر النبي محمد المجاهدين.
- انظر تحت أفغانستان مجاهدي خلق (مجاهدي خلق)، 158.
- مقدسي و 105.
- القرآن و 106.
- قطب و 101، 106.
- برامج الرعاية الاجتماعية 106.
- في سوريا 106.
- الظواهري حول 106، 107.
- شكري مصطفى 131.
- أبو بكر ناجي (اسم مستعار) 74.
- جمال عبد الناصر 102.
- الجبهة الإسلامية الوطنية 25.
- الفريضة الغائبة (فرج) 115.
- مهدي نموش 81.
- بيتر نيومان 291.
- إدارة شرطة مدينة نيويورك 271-272.
- مخطط مترو أنفاق مدينة نيويورك (2009) 288.

- حول الإرهاب النووي 89.
- تفجيرات مدينة أوكلاهوما (1995) 80.
- عُمان 25.
- ملا عمر 37-38، 62، 171.
- «حكم استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الكفار» (الفهد) 90.
- سلمان العودة 108.
- خوسيه باديلا 92.
- اللاجئين الأفغان في 15، 37.
- المشاعر المناهضة لأمريكا 173.
- الديوبندية 98-99.
- تفجير السفارة المصرية (1995) 77، 112.
- المدارس الدينية الإسلامية 134.
- الرأي العام حول القاعدة 179.
- الرأي العام حول الولايات المتحدة 247.
- اعتقال يوسف 250.
- حزب التحريك والإنصاف الباكستاني 265.
- منظمة تحرير فلسطين 243.
- الجهاد الإسلامي الفلسطيني 175.
- الفلسطينيين. غزة: حماس.

الضفة الغربية

- الانتفاضة الأولى (1987) 29.
- الرأي العام حول بن لادن بين 177.
- الانتفاضة الثانية (2000) 77، 78.
- سواتي باندي 134.
- قبائل البشتون 37.
- غريغوري فيرنون باترسون 254.
- دانييل بيرل 170.
- الهجمات الإرهابية على البنتاغون (11سبتمبر 2001) 50، 53.
- بول بيلار 244.
- ريتشارد بوسنر 56.
- فيلوبيلاي برابهاكاران 120.
- النبي محمد (ص) 60، 90، 97، 101، 222، 284.
- دراسة القاعدة لـــ 61، 84.
- الرسوم الكارتونية الدانماركية (2006) 70.
- الحديث 85، 89، 222.
- الروايات الفنائيّة الإسلاميّة 69.
- منطقة البنجاب (باكستان) 167.
- معمّر القذافي 26.
- يوسف القرضاوي 60، 77، 214.
- قطر 223.

- كويتا (باكستان) 170.

القرآن

- تحريم قتل المدنيين 59.
- تحريم الانتحار 76.
- تفسيرات السلفيين 97-99.
- تفسير الوهابية 98.
- سيد قطب 102.
- تأثّر بن لادن بـــ 22.
- سجن وإعدام 102.
- تأثّر الظواهري بــ 122.
- حمزة ربيعة 129، 247.
- راديكال ميدل واي (جمعية مناهضة للتطرّف في المملكة المتحدة) 156.
- شيخ عمر الرحمن (الشيخ الأعمى) 25.
- محافظة الرقة (سوريا) 225.
- روالبندي (باكستان) 133.
- رونالد ريغان 16.
- ريتشارد ريد 64، 282.
- فرناندو ريناريس 282، 299، 127، 171.
- أحمد رسام 205، 47، 84.
- بروس رايدل 164.
- لي ريجبي 80.
- دونالد رامسفيلد 257.
- روسيا. انظر إلى الاتحاد السوفييتي.
- إيران و 160.
- الأسلحة النووية و 89-90.
- اعتقال الظواهري في 22.
- أنور السادات 32، 103، 122.
- حافظ محمد سعيد 172.
- مارك ساجيمان 136، 141.
- السحاب (الجناح الإعلامي لتنظيم القاعدة) 116.
- الآراء حول القادة السياسيين المسلمين 100.
- معارضة الديمقراطية 180.
- الغالبية الغير جهادية بين 100.
- المشاركة السياسية في مصر من قبل 181.
- تفسيرات القرآن من قبل 97-99، 106.
- الحرب الأمريكية في العراق 132-133.
- الجماعة السلفية للدعوة والقتال 187، 198-199.
- علي عبد الله صالح 180، 186.
- ممدوح سالم 29.
- آل سعود (العائلة الحاكمة في السعودية) 28، 30، 98، 160-162، 199، 276.

السعودية

- حرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي 16-17، 19، 162.
- القاعدة في شبه الجزيرة العربية 148، 200.
- الجهود المناهضة للتطرّف 163.
- الإجراءات الصارمة في مكافحة الإرهاب 280.
- التمويل للجماعات الجهادية العالمية 133، 182.
- حرب الخليج (1991) 29.
- الخصومات الداخلية العسكرية 274.
- إيران و 30، 224.
- العراق و 151.
- ازدهار النفط (1970) في 98.
- الحركة القومية الإسلامية 103.
- السودان و 23.
- حركة طالبان 36-37، 148.
- المنظمات الخيرية المرتبطة بالإرهاب 124، 255.
- الهجمات الإرهابية (2003) في 149، 163، 255، 281.
- الهجمات الإرهابية على المجمعات السكنية التي تأوي الغربيين (1995-1996) 296، 30.
- الوجود العسكري الأمريكي في 29-30، 67، 85.
- الوهابية 98، 101.
- مايكل شوير 152، 251، 298.
- لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ حول تقرير الإستخبارات بما يخص التعذيب (2014) 265-266.
- الحزب الشيوعي في البيرو 120.
- أسلوب تنظيم القاعدة الاستنزافي 72-73.
- تخطيط تنظيم القاعدة ومسؤوليته عن 11، 38، 45، 129، 162، 202.
- الدعاية الإعلامية لتنظيم القاعدة 102.
- جهود القاعدة لتبرير 56-60.
- نظريات المؤامرة حول 54، 267.
- تكاليف 146-147.
- الفشل الاستخباراتي في 51، 54-58، 271.
- التعاضد الدولي السريع عقب 61.
- السؤال حول إمكانية منع 288.
- كهجمات إنتحارية 51، 77.
- «سلسلة لتصحيح الأفكار» (منشورات المجموعة الإسلامية) 108.
- «مكتب الخدمات» (الجماعة اللوجستية الجهادية في أفغانستان أثناء الحرب ضد الاتحاد السوفييتي) 21، 104، 115.

- زاهر شاه 27.
- عزت شابندر232.
- فيصل شهزاد 264.
- جاكوب شابيرو 133، 301.
- القاعدة و 68-69، 180.
- الدولة الإسلامية و166.
- مبادرة القيم المشتركة 275.
- في مالي 130.
- الإخوان المسلمين 106.
- السلفيين و 97.
- في السعودية 160.
- نواز شريف 168.
- سيد امام الشريف. انظر د. قطب.
- مايكل شيهان 39.
- مروان الشحي 51، 52.
- عمر شيخ 170.
- القاعدة و 109، 155، 159-160.
- استهداف تنظيم القاعدة في العراق لــ 108، 154-155، 212، 214، 218، 283.
- حزب الله 77.
- في العراق 109، 154-155، 212-213، 214، 278، 294.
- استهداف الدولة الإسلامية لــ 218-219، 226، 235، 278.
- في لبنان 192.
- في باكستان 165-166.
- السلفية 105.
- في سوريا 78.
- الوهابية 98، 101.
- رمزي بن الشيبة 171.
- مصنع الشفاء(السودان) 44.
- «مفجر الحذاء» . ريتشارد ريد 64، 282.
- استخبارات الإشارة 270، 271.
- جيف سايمون 80.
- شبه جزيرة سيناء (مصر) 176.
- سنغافورة 281.
- سيف الشباب باكستان 99، 165.
- إدوارد سنودن 271، 272.
- «العدالة الاجتماعية في الإسلام» (قطب) 102.
- وسائل التواصل الاجتماعي. انظر الانترنت.

الصومال

- جوهر تنظيم القاعدة25، 70، 82، 137-138، 141.
- الشباب (الجماعة الفرعية لتنظيم القاعدة) 94، 132، 183-184، 188-189، 273.

الصومال (تابع)

- هجوم «بلاك هوك داون» (1993) 30، 45.
- الحرب الأهلية في 189.
- هجمات الطائرات المسيرة 261-262، 268.
- الغزو الأثيوبي لـــ 189، 197.
- المقاتلين الأجانب في 197.
- اتحاد المحاكم الإسلامية 189.
- الكينيين 140.
- الافتقار إلى الحكومة العاملة 282.
- شعوب الشتات الصومالية 195، 254.
- الهجمات الانتحارية في 76.
- عمليات الاستخبارات الأمريكية 279.
- التدخل العسكري الأمريكي (1990) 29-30، 45، 62، 166-167.
- ستيفن سوتلوف 229.
- جنوب وزيرستان (باكستان) 167.
- الاتحاد السوفييتي.
- الحرب الأفغانية (الثمانينيات) 11، 15-20، 25، 32-33، 37، 72-73، 103، 124، 137، 166-167.
- الطبيعة السلطوية والإجرامية للنظام في 293.
- انهيار 18-26.

إسبانيا

- هجوم تنظيم القاعدة على قطارات النقل (2004) 64، 80، 135، 146.
- انسحاب القوات من العراق 73.
- كريستوفر ستيفنز 12.
- جون ستيوارت 238.

السودان

- القاعدة في 23-26، 89، 116، 120، 148، 177، 204.
- بن لادن في 23-26، 120، 144، 177.
- الحرب الأهلية في 24.
- انقلاب (1989) 23.
- أزمة دارفور 281.
- حركة الجهاد الإسلامي المصرية 24-25، 32، 125.
- وكالات الاستخبارات 281.
- الجماعة الإسلامية و 24-25، 33.
- إسلاموية 23.
- الإخوان المسلمين 23، 106.
- القلق حول التطور النووي 89.
- تمويل الإرهاب من قبل 24-25.
- عقوبات الأمم المتحدة ضد 25.

- استهداف الولايات المتحدة لأهداف تنظيم القاعدة (1998) 43-44.
- هجوم مركز التجارة العالمي(1998) 24.
- الهجمات الانتحارية 76.
- تفجيرات السفارات في إفريقيا (1998) 35، 41، 77.
- القاعدة و 77-78.
- حركة الجهاد الإسلامي المصرية 77، 112، 115، 124.
- المقاتلين الأجانب كمجرمين 198.
- حزب الله و 30، 59-60.
- انتقاد القادة الإسلاميين لــ 61، 124، 178، 286.
- مناصرة القادة الإسلاميين لــ 60.
- الدولة الإسلامية و 225.
- تحريم الإسلام لــ 59، 111، 124.
- الصراع الفلسطيني الإسرائيلي 77-78.
- جبهة نمور تحرير تاميل إيلام 76.
- في موريتانيا 195.
- في باكستان 169.
- الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر2001 51، 77.
- في سوريا 149.
- الأفضليات والتفوق التكتيكي 78.
- يو اس اس كول (2000) 47، 54.
- أبو مصعب السوري 202، 63، 80.
- منطقة سوات (باكستان) 167.
- سويسرا 146.

سوريا

- المجتمع العلوي (الطائفة العلوية) 232، 154، 71.
- القاعدة و 65 69-70، 72، 125، 131، 149، 171.
- القاعدة في العراق 212، 214-216.
- الربيع العربي و 180، 182، 232.
- استخدام الأسلحة الكيمياوية في 238.
- المسيحيين في 232.
- الحرب الأهلية (2011) 69-70، 106، 125، 131، 212، 214-216، 237-238، 283.
- الدروز (الطائفة الدرزية) 232 .
- المقاتلين الأجانب 132، 219,235-237.
- حزب الله و 71، 241.
- الاقتتال الداخلي بين الفصائل المقاتلة 131.
- إيران و71، 238، 240.
- الدولة الإسلامية و 69-70، 79، 218، 222، 236، 239، 256.

- إسرائيل 175.
- جبهة النصرة 184، 190-192، 218-219.
- الجماعات الجهادية 131، 176.
- جماعة خراسان 233-234.
- الروايات الفنائية للإسلام 222.
- الإخوان المسلمين في 106.
- موارد النفط 224.
- الانقسام داخل حركة المعارضة 295.
- الترحيل السري للإرهابيين المتهم بهم 255.
- الصراع الطائفي 70، 141، 232، 277.
- الهجمات الانتحارية 75.
- السلالة الأموية 220-221.
- غارات القوات الخاصة الأمريكية 257.
- الحرب الأمريكية في العراق 215.
- طاجكستان 15، 25.
- مذهب التكفير 79، 109، 131.

حركة طالبان

- الحرب الأهلية الأفغانية (التسعينيات) 35-36، 85.
- القاعدة و 35-36، 43-44، 71، 85، 169-170، 193، 205، 243.
- الهجمات في أفغانستان منذ 2011 من قبل 253، 291.
- بن لادن و 35، 62، 243.
- الديوبندية 35، 99.
- هجمات الطائرات المسيرة ضد 285-286.
- تمويل 252.
- نظام الحكم الإسلامي (1996-2001) 11، 37-38، 62، 99، 289.
- الإطاحة (2001) بــ 61-62، 110، 149، 174، 191، 218، 286.
- باكستان و 35، 165-166، 170، 172.
- دور الحرب الامريكية بعد 166.
- السعودية و 35-36، 148.
- الأمم المتحدة 242.
- الولايات المتحدة و 11، 35-36، 43، 56، 59 60.
- محمد سيد الطنطاوي 59.
- تفجير السفارة في تنزانيا (1998) 11، 29، 34-35، 37، 46، 121-122، 146.
- مدني الطيب 42.
- حزب التحريك والإنصاف 265.
- آشلي تيليس 165.
- جورج تينيت 44، 55، 57، 250.
- الإرهاب. مكافحة الإرهاب.
- تايلاند 281.

- مجموعة «ستة لاكوانا» 86.
- حملة «فكر مرة أخرى وابتعد» 275.
- مؤامرة تفجير ساحة التايمز (2010) 264، 288.
- دزوخار وتامرلان تسارنايف 12، 79، 82، 186، 263.

تونس

- القاعدة و 15، 64، 68، 177، 264.
- أنصار الشريعة 193.
- أحداث الربيع العربي 180، 182.
- النجاح الديمقراطي 189.
- الإسلاميين 181.
- حسن الترابي 23.
- تركيا 67، 146، 177، 236.
- أوغندا 41، 190.
- أوكرانيا 238.
- السلالة الأموية 220-221.
- «مفجر الملابس الداخلية» 289.
- عمر فاروق عبد المطلب 64، 186.
- الرحلة رقم 93 من الخطوط الجوية المتحدة (الطائرة التي تم اختطافها في سبتمبر 2001) 53.
- الإمارات العربية المتحدة 294.
- المملكة المتحدة 82، 178، 228، 229، 283، 294.
- محاكمة أبو حمزة 247.
- عملاء القاعدة في 41، 36، 85-86.
- برامج مكافحة التطرف 284.
- الباكستانيين في بريطانيا 289.
- هجوم مطار جلاسجو (2007) 94-95.
- القياديين الإسلاميين 178.
- الدولة الإسلامية 295.
- مقاتلي الدولة الإسلامية من 234.
- اختطاف مواطنين من 146، 228.
- هجمات «الذئاب المنفردة» 81، 79.
- إحباط المخططات الإرهابية 85، 86.

الأمم المتحدة

- هجوم تنظيم القاعدة في العراق على بغداد.
- مقرات 153.
- مجلس الأمن 243، 253.
- قرار مجلس الأمن رقم 1373 253.
- مكافحة الإرهاب والتمويل 243-244، 249.
- عقوبات السودان 26.
- الولايات المتحدة الأمريكية.

- الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفييتي (الثمانينيات) 15-18، 168-169.
- استهداف تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية من قبل 186.
- استهداف القاعدة في شبه الجزيرة العربية لـــ 183-184، 195، 265، 283.
- عملاء تنظيم القاعدة 43، 49، 52-53، 56، 94-95.
- استهداف تنظيم القاعدة لـــ 24، 26، 29-31، 38، 42، 46-55، 68-69، 72-75، 85، 115-117، 134-136.
- انتقاد بن لادن لـــ 29-31، 35، 42، 11-112، 152، 276، 283,125.
- فرج 103.
- حرب الخليج (1991) 24، 29.
- إيران و 158-159، 279.

استقبال العراق للمساعدات

- العسكرية من 222-224، 238، 296.
- إسرائيل 29، 49، 60، 174، 292.
- اختطاف وقتل مواطنين من 146، 170، 228-230.
- هجمات الذئاب المنفردة و 79، 80.
- الجالية المسلمة 271، 276.
- الأسلحة النووية 91.
- الدبلوماسية العامة 275.
- تساؤلات حول تمويل بن لادن 18-20.
- سياسة الترحيل السري 249-251، 265.
- السلفيين كخصوم لــ 104.
- السعودية 29-30، 67، 85، 162.
- اطلاق النار في مدرسة 289.
- السودان و 23-24، 44.
- الحرب الأهلية في سوريا 232-233.
- حركة طالبان و 11، 37-38، 56، 74.
- قانون باتريوت آكت(2001) 253.
- يو اس اس كول (هدف للهجمات الإرهابية في اليمن عام 2000) 39، 47، 53، 146.
- سفينة يو اس اس ذا سوليفانز (هدف للهجمات الإرهابية في اليمن عام 2000) 47، 48.
- أوزباكستان 205، 281.
- ثيو فان غوخ 70.
- حركة فايت كونغ 137.
- جواس واغيميكرز 104.
- محمد بن عبد الوهاب 98، 101 .

الوهابية

- القاعدة و 97.

- الدولة الإسلامية و 221 .
- أصول 97.
- عائلة سعود الملكية 160، 162، 199.
- الشيعة والتشيّع 98، 102.
- معارضة الضرائح من قبل 101.
- أبو الوليد 72.
- كلينت واتس 138، 231.
- ويست بانك 152، 179.
- كوينتان ويكتوروفيتش 60، 99، 102، 113، 299.
- محاولات القاعدة لتبرير هجمات 11 سبتمبر 59-60.
- محاولات القاعدة لتبرير استهداف المدنيين 113-114.
- الجاهلية 74.
- جينيفر ويليامز 9.
- تشارلي ويلسون 16.
- البنك الدولي 253.
- الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين (إعلان القاعدة عام 1998) 30، 35، 112.
- مركز التجارة العالمي (مدينة نيويورك).
- تفجير عام (1993) 24-25، 45-48، 188، 250.
- اقتراح بناء مسجد في الموقع السابق 276.
- لورانس رايت 62، 122.
- ناصر الوحيشي 185.
- اليزيديين 220، 227، 239.
- اليمن.
- القاعدة (جوهر التنظيم) 273، 291.
- القاعدة في شبه الجزيرة العربية 184، 188، 268، 272.
- أحداث الربيع العربي في 180، 182.
- تفجيرات فنادق عدن (1992) 30، 35.
- الحرب الأهلية (2014) 289-290.
- مكافحة الإرهاب 61، 268، 272.
- حركة الجهاد الإسلامي المصرية 77، 103، 108، 123، 164.
- الإسلاميين 181.
- الانقلابات العسكرية 274.
- في الروايات الفنائيّة للإسلام 222.
- الإخوان المسلمين 105-106.
- السعودية 279.
- السياسات القبلية28، 268.
- المساعدة العسكرية والاستخباراتية الأمريكية لـــ 295.
- الهجوم الإرهابي على المدمرة يو اس اس كول (2000) 39، 47، 53، 146.

- غارات القوات الخاصة الأمريكية 268، 257.
- ستيفن يونغر 91.
- محمد يوسف 169.
- رمزي يوسف.
- الاعتقال في باكستان لـــ 245.
- مؤامرة «بوجينكا» 46.
- الاستقلال عن القاعدة 24، 46، 201.
- محاكمة 46، 244.
- الهجوم على مركز التجارة العالمي (1993) 24، 46-48.
- محمد حيدر زمار 139.
- خوان زاراتي 253.

أبو مصعب الزرقاوي

- في أفغانستان 152، 191، 211-212.
- قيادة تنظيم القاعدة في العراق لــ 46، 92، 94، 109، 159-160، 175، 213-214، 221.
- التأكيد المناهض للشيعة على 109، 221.
- البغدادي و 211-212.
- بن لادن و 46، 153، 213-214.
- جبهة النصرة و 190، 191.
- مقتل (2006) 214.
- مقدسي و 104، 105، 191، 207.
- «حلقة الريسين» 89.
- حول الشيعة 153.
- المخططات الإرهابية في الأردن (التسعينيات) 46، 92، 94.

أيمن الظواهري

- القاعدة في المغرب الإسلامي 187.
- حركة الشباب 189.
- البيع العربي و 180.
- عزام 16.
- البغدادي 220.

بن لادن و

- الشيشان 30.
- معارضة الديمقراطية من قبل 181.
- السيرة الذاتية لــ 122، 133-134.
- فضل و 108.
- مقتل أفراد العائلة خلال الحرب الأمريكية في أفغانستان 71.
- حول فرنسا 187، 195.
- حول إيران والحرب الأمريكية في أفغانستان 157.
- إعجاب المفكرين السياسيين الإسلاميين بـــ 100.

- حول إسرائيل 30.

جبهة النصرة و

- «فرسان تحت راية النبي» و 69، 175، 298.
- الأسلوب القيادي لـــ 124-125.
- هجمات «الذئاب المنفردة» و 81.
- الاخوان المسلمين 105-106.
- الأسلحة النووية 91.
- الاجتماع المفتوح عبر الانترنت (2008) تحت اشراف 108.

في باكستان

- التأكيد السياسي على 72.
- قطب 102.
- النظرة الاستراتيجية و 76.
- في السودان 34.
- الهجمات الانتحارية و 77-78.
- حول الولايات المتحدة 30، 35.
- حول الحرب الأمريكية في العراق 152.

«الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود

- والصليبيين» (إعلان تنظيم القاعدة عام 1998) 35، 42.
- الزرقاوي و110، 175.
- محمد الظواهري 181.
- نجيب الله زازي 288.

الفهرس

مقدمة المركز 5
مقدمة الترجمة 7
تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية 7
شكر وتقدير 9
مقدمة 11
الفصل الأول: كيف نشأ تنظيم القاعدة؟ 15
ماذا كان تأثير الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي على الحركة الجهادية؟ 15
هل موّلت الولايات المتحدة بن لادن والقاعدة؟ 19
لماذا تأسَّس تنظيم القاعدة؟ 20
ماذا فعل تنظيم القاعدة في السودان؟ 23
ماذا كانت الأهداف الأولية تنظيم القاعدة؟ 27
ما سبب تركيز التنظيم في نشاطه على الولايات المتحدة؟ 29
ماذا كان دور المقاتلين المصريين خلال سنوات تكوين القاعدة؟ 31
كيف كانت علاقة تنظيم القاعدة بحركة طالبان قبل أحداث 11 أيلول؟ 37
الفصل الثاني: الهجمات الرئيسة والمؤامرات 41
لماذا كانت هجمات السفارة عام 1998 مهمة للغاية؟ 41
ما أهمّ هجمات القاعدة قبل هجمات 11 أيلول؟ 45
كيف نفذ تنظيم القاعدة هجمات الحادي عشر من أيلول؟ 49
هل كان من الممكن إيقاف هجمات الحادي عشر من أيلول؟ 54
كيف برّر تنظيم القاعدة هجمات الحادي عشر من أيلول؟ 59
ماذا كانت تداعيات هجمات الحادي عشر من أيلول بالنسبة إلى لقاعدة؟ 61
ما الهجمات التي نفذها التنظيم بعد أحداث الحادي عشر من أيلول؟ 63
الفصل الثالث: التخطيط وفن التكتيك والتنظيم الحربي 67
ما أهداف تنظيم القاعدة اليوم؟ 67
هل لدى تنظيم القاعدة خطة استراتيجيّة؟ 72
كيف أصبح تنظيم القاعدة مرتعاً لتصدير التفجيرات الانتحارية؟ 76
ما مدى خطورة الذئاب المنفردة؟ 79

ماذا يتعلّم الفرد في معسكرات تنظيم القاعدة التدريبيّة؟ 83
هل بإمكان تنظيم القاعدة الحصول على سلاح نووي؟ 88
هل يجب علينا السخرية من تنظيم القاعدة؟ 93
الفصل الرابع: الأفكار والعوامل المؤثّرة 97
ما المدارس الفكرية الرئيسة التي تؤثر في الحركة السلفيّة الجهاديّة؟ 97
السلفيّة 97
الوهّابية 98
الديوبنديّة 98
أهل الحديث 99
من هم أهمّ المفكّرين الذين يقدّرهم الجهاديون ويقرأون أعمالهم؟ 101
كيف يختلف تنظيم القاعدة عن حركة الإخوان المسلمين؟ 106
لماذا ينتقد الجهاديون الآخرون تنظيم القاعدة؟ 108
كيف يُبرّر تنظيم القاعدة قتل المدنيين؟ 112
ما المواضيع التي يطرحها التنظيم في حملتهِ الدِّعائيّة؟ 115
الفصل الخامس: التنظيم الإداري والتجنيد 119
لماذا كان بن لادن قائداً فعّالاً؟ 119
كيف يختلف أيمن الظواهري عن بن لادن؟ 122
ما الهيكل التنظيمي لتنظيم القاعدة؟ 126
لماذا يرتكب تنظيم القاعدة العديد من الأخطاء؟ 130
ما مواصفات العنصر المثالي في تنظيم القاعدة؟ 133
كيف يُجنِّد تنظيم القاعدة؟ 135
ما دور الحرب؟ 137
ما دور الإنترنت؟ 140
ما مصدر تمويل تنظيم القاعدة؟ 143
كيف يُنفق تنظيم القاعدة أمواله؟ 146
الفصل السادس: الحلفاء والأعداء 151
ما تأثير الحرب العراقية عام 2003 على تنظيم القاعدة؟ 151
كيف ينظر تنظيم القاعدة إلى إيران والشيعة؟ 157
هل تدعم المملكة العربية السعودية تنظيم القاعدة سرّاً؟ 160
لماذا تدعم باكستان الإرهابيين؟ 163
ما العلاقة بين باكستان وتنظيم القاعدة؟ 168
لماذا لا تتعاون باكستان بشكل أكثر مع الولايات المتحدة الأمريكية؟ 172

ما مدى أهميّة إسرائيل؟ 174
كيف ينظر المسلمون إلى تنظيم القاعدة وما هي أهميّة ذلك؟ 176
كيف أثّر الربيع العربي على تنظيم القاعدة؟ 180
الفصل السابع: ما وراء جوهر تنظيم القاعدة 183
من هي المنظمات الفرعيّة الرئيسة التابعة لتنظيم القاعدة؟ 183
تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربيّة 184
تنظيم القاعدة في المغرب العربي 187
حركة الشباب 188
جبهة النصرة 190
ما دور الجماعات المشابهة في الفكر ولكن غير التابعة إلى تنظيم القاعدة؟ 192
كيف يستفيد تنظيم القاعدة؟ وكيف تستفيد المنظمات الفرعيّة التابعة له؟ 194
ما الأمور التي تعيق عمليّة التعاون؟ 198
هل ما زالت القيادة المركزيّة لتنظيم القاعدة تسيطر على الحركة السلفيّة الجهادية إلى الآن؟ 202
إذن ما الذي نتكلّم عنه عندما نتحدّث عن تنظيم القاعدة؟ 204
الفصل الثامن: الدولة الإسلاميّة 211
ماذا يجب علينا أن نُسمّي هذه الجماعة؟ 211
من هو أبو بكر البغدادي؟ 212
من أين أتى تنظيم الدولة الإسلاميّة؟ 214
ما أسباب محاربة الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة؟ 216
ما طموح تنظيم الدولة الإسلامية؟ 219
ما مدى قوّة تنظيم الدولة الإسلاميّة؟ 223
كيف تروّج الدولة الإسلاميّة لقضيّتها؟ 229
ما علاقات الدولة الإسلامية بالحكومة السورية؟ 231
ما جماعة خراسان؟ 233
هل تُشكِّل الدولة الإسلامية تهديداً إرهابياً للأراضي الأمريكيّة؟ 234
لماذا دخلت الولايات المتحدة في حرب ضد الدولة الإسلامية؟ 237
الفصل التاسع: مكافحة الإرهاب 243
ألا تُعتَبَر الدبلوماسية عديمة القيمة عندما يتعلق الأمر بمكافحة الإرهاب؟ 243
ما الدور الذي يلعبه النظام القانوني؟ 244
ماذا عن المحاكم العسكرية، وغوانتانامو، وغيرها من التدابير القانونية التي تلت 11 أيلول؟ 248

ما عمليات الترحيل السريّ ولماذا تُعتبر قضية مثيرة للجدل؟ 250
كيف يمكننا أن نلاحق أموال تنظيم القاعدة؟ 252
ما دور القوة العسكرية الأمريكية؟ 256
ماذا عن الطائرات بدون طيار والضربات الجوية الأخرى؟ 258
هل تؤدي الطائرات المُسيّرة وغيرها من وسائل مكافحة الإرهاب المثيرة للجدل إلى «رد فعل سلبي»؟ 264
كيف يمكننا جمع المعلومات الاستخباراتية عن تنظيم القاعدة؟ 268
كيف تتغيّر وسائل مكافحة الإرهاب عند محاربة التنظيمات والجماعات الفرعيّة؟ 273
كيف يُمكننا أن ننتصر في حرب الأفكار؟ 275
ما دور الحكومات الحليفة التي تتعرّض لتهديد الإرهابيين؟ 278
كيف يتكيّف تنظيم القاعدة مع الضغوط الأمريكيّة؟ 282
كيف يمكننا محاربة التطرُّف؟ 284
ما التهديد الذي يُشكّله تنظيم القاعدة اليوم على الولايات المتحدة وأوروبا؟ 287
هل يمكننا هزيمة القاعدة والدولة الإسلامية والحركة الجهادية الأوسع؟ 290
كيف تختلف محاربة الدولة الإسلاميّة عن محاربة تنظيم القاعدة؟ 293
الفصل العاشر: اقتراحات لمزيد من القراءة 297
فهرس الأعلام 303

هذا الكتاب دليل شامل لتنظيم القاعدة والذي يعد الأساس للتنظيمات الإسلامية المتطرفة التي ظهرت في العقود الأخيرة، يقدم مؤلف الكتاب دراسة شاملة ومفصلة عن نشأة هذا التنظيم الإرهابي، كما يدرس المعتقدات الفكرية له، فضلا عن استراتيجياته العسكرية والبعد الدولي لخططه، كما تناول المؤلف تنظيم إرهابي اخر ولد من بقايا القاعدة هو الدولة الإسلامية "داعش الإرهابي" بالدراسة والتحليل، وقد قدم المؤلف خلاصة حول مكافحة الإرهاب والادوار التي تقع على عاتق مختلف الاطرف سواء الدول او المجتمع الدولي، الكتاب جهد متميز يستحق القراءة فهو يعطي صورة متكاملة عن هاتين النسختين من التنظيمات الإرهابية التي تسببت بقتل عشرات الالاف من الأبرياء في مختلف البلدان.

مركز الرافدين للحوار RCD

عن المؤلف

دانيال بايمن Daniel Byman

باحث اقدم في مركز سياسة الشرق الأوسط في مؤسسة بروكنكز Brookings، يركز في ابحاثه على مكافحة الإرهاب والامن في الشرق الأوسط، عمل سابقا مدير أبحاث في المركز ذاته، وهو أيضا مساعد العميد للدراسات الأولية في جامعة جورج تاون Georgetown كلية وولش Walsh School للخدمة الخارجية واستاذا في قسم الدراسات السياسية في الكلية نفسها.

مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D


www.alrafidaincenter.com

info@alrafidaincenter.com
009647826222246
ص.ب. 252
العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادرية - تقاطع ساحة الحرية

ISBN 978-1-7747204-0-0

9 781774 720400